البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
٧٠١-٧٧٤هـ

ضبط نصوصه وخرج أحاديثه
حلمي بن إسماعيل الرشيدي

روجعت تخريج أحاديث الكتاب على كتب العلامة
محمد ناصر الدين الألباني

الجزء الحادي عشر

راجعه
محمد عنتر	محمود يس

دار العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة المستعين بالله

هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن المعتصم. بويع له بالخلافة يوم مات المنتصر، بايعه عموم الناس، ثم خرجت عليه شرذمة من الأتراك يقولون: يا معتز، يا منصور. فالتف عليهم خلق، وقام بنصر المستعين جمهور الجيش، فاقتتلوا قتالاً شديدًا أيامًا، فقتل خلق من الفريقين، وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد، وجرت فتن كثيرة جداً، ثم استقر الأمر للمستعين فعزل وولى، وقطع ووصل، وأمر ونهى.

وفيها: مات بغا الكبير فى جمادى الآخرة، فولى الخليفة مكانه ولده موسى بن بغا، وقد كانت له همة عالية، وآثار سامية، وغزوات فى المشارق والمغارب متوالية.(1)

وفى هذه السنة: ابتاع المستعين من أبى عبد الله المعتزِّ شيئاً كثيراً من المتاع والأثاث والضياع، بما قيمته عشرة آلاف ألف دينار وعشر حبَّات جوهر، ومن إبراهيم بما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار وثلاث حبات.

وفيها: عدا أهل حمص على عاملهم فأخرجوه من بين أظهرهم، فبعث إليهم المستعين فأخذ منهم مائة رجل من سراتهم، وأمر بهدم سورهم.

وفيها: حج بالناس محمد بن سليمان الزينبى.

وفيها توفى من الأعيان: **أحمد** بن صالح، **والحسين** بن على الكرابيسى، **وعبد الجبار** بن العلاء. **وعبد الملك** بن شعيب. **وعيسى** بن حماد. **ومحمد** بن حميد الرازى. **ومحمد** بن زنبور. **ومحمد** بن العلاء أبو كريب. **ومحمد** بن يزيد أبو هشام الرفاعى.

وأبو حاتم السجستانى: واسمه سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمى أبو حاتم السجستانى النحوى اللغوى، صاحب المصنفات الكثيرة، وكان بارعاً فى اللغة. اشتغل فيها على أبى عبيد والأصمعى، وأكثر الرواية عن أبى زيد الأنصارى. وأخذ عنه المبرد وابن دريد وغيرهما. وكان عبدًا صالحًا، كثير الصدقة والتلاوة، يتصدق كل يوم بدينار، ويقرأ فى كل أسبوع ختمة، وله شعر كثير، منه قوله:

أَبْرَزوا وجـهـهُ الجميـلَ ولامُوا * مَن افتُتِنْ
لو أرادُوا صِيَانَتي * سَتَروا وجهَهُ الحَسَنْ

قال ابن خلكان: وكانت وفاته فى المحرم، وقيل: فى رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

فى يوم الجمعة النصف من رجب منها، التقى جمع من المسلمين، وخلق من الروم بالقرب من ملطية، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، قتل من الفريقين خلق كثير، وقتل أمير المسلمين عمر بن عبد الله بن الأقطع، وقتل معه ألفا رجل من المسلمين، وكذلك قتل الأمير على بن يحيى الأرمنى فى طائفة من المسلمين أيضاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الإسلام.(2)

(1) «المنتظم» (12/ 11)، و«تاريخ الإسلام» (حوادث ووفيات 241-250)، (ص 186).
(2) «تاريخ الطبرى» (9/ 261)، و«المنتظم» (12/ 20).

ووقعت فتنة عظيمة ببغداد فى أول يوم من صفر من هذه السنة، وذلك أن العامة كرهوا جماعة من الأمراء، الذين قد تغلبوا على أمر الخلافة، وقتلوا المتوكل واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده، فنهضوا إلى السجن، فأخرجوا من فيه، وجاءوا إلى الجسر فقطعوه، وضربوا الآخر بالنار فأحرقوه، ونادوا بالنفير، فاجتمع خلق كثير وجم غفير، ونهبوا أماكن متعددة، وذلك بالجانب الشرقى من بغداد. ثم جمع أهل اليسار من أهل بغداد أموالاً كثيرة، لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور الروم لقتالهم عوضًا عن من قتل من المسلمين، فأقبل خلق كثير من نواحى الجبال والأهواز وفارس، وغيرها لغزو الروم، وذلك أن الخليفة والجيش تأخروا عن النهوض، فغضبت العامة من ذلك، وفعلوا ما ذكرنا.

ولتسع بقين من ربيع الأول: نهض عامة أهل سامرا إلى السجن فأخرجوا من فيه، وجاءهم قوم من الجيش، يقال لهم: الزرافة. فهزمتهم العامة، فركب عند ذلك وصيف وبغا الصغير وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة خلقاً كثيراً، وجرت فتن طويلة كثيرة، ثم سكنت.

وفى النصف من ربيع الآخر: وقعت فتنة بين الأتراك، وذلك أن الخليفة المستعين كان قد فوض أمر الخلافة والتصرف فى أموال بيت المال إلى ثلاثة وهم أتامش التركى، وكان أخص من عنده، وهو بمنزلة الوزير، وفى حجره العباس بن المستعين يربيه ويعلمه الفروسية. وشاهك الخادم، وأم الخليفة. وكان لا يمنعها شيئاً تريده، وكان لها كاتب يقال له: سلمة بن سعيد النصرانى. فأقبل أتامش فأسرف فى أخذ الأموال حتى لم يبقَ ببيت المال شيئاً، فغضبت الأتراك من ذلك وغارت منه، فاجتمعوا عليه عند ذلك، وركبوا إليه وأحاطوا بقصر الخلافة، وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم ولا دفعهم عنه، فأنزلوه صاغراً فقتلوه، وانتهبوا أمواله وحواصله ودوره، واستوزر الخليفة بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وولى بغا الصغير فلسطين، وولى وصيفاً الأهواز، وجرى خبط كبير ووهن كثير من أمر الخليفة. وتحركت المغاربة بسامرا فى يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الآخرة، فكانوا يجتمعون فيركبون ثم يتفرقون.

وفى يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى: وهو اليوم السادس عشر من تموز، مطر أهل سامرا مطراً عظيماً برعد وبرق، والغيم مطبق، والمطر مستهل كثير من أول النهار إلى اصفرار الشمس.

وفى ذى الحجة: أصاب أهل الرى زلزلة شديدة جداً، ورجفة هائلة تهدمت منها الدور ومات منها خلق كثير، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء.

وحج بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام، وهو والى مكة.

وممن توفى من الأعيان: أيوب بن محمد الوزان، **والحسن** بن الصباح البزار صاحب كتاب «السنن»، **ورجاء** بن مرجى الحافظ، **وعبد** بن حميد صاحب «المسند»، و«التفسير» الحافل. **وعمرو** بن على الفلاس.

وعلى بن الجهم: ابن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسد القرشى السامى -من ولد سامة بن لؤى- الخراسانى ثم البغدادى، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين. وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة، وكان فيه تحامل على عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه، وكان له خصوصية بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، وأمر نائبه بها أن ينصبه يوماً مجرداً، ففعل به ذلك، ومن مستجاد شعره:

بَلاءٌ ليس يعدِلُهُ بَلاءٌ * عَداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودينِ
يُبيحُكَ منه عِرضًا لم يَصُنْهُ * ويَرتَعُ منك في عِرضٍ مَصُونِ

وإنما قال ذلك فى مروان بن أبى حفصة حين هجاه، فقال فى هجائه له:

لعمرُكَ ما الجهْمُ بنُ بَدرٍ بشاعرٍ * وهذا عليٌّ بعدَه يدَّعِي الشِّعْرا

ولكنْ أبي قد كانَ جاراً لأمِّه * فلمّا ادَّعَى الأشعارَ أوهَمنِي أمْرَا

كان عليّ بن الجهم قد قدم الشام ثم عاد قاصداً العراق، فلما جاوز حلب ثار عليه أناس من بنى كلب، فقاتلهم فجرح جرحاً بليغاً فكان فيه حتفه، فوجد بين ثيابه رقعة مكتوب فيها:

يا رَحْمَتا للغريبِ في البلدِ النَّـ * ـازحِ ماذا بنفسِه صَنَعا؟

فارَقَ أحْبابَهُ فما انْتَفَعُوا * بالعَيْشِ مِن بَعدِه وما انتفَعا

وكانت وفاته بهذا السبب فى هذه السنة، رحمه الله.

سنة خمسين ومائتين من الهجرة

فيها: كان ظهور أبى الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب بالكوفة، وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. وذلك أنه أصابته فاقة شديدة فرحل إلى سامرا، فسأل وصيفاً أن يجرى عليه رزقاً، فأغلظ له القول. فرجع إلى أرض الكوفة فاجتمع عليه خلق من الأعراب، وخرج إليه خلق من أهل الكوفة، فنزل على الفلوجة وقد كثر الجمع معه، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامل الكوفة -وهو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان- يأمره بمقاتلته[1]. ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك فى طائفة من أصحابه إلى الكوفة، فاحتوى على بيت مالها، فلم يجد فيه سوى ألفى دينار وسبعين ألف درهم، وظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين وأطلق من فيهما، وأخرج نواب الخليفة منها وأخذ أموالهم واستحوذ عليها، واستحكم أمره بها، والتف عليه خلق من الزيدية وغيرهم، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ثم كرَّ راجعاً إليها. فتلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفُلس، فقاتله قتالاً شديداً فانهزم وجه الفُلس، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد، وقوى أمره جداً، وصار إليه جماعة من الناس من أهل الكوفة وغيرها، وتولاه أهل بغداد من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع، وأحبوه أكثر مما كانوا يحبون أحداً من الخارجين من أهل البيت، وشرع فى تحصيل السلاح وإعداد آلات الحرب وجمع الرجال. وقد خرج نائب الكوفة منها -وهو الحسين بن إسماعيل- إلى ظاهرها، واجتمع إليه أمداد كثيرة من جهة الخليفة ومحمد بن عبد الله بن طاهر، واستراحوا وجمت خيولهم، فلما كان اليوم الثالث عشر من رجب أشار مَنْ أشار على يحيى بن عمر ممن لا رأى له أن يركب فيناجز الحسين بن إسماعيل ويكبس جيشه، فركب فى جيش كثير فيه خلق من الفرسان والمشاة أيضاً من عامة أهل الكوفة بغير أسلحة، فساروا فلما انتهوا إليهم نهضوا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فى ظلمة آخر الليل، فما طلع الفجر إلا وقد انكشف أصحاب يحيى بن عمر وداستهم الخيول ووجدوا يحيى بن عمر قد تقنطر به فرسه وطعن فى ظهره فحزوا رأسه، وحملوه إلى الأمير، فبعثه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، فأرسله إلى الخليفة من الغد مع رجل يقال له عمر بن الخطاب، أخى عبد الرحمن بن الخطاب، فنصب بسامرا ساعة

---

(1) «الطبرى» (9/ 266)، و«المنتظم» (12/ 33).

من النهار ثم بعثه إلى بغداد، لينصب عند الجسر، فلم يمكن ذلك من كثرة العامة، فجعل في خزائن السلاح. ولما جيء برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر دخل الناس يهنونه بالفتح والظفر، فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفري، فقال له: أيها الأمير، إنك لتهنى بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حيًا لعزّى به. فما رد عليه شيئاً ثم خرج أبو هاشم الجعفري، وهو يقول:

يا بَني طاهرٍ كُلُوهُ وَبِيّا * إنَّ لحْمَ النبيِّ غيرُ مَرِيّ
إنَّ وَتْراً يكونُ طالبَهُ اللـ * ـهُ لَوَتْرٌ نَجاحُهُ بالحَرِيّ

وكان الخليفة المستعين قد وجه أميراً إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة، فلما قتل يحيى بن عمر دخلوا الكوفة، فأراد ذلك الأمير أن يضع فى أهلها السيف، فمنعه الحسين، وأمَّن الأسود والأبيض، وأطفأ الله هذه الفتنة.

ثم خرج آخر من أهل البيت أيضاً

فلما كان رمضان من هذه السنة: خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب بناحية طبرستان، وكان سبب ذلك أنه لما قتل يحيى بن عمر أقطع المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من أرض تلك الناحية، فبعث كاتباً له يقال له: جابر بن هارون، وكان نصرانياً ليتسلم تلك الأراضى، فلما انتهى إليهم كرهوا ذلك جداً وراسلوا الحسن بن زيد هذا، فجاء إليهم فبايعوه والتف عليه جملة الديلم وجماعة الأمراء فى تلك النواحى، فركب فيهم ودخل آمل طبرستان وأخذها قهراً، وجبى خراجها، واستفحل أمره جداً، ثم خرج منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أمير تلك النواحى، فالتقيا هنالك، وكانت بينهما حروب، ثم انهزم سليمان هزيمة منكرة، وترك أهله وماله ولم يرجع دون جرجان، فدخل الحسن بن زيد سارية، فاستحوذ على ما بها من الأموال والحواصل، وسيّر أهل سليمان إليه على مراكب مكرمين، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طبرستان بكمالها. ثم بعث إلى الرى فأخذها أيضًا، وأخرج منها الطاهرية، وصار له إلى حد همذان، ولما بلغ خبره المستعين -وكان مدبر ملكه يومئذ وصيف التركى- اغتم لذلك جداً واجتهد فى بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا.

وفى يوم عرفة من هذه السنة: ظهر بالرى أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، فصلى بالناس يوم العيد أحمد بن عيسى هذا ودعا إلى الرضا من آل محمد، فحاربه محمد بن على بن طاهر فهزمه أحمد بن عيسى واستفحل أمره.

وفيها: وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن أخى المازيار بن قارن فقتلوه فى رجب، فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير فاقتتلوا بأرض الرستن فهزمهم، وقتل جماعة من أهلها وأحرق أماكن كثيرة منها، وأسر أشراف أهلها.

وفيها: وثبت الشاكرية والجند فى أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، فهرب منهم فانتهبوا داره وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن.

وفيها: غضب الخليفة على جعفر بن عبد الواحد ونفاه إلى البصرة.

وفيها: أسقطت مرتبة جماعة من الأمويين فى دار الخلافة.

وحج بالناس فيها جعفر بن الفضل أمير مكة، شرفها الله.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أبو الطاهر** أحمد بن عمرو بن السرح، **والبزى** أحد القراء المشاهير. **والحارث** بن مسكين، **وأبو حاتم** السجستانى، أحد أئمة اللغة. **وعباد** بن يعقوب الرواجنى، **وعمرو** بن بحر الجاحظ صاحب الكلام والمصنفات. **وكثير** بن عبيد الحمصى. **ونصر** بن عليّ الجهضمى.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

فيها: اجتمع رأى المستعين وبغا الصغير ووصيف على قتل باغر التركى، وكان من القواد الكبار الذين باشروا قتل المتوكل، وقد اتسع إقطاعه وكثرت أعماله، فقتل ونهبت دار كاتبه دُليل بن يعقوب النصرانى، ونهبت أمواله وحواصله، فركب الخليفة فى حراقة من سامرا إلى بغداد، فاضطربت الأمور بسبب خروجه إليها، وذلك فى خامس المحرم. فنزل الخليفة دار محمد بن عبد الله بن طاهر.(1)

وفى هذه السنة: وقعت فتنة شنعاء بين جند بغداد وجند سامرا، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين، وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن فبايع أهل سامرا المعتز واستحوذ على حواصل بيت المال بها، فإذا فيها خمسمائة ألف دينار، وفى خزانة أم المستعين ألف ألف دينار، وفى حواصل العباس بن المستعين ستمائة ألف دينار، واستفحل أمر المعتز بسامرا. وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصّن بغداد ويعمل فى السورين والخندق، وغرم على ذلك ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار، ووكل بكل باب أميراً يحفظه، ونصب على السور خمسة مجانيق، منها واحد كبير جداً، يقال له: الغضبان، وست عرادات، وأعدوا آلات الحرب والحصار والعدد، وقطعت القناطر من كل ناحية، لئلا يصل الجيش إليهم.

وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول معه فى أمره، ويذكره ما كان أخذه عليهم أبوه المتوكل من العهود والمواثيق أن تكون الخلافة بعد المنتصر له، فلم يلتفت إليه بل رد عليه واحتج بحجج يطول ذكرها.

وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا الكبير، وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص، يدعوه إلى نفسه، وبعث إليه بألوية يعقدها لمن اختار من أصحابه، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد ويأمره أن يستنيب فى عمله، فركب مسرعاً فسار إلى سامرا فكان مع المعتز على المستعين. وكذلك هرب عبد الله بن بغا الصغير من عند أبيه من بغداد إلى سامرا، وكذلك غيره من الأمراء والأتراك.

وعقد المعتز لأخيه أبى أحمد بن المتوكل على حرب المستعين وجهز معه جيشاً لذلك، فسار فى خمسة آلاف من الأتراك وغيرهم نحو بغداد، وصلى بعكبرا يوم الجمعة، ودعا لأخيه المعتز. ثم وصل إلى بغداد في ليلة الأحد لسبع خلون من صفر، فاجتمعت العساكر هنالك، وقد قال رجل يقال له: باذنجانة كان فى عسكر أبى أحمد:

يا بَني طاهرٍ أتَتْكم جُنودُ الـ * ـلهِ والموتُ بينها منْثُورُ
وجُيوشٌ أمامَهُنَّ أبو أحـ * ـمدَ نِعْمَ المولَى ونِعْمَ النصيرُ

(1) «الطبرى» (9/ 278)، و«المنتظم» (12/ 42).

ثم جرتْ بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة، ثم بعث المعتز مع موسى بن أشناس ثلاثة آلاف مدداً لأخيه أبى أحمد ابن المتوكل، فوصلوا لليلة بقيت من ربيع الأول فوقفوا فى الجانب الغربى عند باب قطربل، وأبو أحمد وأصحابه على باب الشماسية، والحرب مستعرة والقتال كثير، والقتل واقع.

قال ابن جرير: وذكر أن المعتز كتب إلى أخيه أبى أحمد يلومه على التقصير فى قتال أهل بغداد، فكتب إليه أبو أحمد:

لأمرِ المنايا علينا طريقُ * وللدَّهرِ فينا اتساعٌ وضيقُ
فأيَّامُنا عِبَرٌ للأنام * فمنها البُكُورُ ومنها الطُّروقُ
ومنها هَنَاتٌ تُشيبُ الوليدَ * ويَخْذُلُ فيها الصديقَ الصديقُ
وسورٌ عريضٌ له ذِرْوَةٌ * تَفُوتُ العُيونَ وبَحْرٌ عميقُ
قتالٌ مُبيدٌ وسيفٌ عَتيدٌ * وخوفٌ شديدٌ وحِصْنٌ وثيقُ
وطولُ صياحٍ لداعي الصَّباحِ الـ * ـسلاحَ السلاحَ فما يَسْتَفيقُ
فهذا طَريحٌ وهذا جَريحٌ * وهذا حَريقٌ وهذا غَريقُ
وهذا قَتيلٌ وهذا تَليلٌ * وآخرُ يشْدَخُهُ المَنْجنيقُ
هناك اغْتِصابٌ وثَمَّ انْتِهابٌ * ودُورٌ خَرابٌ وكانتْ تَرُوقُ
إذا ما سَمَوْنا إلى مَسْلَكٍ * وجَدْناه قد سُدَّ عنا الطَّريقُ
فباللَّهِ نبْلُغُ ما نَرْتَجيه * وباللَّهِ ندفَعُ ما لا نُطيقُ

قال ابن جرير: هذا الشعر ينشد لعليّ بن أمية فى فتنة المخلوع والمأمون.(1)

وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبى أحمد أخى المعتز وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين، والبلد محصور وأهله فى ضيق شديد جداً، بقية شهور هذه السنة، وقتل من الفريقين خلق كثير فى وقعات متعددات، وأيام نحسات، فتارة يظهر أصحاب أبى أحمد ويأخذون بعض الأبواب فتحمل عليهم الطاهرية فيزيحونهم عنها، ويقتلون منهم خلقاً ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم مصابرة عظيمة. لكن أهل بغداد كل ما لهم إلى ضعف بسبب قلة الميرة والجلب إلى داخل البلد.

ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلع المستعين ويبايع للمعتز، وذلك فى أواخر السنة، فتنصل من ذلك واعتذر إلى الخليفة وإلى العامة. وحلف بالأيمان الغليظة فلم تبرأ ساحته من ذلك حق البراءة عند العامة، واجتمعت العامة والغوغاء إلى دار ابن طاهر والخليفة نازل بها، فسألوا أن يبرز لهم الخليفة ليروه ويسألوه عن ابن طاهر أهو راضٍ عنه أم لا؟ وما زالت الضجة والأصوات مرتفعة حتى برز الخليفة من فوق المكان الذى هم فيه، وعليه السَّواد ومن فوقه البردة النبوية وبيده القضيب، وقال لهم فيما خاطبهم به: أقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيب لما رجعتم إلى منازلكم ورضيتم عن ابن طاهر فإنه غير متهم لدى. فسكت الغوغاء ورجعوا إلى منازلهم، ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر

(1) «الطبرى» (9/ 317).

إلى دار رزق الخادم، وذلك فى أوائل شهر ذى الحجة، وصلى بهم العيد يوم الأضحى فى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر، وبرز الخليفة يومئذ للناس وبين يديه الحربة وعليه البردة وبيده القضيب، وكان يوماً مشهوداً ببغداد على ما بأهلها من الحصار وغلاء الأسعار المترجمين عن لباس الجوع والخوف، نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة. (1)

ولما تفاقم الأمر واشتد الحال وضاق المجال وجاع العيال وجهد الرجال، شرع ابن طاهر يظهر ما كان كامناً فى نفسه من خلع المستعين، فجعل يعرِّض له بذلك ولا يصرح، ثم كاشفه به وأظهره له وناظره فيه، وقال له: إن المصلحة تقتضى أن تصالح عن الخلافة على مال تأخذه سلفاً وتعجيلاً، وأن يكون لك من الخراج فى كل عام ما تختاره وتحتاجه، ولم يزل يفتل له فى الذروة والغارب حتى أجاب إلى ذلك وأناب. فكتب بما اشترطه المستعين فى خلعه نفسه من الخلافة كتاباً، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذى الحجة ركب محمد ابن عبد الله بن طاهر إلى الرصافة، وجمع القضاة والفقهاء وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً، يشهدون عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وكذلك جماعة الحُجّاب والخدم، ثم تسلم منه جوهر الخلافة، وأقام عند المستعين إلى هَوِىّ من الليل. وأصبح الناس يذكرون ويتنوعون فيما يقولون من الأراجيف. وأما ابن طاهر فإنه أرسل بالكتاب مع جماعة من الأمراء إلى المعتز بسامرا، فلما قدموا عليه بذلك أكرمهم وخلع عليهم وأجازهم فأسنى جوائزهم. وسيأتى ما كان من أمره أول السنة الداخلة.

وفى هذه السنة: فى ربيع الأول منها كان ظهور رجل من أهل البيت أيضاً بأرض قزوين وزنجان، وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ويعرف بالكوكبى. وسيأتى ما كان من أمره هناك.

وفيها: خرج إسماعيل بن يوسف العلوى، وهو ابن أخت موسى بن عبد الله الحسنى، وسيأتى ما كان من أمره أيضاً.

وفيها: خرج بالكوفة أيضاً رجل من الطالبيين، وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان فاقتتلا فهزم العلوى، وقتل من أصحابه بشر كثير. ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألف دار ونهب أموال الذين خرجوا معه، وباع بعض جوارى الحسين بن محمد هذا -وكانت معتقة- على باب المسجد الجامع.

وفيها: ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بمكة، فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزله ومنازل أصحابه وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة، وأخذ ما فى الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتى ألف دينار، ثم خرج إلى المدينة النبوية فهرب منه عاملها على بن الحسين بن إسماعيل، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكة فى رجب، فحصر أهلها حتى هلكوا جوعاً وعطشاً، فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم، واللحم الرطل بأربعة، وشربة الماء بثلاثة دراهم، ولقى منه أهل مكة كل بلاء، ثم رجع عنهم إلىّ جدة -بعد مقام سبعة وخمسين يومًا- فانتهب أموال التجار هنالك، وأخذ المراكب وقطع الميرة عن أهل مكة، حتى جلبت إليها من اليمن، ثم عاد إلى مكة

---

(1) «الطبرى» (9/ 338-339).

-لا جزاه الله خيراً عن المسلمين- فلما كان يوم عرفة، لم يمكن الناس من الوقوف نهاراً ولا ليلاً، وقتل من الحجيج ألفاً ومائة، وسلبهم أموالهم ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ومن معه من أصحابه، لا تقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً.

وفيها توفى من الأعيان: **إسحاق** بن منصور الكوسج، **وحميد** بن زنجويه، **وعمرو** بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصى، **وأبو النقي** هشام بن عبد الملك اليزنى.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائتين

«ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين نفسه»

استهلت هذه السنة وقد استقرت الخلافة باسم أبى عبد الله المعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور، وقيل: إن اسم المعتز أحمد، وقيل: الزبير، وهو الذى عول عليه الحافظ ابن عساكر وترجمه فى «تاريخه»(1). فلما خلع المستعين -أحمد بن محمد المعتصم- نفسه من الخلافة وبايع للمعتز، دعا الخطباء يوم الجمعة رابع المحرم من هذه السنة بجوامع بغداد على المنابر للخليفة المعتز بالله. وانتقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعياله وولده وجواريه، ووكل بهم سعيد بن رجاء فى جماعة معه، وأُخذ من المستعين البردة والقضيب والخاتم، وبعث بذلك إلى المعتز ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهر ثمين بقيا عنده يقال لأحدهما: برج. وللآخر: جبل. فأرسلهما. وطلب المستعين أن يسير إلى مكة فلم يمكَّن، فطلب البصرة فقيل له: إنها وبيئة. فقال: إن ترك الخلافة أوبأ منها. ثم أُذن له فى المسير إلى واسط، فخرج ومعه حرس يوصلونه إليها نحو من أربعمائة. واستوزر المعتز أحمد بن أبى إسرائيل، وخلع عليه وألبسه تاجاً على رأسه.

ولما تمهد أمر بغداد واستقرت البيعة للمعتز بها، ودان له أهلها واجتمع شملها، وقدمتها الميرة من كل جانب، واتسع الناس فى الأرزاق والأطعمة، ركب أبو أحمد منها فى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم إلى سامرا، وشيعه محمد بن عبد الله بن طاهر فى وجوه القواد، فخلع أبو أحمد على بن طاهر خمس خلع وسيفاً، ورده من الروذبار.

وقد ذكر ابن جرير مدائح الشعراء فى المعتز وتشفيهم بخلع المستعين، فأكثر من ذلك جداً، فمن ذلك قول محمد بن مروان بن أبى الجنوب ابن مروان فى مدح المعتز وذم المستعين كما جرت به عادة الشعراء:

إنَّ الأُمورَ إلى المعتزِّ قد رجَعَتْ * والمستَعينُ إلى حالاتِه رجَعا
وكانَ يعلَمُ أنَّ الملكَ ليس له * وأنَّه لكَ لكن نفْسَه خدَعا
ومالِكُ المُلْكِ مُؤْتِيه ونازِعُهُ * آتاكَ مُلْكًا ومنه المُلْكَ قد نزَعا
إنَّ الخِلافةَ كانت لا تُلائمُهُ * كانت كذَاتِ حَليلٍ زُوِّجَت مُتَعَا
ما كان أقبَحَ عندَ الناسِ بيعتَه * وكان أحسَنَ قولَ الناسِ قد خُلِعا
ليت السَّفِينَ إلى قافٍ دفَعْنَ به * نفْسِي الفِداءُ لملاحٍ به دفَعا
كم ساسَ قبْلَك أمْرَ الناسِ مِن ملِكٍ * لو كان حُمِّلَ ما حُمِّلْتَهُ ظَلَعا

---

(1) انظر «تاريخ الطبرى» (9/ 348)، و«المنتظم» (2/ 55)، و«تاريخ ابن عساكر» (18/ 307).

أمْسَى بكَ النَّاسُ بعدَ الضِّيقِ في سَعَةٍ * واللهُ يجْعَلُ بعدَ الضِّيقِ مُتَّسَعَا
واللهُ يدْفَعُ عنكَ السُّوءَ مِن مَلِكٍ * فإنَّه بكَ عَنَّا السُّوءَ قد دفَعَا

وكتب أمير المؤمنين المعتز من سامرا إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسقط اسم وصيف وبغا ومن كان فى رسمهما فى الدواوين، وعزم على قتلهما، ثم استرضى عنهما فرضى عنهما.

وفى رجب من هذه السنة: خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه، وأخاه أبا أحمد، بعدما ضرب المؤيد أربعين مقرعة. ولما كان يوم الجمعة سابعه خطب بخلعه وأمره أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك، وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوماً، فقيل: إنه أدرج فى لحاف سمور وأمسك طرفاه حتى مات غماً، وقيل: بل ضرب بحجارة من ثلج حتى مات برداً وبعد ذلك كله أخرج من السجن ولا أثر به، فأحضر القضاة والأعيان فأشهدوا على موته من غير سبب وليس به أثر، ثم حمل على حمار ومعه كفنه فأرسل به إلى أمه فدفنته.

ذكر مقتل المستعين

فى شوال من هذه السنة: كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستعين، فجهز أحمد بن طولون التركى فوافاه، فأخرجه لست بقين من رمضان، فقدم به القاطول لثلاث مضين من شوال ثم قتل، فقيل: ضربه حتى مات، وقيل: بل غرق فى دجيل، وقيل: بل ضربت عنقه.[1]

وقد ذكر ابن جرير أن المستعين سأل من سعيد بن صالح التركى حين أراد قتله أن يمهله حتى يصلى ركعتين، فأمهله، فلما كان فى السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد، ودفن جثته فى مكان صلاته، وعفا أثره وحمل رأسه إلى المعتز فدخل به عليه وهو يلعب بالشطرنج، فقيل: هذا رأس المخلوع.[2] فقال: ضعوه حتى أفرغ من الدست. فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه، ثم أطلق لسعيد بن صالح الذى قتله بخمسين ألف درهم، وولاه معونة البصرة.

وفى هذه السنة مات: إسماعيل بن يوسف العلوى الذى فعل بمكة ما فعل وألحد في حرم الله ما ألحد -كما تقدم- فأهلكه الله فى هذه السنة عاجلاً ولم ينظره. **وأحمد** بن محمد المعتصم وهو المستعين بالله كما تقدم. **وإسحاق** بن بهلول، **وزياد** بن أيوب، **ومحمد** بن بشار بندار. **ومحمد** بن المثنى الزَّمِن. ويعقوب بن إبراهيم الدورقى.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

فى رجب منها: عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف، ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبى دلف بناحية همذان، وذلك لأنه خرج عن الطاعة، وهو فى نحو من عشرين ألفاً، فهزموا عبد العزيز فى أواخر هذا الشهر هزيمة فظيعة، ثم كانت بينهما وقعة أخرى فى رمضان عند الكرج فهُزم عبد العزيز أيضاً، وقتل من أصحابه بشر كثير، وأسروا ذرارى كثيرة حتى أسروا أم عبد العزيز، وبعثوا إلى الخليفة سبعين حملاً من الرؤوس وأعلاماً كثيرة، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من بلاد الخليفة.[3]

(1، 2) ابن جرير (5/ 84) (9/ 363-364).
(3) «الطبرى» (9/ 373)، و«المنتظم» (12/ 63).

وفى رمضان منها: خلع المعتز على بغا الشرابى وألبسه التاج والوشاحين.

وفى يوم عيد الفطر: كانت وقعة هائلة عند البوازيج، وذلك أن رجلاً يقال له: مساور بن عبد الحميد، حكم فيها والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوراج، فقصد له رجل يقال له: بندار الطبرى، فى نحو من ثلاثمائة من أصحابه، فالتقوا فى هذا اليوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الخوارج نحو من خمسين. وقتل من أصحاب بندار مائتان وقيل: وخمسون رجلاً. وقتل بندار فيمن قتل، رحمه الله. ثم صمد مساور إلى حلوان فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خراسان، فقتل مساور منهم نحواً من أربعمائة إنسان قبحه الله. وقتل من أصحابه جماعة كثيرون أيضاً.

ولثلاث بقين من شوال: قتل وصيف التركى، وأرادت العامة أن تنهب داره بسامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك، وجعل الخليفة المعتز ما كان إليه إلى بغا الشرابى.

وفى ليلة أربع عشرة من ذى القعدة من هذه السنة: خسف القمر حتى غاب أكثره وغرق نوره، وعند انتهاء خسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد. وكانت علته قروحاً فى رأسه وحلقه فذبحته، ولما أتى به ليصلى عليه اختلف أخوه عبيد الله وابنه طاهر، أيهما يصلى عليه، وتنازعا حتى جذبت السيوف وترامى الناس بالحجارة، وصاحت الغوغاء: يا طاهر، يا منصور. فمال عبيد الله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس، فدخل داره وكان أخوه قد أوصى إليه. وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فأطلق عبيد الله للذى قدم بالخلع خمسين ألف درهم.

وفيها: نفى الخليفة المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط، ثم إلى البصرة، ثم رد إلى بغداد، فأنزل فى الشرقية فى قصر دينار بن عبد الله.

وفيها: نفي على بن المعتصم إلى واسط، ثم رد إلى بغداد أيضًا.

وفى يوم الاثنين سلخ ذى القعدة: التقى موسى بن بغا الكبير هو والحسين بن أحمد الكوكبى الطالبى الذى خرج فى سنة إحدى وخمسين عند قزوين، فاقتتلا قتالاً شديدًا ثم هزم الكوكبى وأخذ موسى بن بغا قزوين، وهرب الكوكبى إلى الديلم. وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبى حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف، فكانت السهام لا تعمل فيهم، فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط بالأرض، ثم جاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم، فتبعهم أصحاب الكوكبى، فلما توسطوا الأرض التى فيها النفط أمر عند ذلك بإلقاء النار فيه، فجعلت النار تحرق أصحاب الكوكبى، ففروا سراعاً هاربين، وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الكوكبى إلى الديلم، وتسلم موسى بن بغا قزوين.

وفيها: حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبى.

وممن توفي من الأعيان: أبو الأشعث. وأحمد بن سعيد الدارمى.

وسرى السقطى: أحد كبار مشايخ أئمة الصوفية. وهو السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي، تلميذ معروف الكرخى. حدث عن هشيم وأبى بكر ابن عياش وعلى بن غراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم. وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد. وأبو الحسن النورى ومحمد بن الفضل بن جابر السقطى وجماعة. وكانت له دكان يتجر فيها، فمرت به جارية قد انكسر إناء كان معها، تشترى فيه شيئًا لسادتها،

فجعلت تبكي فأعطاها سرى شيئاً تشتري به بدله، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية، فقال له: بغّض الله إليك الدنيا[1]، وقال سرى: مررت فى يوم عيد، فإذا معروف ومعه صبي صغير شعث الحال فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا كان واقفاً والصبيان يلعبون وهو منكسر، فقلت له: ما لك لا تلعب؟ فقال: أنا يتيم ولا شيء معى أشترى به جوزًا ألعب به. فأخذته لأجمع له نوى يشترى به جوزاً يفرح به. فقلت: ألا أكسوه وأعطيه شيئاً يشترى به جوزًا؟ فقال: أو تفعل؟ فقلت: نعم. فقال: خذه أغنى الله قلبك. قال: فسويت الدنيا عندى أقل شيء.[2]

وكان عنده مرة لوز فساومه رجل على الكُرّ بثلاثة وستين ديناراً، ثم ذهب الرجل فإذا اللوز يساوى الكر منه تسعين ديناراً فقال له: إنى أشترى منك الكر بتسعين ديناراً. فقال: إنى ساومتك بثلاثة وستين، وإنى لا أبيعه إلا بذلك، فقال الرجل: وأنا أشترى منك بتسعين. فقال: لا أبيعه إلا بما ساومتك عليه. فقال الرجل: إن من النصح أن لا أشترى منك إلا بتسعين دينارًا. وذهب فلم يشتر منه.

وجاءت امرأة يومًا إلى سرى فقالت: إن ابنى قد أخذه الحرس، وإنى أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب، فقام فكبّر وطوّل في الصلاة وجعلت المرأة تحترق فى نفسها، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: الله الله فى ولدى. فقال: ها أناذا فى حاجتك. فما قام من مجلسه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت: أبشري فقد أطلق المتولى ولدك. فانصرفت إليه.[3] وقال سرى: أشتهى أن آكل أكلة ليس لله فيها عليَّ تبعة، ولا لأحد عليَّ فيها منة. فما أجد إلى ذلك سبيلاً. وفى رواية قال: إنى لأشتهى البقل منذ ثلاثين سنة، فما أقدر عليه.[4] وعن السري أنه قال: احترق سوقنا فقصدت المكان الذى فيه دكانى، فتلقانى رجل فقال: أبشر فإن دكانك قد سلمت. فقلت: الحمد لله. ثم تذكرت ذلك التحميد، فأنا أستغفر الله منه منذ ثلاثين سنة. رواها الخطيب[5]. وقال السري: صليت وردى ذات ليلة، ثم مددت رجلى فى المحراب فنوديت: يا سرى كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت رجلى. ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلى أبدًا.[6]

وقال الجنيد بن محمد: ما رأيت أعبد لله من السري السقطى. أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت. وقال الخطيب عن أبى نعيم عن جعفر الخلدى عن الجنيد بن محمد قال: دخلت عليه أعوده، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: كيف أشكو إلى طبيبي ما بي، والذي قد أصابني من طبيبي.[7]

قال: فأخذت المروحة أروحه، فقال لي: كيف يجد روح المروحة مَنْ جوفه يحترق من داخل؟ ثم أنشأ يقول:

القلبُ مُحترقٌ والدَّمْعُ مُستَبِقُ * والكَرْبُ مُجتمعٌ والصَّبْرُ مُفترِقُ

كيفَ القَرارُ على مَنْ لا قَرارَ لهُ * ممّا جناهُ الهوى والشّوقُ والقلَقُ

يا ربِّ إنْ كانَ شيءٌ فيهِ لي فَرَجٌ * فامْنُنْ عليَّ بهِ ما دامَ بي رَمَقُ

قال: وقلت له: أوصني، قال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار. وقد ذكر

---

(1) ابن عساكر (22/ 115).
(2) «الحلية» (10/ 123)، و«تاريخ ابن عساكر» (22/ 115).
(3) ابن عساكر (22/ 116).
(4) «تاريخ بغداد» (9/ 190).
(5) «تاريخ بغداد» (9/ 188).
(6) «تاريخ بغداد» (9/ 192)، و«الحلية» (10/ 120).
(7) «تاريخ بغداد» (9/ 191).

الخطيب وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد أذان الفجر، ودفن بعد العصر قال: ودفن بمقبرة الشونيزية، وقبره ظاهر معروف، وإلى جنبه قبر الجنيد.(1)

وروى عن القاضي عن أبي عبيد ابن حربويه، قال: رأيت سرياً في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من شهد جنازتي. قلت: فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك. قال: فأخرج درجاً فنظر فيه فلم ير فيه اسمي، فقلت: بلى! قد حضرت فإذا اسمي في الحاشية.

وحكى ابن خلكان قولاً: أن سرياً توفي سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين(2)، فالله أعلم.
قال ابن خلكان: ومما كان ينشده السري رحمه الله:

إذا ما شكوتُ الحبَّ قالتْ كذبتَني * فما لي أرى الأعضاءَ منكَ كواسيا
فلا حُبَّ حتى يَلْصقَ الجلدُ بالحشا * وتذهلَ حتَّى لا تُجيبَ المناديا

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

فيها: أمر الخليفة المعتز بقتل بغا الشرابي، ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد وحرقت جثته، وأخذت أمواله وحواصله.(3)

وفيها: ولي الخليفة أحمد بن طولون الديار المصرية، و هو باني الجامع المشهور بها.

وحج بالناس فيها: علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد.

وممن توفي فيها من الأعيان: **زياد** بن يحيى الحساني.

وعلي بن محمد بن علي بن موسى الرضا: يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد. وصلى عليه أبو أحمد ابن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد. ودفن بداره ببغداد.

ومحمد بن عبد الله المخرمي. **ومؤمل** بن إهاب.

وأما أبو الحسن علي الهادي: فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلية الكاذبة الخاطئة. وقد كان عابداً زاهداً نقله المتوكل إلى سامرا، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر. ومات بها في هذه السنة. وقد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس، فأرسل فكبسه فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف وهو على بسيط الأرض ليس دونها حائل، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شرابه، فلما مثل بين يديه أجله وأعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس الذي في يده فقال: يا أمير المؤمنين إنه لم يخالط لحمي ودمي قط، فاعفني منه. فأعفاه ثم قال له: أنشدني شعرًا فأنشده:

باتوا على قُلَلِ الأجْبالِ تحرُسُهُمْ * غُلْبُ الرجالِ فما أغنَتْهُمُ القُلَلُ
واستُنزلوا بعدَ عِزٍّ عن معاقلهم * فأودِعوا حُفَرًا يا بئسَ ما نزلوا
ناداهُمُ صارخٌ من بعدِ ما قُبِروا * أينَ الأسِرَّةُ والتِّيجانُ والحُلَلُ

---

(1) «تاريخ بغداد» (9/ 192). (2) «الوفيات» (2/ 359).
(3) «الطبري» (9/ 379)، و«المنتظم» (12/ 73).

أينَ الوُجوهُ التي كانت مُنعَّمةً	*	مِن دُونِها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ
فأفصَحَ القَبْرُ عنهمْ حينَ ساءَلَهمْ	*	تلكَ الوُجوهُ عليها الدُودُ يَقْتَتِلُ
قد طالَ ما أكلوا دَهْرًا وما شربوا	*	فأصبَحوا بعدَ طُول الأكلِ قد أُكِلوا

قال: فبكى المتوكل حتى بلَّ الثرى، وبكى من حوله بحضرته، وأمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار، ورده إلى منزله مكرماً، رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

فيها: كانت وقعة بين مفلح وبين الحسن بن زيد الطالبى، فهزمه مفلح ودخل آمل طبرستان، وحرق منازل الحسن بن زيد، ثم سار وراءه إلى الديلم.(1)

وفيها: كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث وبين عليّ بن الحسين بن قريش بن شبل، فبعث عليّ ابن الحسين رجلاً من جهته، يقال له: طوق بن المغلس، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأسره وأسر وجوه أصحابه، ثم سار إلى على بن الحسين هذا فأسره أيضًا وأخذ بلاده وهى كرمان فأضافها إلى ما بيده من مملكة سجستان، ثم بعث يعقوب بن الليث بهدية سنية إلى المعتز بالله دواب وبزاة وثياب فاخرة.

وفيها: ولى الخليفة سليمان بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسواد فى ربيع الأول منها.

وفيها: أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز، والحسن بن مخلد كاتب قبيحة أم المعتز، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم، وكانوا قد تمالؤوا على أكل أموال بيت المال، وكانوا دوَّاوين وغيرهم، فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يحملونها، وذلك بغير رضى من المعتز فى الباطن، واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم وسموا الكُتَّاب الخونة، وولى الخليفة عن قهر غيرهم.

وفى رجب من هذه السنة: ظهر عيسى بن جعفر، وعلى بن زيد الحسنيان بالكوفة، وقتلا بها عبد الله ابن محمد بن داود بن عيسى، واستفحل أمرهما بها.

مقتل الخليفة المعتز بالله

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة: خُلع الخليفة المعتز بالله، ولليلتين مضتا من شعبان أظهر موته.(2) وكان سبب خلعه: أن الجند اجتمعوا فطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم، فسأل من أمه أن تقرضه مالاً يدفعهم عنه به فلم تعطه. وأظهرت أنه لا شيء عندها، فاجتمع الأتراك على خلعه فأرسلوا إليه ليخرج إليهم، فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن عنده ضعفاً، ولكن ليدخل إليَّ بعضكم. فدخل إليه بعض الأمراء فتناولوه بالدبابيس يضربونه وجروا برجله، وأخرجوه وعليه قميص مخرق ملطخ بالدم، فأقاموه فى وسط دار الخلافة فى حر شديد حتى جعل يراوح بين قدميه من شدة الحر، وجعل بعضهم يلطمه، وهو يبكى، ويقول له الضارب: اخلعها والناس مجتمعون، ثم أدخلوه حجرة مضيقاً عليه فيها. وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتى خلع نفسه من الخلافة وولى بعده المهتدى بالله كما سيأتى.

ثم سلموه إلى من يسومه سوء العذاب بأنواع المثلات، ومُنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام، حتى جعل

(1) «الطبرى» (9/ 382)، و«المنتظم» (12/ 79).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 121)، و«السير» (12/ 532)، و«تاريخ الإسلام» (حوادث 251-260)، (ص 280).

يطلب شربة من ماء البئر فلم يُسْقَ، ثم أدخلوه سرباً فيه جص جير فدسوه فيه فأصبح ميتاً، فاستلوه من الجص سليم الجسد، فأشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه مات وليس به أثر، وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة، وكان يوم السبت، وصلى عليه المهتدى بالله، ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع، عن أربع وعشرين سنة. وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. وكان طويلاً جسيماً وسيماً، أقنى الأنف، مدور الوجه، حسن الضحك، أبيض، أسود الشعر جعده كثيفه، كثيف اللحية، حسن العينين، ضيق الجبين، أحمر الوجنتين رحمه الله. وقد أثنى الإمام أحمد بن حنبل على جودة ذهنه، وحسن فهمه وأدبه، حين دخل عليه في حياة أبيه المتوكل بسامرا كما قدمنا في ترجمة الإمام أحمد.

وروى الخطيب البغدادي عن عليّ بن حرب قال: دخلت على المعتز بالله فما رأيت خليفة أحسن وجهاً منه، فلما رأيته سجدت فقال: يا شيخ تسجد لأحد من دون الله؟ فقلت: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل، ثنا بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، عن أبيه، عن جده «أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرح به أو بشر بما يسره سجد شكرًا لله عز وجل».(1)

وقال الزبير بن بكار(2): سرت إلى المعتز وهو أمير، فلما سمع بقدومي خرج مستعجلاً إليّ فعثر، فأنشأ يقول:

يموتُ الفتَى من عَثْرَةٍ بلسانِه * وليسَ يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرِّجلِ

فعَثْرَتُهُ من فِيه ترْمِي برأسِه * وعثْرَتُهُ في الرِّجلِ تَبْرَا على مَهلِ

وذكر الحافظ ابن عساكر: أن المعتز لما حذق القرآن في حياة أبيه المتوكل، اهتم أبوه لذلك واجتمعت الأمراء والكبراء والرؤساء بسُرَّ من رأى واختلفوا لذلك أياماً عديدة، وجرت أحوال عظيمة. ولما جلس وهو صبي على المنبر وسلم على أبيه بالخلافة وخطب الناس، نُثرت الجواهر في الصواني والذهب والفضة على الخواص والعوام بدار الخلافة، فكان قيمة ما نثر من الجواهر ما يساوي مائة ألف دينار، ومثلها ذهباً، وألف ألف درهم غير ما كان من خلع وأسمطة وأقمشة مما يفوت الحصر، وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سرور بدار الخلافة أبهج منه ولا أحسن.

وخلع الخليفة على أم ولده المعتز وهي قبيحة خلعاً سنية، وأعطاها وأجزل لها العطاء، وكذلك خلع على مؤدب المعتز وهو محمد بن عمران، من الجوهر والذهب وغير ذلك شيئاً كثيراً جداً، والله سبحانه وتعالى أعلم.(3)

خلافة المهتدي بالله

أبي عبد الله محمد بن الواثق هارون بن المعتصم، وكانت بيعته يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة بعد خلع المعتز نفسه بين يديه، وإشهاده على نفسه بأنه عاجز عن القيام بأمر الخلافة، وأنه قد رغب إلى أن يقوم بأعبائها محمد بن الواثق بالله، ثم مد يده فبايعه قبل الناس كلهم، ثم بايعه الخاصة، ثم كانت بيعة العامة، وكُتب على المعتز كتاب أشهد عليه فيه بالخلع والعجز، والمبايعة للمهتدي.

وفي آخر يوم من رجب هذا وقعت ببغداد فتنة هائلة، وثبت فيه العامة على نائبها سليمان بن عبد الله بن

(1) رواه الخطيب (2/ 124)، والحديث أخرجه أبو داود (2774)، والترمذي (1578)، وابن ماجه (1394)، وصححه الألباني في «الإرواء» (474).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 125).
(3) «تاريخ ابن عساكر» (18/ 314-316).

طاهر ودعو إلى بيعة أبي أحمد ابن المتوكل أخي المعتز؛ وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامراً من بيعة المهتدي بالله بن الواثق، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير، ثم لما بايع الناس بيعة العامة للمهتدي بالله في سابع شعبان، وبلغ أهل بغداد ذلك، سكنوا واستقرت الأمور واستقل المهتدي بالخلافة، ولله الحمد.

وفي رمضان من هذه السنة ظهر عند قبيحة أم المعتز أموال عظيمة، وجواهر نفيسة؛ كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف دينار، ومن الزمرد الذي لم ير مثله مقدار مكوك، ومن الحب الكبار مكوك، وكيلجة ياقوت أحمر مما لم ير مثله أيضًا، وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح بن وصيف ثم نزحت عنه، فكانت تدعو عليه؛ تقول: اللهم أخز صالح بن وصيف، كما هتك ستري، وقتل ولدي، وبدَّد شملي، وأخذ مالي، وغربني عن بلدي، وركب الفَاحشة مني. هذا وقد كان الأتراك قد طلبوا من ابنها المعتز خمسين ألف دينار تصرف في أرزاقهم، وضمنوا له أن يقتلوا صالح بن وصيف، فلم يكن عنده من ذلك شيء، فطلب من أمه قبيحة -قبحها الله- أن تقرضه ذلك، فأظهرت أنه لا شيء عندها ثم لما قُتل ابنها -وكان ما كان- ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا. وقد كان لها من الغلات في كل سنة ما يعدل عشرة آلاف ألف دينار.(1)

واستقرت الخلافة للمهتدي بالله، وكان -ولله الحمد- خليفةً صالحًا. قال يومًا للأمراء: إني ليست لي أم لها من الغلات ما يقاوم عشرة آلاف ألف دينار، ولست أريد إلا القوت فقط، ولا أريد فضلاً على ذلك إلا لإخوتي، فإنهم قد مستهم الحاجة.(2)

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان أمر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً، وأبي نوح عيسي بن إبراهيم الذي كان نصرانيًا فأظهر الإسلام، وكان كاتب قبيحة، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط بعد استخلاص أموالهما، ثم طيف بهما على بغلين منكسين فماتا، وهما كذلك، ولم يكن ذلك عن رضا المهتدي بالله، ولكن لا يقدرُ على الإنكار على صالح بن وصيف في بادئ الأمر.

وفي رمضان في هذه السنة وقعت فتنة ببغداد أيضًا بين محمد بن أوس ومن اتبعه من الشاكرية والجند وغيرهم، وبين العامة والرعاع، فاجتمع من العامة نحو من مائة ألف، وكان بين الناس قتالٌ بالنبال والرماح والسيوف، وقتل خلق كثير، ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابه، فنهبت العامة ما وجدوا من أمواله، وكان منه شيء يعدل ألفي ألف، أو نحو ذلك.

ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أينما أراد من سائر البلاد فخرج منها خائفًا طريدًا، وذلك لأنه لم يكن عند الناس مرضى السيرة بل كان جباراً عنيدًا، وشيطانًا مريدًا، وفاسقًا شديدًا، وأمر الخليفة المهتدي بالله بأن ينفى القيان والمغنيون من سامرا، وأمر بقتل السباع والنمور التي في دار السلطان، والكلاب المعدة للصيد أيضًا، وإبطال الملاهي، ورد المظالم، وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وجلس للعامة.

وكانت ولايته والدنيا كلها من أرض الشام وغيرها مفترقة، ثم استدعى الخليفة المهتدي موسى بن بغا الكبير إلى حضرته؛ ليتقوى به على من عنده من الأتراك، لتجتمع كلمة الخلافة واعتذر من استدعائه بما هو فيه من الجهاد بتلك البلاد.

(1، 2) «الطبرى» (9/ 394-396).

ذكر خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت، ظهر بالبصرة

وفى النصف من شوال من هذه السنة ظهر رجل بظاهر البصرة، زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ولم يكن صادقاً في دعواه هذا النسب، وإنما كان عبقسيًا -من عبد القيس- واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه قرة بنت على بن رحيب بن محمد ابن حكيم من بنى أسد بن خزيمة، وأصله من قرية من قرى الرى. قاله ابن جرير.(1)

قال: وقد خرج أيضاً فى سنة تسع وأربعين ومائتين بالبحرين، فادعى أنه على بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن على بن أبى طالب، فدعا الناس بهجر إلى طاعته، فاتبعه جماعة من أهلها، فوقع بسببه قتال كثير وفتن كبار، وحروب كثيرة ومنتشرة.

ولما خرج خرجته هذه الثانية بظاهر البصرة، التف عليه خلق من الزنج الذين يكسحون السباخ، فعبر بهم دجلة فنزل الدينارى، وكان يزعم لبعض الجهلة من أتباعه أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة، وكان يدعى أنه حفظ سوراً من القرآن فى ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره فى مدة؛ وهن سبحان، والكهف، وص، وأنه فكر يوماً، وهو فى البادية إلى أى البلاد يصير، فخوطب من سحابة أن يقصد البصرة، فقصدها، ولما اقترب منها وجد أهلها مفترقين على شعبتين؛ سعديه وبلالية، فطمع أن ينضم إليه إحداهما فيستعين بها على الأخرى، فلم يقدر على ذلك، فارتحل إلى بغداد فأقام بها سنة، وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم بها أنه يعلم ما فى ضمائر أصحابه، وأن الله يُعْلمه بذلك، فتبعه على ذلك جهلة من الطغام، وطائفة من رعاع الناس العوام. ثم عاد إلى أرض البصرة فىَ رمضان من هذه السنة فاجتمع معه بشر كثير، ولكن لم يكن معهم عدد يقاتلون بها فأتاهم جيش من ناحية البصرة فاقتتلوا جميعاً، فلم يكن فى جيش هذا الخارجى سوى ثلاثة أسياف وأولئك الجيش معهم عدد وعدد ولبوس، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجى ذلك الجيش، وكانوا في أربعة آلاف مقاتل، ثم مضى نحو البصرة بمن معه، فأهدى له رجل من أهل جبا فرساً، فلم يجد لها سرجاً ولا لجاماً، فألقى عليها حبلاً وركبها، وشنق حنكها بليف، ثم صادر رجلاً فتهدده بالقتل، فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم، فكان هذا أول مال غنمه من هذه البلاد، وأخذ من آخر ثلاثة براذين، وأخذ من موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة، فسار فى جيش قليل سلاح وخيول، ثم جرت بينه وبين جيوش من جهة نائب البصرة وقعات متعددة، يهزمهم فيها وكلما لأمره يقوى ويتزايد أصحابه ويعظم جيشه، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس، وإنما يريد أخذ أموال السلطان.

وقد انهزم أصحابه فى بعض تلك الحروب هزيمة فظيعة ثم تراجعوا إليه، واجتمعوا حوله، ثم كروا إلى أهل البصرة فهزموهم، وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين، فكان لا يؤتى بأحد من الأسرى إلا قتله، ثم قوى أمره بعد ذلك، وخافه أهل البصرة، وبعث الخليفة إليها مدداً يكونون لهم على صاحب الزنج -هذا الخارجي قبحه الله- ثم أشار عليه رءوسُ أصحابه أن يهجم بهم على أهل البصرة، فيدخلونها عنوة، فهجن آراءهم، وقال: بل نكون منها قريباً حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها، ويخطبوننا عليها. وسيأتى ما كان من أمره، وأمر أهل البصرة فى السنة المستقبلة، إن شاء الله تعالى.(2)

---

(1) «الطبرى» (9/ 410). (2) ابن جرير (9/ 437).

وحج بالناس في هذه السنة عليُّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: الجاحظ المتكلم المعتزلى، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية منهم، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيُّ، الليثي البصريُّ، المعروف بالجاحظ؛ لجحوظ عينيه، ويقال له: الحدقى. وكان شنيع المنظر، سيىء المخبر، ردىء الاعتقاد، ينسب إلى البدعة، وربما جاوز به بعضهم إلى الانحلال حتى يقال فى المثل: يا ويح من كفره الجاحظ. والله أعلم بحاله. وكان بارعًا فاضلاً، قد أتقن علوماً كثيرة، وصنف كتباً جمة، تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه. ومن أجلّ كتبه: كتاب «الحيوان»، وكتاب «البيان والتبيين».

قال ابن خلكان: وهما أحسن مصنفاته وأمتعها، وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه. وذكر: أنه أصابه الفالج فى آخر عمره، وحكى أنه قال: أنا من جانبى الأيسر مفلوج، لو قرض بالمقاريض ما علمت به، وجانبى الأيمن منقرس لو مرت به ذبابة لآلمت، وبى حصاة، وأشد ما عليَّ ست وتسعون سنة. وكان ينشد:

أترْجُو أن تكونَ وأنتَ شيْخٌ * كما قد كنتَ أيامَ الشبابِ
لقدْ كذَبَتْكَ نفسُكَ ليسَ ثَوْبٌ * دَرِيسٌ كالجديدِ مِن الثيابِ

وعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمى، صاحب المسند المشهور، وقد سمعناه بعلوٍّ، **وعبد الله** بن هاشم الطوسى. **والخليفة أبو عبد الله** محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله في رجب -كما تقدم-، **ومحمد** بن عبد الرحيم الملقب صاعقة.

محمد بن كرام، المتكلم الذى تنسب إليه الفرقة الكرامية. وقد نسب إليهم جواز وضع الأحاديث على الرسول ﷺ وأصحابه وغيرهم؛ وهو محمد بن كرام -بفتح الكاف وتشديد الراء، على وزن جمَّال- بن عراق بن حزابة بن البراء، أبو عبد الله السجستانى العابد، يقال: إنه من بنى نزار، ومنهم من يقول: محمد بن كرام -بكسر الكاف وتشديد الراء- جمع كريم. وفرق البيهقي بينهما، فجعل الذي ينسب إليه الكرامية -بفتح الكاف وتشديد الراء- وهو الذى سكن بيت المقدس إلى أن مات بها، وجعل الآخر شيخاً من أهل نيسابور. والصحيح الذى يظهر من كلام الحاكم أبي عبد الله الحافظ، والحافظ أبي القاسم ابن عساكر أنهما واحد. وقد روى ابن كرام عن على بن حجر، وعلى بن إسحاق الحنظلى السمرقندى، سمع منه التفسير عن محمد بن مروان، عن الكلبى، وإبراهيم بن يوسف الماكيانى، ومالك بن سليمان الهروى، وأحمد بن حرب، وعتيق بن محمد الجرشي، وأحمد بن الأزهر النيسابورى، وأحمد بن عبد الله الجويبارى، ومحمد بن تميم الفاريانى -وكانا كذابين وضاعين- وغيرهم.

وعنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق، وأبو إسحاق ابن سفيان، وعبد الله بن محمد القيراطى، وإبراهيم بن الحجاج النيسابورى.

وذكر الحاكم: أنه حبس فى حبس طاهر بن عبد الله، فلما أطلقه ذهب إلى ثغور الشام، ثم عاد إلى نيسابور، فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله، فطال حبسه، وكان يتأهب لصلاة الجمعة، ويأتى إلى السجان، فيقول: دعنى أخرج إلى الجمعة. فيمنعه السجان، فيقول: اللهم إنك تعلم أن المنع من غيرى. وقال غيره: أقام ببيت المقدس أربع سنين، وكان يجلس للوعظ عند العمود الذى عند مشهد عيسى، عليه

السلام، واجتمع عليه خلق كثير، ثم تبين لهم أنه يقول: إن الإيمان قول بلا عمل. فتركه أهلها، ونفاه متوليها إلى غور زغر فمات بها، ونقل إلى بيت المقدس. وكانت وفاته في صفر من هذه السنة.(1)

وقال الحاكم: توفي ببيت المقدس ليلاً، ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء، عليهم السلام، وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفًا. والله أعلم.(2)

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من المحرم قدم موسى بن بغا الكبير إلى سامرًا، فدخلها في جيش هائل، قد عباه ميمنة وميسرةً وقلباً وجناحين، فقصد دار الخلافة التي فيها المهتدي بالله جالس للعامَّة، لكشف المظالم، واستأذنوا عليه فتمادى الإذن ساعة وتأخر عنهم، فظنوا في أنفسهم أن الخليفة إنما طلبهَم خديعة منه؛ ليسلط عليهم صالح بن وصيف، فدخلوا عليه هجمًا فجعلوا يراطنونهم بالتُّرْكي، ثم عزموا فأقاموه من مجلسه، وانتهبوا ما كان فيه، ثم أخذوه مهانًا إلى دار أخرى، فجعل يقول لموسى بن بغا: ما لك ويحك؟! إني إنما جئت بك لأتقوى بك على صالح بن وصيف. فقال: لا بأس عليك، احلف لي أنك لا تريد بي خلاف ما أظهرت. فحلف له الخليفة، فطابت أنفسهم، وبايعوه بيعة ثانية مشافهة، وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن لا يمالئ صالحاً عليهم، واصطلحوا على ذلك، ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف؛ ليحضرهم للمناظرة في أمر المعتز ومن قتله صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم، فوعدهم أن يأتيهم، ثم اجتمع بجماعة من الأمراء من أصحابه، وأخذ يتأهب لجمع الجيوش عليه، ثم اختفى من ليلته، فلم يدر أحد أين ذهب في تلك الساعة، فبعثوا المنادية عليه في أرجاء البلد، وتهدد من أخفاه، فلم يزل في خفاء إلى أواخر صفر، على ما سنذكر.(3) ورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد، وسلم الوزير عبد الله ابن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مخلد الذي كان أراد صالح بن وصيف قتله مع ذينك الرجلين، فبقي في السجن حتى رجع إلى الوزارة. ولما أبطأ خبر صالح بن وصيف على موسى بن بغا وأصحابه قال بعضهم لبعض: اخلعوا هذا الرجل -يعنون المهتدي بالله- فقال بعضهم: أتقتلون رجلاً صواماً قواماً، لا يشرب النبيذ، ولا يأتي الفواحش؟! والله إن هذا ليس كغيره، ولا يطاوعكم الناس عليه، وبلغ ذلك الخليفة، فخرج إلى الناس وهو متقلد سيفًا، فجلس على السرير واستدعى بموسى بن بغا وأصحابه، فقال: قد بلغني ما تمالأتم عليه من أمري، وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط، وقد أوصيت إلى أخي بولدي، وهذا سيفي، والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن، أو ليذهبن بها أكثركم، أما دين؟! أما حياء؟! أما رعةٌ؟! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء، والإقدام والجرأة على الله؟! سواء عندكم من قصد الإبقاء عليكم، ومن كان إذا بلغه هذا عنكم دعا بأرطال الشراب، فشربها؛ سرورًا بمكروهكم، واذهبوا فانظروا في منزلي ومنازل إخوتي ومن يتصل بي؛ هل فيها من آلات الخلافة أو فرشها شيء، غير ما يكون في بيوت آحاد الناس، وتقولون: إني أعلم علم صالح، وهل هو إلا كواحد منكم؟ فاذهبوا فاعلموا علمه فابلغوا شفاء نفوسكم منه، وأما أنا فلست أعلم علمه. قالوا: فاحلف لنا على ذلك. فقال: أما اليمين فإني أبذلها لكم، ولكني أؤخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب في غد، إذا صليت صلاة الجمعة. قال: فكأنهم لانوا لذلك قليلاً.

(1، 2) انظر «تاريخ دمشق» (58/ 96-97).
(3) «الطبري» (9/ 438)، و«المنتظم» (12/ 100).

ولما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر ظفروا بصالح بن وصيف، فقتل وجيء برأسه إلى المهتدى بالله، وقد انفتل من صلاة المغرب، فلم يزد على أن قال: واروه. ثم أخذ فى تسبيحه وذكره. ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين رفع الرأس على رمح ونودى عليه فى أرجاء البلد، هذا جزاء من قتل مولاه. وما زال الأمر مضطربًا حتى تفاقم الأمرُ، وعظم الخطب.

ذكر خلع المهتدي وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل، وإيراد شيء من فضائل المهتدي

لما بلغ موسى بن بغا أن مساورًا الشارى قد عاث بتلك الناحية ركب إليه فى جيش كثيف ومعه مفلح وبايكباك التركى، فاقتتلوا هم ومساور الخارجي، فلم يظفروا منه بشيء يعجبهم، وهرب منهم وأعجزهم، وكان قد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة، والمقصود أن الخليفة المهتدي بالله أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك، فكتب إلى بايكباك أن يتسلم الجيش من موسى بن بغا، ويكون هو الأمير على الناس، وأن يقبل بهم إلى سامرا، فلما وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بغا، فاشتد غضبه على المهتدى، واتفقا عليه وقصدا إليه بلد سامرًا، وتركا ما كانا فيه. فلما بلغ ذلك المهتدى استخدم من فوره جندًا من المغاربة والفراغنة والأشروسنية والأزكشية والأتراك أيضاً، وركب فى جيش كثيف، فلما سمعوا به رجع موسى بن بغا إلى طريق خراسان، وأظهر بايكباك السمع والطاعة، فدخل فى ثانى عشر رجب إلى الخليفة سامعاً مطيعاً، فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بنى هاشم، شاورهم فيه، فقال له صالح بن على بن يعقوب بن أبى جعفر المنصور: يا أمير المؤمنين، لم يبلغ أحد من الخلفاء فى الشجاعة والإقدام ما بلغت، وقد كان أبو مسلم الخراسانى شرًا من هذا وأكثر جندًا، ولما قتله أبو جعفر المنصور سكنت الفتنة وخمد صوت أصحابه. فأمر عند ذلك المهتدي بالله بضرب عنق بايكباك، ثم ألقى رأسه إلى الأتراك، فلمَّا رأوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخيه طغوتيا، فخرج إليهم الخليفة فيمن معه، فلما التقوا خامرت الأتراك الذين كانوا مع الخليفة إلى أصحابهم، وصاروا ألبًا واحدًا على الخليفة وأصحابه، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف، ثم حملوا عليه فهزموهم وانهزم المهتدي بالله وبيده السيف صلتًا، وهو ينادى: يا أيها الناس، انصروا خليفتكم. فدخل دار أحمد بن جميل صاحب المعونة، فوضع فيها سلاحه ولبس البياض، وأراد أن يذهب فيختفى، فعاجله أحمد بن خاقان فيها فأخذه قبل أن يذهب، ورمي بسهم، وطعن فى خاصرته، وحمل على دابة وخلفه سائس، وعليه قميص وسراويل حتى حصل في دار أحمد بن خاقان، فجعل من هناك يصفعونه ويبزقون فى وجهه، وأخذوا خطه بستمائة ألف دينار، وسلموه إلى رجل فلم يزل يطأ خصيتيه حتى مات رحمه الله. وذلك يوم الخميس لثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب.

وكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام، ولد فى سنة تسع عشرة، وقيل: خمس عشرة ومائتين. وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد، ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكل، وكان أسمر رقيقًا، أجلى، حسن اللحية، أشهب، حسن العينين، عظيم البطن، عريض المنكبين، قصيرًا، طويل اللحية، يُكنى أبا عبد الله.[1]

قال الخطيب: وكان من أحسن الخلفاء مذهبًا، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعًا، وأكثرهم عبادةً، وإنما روى حديثًا واحدًا، ثم أسند عنه، قال: حدثني عليُّ بن أبي هاشم بن طبراخ، عن محمد بن الحسن الفقيه،

---

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 348).

عن ابن أبي ليلى، عن داود بن عليٍّ، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال العباس: يا رسول الله، ما لنا في هذا الأمر؟ قال: «لي النبوة، ولكم الخلافة، بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يختم». وقال للعباس: «من أحبك نالته شفاعتي، ومن أبغضك لا نالته شفاعتي».(1)

وروى الخطيب أن رجلاً استعدى المهتدي على خصمه، فحكم بينهما بالعدل، فأنشأ الرجل يقول:

حكَّمْتُموهُ فقضى بينَكم * أبلَجُ مثلُ القمرِ الزاهرِ

لا يقبَلُ الرِّشوةَ في حُكْمِهِ * ولا يُبالي غَبَنَ الخاسرِ

فقال له المهتدي بالله: أما أنت أيها الرجل، فأحسن الله مقالتك، وأما أنا فإني ما جلست حتى قرأت: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:47). قال: فبكى الناس حوله. فما رئي باكياً أكثر من ذلك اليوم.(2)

وقال بعضهم: سرد المهتدي الصوم منذ ولي إلى أن قتل رحمه الله. وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر ابن عبد العزيز الأموي في أيام خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط.(3)

وقال أحمد بن سعيد الأموي: كنا جلوسًا بمكة وعندي جماعة ونحن نبحث في النحو وأشعار العرب، إذ وقف علينا رجل مجنونٌ، فأنشأ يقول:

أمَا تَستَحُونَ اللهَ يا مَعْدِنَ الجهلِ * شُغِلتمْ بذا والناسُ في أعظم الشُّغْلِ

إمامُكمُ أضحَى قتيلاً مُجدَّلاً * وقد أصبحَ الإسلامُ مُفْتَرِقَ الشَّمْلِ

وأنتمْ على الأشعارِ والنحوِ عُكَّفٌ * تضِجُّونَ بالأصواتِ في قلَّةِ العقلِ

قال: فنظرنا وأرخنا ذلك اليوم فإذا المهتدي بالله قد قُتل في ذلك اليوم، وكان يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين.(4)

خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل على الله، ويعرف بابن فتيان

بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب من سنة ست وخمسين ومائتين في دار الأمير يارجوخ، وذلك قبل خلع المهتدي بأيام، ثم كانت بيعة العامة يوم الاثنين لثمان بقين من رجب.(5)

ولعشر بقين من رجب دخل موسى بن بغا ومفلح إلى سر من رأى، فنزل موسى في داره وسكن الناس، وخمدت الفتنة هنالك. وأما صاحب الزنج المدعى أنه علوي فهو محاصر للبصرة، والجيوش الخليفية في وجهه دونها، وهو في كل وقت يقهرها، ويغنم ما يفد إليهم في المراكب من الأطعمة وغيرها، واستحوذ بعد ذلك على الأبلة وعبادان وغيّرهما من البلاد، وخاف منه أهل البصرة خوفاً شديداً، وكل ما لأمره يقوى، والجيوشه تكثرُ، ولعدده يتزايد، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلاخها.

وفي هذه السنة: خرج رجل آخر في الكوفة يقال له: علي بن زيد الطالبي، وجاءه جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبي، واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته، وتفاقم أمره.

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 348-349). (2،3) «تاريخ بغداد» (3/ 349).
(4) «تاريخ بغداد» (3/ 351). (5) «تاريخ الطبري» (9/ 468).

وفيها: وثب محمد بن واصل التميمى على نائب فارس الحارث بن سيما الشرابى، فقتله واستحوذ على بلاد فارس.(1)

وفى رمضان منها: تغلب الحسن بن زيد الطالبى على بلاد الرى، فتوجه إليه موسى بن بغا فى شوال من عند المعتمد، وخرج الخليفة لتوديعه.

وفيها: كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين أماجور نائب دمشق، ولم يكن معه إلا قريب من أربعمائة فارس، وبين ابن لعيسى بن الشيخ، وهو فى قريب من عشرين ألفًا، فهزمه أماجورُ. وجاءت من الخليفة ولاية لابن الشيخ؛ بلاد أرمينية على أن يترك أهل الشام، فقبل ذلك وانصرف عنهم.

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور، وكان فى جملة الحجاج أبو أحمد بن المتوكل. فتعجل وعجل السير إلى سامرًا، فدخلها ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة.

وممن توفى فيها من الأعيان:الخليفة المهتدى بالله في رجب، كما تقدم.

والزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشى الزبيرى، قاضى مكة، قدم بغداد وحدث بها، وله كتاب «أنساب قريش»، وكان من أعلم الناس بذلك، وكتابه فى ذلك حافل جدًا. وقدر روى عنه ابن ماجه وغيره، وقد وثقه الدارقطنى والخطيب وأثنى عليه وعلى كتابه. وتوفى بمكة عن أربع وثمانين سنة فى ذى القعدة من هذه السنة، ودفن بمكة رحمه الله.

البخارى صاحب «الصحيح»، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة فى أول شرحنا «لصحيحه»، ولنذكر هاهنا نبذةً يسيرة من ذلك، فنقول وبالله المستعان: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدزبه، ويقال: بَذْدُزْبه، الجعفى مولاهم، أبو عبد الله البخارى الحافظ، إمام أهل الحديث فى زمانه، والمقتدى به فى أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه «الصحيح» يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام.

ولد البخارى، رحمه الله، فى ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ فى حجر أمه، فألهمه الله حفظ الحديث وهو فى المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشر سنة حتى قيل: إنه كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سردًا. وحج وعمره ثمانى عشرة سنة، فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث فى البلدان التى أمكنه الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وروى عنه خلائق وأمم.

وقد روى الخطيب البغدادى عن الفربرى، أنه قال: سمع «الصحيح» من البخارى معى نحو من سبعين ألفاً، لم يبقَ منهم أحد غيرى.(2)

وقد روى «البخارى» من طريق الفربرى -كما هى رواية الناس اليوم من طريقه- وحماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل، وطاهر بن محمد بن مخلد، وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن على البزدوى النسفى، وقد توفى النسفىُّ هذا فى سنةَ تسع وعشرين وثلاثمائة، ووثقه الأمير أبو نصر ابن ماكولا. وممن روى عن البخارى مسلمُ فى غير «الصحيح»، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه، وروى عنه الترمذى فى

(1) «تاريخ الطبرى» (9/ 474)، و«المنتظم» (12/ 108).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 9)، و«المنتظم» (12/ 115).

«جامعه»، والنسائى فى «سننه» فى قول بعضهم. وقد دخل بغداد ثمان مرات، وفى كل منها يجتمع بالإمام أحمد بن حنبل، فيحثه أحمد على المقام ببغداد، ويلومه على الإقامة بخراسان. وقد كان البخارى يستيقظ فى الليلة الواحدة من نومه فيوري السراج، ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه، ثم يقوم مرة أخرى حتى كان يتعدد ذلك منه قريباً من عشرين مرة. وقد كان أصيب بصره وهو صغير، فرأت أمه إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، فقال: يا هذه، قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك، أو قال: بكائك. فأصبح وهو بصير.

وقال البخارى: فكرت البارحة فإذا أنا قد كتبت في مصنفاتي نحواً من مائتى ألف حديث مسندة. وكان يحفظها كلها. ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع به أربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا له أسانيد وأدخلوا إسناد الشام فى إسناد العراق، وخلطوا الرجال فى الأسانيد، وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوها على البخارى، فردَّ كل حديث إلى إسناده، وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها، وما تعلقوا عليه بسقطة فى إسناد ولا في متن. وكذلك صنع بمائة محدث من أهل بغداد.

وقد ذكروا أنه كان ينظر فى الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة، والأخبار عنه في هذا المعنى كثيرة.

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه؛ فقال الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثله.(1) وقال على ابن المدينى: لم ير البخارى مثل نفسه.(2) وقال إسحاق بن راهويه: لو كان فى زمن الحسن لاحتاج الناس إليه لمعرفته بالحديث وفقهه.(3) وقال أبو بكر ابن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير: ما رأينا مثله.(4) وقال على بن حجر: لا أعلم مثله.(5) وقال محمود بن النضر أبو سهل الشافعى: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخارى فضلوه على أنفسهم.(6) وقال أبو العباس الدغولى: كتب أهل بغداد إلى البخارى:

المسلمونَ بخيرٍ ما حَييتَ لهم * وليس بعدَك خيرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

وقال الفلاس: كل حديث لا يعرفه البخارى فليس بحديث.(7) وقال نعيم بن حماد: هو فقيه هذه الأمة(8). وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقى(9). ومنهم من فضله فى الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه(10).

وقال قتيبة بن سعيد: رحل إليَّ من شرق الأرض وغربها، فما رحل إليَّ مثل محمد بن إسماعيل البخارى(11). وقال رجاءُ بن مُرَجى: فضل البخارى على العلماء -يعني في زمانه- كفضل الرجال على النساء. وقال: هو آية من آيات الله يمشي على الأرض(12). وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدراميُّ: محمد بن إسماعيل البخارى أفقهنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلبًا(13). وقال إسحاق بن راهويه: هو أبصر منى(14).

(1-6) «تاريخ بغداد» (2/ 18، 19، 21، 22، 27).
(7) «تاريخ بغداد» (2/ 18)، و«تهذيب الكمال» (24/ 454).
(8) «تاريخ بغداد» (2/ 24)، و«تهذيب الكمال» (24/ 459).
(9) «تاريخ بغداد» (2/ 22)، و«تهذيب الكمال» (24/ 457)، و«السير» (12/ 424).
(10) «السير» (12/ 429). (11) «تاريخ بغداد» (2/ 25)، و«السير» (12/ 427).
(12) «السير» (12/ 426). (13،14) «السير» (12/ 431).

وقال أبو حاتم الرازى: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق[1]. وقال عبيد العجل: رأيت أبا حاتم وأبا زرعة يجلسان إليه يستمعان ما يقول، ولم يكن مسلم يبلغه، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلى بكذا وكذا، وكان دينًا فاضلاً يحسن كل شيء. وقال غيره: رأيت محمد بن يحيى الذهلى يسأل البخارى عن الأسامى والكنى والعلل، وهو يمر فيه كالسَّهم، كأنه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [2].

وقال أحمد بن حمدون القصار: رأيت مسلم بن الحجاج جاء إلى البخارى فقبل بين عينيه، وقال: دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فى علله، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس، فذكر له علته، فلما فرغ قال مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس فى الدنيا مثلك[3]. وقال الترمذى: لم أر بالعراق ولا فى خراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخارى. وكنا يومًا عند عبد الله بن منير، فقال للبخارى: جعلك الله زين هذه الأمة. قال الترمذى: فاستجيب له فيه[4].

وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل البخارى[5]. ولو ذهبنا نسطرُ ما أثنى عليه الأئمة فى حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وتبحره لطال علينا، ونحن على عجل من أجل الحوادث، وقد ذكرنا ذلك مبسوطًا في أول شرح «الصحيح»، والله سبحانه وتعالى هو المستعان.

وقد كان البخارى، رحمه الله، فى غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد فى الدنيا دار الفناء، والرغبة فى الآخرة دار البقاء. قال: أرجو أن ألقى الله وليس أحد يُطالبنى أنى اغتبته.[6] فذكر له «التاريخ» وما ذكر فيه من الجرح والتعديل وغير ذلك، فقال: ليس هذا من هذا، قال النبى ﷺ: **«ائذنوا له، فلبئس أخو العشيرة»**[7]. ونحن إنما روينا ذلك رواية، ولم نقله من عند أنفسنا.

وقد كان، رحمه الله، يصلى فى كل ليلة ثلاث عشرة ركعة، وكان يختم القرآن فى كل ليلة من رمضان ختمة، وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سرًا وجهرًا، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار سرًا وعلانيةً، وكان مستجاب الدعوة، مسدد الرمية، شريف النفس؛ بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع أولاده عليه، فأرسل إليه: فى بيته يؤتى الحكم، إن كنتم تريدون ذلك فهلموا إليَّ. وأبى أن يذهب إليهم -وهو خالد بن أحمد الذهليُّ، نائب الظاهرية ببخارا- فبقى فى نفس الأمير من ذلك، فاتفق أن جاءه كتاب من محمد بن يحيى الذهلى من نيسابور بأن البخارى يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق -وكان وقد وقع بين محمد بن يحيى الذهلى وبين البخارى فى ذلك كلام، وصنف البخارى في ذلك كتابه «خلق أفعال العباد»، فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخارى، وقد كان الناس يعظمونه جدًا، وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بُخارا عائدًا إلى أهله، وكان له مجلس الإملاء بجامعها، فلم يقبلوا

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 29-30)، و«السير» (12/ 436).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 31)، و«السير» (12/ 432).
(3) «تاريخ بغداد» (2/ 28-29) و«علل الترمذى».
(4) «تاريخ بغداد» (2/ 26-27)، و«السير» (12/ 432-433).
(5) «تاريخ بغداد» (2/ 27)، و«السير» (12/ 431).
(6) «تاريخ بغداد» (2/ 13).
(7) البخارى (6032) (6054)، ومسلم (2591).

من الأمير، فأمر عند ذلك بنفيه من البلد، فخرج منها ودعا على خالد بن أحمد، فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان، وزال ملكه وسجن فى بغداد حتى ماتَ، ولم يبقَ أحد ساعده على ذلك إلا ابتلى ببلاء شديد. فنزح البخارى من بلده إلى بلدة يقال لها: خرتنك. على فرسخين من سمرقند، فنزل عند أقارب له بها، وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حينَ رأى الفتن؛ كما جاء فى الحديث: **«وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين»**.[1]

ثم اتفق مرضه على إثر ذلك، فكانت وفاته ليلة عيد الفطر، وكان ليلة السبت، عند صلاة العشاء، وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة -أعنى سنة ست وخمسين ومائتين- وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، وَفْق ما أوصى به، وحين دفن فاحت من قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أيامًا، ثم علت سوار بيض مستطيلة بحذاء قبره. وكان عمره يوم مات، رحمه الله، ثنتين وستين سنةً.

وقد ترك، رحمه الله، بعده علمًا نافعًا لجميع المسلمين، فعمله فيه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات فى الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، من علم ينتفع به»**. الحديث. رواه مسلم.[2]

وشرطه فى «صحيحه» هذا أعز من شرط كل كتاب صنَّف فى «الصحيح»، لا يوازيه فيه غيره، لا «صحيح مسلم» ولا غيره. وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء:

صحيحُ البُخاريٍّ لو أنْصَفُوهُ * لَمَا خُطَّ إلا بماءِ الذهَبْ
هو الفَرْقُ بينَ الهُدَى والعَمَى * هو السَّدُّ بينَ الفتى والعَطَبْ
أسانِيدُ مثلُ نُجومِ السماءِ * أمامَ مُتُونٍ كمثلِ الشُّهُبْ
به قامَ ميزانُ دِينِ الرسولِ * ودانَ به العُجْمُ بعدَ العَرَبْ
حِجَابٌ مِن النارِ لاشَكَّ فيهِ * تَمَيَّزَ بينَ الرِّضا والغَضَبْ
وسِتْرٌ رقيقٌ إلى المُصْطَفى * ونَصٌّ مُبِينٌ لكَشْفِ الرِّيَبْ
فيَا عالِمًا أجمَعَ العالِمونَ * على فَضْلِ رُتْبَتِه في الرُّتَبْ
سَبَقْتَ الأئمةَ في ما جَمَعْتَ * وفُزْتَ على رَغْمِهِم بالقَصَبْ
نفَيْتَ الضَّعيفَ مِن النّاقِلِينَ * ومَن كانَ مُتَّهَمًا بالكَذِبْ
وأبْرَزْتَ في حُسْنِ تَرْتِيبِهِ * وتَبْوِيبِه عَجَبًا للعَجَبْ
فأعطاكَ مَوْلاكَ ما تشْتَهِيهِ * وأجْزَلَ حظَّكَ فِيما وَهَبْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

فيها: ولى الخليفة المعتمد على الله ليعقوب بن الليث بلخ وطخارستان وما يلى ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها.[3]

---

(1) رواه مالك (1/ 218)، و«المسند» (1/ 368) (4/ 66)، والترمذى (3233) (3235)، انظر «صحيح الترمذى» (2580) (2582).

(2) رواه مسلم (1631). (3) «تاريخ الطبرى» (9/ 476)، و«المنتظم» (12/ 123).

وفى صفر منها: عقد المعتمد لأخيه أبى أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن، وأضاف إليه فى رمضان نيابة بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس، وأذن له أن يستنيب فى ذلك كله.

وفيها: تواقع سعيد الحاجب وصاحب الزنج فى أراضى البصرة، فهزمه سعيد الحاجب واستنقذ من يده خلقًا من النساء والذرية، واسترجع منه أموالاً جزيلة، وأذل الزنج غاية الإهانة والمذلة. ثم إن الزنج بيتوا سعيدًا وجيشه فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، ويقال: إن سعيد بن صالح قتل أيضًا. ثم التقى مع منصور بن جعفر الخياط فى جيش كثيف، فهزمهم هذا الخارجيُّ صاحب الزنج المدَّعي أنه طالبيٌّ، وهو كاذبٌ.

قال ابن جرير: **وفيها** ظفر ببغداد -بموضع يقال له: بركة زلزل- برجل خناق قد قتل خلقًا من النساء، فحمل إلى المعتمد فضرب فضرب بين يديه ألفي سوط وأربعمائة أرزن، فلم يمت حتى ضرب الجلادون أنثيه بخشب العقابين فمات، ورد إلى بغداد وصلب هناك، ثم أحرقت جثته.(1)

وفى ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة: كسف القمر وغاب أكثره، وفى صبيحة هذا اليوم دخل جيش الخبيث إلى البصرة قهرًا، فقتلوا من أهلها خلقًا كثيرًا وهرب نائبها بغراج ومن معه، وأحرقت الزنج جامع البصرة ودورًا كثيرة وانتهبوها، ثم نادى فيهم إبراهيم بن يحيى المهلبيُّ أحد أصحاب الزنجى الخارجي: من أراد الأمان فليحضر. فاجتمع خلق كثير من أهلها، فرأى أنه قد أصاب فرصة فغدر بهم وأمر بقتلهم، فلم يفلت منهم إلا الشاذ، كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض: كيلوا -وهى الإشارة بينهم إذا أرادوا قتل أحد- فيحملون عليهم بالسيوف فلا تسمع إلا تشهد أولئك وضجيجهم عند القتل، فإنا لله وإنا إليه راجعوّن، وهكذا كل محلة من محال البصرة فى عدة أيام، وهرب الناس منهم كل مهرب، وحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل، فحرقت النار ما وجدت من شيء؛ من إنسان أو بهيمة أو أثاث أو غيرّ ذلك، وأحرقوا المسجد الجامع أيضًا، وقد قتل في هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء والمحدثين والعلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان هذا الخبيث قد أوقع بأهل فارس وقعة عظيمة، ثم بلغه أن أهل البصرة قد جاءهم من الميرة شيء كثير وقد اتسعوا بعد الضيق فحسدهم على ذلك، فروى ابن جرير عن من سمعه يقول: دعوت الله على أهل البصرة، فخوطبت فقيل لي: إنما أهل البصرة خبزة تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة. فأولت ذلك بانكساف القمر. وقد كان هذا شائعًا فى أصحابه حتى وقع الأمر طبق ذلك، ولاشكَّ أن هذا كان معه شيطان يخاطبه، كما كان يأتى الشيطان مسيلمة إلى مسيلمة(2). والله أعلم.

ولما أوقع أصحابه من الزنج وغيرهم ما أوقعوا بأهل البصرة، قال لمن معه: إنى صبيحة ذلك اليوم دعوت الله على أهل البصرة، فرُفعت لى بين السماء والأرض ورأيت أهلها يقتلون، ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابى، وإنى لمنصور على الناس، والملائكة تقاتل معى، وتثبت جيوشى، وتؤيدني فى حروبى.

ولما صار إليه العلوية الذين كانوا بالبصرة انتسب حينئذ إلى يحيى بن زيد، وهو كاذب فى ذلك بالإجماع، لأن يحيى بن زيد لم يعقب إلا بنتاً ماتت، وهى ترضع، فقبح الله هذا اللعين، ما أكذبه وأفجره وأغدره!

وفى مستهل ذى القعدة وجه الخليفة من سامرًا جيشاً كثيفاً مع الأمير محمد المعروف بالمولد لقتال صاحب الزنج، فقبض فى طريقه على سعيد بن أحمد الباهلى الذى كان قد تغلب على أرض البطائح وأخاف السبل.

---
(1) «الطبرى» (9/ 479). (2) «الطبرى» (9/ 481).

وفيها: خالف محمد بن واصل السطان بأرض فارس وتغلب عليها.

وفيها: وثب رجل من الروم يقال له: بسيل الصقلبى على ملك الروم ميخائيل بن توفيل، فقتله واستحوذ على مملكة الروم، وقد كان لميخائيل في ملك الروم أربع وعشرون سنة.

وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن إسحاق بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي العباسي.

وممن توفى فيها من الأعيان: **الحسن** بن عرفة بن يزيد، صاحب الجزء المشهور المروى، وقد جاوز المائة بعشر سنين، وقيل: بسبع. وكان له عشرة من الولد سماهم بأسماء العشرة ﷺ. وقد وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان يتردد إلى الإمام أحمد، وكان مولده فى سنة خمسين ومائة، وتوفى فى هذه السنة عن مائة وسبع سنين.

زيد بن أخزم الطائى، والرؤاسي، ذبحهما الزنج فى جملة من قتلوا من أهل البصرة، كما قدمنا قصتهم، قبحهم الله، وما قتلوا من المسلمين رحمهم الله. **وعليُّ** بن خشرم، **وأبو سعيد الأشجُ**؛ أحد مشايخ مسلم الذين يُكْثِرُ عنهم.

والعباس بن الفرج أبو الفضل الرياشى، النحوى اللغوى، كان عالـمًا بأيام العرب والسير، وكان كثير الاطلاع، ثقة عالـمًا، روى عن الأصمعى وأبى عبيدة وغيرهما، وعنه إبراهيم الحربى، وأبو بكر ابن أبى الدنيا وغيرهما. قتل الرياشيُّ بالبصرة فى هذه السنة، قتله الزنج فيمن قتلوا، ذكره القاضي ابن خلكان فى «الوفيات»، وحكى عنه، عن الأصمعى أنه قال: مر بنا أعرابى ينشد ابنه، فقلنا له: صفه لنا. فقال: كأنه دنينيرٌ. فقلنا: لم نره، فلم نلبث أن جاء يحمله على عنقه أسيِّدًا كأنه جُعلٌ. فقلنا: لو سألتنا عن هذا لأرشدناك، إنه منذ اليوم يلعب ههنا مع الغلمان. ثم أنشد الأصمعى:

نِعْمَ ضَجِيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ الـ * ـليلُ سُحَيْرًا وقَرقَفَ الصَّرِدُ
زَيَّنَها اللهُ في الفُؤادِ كما * زُيِّنَ في عَيْنِ والدٍ وَلَدُ

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

فى يوم الاثنين لعشر بقين من ربيع الأول عقد الخليفة المعتمد على الله لأخيه أبى أحمد على ديار مُضر وقنسرين والعواصم، وجلس يوم الخميس مستهل ربيع الآخر، فخلع على أخيه وعلى مفلح، وركبا نحو البصرة فى جيش كثيف فى عدَد وعُدَد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل مفلح للنصف من جمادى الأولى، أصابه سهم بلا نصل فى صدره فأصبح ميتًا، وحملت جثته إلى سامرا ودفن بها.(1)

وفيها: أسر يحيى بن محمد البحرانى؛ أحد أمراء صاحب الزنج الكبار، وحُمل إلى سامرًا، فضرب بين يدى المعتمد مائتى سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف، ثم خبط بالسيوف ثم ذبح ثم أحرق، وكان الذين أسروه جيش أبى أحمد فى وقعة هائلة مع الزنج، قبحهم الله. ولما بلغ خبره صاحب الزنج أسف على ذلك، ثم قال: لقد خوطبت فيه، فقيل لى: قتله كان خيرًا لك؛ لأنه كان شرهًا يخفى من المغانم خيارها. وقد كان هذا اللعين -أعني صاحب الزنج المدَّعي إلى غير أبيه- يقول لأصحابه: لقد عُرِضت عليَّ النبوة فخفت أن لا أقوم بأعبائها، فلم أقبلها.

---

(1) «الطبرى» (9/ 490)، و«المنتظم» (12/ 136).

وفى ربيع الآخر منها: وصل سعيد بن أحمد الباهلى إلى باب السلطان، فضرب سبعمائة سوط حتى مات، ثم صلب.

وفيها: قتل قاض وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزنج عند باب العامة بسامرًا.

وفيها: رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان، وحمل خراج فارس، وتمهدت الأمور هناك، واستقلت على السداد.

وفى أواخر رجب كان بين أبى أحمد وبين الزنج وقعة هائلة، قُتل فيها خلق من الفريقين، ثم استوخم أبو أحمد منزله، فتحيز إلى واسط فنزلها فى أوائل شعبان، فوقعت هناك زلزلة شديدة وهدَّةٌ عظيمة، تهدمت بسبب ذلك دور كثيرة، ومات من الناس نحو من عشرين ألفًا.

وفي هذه السنة: وقع فى الناس وباءٌ شديدٌ ببغداد وسامرًا وواسط وغيرها من البلاد. وحصل للناس ببغداد داء يقال له: القفاع. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفى يوم الخميس لسبع خلون من رمضان، أخذ رجل من باب العامة بسامرًا ذكر عنه أنه يسب السلف، فضرب ألف سوط حتى مات.

وفى يوم الجمعة ثامنه، توفى الأمير يارجوخ، فصلى عليه أخو الخليفة أبو عيسى وحضره جعفر بن المعتمد على الله.

وفيها: كانت وقعة هائلة بين موسى بن بغا وبين أصحاب الحسن بن زيد ببلاد خراسان، فهزمهم موسى ابن بغا هزيمة فظيعة.

وفيها: كانت وقعة بين مسرُور البلخى وبين مساور الخارجى، فأسر مسرور من أصحابه جماعة كثيرة.

وفيها: حج بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أحمد** بن بديل، **وأحمد** بن حفص، **وأحمد** بن سنان القطان، **وأحمد** بن الفرات، **وحميد** بن الربيع، **ومحمد** بن سنجر، صاحب «المسند». **ومحمد** بن يحيى الذهلى، **ويحيى** بن معاذ الرازى.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

فى يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر رجع أبو أحمد ابن المتوكل من واسط إلى سامرا، وقد استخلف على حرب الخبيث صاحب الزنج محمدًا الملقب بالمولد، وكان شجاعًا شهمًا.(1)

وفيها: بعث الخليفة إلى كنجور نائب الكوفة جماعة من القواد فذبحوه، وأخذوا ما كان معه من المال، فإذا هو أربعون ألف دينار.

وفيها: تغلب رجل جمال يقال له: شركب. على مدينة مرو فانتهبها من كان أتباعه، وتفاقم أمره هناك.

ولثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة توجه موسى بن بغا الكبير من سامرًا لحرب الخبيث، وخرج الخليفة المعتمد لتوديعه، وخلع عليه عند مفارقته له، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائبًا عليها، وليكون عونًا لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج الخبيث، لعنه الله، فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيشًا

(1) «الطبرى» (9/ 502)، و«المنتظم» (12/ 152).

للخبيث، وقتل من الزنج خلقًا كثيرًا، وأسر طائفة كثيرةً منهم، وأرعبهم إرعابًا بليغًا بحيث لم يتجاسروا على موافقته مرة ثانية، وقد حرضهم الخبيث كل التحريض فلم ينجع ذلك فيهم.

ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح، وعلى بن أبان المهلبى، وهو مقدَّم جيوش صاحب الزنج، فجرت بينهما حروب يطول شرحها، ثم كانت الدائرة على الزنج، ولله الحمد والمنة، فرجع على بن أبان إلى الخبيث مفلولاً مقهورًا مذمومًا مدحورًا، وبعث عبد الرحمن بن مفلح بالأسارى إلى سامرًا، فبادر إليهم العامة فقتلوا أكثرهم، وسلبوهم.

وفيها: تدنى ملك الروم، لعنه الله، إلى بلاد سميساط ثم إلى ملطية، فقاتله أهلها فهزموه، وقتلوا بطريق البطارقة الذي كان معه، ورجع إلى بلاده خاسئًا وهو حسير.

وفيها: دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور، فظفر بالخارجي الذى كان بهراة ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة، فقتله، وحمل رأسه على رمح، وطيف به فى الآفاق والأقاليم، ومعه رقعة مكتوب فيها ذلك.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن يعقوب بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس.

وممن توفي فيها من الأعيان: **ابراهيم** بن يعقوب بن إسحاق، أبو إسحاق الجوزجانى، خطيب دمشق، وإمامها وعالمها، وله المصنفات المشهورة المفيدة، منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة. **وأحمد** بن إسماعيل السَّهمي. **وحجاج** بن يوسف الشاعر. **ومحمود** بن آدم.

ثم دخلت سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية

فيها: وقع غلاء عظيم ببلاد الإسلام كلها حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها ينتجعون غيرها، ولم يبقَ بمكة أحد من المجاورين ومن يشبههم، حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد، وخرج نائب مكة منها، وبلغ كر الشعير ببغداد مائة وعشرين دينارًا، واستمر ذلك شهورًا.(1)

وفيها: قتل صاحب الزنج المستحوذ على البصرة عليَّ بن زيد صاحب الكوفة.

وفيها: أخذت الروم من المسلمين حصن لؤلؤة.

وفيها: حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها.

وممن توفي فيها من الأعيان: **الحسن** بن محمد الزعفرانى، **وعبد الرحمن** بن بشر، **ومالك** بن طوق الذي تنسب إليه رحبة مالك بن طوق.

وحنين بن إسحاق العبادى، الطَّبيب المشهور الذي عرب كتاب إقليدس، وحرره بعده ثابت بن قرة. وعرب حنين كتاب «المجسطى» أيضًا، وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب، وكان المأمون شديد الاعتناء بذلك جداً، وكذلك جعفر البرمكى قبله، ولحنين مصنفات كثيرة فى الطب، وإليه تنسب مسائل حنين، وكان بارعًا فى فنه جداً، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة. قاله ابن خلكان.

---

(1) «الطبرى» (9/ 510)، و«المنتظم» (12/ 156).

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

فيها: انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم إلى طبرستان وأحرق مدينة شالوس، لممالأتهم يعقوب ابن الليث عليه.(1)

وفيها: قتل مساور الخارجي يحيى بن حفص الذى كان يلى طريق خراسان فى جمادى الآخرة، فشخص إليه مسرور البلخى، ثم تبعه أبو أحمد ابن المتوكل فتنحى مساور فلم يُلحق.

وفيها: كانت وقعة بين ابن واصل الذى تغلب على فارس وبين عبد الرحمن بن مفلح، فكسره ابن واصل وأسره، وقتل طاشتمر واصطلم الجيش الذي كان معهما فلم يفلت منهم إلا اليسير، ثم سار ابن واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بغا، فرجع موسى بن بغا إلى باب السلطان، وسأل أن يعفى من نيابة بلاد المشرق لما رأى من كثرة المتغلبين بها، فعزل عنها وولى ذلك أبو أحمد أخو الخليفة المعتمد.

وفيها: سار أبو الساج لحرب الزنج فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكسرتهم الزنج، ودخلوا الأهواز فقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها وحرقوا منازلهم، ثم صرف أبو الساج عن نيابة الأهواز وحرب الزنج وولى ذلك إبراهيم بن سيما.

وفيها: تجهز مسرور البلخى فى جيش لقتال الزنج أيضًا.

وفيها: ولى الخليفة نصر بن أحمد بن أسد السامانى ما وراء نهر بلخ، وكتب إليه بذلك فى شهر رمضان منها.

وفى شوال من هذه السنة: قصد يعقوب بن الليث إلى ابن واصل، فالتقيا فى ذى القعدة، فهزمه يعقوب وفل عسكره وأسر خاله وطائفة من حرمه، وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم. وقتل من كان يمالئه وينصره من أهل تلك البلاد. وأطد تلك الناحية جزاه الله خيراً.

ولاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة: ولى المعتمد على الله ولده جعفراً العهد من بعده، وسماه المفوض إلى الله وولاه المغرب، وضم إليه موسى بن بغا وولاه إفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان وغير ذلك، وجعل الأمر من بعد جعفر إلى أبي أحمد ابن المتوكل ولقبه الموفق بالله وولاه المشرق، وضم إليه مسروراً البلخى وولاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقم والكرخ والدينور والرى وزنجان والسند، وكتب بذلك مكاتبات وقرئت في الآفاق، وعلق منها نسخة بالكعبة المعظمة.

وفيها: حج بالناس الفضل بن إسحاق.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أحمد** بن سليمان الرهاوى. **وأحمد** بن عبد الله العجلى. **والحسن** بن أبى الشوارب بمكة. **وداود** بن القاسم الجعفرى. **وشعيب** بن أيوب. **وعبد الله** بن الواثق أخو المهتدى بالله. **وأبو شعيب** السوسى. **وأبو يزيد** البسطامى أحد أئمة الصوفية. **وعلى** بن إشكاب وأخوه محمد. **ومسلم** بن الحجاج صاحب «الصحيح» رحمهم الله تعالى.

وهذا ذكر شىء من أخبار مسلم بن الحجاج على سبيل الاختصار رحمه الله، وأكرم مثواه.

هو مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيرى النيسابورى، أحد الأئمة، من حفاظ الحديث صاحب الصحيح الذى هو تلو «الصحيح» للبخاري عند أكثر العلماء، وذهب المغاربة وأبو عليّ النيسابورى

(1) «الطبرى» (9/ 512)، و«المنتظم» (12/ 163).

شيخ الحاكم النيسابوري من المشارقة إلى تفضيل «صحيح مسلم» على «صحيح البخارى»(1)، فإن أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد، ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى الأبواب، فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى واختياره فى تصحيح ما أورده فى «جامعه» معاصرة الراوى لشيخه وسماعه منه فى الجملة، فإن مسلماً لا يشترط فى كتابه الشرط الثانى كما هو مقرر فى علوم الحديث، وقد بسطنا ذلك فى أول «شرح البخارى» ولله الحمد والمنة في «ترجمة الإمام البخاري» رحمه الله. والمقصود الآن أن مسلماً دخل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وسمع من جماعة كثيرين قد أوردهم شيخنا الحافظ المزى فى «تهذيبه» مرتبين على حروف المعجم.

وروى عنه جماعة كثيرون منهم: الترمذى فى «جامعه» حديثاً واحداً، وهو حديث محمد بن عمرو، عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**احصوا هلال شعبان لرمضان**».(2) وصالح بن محمد جزرة. وعبد الرحمن بن أبى حاتم، وابن خزيمة، وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفرايينى.

وقال الخطيب البغدادي: أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن نعيم الضبى، أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، سمعت أحمد بن سلمة يقول: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.(3) وأخبرنى ابن يعقوب، أخبرنا محمد بن نعيم، سمعت الحسين بن محمد الماسرجسي يقول: سمعت أبى يقول: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: صنفت هذا «المسند الصحيح» من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.(4)

وروى الخطيب قائلاً: حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عليّ السوذرجاني بأصبهان، سمعت محمد بن إسحاق بن منده، سمعت أبا عليّ الحسين بن عليّ النيسابورى يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث.(5) وقد ذُكر مسلم عند إسحاق بن راهويه فقال بالعجمية ما معناه: أى رجل كان هذا؟ وقال إسحاق بن منصور لمسلم: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين.(6)

وقد أثنى عليه جماعة من علماء أهل الحديث وغيرهم. وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم: قل ما يفوت البخارى ومسلمًا مما يثبت فى الحديث. وروى الخطيب عن أبى عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى قال: سألت أبا العباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ عن البخارى ومسلم أيهما أعلم؟ فقال: كان البخارى عالماً ومسلم عالماً، فكررت ذلك عليه مراراً وهو يرد عليَّ هذا الجواب، ثم قال لي: يا أبا عمرو قد يقع للبخارى الغلط فى أهل الشام، وذلك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره فى موضع آخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان، فأما مسلم فقل ما يقع له الغلط لأنه كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع والمراسيل.(7)

قال الخطيب: إنما قفا مسلم طريق البخارى، ونظر فى علمه وحذا حذوه. ولما ورد البخارى نيسابور فى

---

(1) «تاريخ بغداد» (13/ 101)، و«الوفيات» (5/ 194).
(2) الترمذى (687)، وحسنه الألبانى برقم (554).
(3-5) «تاريخ بغداد» (13/ 101).
(6) «تهذيب الكمال» (27/ 505)، و«السير» (12/ 563).
(7) «تاريخ بغداد» (13/ 102).

آخر أمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه. وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول: لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء.(1)

قال الخطيب: وأخبرني أبو بكر المنكدري، حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثني أبو نصر ابن محمد الوراق، سمعت أبا حامد أحمد بن حمدان القصار، سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبّل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام، حدثنا مخلد بن يزيد الحراني، حدثنا ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في كفارة المجلس، فما علته؟ فقال البخاري: هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلول، ثنا به موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب عن سهيل، عن عون بن عبد الله قوله. قال البخاري: وهذا أولى فإنه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من سهيل.(2) **قلت:** وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة، وأوردت فيه طرقه وألفاظه ومتنه وعلله، ولله الحمد والمنة.

قال الخطيب: وقد كان مسلم يناضل عن البخاري، رحمهما الله.(3) ثم ذكر ما كان وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور، وكيف نودي على البخاري بسبب ذلك بنيسابور، وأن الذهلي قال يومًا لأهل مجلسه وفيهم مسلم بن الحجاج: ألا من كان يقول بقول البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن فليعتزل مجلسنا. فنهض مسلم من فوره إلى منزله، وجمع ما كان سمعه من الذهلي جميعه وأرسل به إليه، وترك الرواية عن الذهلي بالكلية، فلم يرو عنه شيئاً لا في «صحيحه» ولا في غيره، واستحكمت الوحشة بينهما. هذا ولم يترك البخاري محمد بن يحيى الذهلي، بل روى عنه في «صحيحه» وغيره وعذره، رحمه الله.

وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله: أنه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوماً عن حديث، لم يعرفه فانصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لأهله: لا يدخل أحد الليلة عليَّ، وقد أهديت له سلة من تمر فهي عنده يأكل منها تمرة ويكشف حديثًا ثم يأكل أخرى ويكشف آخر، ولم يزل ذلك دأبه حتى أصبح، وقد أكل تلك السلة وهو لا يشعر. فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض من ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي، وهي سنة أربع ومائتين، فكان عمره سبعاً وخمسين سنة.(4) رحمه الله تعالى.

أبو يزيد البسطامي: اسمه طيفور بن عيسى بن علي، أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسيًا فأسلم، وكان لأبي يزيد أخوان صالحان عابدان، هو أجل منهما قيل له: بأي شيء وصلت إلى هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار. وكان يقول: دعوت نفسي إلى طاعة الله فلم تجبني فمنعتها الماء سنة. وقال

---

(1) «تاريخ بغداد» (13/ 102-103).

(2) «تاريخ بغداد» (13/ 103)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص 113)، وانظر تحقيق «عمل اليوم» حديث (447) للمحقق.

(3) انظر «تاريخ بغداد» (13/ 103).

(4) «تاريخ بغداد» (13/ 104)، و«تهذيب الكمال» (27/ 507).

أيضًا: إذا نظرتم إلى الرجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة.(1)

قال القاضي ابن خلكان: وله مقامات كثيرة ومجاهدات مشهورة، وكرامات ظاهرة. وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله.(2) **قلت:** قد حكى عنه كلمات فيها شطح، وقد تكلم كثير من الصوفية والفقهاء عليها؛ فمن متأول على المحامل البعيدة، أو قائل: إن هذا قاله في حال الاصطلام والسكر. ومن مبدِّع ومخطِّئ، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائتين

فيها: قدم يعقوب بن الليث في جحافل، فدخل واسطًا قهراً، فخرج الخليفة المعتمد بنفسه من سامرا لقتاله، فتوسط بين بغداد وواسط فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة، في جيش عظيم على ميمنته موسى بن بغا، وعلى ميسرته مسرور البلخي، فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً هائلاً، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه، وذلك يوم عيد الشعانين. فقتل منهم خلق كثيرون، وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والمسك والدواب. ويقال: إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان. ثم انصرف المعتمد إلى المدائن، ورد محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد، وأمر له بخمسمائة ألف درهم.(3)

وفيها: غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس، وهرب ابن واصل منها.

وفيها: كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة.

وفيها: ولي القضاء عليّ بن محمد بن أبي الشوارب.

وفيها: جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد.

وفيها: حج بالناس الفضل بن إسحاق العباسي.

قال ابن جرير: **وفيها** وقع بين الحناطين والجزارين بمكة، فاقتتلوا يوم التروية أو قبله بيوم. فقتل منهم سبعة عشر نفساً، وخاف الناس أن يفوتهم الحج بسببهم، ثم توادعوا إلى ما بعد الحج.(4)

وممن توفي فيها من الأعيان: **صالح** بن عليّ بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها. **وعمر** بن شبة النميري. **ومحمد** بن عاصم. **ويعقوب** بن شيبة صاحب «المسند» الحافل المشهور، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

فيها: جرت حروب كثيرة منتشرة في بلدان شتى، فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج قبحهم الله، حصرهم في بعض المواقف بعض الأمراء من جهة الخليفة، فقتل الموجودين عنده عن آخرهم، ولله الحمد والمنة.(5)

وفيها: سلمت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم لعنه الله.

---

(1) «الحلية» (10/ 40)، و«السير» (13/ 88).
(2) «الوفيات» (2/ 531).
(3) «الطبري» (9/ 516)، و«المنتظم» (12/ 173).
(4) «الطبري» (9/ 526-527).
(5) «الطبري» (9/ 530)، و«المنتظم» (12/ 189).

وفيها: تغلب أخو شركب الجمّال على نيسابور، وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر، وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة قبحه الله.

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسي.

وممن توفي فيها من الأعيان: **مساور بن عبد الحميد**: الشارى الخارجى، وقد كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين، والتف عليه خلق من الأعراب وغيرهم، وطالت مدته حتى قصمه الله.

ووزير الخلافة عبيد الله بن يحيى بن خاقان: صدمه فى الميدان خادم، يقال له: رشيق، فسقط عن دابته على أم رأسه، فخرج دماغه من أذنيه وأنفه فمات بعد ثلاث ساعات، وصلى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل، ومشى فى جنازته، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة من هذه السنة، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد، فلما قدم موسى بن بغا سامرا عزله واستوزر مكانه سليمان بن وهب، وسلمت دار عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكيغلغ.

وأحمد بن الأزهر. **والحسن** بن أبى الربيع. **ومعاوية** بن صالح الأشعرى.

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

فى المحرم منها: عسكر أبو أحمد وموسى بن بغا بسامرا وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر، وخرج المعتمد لتوديعهما، وسارا. فلما وصلا إلى بغداد توفى الأمير موسى بن بغا بها وحمل إلى سامرا ودفن بها.(1)

وفيها: ولى محمد بن المولد واسطاً فحاربه سليمان بن جامع نائبها من جهة الخبيث صاحب الزنج، فهزمه ابن المولد بعد حروب طويلة بينهما.

وفيها: سار ابن الديرانى إلى مدينة الدينور، فاجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبى دلف وابن عياض، فهزماه ونهبا أمواله ورجع مغلولاً. ولما توفى موسى بن بغا عزل الخليفة المعتمد الوزير الذى كان من جهته وهو سليمان بن وهب، وحبسه مقيداً وأمر بنهب دوره ودور أقربائه، ورد الحسن بن مخلد إلى الوزارة، فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد فسار بمن معه إلى سامرا، فتحصن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربى، فلما كان يوم التروية عبر جيش أبى أحمد إلى الجانب الذى فيه المعتمد فلم يكن بينهم قتال، بل اصطلحوا على رد سليمان بن وهب إلى الوزارة، وهرب الحسن بن مخلد فنهبت أمواله وحواصله واختفى أبو عيسى ابن المتوكل ثم ظهر، وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفاً من أبى أحمد.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمى الكوفى.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أحمد** بن عبد الرحمن بن وهب. **وإسماعيل** بن يحيى المزنى أحد رواة الحديث عن الشافعى من أهل مصر، وقد ترجمناه فى «طبقات الشافعيين»، وترجمه ابن خلكان في «الوفيات» أيضًا فأحسن وأطنب وأطيب.

وأبو زرعة: عبيد الله بن عبد الكريم الرازى. أحد الحفاظ المشهورين، قيل: إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث، وكان فقيهاً ورعاً زاهداً عابداً خاشعًا متواضعًا، أثنى عليه أهل زمانه بالحفظ والديانة، وشهدوا له بالتقدم على أقرانه، وكان فى حال شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل للمذاكرة يقتصر أحمد على الصلوات

(1) «الطبرى» (9/ 533).

المكتوبات، ولا يفعل المندوبات اكتفاء بالمذاكرة عن ذلك.[1] وكانت وفاته يوم الاثنين سلخ ذى الحجة من هذه السنة، وكان مولده سنة مائتين، وقيل: سنة تسعين ومائة، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة فى «التكميل».

ومحمد بن إسماعيل ابن علية قاضى دمشق. ويونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى، ممن روى عن الشافعى أيضًا. وقد ذكرناه فى «التكميل»، وفى «الطبقات».

وقبيحة أم المعتز: إحدى حظايا المتوكل على الله، جمعت من الجواهر واللآلئ والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها. ثم سلبت ذلك كله، وقتل ولدها المعتز لأجل نفقات الجند، وشحت عليه بخمسين ألف دينار تدارئ بها عنه. وكانت وفاتها فى ربيع الأول من هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

فيها: كانت وقعة بين ابن ليثويه عامل أبى أحمد على جنبلاء وبين سليمان بن جامع، ظفر فيها ابن ليثويه بابن جامع الذي من جهة الخبيث صاحب الزنج، فقتل خلقاً من أصحابه، وأصاب منهم سبعة وأربعين أسيراً، وحرق له مراكب كثيرة، وغنم منهم أموالاً جزيلة، ولله الحمد والمنة.[2]

وفى المحرم من هذه السنة: حاصر أحمد بن طولون نائب الديار المصرية مدينة أنطاكية، وفيها سيما الطويل، فلم يزل حتى فتحها بعد حروب يطول ذكرها، وقتل سيما المذكور. وأقام بها حتى جاءته هدايا ملك الروم، وفى جملتها أسارى من المسلمين، مع كل أسير مصحف، ومنهم عبد الله بن رشيد بن كاوس الذى كان عامل الثغور، فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكماله مع الديار المصرية، لأنه لما مات نائب دمشق أماجور ركب ابن طولون من مصر فتلقاه ابن أماجور إلى الرملة فأقره عليها. وسار إلى دمشق فدخلها ثم إلى حمص فتسلمها، ثم إلى حلب فاستحوذ عليها، ثم ركب إلى أنطاكية فكان من أمره ما تقدم. وكان أحمد بن طولون قد استخلف على الديار المصرية ابنه العباس، فلما بلغه قدوم أبيه عليه من الشام أخذ ما كان فى بيت المال من الحواصل، ووازره جماعة على ذلك، فساروا إلى برقة خارجاً عن طاعة أبيه، فبعث إليه من أخذه ذليلاً حقيراً، وردوه إلى مصر فحبسه وقتل جماعة من أصحابه.

وفيها: خرج رجل يقال له: القاسم بن مهارة، على دلف بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى، فقتله واستحوذ على أصبهان فانتصر أصحاب دلف له، فقتلوا القاسم هذا ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز.

وفيها: لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث فسار إليه فى المحرم منها، فأمر السلطان بنهب حواصله وأمواله وأملاكه وضياعه.

وفيها: دخل صاحب الزنج إلى النعمانية، فقتل وحرق، ثم سار إلى جرجرايا فانزعج الناس، ودخل أهل السواد إلى بغداد فلجأوا إليها محصورين.

وفيها: ولى أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند، ووجهه إليها بذلك وبالخلع والتحف.

وفيها: حاصرت الزنج تستر حتى كادوا يفتحونها، فوافاهم تكين البخارى فلم يضع ثياب سفره حتى

---

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 326)، و«تهذيب الكمال» (19/ 89)، و«السير» (13/ 65)، و«تذكرة الحفاظ» (2/ 557).
(2) «الطبرى» (9/ 542)، و«المنتظم» (12/ 197).

ناجز الزنج فهزمهم هزيمة فظيعة منكرة جداً، وقتل منهم خلقًا لا يحصون كثرة وهرب أميرهم عليّ بن أبان المهلبي مغلولاً مدحورًا مخذولاً.

قال ابن جرير: وهذه وقعة باب كودك المشهورة، ثم إن عليّ بن أبان المهلبي أخذ فى مكاتبة تكين واستمالته إليه وإلى صاحب الزنج، فشرع تكين فى الإجابة إلى ذلك، فبلغ خبره مسروراً البلخي، فسار نحوه وأظهر له الأمان حتى أخذه وقيده وتفرق جيشه عنه، ففرقة صارت إلى الزنج، وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكردى، وفرقة انضافت إلى مسرور البلخي بعد إعطائه إياهم الأمان، وولى مكانه على عمالته أميراً آخر يقال له: أغرتمش.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن منصور الرمادى: راوية عبد الرزاق، وقد صحب الإمام أحمد، وكان يعد من الأبدال، توفى عن ثلاث وثمانين سنة.

وسعدان بن نصر. **وعبد الله** بن محمد المخرمي. **وعليّ** بن حرب الطائى الموصلى. **وأبو حفص** النيسابورى عليّ بن موفق الزاهد. **ومحمد** بن سحنون.

قال ابن الأثير فى «كامله»: **وفيها** قتل أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي صاحب أبى عبيدة، والأصمعى قتله الزنج بالبصرة.

ويعقوب بن الليث الصفار: أحد الملوك العقلاء الأبطال. فتح بلاداً كثيرة من ذلك بلد الرخج التى كان بها ملك يحمل فى سرير من ذهب على رؤوس اثنى عشر رجلاً، وكان له بيت فى رأس جبل عال سماه مكة، فما زال حتى قتله وأخذ بلده، وأسلم أهلها على يديه، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة، وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم. ولما مات ولوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب مع شرطة بغداد وسامرا كما سيأتى.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

فى صفر منها: تغلب إساتكين على بلد الرى، وأخرج عاملها منها، ثم مضى إلى قزوين، فصالحه أهلها فدخلها، وأخذ منها أموالاً جزيلة، ثم عاد إلى الرى فمانعه أهلها عن الدخول إليها فقاتلهم ودخلها قهرًا.(1)

وفيها: أغارت سرية من الروم على ناحية ديار ربيعة، فقتلوا وسبوا ومثّلوا وأخذوا نحواً من مائتين وخمسين أسيرًا، فنفر إليهم أهل نصيبين وأهل الموصل، فهربت منهم الروم ورجعوا إلى بلادهم، لعنهم الله.

وفيها: ولى عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامرا لعبيد الله بن طاهر، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً، وأهدى إليه عمودين من ذهب، وذلك مضافاً إلى ما كان يليه أخوه من البلدان.

وفيها: سار أغرتمش لقتال على بن أبان المهلبى بتستر، فأخذ من كان فى السجن من أصحاب على بن أبان المهلبى من الأمراء فقتلهم عن آخرهم، ثم سار إلى علي بن أبان فاقتتلا قتالاً شديداً فى مرات عديدة، كان آخرها لعلى بن أبان المهلبى، قتل خلقاً من أصحاب أغرتمش وأسر بعضهم فقتلهم أيضاً، وبعث برؤوسهم إلى الخبيث صاحب الزنج، فنصب رؤوسهم على سور مدينته قبحه الله.

(1) «الطبرى» (9/ 549)، و«المنتظم» (12/ 200).

وفيها: وثب أهل حمص على عاملهم عيسى الكرخي، فقتلوه في شوال منها.

وفيها: دعا الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العقيقي أهل طبرستان إلى نفسه، وأظهر لهم أن الحسن بن زيد قد أسر، ولم يبقَ من يقوم بهذا الأمر غيره، فبايعوه. فلما بلغ ذلك الحسن بن زيد قصده فقاتله فقتله، ونهب أموال من اتبعه، وحرق دورهم.

وفيها: وقعت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية، وتغلب عليها رجل من أهل البيت من سلالة الحسن بن زيد الذى تغلب على طبرستان، وجرت شرور كثيرة هنالك بسبب قتل الجعفرية والعلوية يطول ذكرها.

وفيها: وثبت طائفة من الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحجيج منهم شدة عظيمة وبلاء شديد.

وفيها: أغارت الروم أيضاً على ديار ربيعة.

وفيها: دخل أصحاب صاحب الزنج إلى رامهرمز، فافتتحوها بعد قتال طويل.

وفيها: دخل ابن أبى الساج مكة، فقاتله المخزومى فقهره ابن أبى الساج، وحرق داره واستباح ماله، وذلك يوم التروية فى هذه السنة. وقد جعل إلى ابن أبى الساج إمرة الحرمين من جهة الخليفة.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد المتقدم ذكره قبلها.

وفيها: عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل خليفة الأندلس وبلاد المغرب، مراكب فى نهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر المحيط، لتسير الجيوش فى أطرافه إلى بعض البلدان ليقاتلوهم، فلما دخلت المراكب البحر المحيط تكسرت وتقطعت، ولم ينجُ من أهلها إلا اليسير وغرق أكثرهم.

وفيها: التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم ببلاد صقلية، فاقتتلوا فقتل من المسلمين خلق كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: حارب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون لموسى بن أتامش، فكسر جيشه وأسره لؤلؤ وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون، نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخلافة، ثم اقتتل لؤلؤ هذا وطائفة من الروم فقتل من العدو خلقاً كثيراً.

قال ابن الأثير: **وفيها** اشتد الحال، وضاق الناس ذرعاً بكثرة الهيج، وتغلب القواد والأجناد على كثير من البلاد بسبب ضعف الخليفة المعتمد واشتغال أخيه أبى أحمد بقتال الزنج.

وفيها: اشتد الحر فى تشرين الثانى جداً، ثم قوى به البرد حتى جمد الماء.

وممن توفى فيها من الأعيان: **إبراهيم** بن أورمة. **وصالح** ابن الإمام أحمد بن حنبل قاضى أصبهان. **ومحمد** بن شجاع الثلجي أحد عباد الجهمية. **ومحمد** بن عبد الملك الدقيقى.

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

فيها: وجه أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس فى نحو من عشرة آلاف فارس وراجل فى أحسن هيئة وأكمل تجمل لقتال الزنج، فساروا نحوهم فكان بينهم من القتال والنزال فى أوقات متعددات ووقعات مشهورات ما

يطول بسطه، وقد استقصاه الإمام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله فى «تاريخه» مبسوطًا.[1] وحاصل ذلك: أنه آل الحال وانتهى الحرب والجلاد والجدال والنزال إلى أن استحوذ أبو العباس ابن الموفق على ما كان استولى عليه الزنج ببلاد واسط وأراضى دجلة، هذا وهو شاب حَدَث لا خبرة له بالحرب، ولكن سلمه الله وغنمه وأعلى كلمته وسدد رميته وأجاب دعوته وفتح على يديه وأسبغ نعمته عليه، وهذا الشاب هو الذى ولى الخلافة بعد عمه المعتمد ولقب بالمعتضد كما سيأتى. ثم ركب أبو أحمد الموفق ناصر دين الله من بغداد فى صفر من هذه السنة فى جيوش كثيفة، فدخل واسطًا فى ربيع الأول منها، فتلقاه ابنه وأخبره عن الجيوش الذين معه، وما تحملوا من أعباء الجهاد، فخلع عليه وعلى الأمراء كلهم خلعًا سنية، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج وهو بالمدينة التى أنشأها وسماها المنيعة، فقاتلوا دونها قتالاً عظيمًا فقهرهم ودخلها عنوة وهربوا منها، فبعث فى آثارهم جيشاً فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون، وغنم أبو أحمد من المدينة شيئاً كثيراً، واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن بواسط، ثم أمر بهدم سور البلد وطم خندقها، وجعلها بلقعاً بعد ما كانت للبشر مجمعاً وعادت يبابًا بعد كونها للخبيث جنابًا.

ثم سار الموفق إلى المدينة التى يقال لها: المنصورة، من إنشاء الزنج أيضًا، وبها سليمان بن جامع، فحاصرها وقاتلوه دونها فقتل خلق كثير من الفريقين، ورمى أبو العباس ابن الموفق أحمدَ بن مهدي بسهم فأصابه فى دماغه فقتله، وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج فشق ذلك على الزنج جداً، وأصبح الناس محاصرين مدينة الزنج وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر، والجيوش الموفقية مرتبة أحسن ترتيب، فتقدم الموفق فصلى أربع ركعات، وابتهل إلى الله فى الدعاء واجتهد فى حصارها، فهزم الله مقاتلتها، وانتهى إلى خندقها، فإذا هو قد حُصِّن غاية التحصين، وإذا هم قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار، فجعل كلما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر فيقهرهم ويجوزه إلى الذى يليه، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلقاً كثيراً وهرب بقيتهم، وأسر من نساء الزنج ومن حلائل سليمان بن جامع وذويه نساء كثيرة وصبياناً، واستنقذ من أيديهم من النساء المسلمات والصبيان من أهل البصرة والكوفة وواسط نحواً من عشرة آلاف نسمة فسيّرهم إلى أهاليهم، جزاه الله خيراً. ثم أمر بهدم خنادقها وأسوارها وردم خنادقها وأنهارها، وأقام بها سبعة عشر يوماً وبعث فى آثار من انهزم من الزنج، فكان لا يؤتى بأحد منهم إلا استماله إلى الخير برفق ولين وصفح، وأضافه إلى بعض الأمراء، وكان مقصوده رجوعهم إلى الحق، ثم ركب إلى الأهواز فأجلاهم عنها وطردهم منها، وقتل خلقاً كثيراً من أشرافهم، منهم: أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصرى، وكان رئيساً فيهم مطاعاً، وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم، وكتب الموفق إلى صاحب الزنج قبحه الله كتاباً يدعوه إلى التوبة والإنابة مما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوة والرسالة وخراب البلدان واستحلال الفروج والأموال، يبذل له الأمان إن هو رجع إلى الحق، فلم يَرُدّ عليه صاحب الزنج جوابًا.

ذكر مسير أبي أحمد الموفق إلى المدينة التي فيها صاحب الزنج وهي المختارة ليحاصرها

لما كتب أبو أحمد إلى صاحب الزنج يدعوه إلى الحق فلم يجبه، استهانةً به، ركب فى جيوش عظيمة قريب من خمسين ألف مقاتل، قاصداً إلى مدينته التي أنشأها وسماها المختارة، فلما انتهى إليها وجدها فى

(1) «الطبرى» (9/ 557)، و«المنتظم» (12/ 211).

غاية الإحكام، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً، وقد التف على صاحب الزنج نحو من ثلاثمائة ألف مقاتل بسيف ورمح ومقلاع، ومن يكثر سوادهم، فقدم الموفق ولده أبا العباس بين يديه، فتقدم حتى وقف تحت قصر الملك فحاصره محاصرة لم ير مثلها، وتعجب الزنج من إقدامه وجرأته مع صغر سنة وحداثة عمره، فتراكمت الزنوج عليه من كل مكان فهزمهم، وأثبت بهبوذ أكبر أمرائه بالسهام والحجارة، ثم خامرت جماعة من أصحاب أمراء صاحب الزنج وأجناده إلى الموفق فأكرمهم وأعطاهم خلعاً سنية، فرغب إلى ذلك جماعة كثيرون فصاروا إليه.

ثم ركب أبو أحمد الموفق فى يوم النصف من شعبان، ونادى فى الناس كلهم بالأمان إلا صاحب الزنج، فتحول خلق كثير من جيشه إلى أبي أحمد ولله الحمد، وابتنى الموفق تجاه مدينة صاحب الزنج مدينة سماها الموفقية، وأمر بحمل الأمتعة والتجارات إليها، فاجتمع بها من أنواع الأشياء وصنوفها ما لم يجتمع فى بلد قبلها، وعظم شأنها وامتلأت من المعايش والأرزاق وصنوف التجارات والسكان والدواب وغيرهم، وإنما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزنج، ثم جرت بينهم حروب عظيمة، وما زالت الحرب ناشبة بينهم حتى انسلخت هذه السنة وهم محاصرون البلد الخبيث ومن فيه، وقد تحول منهم خلق كثير فصاروا على صاحب الزنج بعد أن كانوا معه، فبلغ عددهم قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء الخواص والأجناد، والموفق وأصحابه ولله الحمد كل ما لهم فى زيادة وقوة ونصر وظفر.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي.

وممن توفى فيها من الأعيان: إسماعيل بن سمويه. **وإسحاق** بن إبراهيم شاذان، **وبحر** بن نصر الخولاني، **وعباس** الترقفي، **ومحمد** بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرئ، صاحب خلف بن هشام البزار ببغداد فى ربيع الأول، ومحمد بن عزيز الأيلي، **ويحيى** بن محمد بن يحيى الذهلي حيكان، **ويونس** بن حبيب راوى «مسند أبى داود الطيالسي» عنه.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

فى المحرم منها: استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجان -وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج وثقاتهم فى أنفسهم- الموفق فأمنه وفرح به وخلع عليه وأمره فركب فى سمرته فوقف تجاه قصر الملك، فنادى فى الناس وأعلمهم بكذب صاحب الزنج وفجوره، وأنه فى غرور هو ومن اتبعه، فاستأمن بسبب ذلك بشر كثير منهم، وبرد قتال الزنج عند ذلك إلى ربيع الآخر. فعند ذلك أمر الموفق أصحابه بمحاصرة السور، وأمرهم إذا نقبوا السور أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم، فنقبوا السور حتى انثلم ثم عجلوا الدخول فدخلوا فقاتلهم الزنج فهزمهم المسلمون، وتقدموا إلى وسط المدينة فجاءتهم الزنج من كل جانب وخرجت عليهم الكمائن من أماكن لا يهتدون إليها، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً واستلبوهم وفر الباقون. فلامهم أبو أحمد على مخالفته من العجلة، وأجرى الأرزاق على ذرية من قتل منهم، فحسن ذلك عند الناس جداً. وظفر أبو العباس ابن الموفق بجماعة من الأعراب وغيرهم كانوا يجلبون الطعام إلى الزنج فقتلهم، وظفر ببهبوذ بن عبد الوهاب فقتله، وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين وأعظم الرزايا عند الزنج ولله الحمد.(1) وبعث عُمرو بن الليث إلى أبى أحمد الموفق ثلاثمائة ألف

(1) «الطبرى» (9/ 601)، و«المنتظم» (12/ 219).

دينار وخمسين مناً من مسك، وخمسين مناً من عنبر، ومائتى مَنٍّ من عود، وفضة بقيمة مائة ألف، وثياباً من وشى وغلماناً كثيرة جدًا.

وفيها: خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية، فحاصر أهل ملطية، فأعانهم أهل مرعش ففر الخبيث خاسئاً. وغزا الصائفة من ناحية الثغور عامل ابن طولون، فقتل من الروم سبعة عشر ألفًا.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمي المتقدم. **وفيها:** قتل أحمد بن عبد الله الخجستانى.

وفيها توفى من الأعيان: أحمد بن سيار. **وأحمد** بن شيبان. **وأحمد** بن يونس الضبى. **وعيسى** بن أحمد البلخى. **ومحمد** بن عبد الله بن عبدالحكم المصرى الفقيه المالكى، وقد صحب الشافعى وروى عنه.

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

في هذه السنة: اجتهد الموفق -وفقه الله- فى تخريب سور مدينة صاحب الزنج فخرب منه شيئاً كثيراً، وتمكن الجيوش من العبور إلى البلد، ولكن جاءه فى أثناء هذه الحالة سهم فى صدره من يد رجل رومى يقال له: قرطاس، فكاد يقتله، فاضطرب الحال لذلك وهو يتجلد ويحض على القتال مع ذلك، وأقام ببلده الموفقية أياماً يتداوى فاضطربت الأحوال وخاف الناس جدًا من صاحب الزنج، وأشاروا على الموفق بالمسير إلى بغداد فلم يقبل وقويت علته، ثم مَنَّ الله عليه بالعافية فى شعبان، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، فنهض مسرعاً إلى الحصار فوجد الخبيث قد رمم كثيراً مما كان الموفق قد خربه وهدمه. فأمر بتخريبه وما حوله وما قرب منه، ثم لازم الحصار وما انفك حتى فتح المدينة الغربية وخرب قصور صاحب الزنج ودور أمرائه، واستلب من أموالهم شيئاً كثيراً، وغنم ما لا يحد ولا يوصف كثرة، وأسر خلقًا من نساء الزنج واستنقذ من نساء المسلمين وصبيانهم خلقاً كثيراً فأمر بردهم إلى أهليهم مكرمين. وقد تحول صاحب الزنج إلى الجانب الشرقى، وعمل الجسور والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السميريات إليه، فأمر الموفق بتخريبها وقطع الجسور، واستمر الحصار في هذه السنة، وما برح حتى تسلم الجانب الشرقى أيضاً، واستحوذ على حواصله وأمواله، وفر الخبيث ذاهبًا وكر هارباً وترك حلائله وأولاده وحواصله، فأخذها الموفق ولله الحمد والمنة، وشرح ذلك كله يطول جدًا. وقد حرره مبسوطاً ابن جرير، ولخصه مبسوطًا ابن الأثير(1)، واختصره ابن كثير، والله الموفق إلى الصواب، وإليه المرجع والمآب.

ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه أبا أحمد قد استحوذ على أمور الخلافة، وصار هو الحاكم الآمر الناهى، الذي إليه تجلب الأموال ويحمل الخراج، وهو الذي يولى ويعزل، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك، فكتب إليه ابن طولون أن يتحول إلى عنده ببلاد مصر ووعده النصر والقيام معه، فاستغنم غيبة أخيه الموفق وركب فى جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد، وقد أرصد له أحمد بن طولون جيشاً بالرقة يتلقونه، فلما اجتاز الخليفة بإسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عنده عن المسير إلى ابن طولون، وقيد أعيان الأمراء الذين معه، وعاتب الخليفة ولامه على هذا الصنيع أشد اللوم، ثم ألزمه العود إلى سامرا ومن معه من الأمراء فرجعوا إليها فى غاية الذل والإهانة. ولما بلغ الموفق ذلك شكر سعى إسحاق، وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية، وكتب إلى أخيه أن يلعن

---

(1) «تاريخ الطبرى» (9/ 614-620)، و«الكامل» (7/ 374).

ابن طولون فى دار العامة، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك، وهو كاره، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق فى الخطب وأسقط اسمه عن الطرازات.

وفيها: فى ذى القعدة وقعت فتنة بمكة بين أصحاب الموفق وأصحاب ابن طولون، فقتل من أصحاب ابن طولون مائتان وهرب بقيتهم، واستلبهم أصحاب الموفق شيئاً كثيرًا.(1)

وفيها: قطعت الأعراب على الحجيج الطريق، وأخذوا منهم خمسة آلاف بعير بأحمالها.

وفيها توفى: إبراهيم بن منقذ الخولاني. **وأحمد** بن مخالد مولى المعتصم -وكان من دعاة المعتزلة- أخذ الكلام عن جعفر بن مبشر المعتزلى، **وسليمان** بن حفص المعتزلى، صاحب بشر المريسى، وأبى الهذيل العلاف، **وعيسى** بن الشيخ بن السليل الشيبانى، نائب أرمينية وديار بكر. **وأبو فروة** يزيد بن محمد الرهاوى أحد الضعفاء.

سنة سبعين ومائتين من الهجرة النبوية

فيها: كان مقتل صاحب الزنج قبحه الله، وذلك أن الموفق لما فرغ من شأن مدينة صاحب الزنج وهى المختارة، واحتاز ما كان بها من الأموال، وقتل من كان بها من الرجال، وسبى من وجد فيها من النساء والأطفال، وقد هرب صاحب الزنج عن حومة الجلاد والنزال، وسار إلى بعض البلاد طريداً شريداً بشرّ حال، عاد الموفق وفقه الله إلى مدينته الموفقية مؤيداً منصوراً، وقدم عليه لؤلؤة غلام أحمد بن طولون منابذاً لسيده سميعاً مطيعاً للموفق، فكان وروده عليه فى ثالث المحرم من هذه السنة، فأكرمه وعظمه وأعطاه وخلع عليه وأحسن إليه، وبعثه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزنج، وركب الموفق فى الجيوش الكثيفة الهائلة وراءه فقصدوا الخبيث، وقد تحصن ببلدة أخرى، فلم يزل محاصراً له حتى أخرجه منها ذليلاً وهو صاغر، واستحوذ على ما كان بها من الأموال والمغانم، ثم بعث السرايا والجيوش وراءه، فأسروا عامة من كان معه من خاصته وحماته، منهم سليمان بن جامع، فاستبشر الناس بأسره وكبروا فرحاً بالنصر والفتح. وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة على أصحاب الخبيث فاستحر فيهم القتل، وما انجلت الحرب حتى جاء البشير بقتل الخبيث صاحب الزنج فى المعركة، وأتى برأسه مع غلام لؤلؤة فتى أحمد بن طولون، فلما تحقق الموفق أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه بذلك، خر ساجداً لله عز وجل، ثم انكفأ راجعاً إلى الموفقية، ورأس الخبيث تحمل بين يديه، وسليمان معه أسير، فدخل البلد وهو كذلك، وكان يوماً مشهوداً وفرح المسلمون بذلك فى المشارق والمغارب. ثم جىء بأنكلاي ولد صاحب الزنج، وأبان بن على المهلبى، مسعر حربهم مأسورين ومعهما قريب من خمسة آلاف أسير، فتم السرور وهرب قرطاس الذى رمى الموفق في صدره بذلك السهم إلى رامهرمز، فأُخذ وبعث به إلى الموفق فقتله أبو العباس ولد الموفق. واستأمن من بقى من جيوش الزنج، فأمنهم الموفق ونادى فى الناس بالأمان، وأن يرجع كل من كان أخرج من دياره بسبب فتنة الزنج إلى أوطانهم وبلدانهم، ثم قدّم ولده أبا العباس بين يديه إلى بغداد ومعه رأس الخبيث يحمل ليراه أهل بغداد، فدخلها لثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة.

وكان يوماً مشهوداً ببغداد، وانتهت أيام صاحب الزنج المدعى الكذاب قبحه الله.(2) وقد كان ظهوره فى يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا

---

(1) «الطبرى» (9/ 652). (2) «الطبرى» (9/ 654)، و«المنتظم» (12/ 228).

من صفر سنة سبعين ومائتين. وكانت دولته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام، ولله الحمد والمنة. وقد قيل فى انقضاء دولة الزنج وما كان من النصر عليهم أشعار كثيرة، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أَقولُ وقد جاءَ البَشِيرُ بوقْعَةٍ * أعَزَّتْ مِنَ الإسْلامِ ما كانَ واهِيَا
جَزَى اللهُ خيرَ الناسِ للناسِ بعدَما * أُبيحَ حِمَاهُمْ خيرَ ما كانَ جازِيَا
تَفَرَّدَ -إذْ لم ينصُرِ اللهَ- ناصرٌ * بتَجْديدِ دينٍ كانَ أصبَحَ باليَا
وتجديدِ مُلكٍ قدْ وَهَى بعدَ عِزِّه * وأخْذٍ بثاراتٍ تُبِيرُ الأعادِيَا
وردِّ عِماراتٍ أُزيلَتْ وأُخْرِبَتْ * لِيرجِعَ فَيْءٌ قدْ تَخرَّمَ وافِيَا
وترجِعَ أمصارٌ أُبِيحَتْ وأُحرِقَتْ * مِرارًا فقدْ أمْسَتْ قَواءً عَوافِيَا
ويَشْفِى صُدورَ المسلمينَ بوقْعَةٍ * يُقَرُّ بها مِنَّا العيونَ البَواكِيَا
ويُتلَى كتابُ اللهِ في كلِّ مسجِدٍ * ويُلْقَى دعاءُ الطالِبِيينَ خاسِيَا
فأعرَضَ عن أحْبابِهِ ونعيمِهِ * وعن لذَّةِ الدُّنيا وأصبَحَ عارِيَا

وهي قصيدة طويلة، هذا طرف منها.(1)

وفى هذه السنة: أقبلت الروم فى مائة ألف مقاتل، فنزلوا قريباً من طرسوس، فخرج إليهم المسلمون، فبيتوهم فقتلوا منهم فى ليلة واحدة حتى الصباح نحواً من سبعين ألفاً من المقاتلة، ولله الحمد والمنة. وقتل المقدم الذى عليهم وهو بطريق البطارقة، وجرح أكثر الباقين، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة، من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة، وصليبهم الأعظم عندهم وهو من ذهب صامت مكلل بالجواهر، وأربعة كراس من ذهب، ومائتا كرسى من فضة، وآنية كثيرة، وعشرة آلاف علم من ديباج، وغنموا حريراً كثيراً، وخمسة عشر ألف دابة وسروجاً وسلاحاً وسيوفاً محلاة وشيئًا كثيرًا جدًا، ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن طولون: أبو العباس أمير الديار المصرية وبانى الجامع بها المنسوب إليه، وقد ملك دمشق والعواصم والثغور مدة طويلة، وقد كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد بن سامان السامانى عامل بخارى إلى المأمون فى سنة مائتين، ويقال: إلى الرشيد فى سنة تسعين ومائة. ولد أحمد هذا فى سنة أربع عشرة وقيل: في سنة عشرين ومائتين، ومات أبوه طولون فى سنة ثلاثين، وقيل: فى سنة أربعين ومائتين.

وحكى ابن خلكان أنه لم يكن ابنه وإنما تبناه. والله أعلم. وحكى ابن عساكر أنه من جارية تركية اسمها هاشم. ونشأ أحمد هذا في صيانة وعفاف ودراسة للقرآن العظيم، مع حسن الصوت، وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه من المحرمات والأشياء المنكرات، وكانت أمه جارية اسمها هاشم.

وحكى الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»(2) عن بعض مشايخ مصر أنّ طولون لم يكن أباه، وإنما كان قد تبناه، وأنه كان ظاهر النجابة من صغره، وأنه اتفق أن بعثه طولون في حاجة ليأتيه بها من قصر الإمارة، فذهب، فإذا حظية من حظايا أبيه مع بعض الخدم في فاحشة، فأخذ حاجته التي أمره بها، وكرّ راجعًا إليه

(1) «الطبرى» (9/ 663). (2) انظر ابن عساكر (5/ 89).

سريعًا، ولم يخبره بشيء مما رأى من ذلك، فتوهمت الحظية أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى، فجاءت إلى طولون فقالت: إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي، وانصرفت إلى قصرها، فوقع في نفسه صدقها، فاستدعى أحمد، وكتب معه كتابًا، وختمه إلى بعض الأمراء، أن إذا وصل إليك حامل هذا الكتاب فاضرب عنقه، وابعث برأسه سريعًا إليَّ. فذهب أحمد وهو لا يدري ما في الكتاب، فاجتاز في طريقه بقصر تلك الحظية، فاستدعته إليها، فقال: إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى فلان. فقالت: هلمَّ، فلي إليك حاجة -وأرادت أن تحبسه عندها؛ ليكتب لها كتابًا، لتحقق في ذهن الملك ما ذكرته من أمره، وأرسلت بذلك الكتاب مع الخادم الذي كانت هي وإياه على الفاحشة، وجلس أحمد يكتب لها الكتاب، وذهب ذلك الخادم إلى ذلك الأمير بالكتاب، فلما قرأه أمر بضرب عنقه، وأرسل برأسه إلى الملك طولون، فتعجب الملك وقال: أين أحمد؟ فطلب له، فقال: ويحك، أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من بين يدي؟ فأخبره بما جرى من الأمر، ولما سمعت تلك الحظية بأن رأس الخادم قد أُتي به إلى الملك سقط في يديها، وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال، فقامت إليه تعتذر وتستغفر مما وقع منها مع الخادم، واعترفت بالحق وبرأت ساحة أحمد، فحظي عنده، وأوصى له بالملك من بعده.

ثم ولي نيابة الديار المصرية للمعتز، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين، فأحسن إلى أهلها إحسانًا كثيرًا، وأنفق فيهم من بيت المال ومن صدقاته، واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار، وبنى بها الجامع، وغرم عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وكان فراغه في سنة تسع وخمسين، وقيل: في سنة ست وستين. وكانت له مائدة في كل يوم يحضرها الخاص والعام، وكان يتصدق في كلِّ شهر من خالص ماله بألف دينار. وقال له وكيله يومًا: إنه تأتيني المرأة وعليها الإزار وبذلة وهيئة فتسألني أفأعطيها؟ فقال: من مدَّ يده إليك فأعطه.

وكان من أحفظ الناس لتلاوة القرآن، ومن أطيبهم صوتًا به.

وقد قيل -فيما حكاه ابن خلكان-: إنه قتل صبرًا نحوًا من ثمانية عشر ألف نفس. والله أعلم. وبنى البيمارستان، فغرم عليه ستين ألف دينار، وعلى الميدان مائة وخمسين ألفًا، وكان له صدقات كثيرة جدًا، وإحسان زائد، ثم ملك دمشق بعد أميرها أماجور في سنة أربع وستين ومائتين، فأحسن إليهم أيضًا.(1)

واتفق أنه وقع بها حريق عند كنيسة مريم، فنهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي، ثم أمر كاتبه أن يخرج من مال الأمير سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدور والأموال التي أُحرقت، فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكروه، وبقي أربعة عشر ألف دينار، فأمر بها أن توزع عليهم على قدر حصصهم، ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق وغوطتها، فأقل ما حصل للفقير دينار، رحمه الله.

ثم خرج إلى أنطاكية، فحاصر بها صاحبها سيما حتى قتله، وتسلم البلد -كما ذكرنا ذلك فيما تقدم- ثم كانت وفاته بمصر في أوائل ذي القعدة من هذه السنة من علة أصابته من أكل لبن الجواميس، فأصابه ذرب، فداواه الأطباء، فلم يقبل منهم، فكان يأكل منه في الخفية، فمات رحمه الله.

---

(1) «الوفيات» (1/ 173).

وقد ترك من الأموال والأثاث والدواب شيئًا كثيرًا جدًا، من ذلك عشرة آلاف ألف دينار، وكان له ثلاثة وثلاثون ولدًا، منهم سبعة عشر ذكرًا، فقام بالأمر من بعده ولده خمارويه، وسيأتي ما كان من أمره.

وكان له من الغلمان أربعة وعشرون ألف غلام، ومن الموالي سبعة آلاف مولى، ومن البغال والخيل والجمال شيء كثيرٌ جدًا.

قال ابن خلكان: وإنما تغلب على البلاد لاشتغال الموفق طلحة بن المتوكل عنه بحرب صاحب الزنج، وقد كان الموفق نائب أخيه المعتمد على الله -وهو والد المعتضد- رحمهم الله.

وأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب، صاحب كتاب «الخراج»، قاله ابن خلكان. **وأحمد** بن عبد الله بن البرقي. **وأسيد** بن عاصم الجمال. **وبكار** بن قتيبة المصري في ذي الحجة من هذه السنة.

والحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب من هذه السنة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وقام بالأمر من بعده أخوه محمد بن زيد، وكان الحسن بن زيد كريمًا جوادًا ممدحًا، يعرف الفقه والعربية، قال له شاعر في جملة قصيدة مدحه بها:

*** اللَّـهُ فَـرْدٌ وابـنُ زيـدٍ فَـرْدُ ***

فقال له: ويلك، لا تقل، هلا قلت:

*** اللَّـهُ فَـرْدٌ وابـنُ زيـدٍ عـبـدُ ***

ثم نزل عن سريره، وخرَّ ساجدًا لله، عز وجل، وألصق خده بالتراب، ولم يعطِ ذلك الشاعر شيئًا.

وامتدحه بعضهم فقال في أول قصيدته:

لا تَقُلْ بُشْرَى ولكن بُشْرَيانِ * غـرَّةُ الدَّاعي ويومُ المهرجانِ

فقال له الحسن بن زيد: لو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن، وأبعد لك أن تبتدئ شعرك بحرف «لا». فقال له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة أجل من قول: لا إله إلا الله. فقال: أصبت. وأمر له بجائزة سنيَّة.

والحسن بن علي بن عفان العامري.

وداود بن علي الأصبهاني ثم البغدادي الفقيه الظاهري، إمام أهل الظاهر، روي عن أبي ثور، وإبراهيم بن خالد، وإسحاق بن راهويه، وسليمان بن حرب، وعبد الله بن سلمة القعنبي، ومسدد بن مسرهد، وغير واحد، وروى عنه ابنه الفقيه أبو بكر ابن داود، وزكريا بن يحيى الساجيُّ.

قال الخطيب: كان فقيهًا زاهدًا وفي كتبه حديث كثير، والرواية عنه عزيزة جدًا، وكانت وفاته ببغداد في هذه السنة، وكان مولده في سنة مائتين، وقيل: في سنة ثنتين ومائتين.(1) وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقاته» أن أصله من أصبهان، وولد بالكوفة، ونشأ ببغداد وأنه انتهت إليه رياسة العلم بها، وكان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر، وكان من المتعصبين للشافعي، وصنف مناقبه.

وقال غيره: كان حسن الصلاة والتواضع. وقد قال الأزدي: ترك حديثه. ولم يتابع الأزدي على ذلك.

لكن روي عن الإمام أحمد أنه تكلم فيه بسبب كلامه في القرآن، وأن لفظه به مخلوق، كما نسب إلى الإمام البخاري، رحمه الله. **قلت:** وقد كان من الفقهاء المشهورين، ولكن حصر نفسه بنفيه القياس

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 369-375).

الصحيح، فضاق بذلك ذرعه في أماكن كثيرة من الفقه، فلزمه القول بأشياء قطعية صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهم لمعنى النصٍّ.

وقد اختلف الفقهاء القياسيون بعده في الاعتداد بخلافه، وأنه هل ينعقد الإجماع بدونه مع خلافه أم لا؟ على أقوال ليس هذا موضع بسطها.

وممن توفي فيها: الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي وقد ترجمناه في «طبقات الشافعية».

والقاضي بكار بن قتيبة الحاكم بالديار المصرية من سنة ستٍّ وأربعين ومائتين إلى أن توفى مسجونًا في حبس أحمد بن طولون، لكونه لم يخلع الموفق في سنة سبعين، وكان عالمًا عابدًا زاهدًا كثير التلاوة والمحاسبة لنفسه، وقد شغر منصب القضاء بعده بمصر ثلاث سنين، وقد بسط ابن خلكان ترجمته في «الوفيات».

ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضيها، النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة، اشتغل ببغداد، وسمع بها الحديث على إسحاق بن راهويه، وطبقته، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السِّجستّاني وذويه، وصنف وجمع وألف الكتب الكثيرة؛ فمن ذلك كتاب «المعارف»، و«أدب الكاتب» الذي شرحه أبو محمد ابن السيد البطليوسي، وكتاب «مشكل القرآن والحديث»، و«غريب القرآن والحديث»، و«عيون الأخبار»، و«إصلاح الغلط»، وكتاب «الخيل»، وكتاب «الأنواء»، وكتاب «المسائل والجوابات»، وكتاب «الميسر والقداح»، وغير ذلك. وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل: في التي بعدها. ومولده في سنة ثلاث عشرة ومائتين، ولم يجاوز الستين، وروى عنه ولده أحمد جميع مصنفاته. وقد ولى ولده أحمد قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتوفي بها بعد سنة، رحمه الله.

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني. **ومحمد** بن مسلم بن وارةَ. **ومصعب** بن أحمد أبو أحمد الصوفي وكان من أقران الجنيد.

وفيها توفى: ملك الروم ابن الصقلبية، لعنه الله.

وفيها: ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مَدينة لاردة من بلاد الأندلس.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين

فيها: عزل الخليفة عمرو بن الليث عن ولاية خراسان وأمر بلعنه على المنابر، وفوَّض أمر خراسان إلى محمد بن طاهر، وبعث جيشاً إلى عمرو بن الليث فهزم عمرو.(1)

وفيها: كانت وقعة بين أبى العباس المعتضد بن الموفق أبى أحمد وبين خمارويه بن أحمد بن طولون، وذلك أن خمارويه لما ملك بعد أبيه بلاد مصر والشام جاءه جيش من جهة الخليفة عليهم إسحاق بن كنداج نائب الجزيرة وابن أبى الساج، فقاتلوه بأرض شيزر فامتنع من تسليم الشام إليهم، فاستنجدوا بأبى العباس ابن الموفق، فقدم إليهم فكسر جيش خمارويه بن أحمد وتسلم دمشق واحتازها، ثم سار نحو خمارويه إلى بلاد الرملة عند ماء عليه طواحين فاقتتلوا هنالك، فبذلك تسمى هذه وقعة الطواحين، ثم كانت النوبة أولاً لأبى العباس على خمارويه، فهزمه حتى هرب خمارويه لا يلوى على شىء، فلم يرجع حتى دخل الديار

(1) «الطبرى» (10/ 7)، و«المنتظم» (12/ 243).

المصرية، فأقبل أبو العباس وأصحابه على نهب معسكرهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل كمين لجيش خمارويه، وهم مشغولون بالغنيمة، فوضعت المصريون فيهم السيوف فقتل خلق كثير، وانهزم الجيش، وهرب أبو العباس المعتضد فلم يرجع حتى وصل إلى دمشق، فلم يفتح له أهلها بابها فانصرف حتى وصل إلى طرسوس، وبقى الجيشان المصرى والعراقى يقتتلان وليس في واحد منهما أمير. ثم كان الظفر للمصريين؛ لأنهم أقاموا أبا العشائر أخا خمارويه عليهم أميراً، فغلبوا بسبب ذلك واستقرت أيديهم على دمشق وسائر الشام، وهذه من أعجب الوقعات.

وفيها: جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب.

وفيها: دخل إلى المدينة النبوية محمد وعليّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب، فقتلا خلقاً كثيراً من أهلها وأخذا أموالاً جزيلة، وتعطلت الصلوات فى المسجد النبوى أربع جمع لم يحضر الناس فيها جمعة ولا جماعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجرت بمكة فتنة أخرى واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضاً.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق العباسي.

ومن توفى فيها من الأعيان: **عباس** بن محمد الدورى، تلميذ ابن معين وغيره من أئمة الجرح والتعديل. **وعبد الرحمن** بن محمد بن منصور البصرى. **ومحمد** بن حماد الطهراني. **ومحمد** بن سنان. **ويوسف** بن مسلم. **وبوران** بنت الحسن بن سهل، زوجة المأمون. ويقال: إن اسمها خديجة، وبوران لقب لها، والصحيح الأول. عقد عليها المأمون بفم الصلح سنة ثنتين ومائتين، ولها عشر سنين، فنثر أبوها على الناس يومئذ وعلى الناس بنادق المسك مكتوب فى ورقة وسط كل بندقة اسم قرية أو ملك أو جارية أو غلام أو فرس، فمن التقط من ذلك شيئًا ملكه، ونثر على عامة الناس الدنانير ونوافج المسك وبيض العنبر. وأنفق على المأمون وعسكره مدة مقامه تلك الأيام خمسين ألف ألف درهم. فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم، وأقطعه فم الصلح. وبنى بها في سنة عشر. فلما جلس المأمون فرشوا له حصيرًا من ذهب ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر، وهناك تور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين مناً من عنبر. فقال: هذا سرف، ونظر إلى ذلك الحب على الحصير فقال: قاتل الله أبا نواس حيث يقول فى صفة الخمر:

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِن فَواقعِها * حَصباءُ دُرٍّ على أرْضٍ مِنَ الذَّهبِ

ثم أمر بالدر فجمع فوضعه فى حجرها وقال: هذا نحلة منى لك، وسلى حاجتك. فقالت لها جدتها: سلى سيدك فقد استنطقك. فقالت: أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدى، فرضى عنه. ثم أراد الاجتماع بها فإذا هى حائض، وكان ذلك فى شهر رمضان، ثم توفى المأمون في سنة ثمان عشرة ومائتين، وتأخرت هي بعده حتى كانت وفاتها في هذه السنة ولها ثمانون سنة.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائتين

فى جمادى الأولى منها: سار نائب قزوين وهو أذكوتكين فى أربعة آلاف مقاتل إلى محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد، وهو بالرى فى جيش عظيم من الديلم وغيرهم،

فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمه أذكوتكين وغنم ما فى معسكره، وقتل من أصحابه ستة آلاف، ودخل الرى فأخذ من أهلها مائة ألف ألف دينار، وفرق عماله فى نواحى الرى.(1)

وفيها: وقع بين أبى العباس ابن الموفق وبين صاحب ثغر طرسوس وهو يازمان الخادم، فثار أهل طرسوس على أبى العباس فأخرجوه عنهم فرجع إلى بغداد.

وفيها: دخل حمدان بن حمدون وهارون الشارى مدينة الموصل، وصلى بهم الشارى فى جامعها الأعظم.

وفيها: عاثت بنو شيبان فى أرض الموصل وسعوا في الأرض فساداً.

وفيها: تحركت بقية الزنج فى أرض البصرة، ونادوا: يا أنكلاى يا منصور. وكان أنكلاى ابن صاحب الزنج، وسليمان بن جامع، وأبان بن على المهلبي، وجماعة من وجوه أمرائهم فى حبس الموفق فبعث إليهم فقُتلوا، وحملت رؤوسهم إليه، وصلبت أبدانهم ببغداد، وسكنت الشرور.

وفيها: صلح أمر المدينة النبوية وتراجع الناس إليها ولله الحمد.

وفيها: جرت حروب كثيرة ببلاد الأندلس، وتسلمت الروم من المسلمين بلدين عظيمين من الأندلس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس إلى واسط، فأمر الموفق القواد أن يتلقوه فدخل فى أبهة عظيمة، ولكن ظهر منه تيه وعجب شديد، فأمر الموفق عما قريب بالقبض عليه وعلى أهله وأمواله وحواصله، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق العباسي، أمير الحج منذ دهر.

وممن توفى فيها من الأعيان: ابراهيم بن الوليد الجشاش. **وأحمد** بن عبد الجبار بن محمد بن عطارد العطاردى التميمى، راوى السيرة عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق بن يسار وغير ذلك. **وأبو عتبة** الحجازى. **وسليمان** بن سيف. **وسليمان** بن وهب الوزير فى حبس الموفق. **وشعيب** بن بكار يروى عن أبى عاصم النبيل. **ومحمد** بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطى، ويلقب بكيلجة، وهو من تلاميذ يحيى بن معين. **ومحمد** بن عبد الوهاب الفراء. **ومحمد** بن عبيد الله المنادى. **ومحمد** بن عوف الحمصى.

وأبو معشر المنجم: واسمه جعفر بن محمد البلخى أستاذ عصره فى صناعة التنجيم، وله فيه التصانيف المشهورة، كالمدخل والزيج والألوف وغيرها. وتكلم على ما يتعلق بالتيسير وكذلك بالأحكام. قال القاضي ابن خلكان: وله إصابات عجيبة، ثم حكى أن بعض الملوك تطلب رجلاً، فذهب ذلك الرجل فاختفى وخاف من أبى معشر المنجم أن يدل عليه الملك بصنعته، فعمد إلى طست فملأه دماً ووضع أسفله هاوناً وجلس على ذلك الهاون، فاستدعى الملك أبا معشر، فضرب رمله وحرر أمره، ثم قال: هذا عجيب، أجد هذا الرجل جالسًا على جبل من ذهب فى وسط بحر من دم، ولكن ليس هذا فى الدنيا. ثم أعاد الضرب فوجده كذلك، فتعجب الملك أيضًا ونادى فى البلد بأمان المذكور، فلما مثل بين يدى الملك سأله: أين اختفى؟ فأخبره بأمره فتعجب الناس من ذلك.(2) **قلت:** والظاهر أن الذى ينسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الزجر، والطرف واختلاج الأعضاء إنما هو منسوب إلى جعفر بن محمد هذا، وليس بالصادق. والله أعلم.

---

(1) «الطبرى» (10/ 9)، و«المنتظم» (12/ 249). (2) «الوفيات» (1/ 358).

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

وفيها: وقع بين إسحاق بن كنداج نائب الموصل والجزيرة وبين صاحبه ابن أبى الساج نائب قنسرين وغيرها بعد ما كانا متفقين، وكاتب ابن أبى الساج خمارويه صاحب مصر، وخطب له ببلاده وقدم خمارويه إلى الشام فاجتمع به ابن أبى الساج، ثم سار إلى إسحاق بن كنداج فتواقعا، فانهزم ابن كنداج وهرب إلى قلعة ماردين، فحاصره بها ثم ظهر أمر ابن أبى الساج واستحوذ على الموصل وبلاد الجزيرة، وخطب بها لخمارويه واستفحل أمره جدًا.(1)

وفيها: قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره بأربعمائة ألف دينار وسجنه، فكان يقول: ليس لى ذنب إلا كثرة مالى، ثم أخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل، فعاد إلى الديار المصرية فى أيام هارون بن خمارويه، ومعه غلام واحد. وهذا جزاء كفر نعمة سيده عليه.(2)

وفيها: عدا أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه، وتملك بعده أحد أولاده.

وفيها كانت وفاة: محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموى. صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة. وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً، وكان أبيض مشرباً بحمرة، ربعة، أوقص يخضب بالحناء والكتم، وكان عاقلاً لبيباً، وكان يدرك الأشياء المشتبهة، وخلف ثلاثة وثلاثين ذكراً، وقام بالأمر بعده ولده المنذر، فأحسن إلى الناس فأحبوه.

وفيها كانت وفاة: خالد بن أحمد أبي الهيثم الذهلي. الذى كان أمير خراسان فى حبس المعتمد على الله، وهذا الرجل هو الذى أخرج البخاريّ من بخارَى، فدعا عليه فلم يفلح بعدها، ولم يبق فى الإمرة إلا أقل من شهر حتى احتيط عليه وعلى أمواله وحواصله وأركب حماراً، ونودى عليه فى بلده، ثم سجن فمات فيه فى هذه السنة، وهذا جزاء من تعرض لأهل السنة وأئمة الحديث.

وممن توفى فيها أيضًا من الأعيان: إسحاق بن سيار، **وحنبل** بن إسحاق ابن عم الإمام أحمد بن حنبل، وأحد الرواة المشهورين عنه، على أنه قد اتُّهم فى بعض ما يرويه ويحكيه، والله أعلم. **وأبو أمية** الطرسوسى. **والفتح** بن شخرف أحد مشايخ الصوفية، ذوى الأحوال والكرامات والمقامات والكلمات النافعات. ووهم ابن الأثير فى قوله فى «كامله»: إن أبا داود صاحب «السنن» توفى فى هذه السنة، بل في سنة خمس وسبعين كما سيأتى.

ابن ماجه القزوينى: صاحب «السنن»، وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد، ابن ماجه القزويني مولى ربيعة، صاحب كتاب «السنن» المشهورة، وهى دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة النبوية فى الأصول والفروع، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً، وألف وخمسمائة باب، ويحتوي على أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسير، وقد حُكى عن أبى زرعة الرازى أنه انتقد منها بضعة عشر حديثاً. ربما يقال: إنها موضوعة أو منكرة جداً، وله تفسير حافل وتاريخ كامل من لدن الصحابة إلى عصره، قال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى: أبو عبد الله محمد بن يزيد، ويعرف يزيد بماجه مولى ربيعة، عالم بهذا الشأن صاحب تصانيف في التاريخ والسنن، ارتحل إلى العراقين ومصر والشام، ثم ذكر طرفاً من مشايخه، وقد ترجمناهم

(1) «الطبرى» (10/ 12)، و«المنتظم» (12/ 255). (2) «الطبرى» (10/ 12).

فى كتابنا «التكميل» ولله الحمد والمنة. قال: وقد روى عنه الكبار القدماء: ابن سيبويه، ومحمد بن عيسى الصفار، وإسحاق بن محمد، وعليّ بن إبراهيم بن سلمة القطان، وجدى أحمد بن إبراهيم، وسليمان بن يزيد.

وقال غيره: كانت وفاته يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة، وصلى عليه أخوه أبو بكر، وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبى عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

فيها: نشبت الحرب بين أبى أحمد الموفق وبين عمرو بن الليث بفارس، فقصده أبو أحمد فهرب منه عمرو من بلد إلى بلد، ويتبعه ثم لم يقع بينهما قتال ولا مواجهة، وقد تحيز إلى أبي أحمد الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث، وهو أبو طلحة شركب الجمّال، ثم أراد العود فقبض عليه أبو أحمد الموفق وأباح ماله لولده أبى العباس المعتضد، وذلك بالقرب من شيراز.(1)

وفيها: غزا يازمان الخادم نائب طرسوس بلاد الروم فأوغل فيها، فقتل وغنم وسلم.

وفيها: دخل صديق الفرغانى سامرا فنهب دور التجار بها، وكر راجعاً، وقد كان هذا الرجل ممن يحرس الطرقات، فترك ذلك وأقبل يقطعها، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته.

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن أحمد بن يحيى بن الأصم أبو إسحاق، قال ابن الجوزى فى «المنتظم»: كان حافظاً فاضلاً، روى عن حرملة وغيره. توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة.

إسحاق بن إبراهيم بن زياد، أبو يعقوب المقرئ، حدَّث عن هدبة، وعنه ابن مخلد. توفى فى ربيع الأول منها.

أيوب بن سليمان بن داود الصغدي، يروى عن آدم بن أبي إياس وأبي اليمان وعلى بن الجعد، وعن ابن صاعد وابن السماك، وكان ثقة. توفى فى رمضان منها.

الحسن بن مكرم بن حسان بن عليّ البزار، سمع عفان وأبا النضر ويزيد بن هارون وغيرهم، وعنه المحاملى وابن مخلد والنجاد، وكان ثقة. توفى في رمضان منها عن ثلاث وسبعين سنة.

خلف بن محمد بن عيسى، أبو الحسين الواسطى، الملقب بكردوس، روى عن يزيد بن هارون وغيره، وعنه المحاملى وابن مخلد. قال ابن أبى حاتم: صدوق، وقال الدارقطنى: ثقة. توفى فى ذى الحجة منها، وقد نيف على الثمانين.

عبد الله بن روح بن عبد الله أبو محمد المدائنى، المعروف بعبدوس، روى عن شبابة ويزيد بن هارون، وعنه المحاملى وابن السماك وأبو بكر الشافعى، وكان من الثقات. توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة.

عبد الله بن أبى سعد، أبو محمد الوراق، أصله من بلخ، وسكن بغداد، روى عن سريج بن يونس وعفان وعلى بن الجعد وغيرهم، وعنه ابن أبى الدنيا والبغوى والمحاملى، وكان ثقة صاحب أخبار وآداب ومُلَح. توفى بواسط فى جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة.

محمد بن إسماعيل بن زياد، أبو عبد الله، وقيل: أبو بكر الدولابى، سمع أبا النضر وأبا اليمان وأبا مسهر، وعنه أبو الحسين ابن المنادى ومحمد بن مخلد وابن السماك، وكان ثقة.

(1) «الطبرى» (10/ 13)، و«المنتظم» (12/ 261).

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

فى المحرم منها: وقع الخلف بين ابن أبى الساج وبين خمارويه، فاقتتلا عند ثنية العقاب شرقى دمشق فغُلب ابن أبى الساج وانهزم، وكانت حواصله بحمص، فبعث خمارويه من سبقه إليها فأخذها، ومنع منه حمص، فذهب إلى حلب فمنعه خمارويه فسار إلى الرقة فاتبعه، فذهب إلى الموصل ثم انهزم منها خوفاً من خمارويه، ووصل خمارويه إلى بلد واتخذ له بها سريراً طويل القوائم، وكان يجلس عليه فى الفرات، فعند ذلك طمع فيه إسحاق بن كنداج فسار وراءه ليظفر منه بشىء فلم يقدر، وقد التقيا فى بعض الأيام فصبر له ابن أبى الساج صبراً عظيماً، فسلم وانصرف إلى أبي أحمد الموفق ببغداد فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر ومضر من الجزيرة.(1)

وفي هذه السنة: فى شوال منها سجن أبو أحمد الموفق ابنه أبا العباس المعتضد فى دار الإمارة، وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه، فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التى كان عمه المعتمد ولاه إياها، فغضب عليه وأمر بسجنه فثارت الأمراء واختبطت بغداد وركب الموفق إلى بغداد، وقال للناس: أتظنون أنكم أشفق على ولدى منى؟ فسكن الناس عند ذلك وتراجعوا إلى منازلهم ثم أفرج عنه، ولله الحمد والمنة.

وفي هذه السنة: سار رافع إلى محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد العلوى فأخذ منه مدينة جرجان، فهرب إلى أستراباذ فحصره بها سنتين فغلا بها السعر حتى بيع الملح بها وزن الدرهم بدرهمين، فهرب محمد بن زيد منها ليلاً إلى سارية، ثم أخذ منه رافع بلاداً كثيرة بعد ذلك فى مدة متطاولة.

وفى المحرم منها، أو فى صفر: كانت وفاة المنذر بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس عن ست وأربعين سنة. وكانت ولايته سنة وأحد عشر شهرًا وعشرة أيام، وكان أسمر طويلاً بوجهه أثر جدرى، جواداً ممدحاً يحب الشعراء ويصلهم بمال كثير، وخلف من الأولاد ستة ذكور، وقام بالأمر من بعده أخوه عبد الله بن محمد فامتلأت بلاد الأندلس فى أيامه فتناً وشروراً حتى هلك كما سيأتى.

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو بكر أحمد بن محمد الحجاج المروذي: صاحب الإمام أحمد، كان من الأئمة الأذكياء، وكان أحمد يقدمه على جميع أصحابه ويأنس به ويبعثه فى الحاجة، ويقول: قل ما شئت. وهو الذى أغمض الإمام أحمد، وكان فيمن غسله أيضًا، وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة، وحصلت له رفعة عظيمة شيعه إلى سامرا حين أراد الغزو خمسون ألفًا.

أحمد بن محمد بن غالب بن خالد بن مرداس: أبو عبد الله الباهلى البصرى المعروف بغلام خليل، سكن بغداد، وروى عن سليمان بن داود الشاذكونى، وشيبان بن فروخ، وقرة بن حبيب وغيرهم، وعنه ابن السماك وابن مخلد وغيرهما، وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديث رواها منكرة عن شيوخ مجهولين. قال أبو حاتم: ولم يكن ممن يفتعل الحديث، كان رجلاً صالحاً.(2) وكذبه أبو داود وغير واحد.(3) وروى ابن عدى عنه: أنه اعترف بوضع الحديث ليرقق به قلوب الناس(4)، وكان عابداً زاهداً يقتات الباقلاء

(1) «الطبرى» (10/ 14)، و«المنتظم» (12/ 264).
(2) «الجرح» (2/ 73).
(3) «لسان الميزان» (1/ 273).
(4) «الكامل فى الضعفاء» (1/ 199).

الصرف، وحين مات أغلقت أسواق بغداد وحضر الناس للصلاة عليه، ثم حمل فى زورق إلى البصرة فدفن بها، وكان ذلك فى رجب من هذه السنة.

وأحمد بن ملاعب: روى عن يحيى بن معين وغيره، وكان ثقة دينًا عالـمًا فاضلاً، انتشر به علم كثير من الحديث.

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري: النحوى اللغوى، صاحب التصانيف.

وإسحاق بن إبراهيم بن هانئ: أبو يعقوب النيسابورى، كان من أخصاء أصحاب الإمام أحمد وعنده اختفى فى زمن المحنة.

وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق: التميمى العطار الموصلى. قال ابن الأثير: كان كثير الحديث معدلاً عند الحكام. **ويحيى بن أبى طالب.**

وأبو داود السجستانى: صاحب «السنن»، وهو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران أبو داود الأزدي السجستانى، أحد أئمة الحديث الرحالين الجوالين في الآفاق والأقاليم، جمع وصنف وخرج وألف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان فى الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك، وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء، التى قال فيها أبو حامد الغزالى: يكفى المجتهد معرفتها من الأحاديث النبوية.[1] وحدث عنه جماعة منهم: ابنه أبو بكر عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائى، وأحمد بن سلمان النجاد، وهو آخر من روى عنه فى الدنيا. سكن أبو داود البصرة وقدم بغداد غير مرة، وحدث بكتابه «السنن» بها، ويقال: إنه صنفه بها وعرضه على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه.

وقال الخطيب البغدادي: حدثنى أبو بكر محمد بن على بن إبراهيم القارئ الدينورى بلفظه، قال: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفرضي قال: سمعت أبا بكر ابن داسه يقول: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يعني كتاب «السنن»، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها قوله عليه السلام: «**الأعمال بالنيات**». والثانى قوله: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**». والثالث قوله: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه**». والرابع قوله: «**الحلال بين والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات**».[2]

وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلى: أن أبا بكر الخلال قال: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الإمام المقدم فى زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعه أحد من أهل زمانه، رجل ورع مقدم قد سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً كان أبو داود يذكره[3]، وكان إبراهيم الأصبهانى وأبو بكر ابن صدقة يرفعون من قدره ويذكرونه بما لا يذكرون أحدًا فى زمانه مثله.

قلت: الحديث الذى كتبه عنه وسمعه منه الإمام أحمد هو ما رواه من حديث حماد بن سلمة عن أبى العشراء الدارمى عن أبيه «أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة فحسنها»[4]. وقال إبراهيم الحربى وغيره:

---

(1) «المستصفى فى أصول الفقه» (2/ 351).
(2، 3) «تاريخ بغداد» (9/ 57).
(4) «تاريخ بغداد» (9/ 57)، والحديث خرجته فى «أحكام الذبائح» وهو مطبوع.

ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد.[1] وقال غيره: كان أحد حفاظ الإسلام للحديث وعلله وسنده. وكان فى أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث[2]. وقال غيره: كان ابن مسعود يشبه بالنبيﷺ فى هديه ودله وسمته، وكان علقمة يشبهه، وكان إبراهيم يشبه علقمة، وكان منصور يشبه إبراهيم، وكان سفيان يشبه منصوراً، وكان وكيع يشبه سفيان، وكان أحمد يشبه وكيعاً، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل.[3] وقال محمد بن بكر بن عبد الرزاق: كان لأبى داود كم واسع وكم ضيق فقيل له: ما هذا يرحمك الله؟ فقال: هذا الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.[4] وقد كان مولد أبى داود فى سنة اثنتين ومائتين، وتوفى بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثورى. وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا «التكميل» وذكرنا ثناء الأئمة عليه.

محمد بن إسحاق بن إبراهيم: أبو العنبس الصيمري الشاعر، كان مجيداً في شعره، أديبًا كثير المُلَح، وكان هجاء، ومن جيد شعره قوله:

كم مُريضٍ قد عاشَ مِن بعدِ يأسٍ * بعدَ موتِ الطَّبيبِ والعُوَّادِ

قد يُصادُ القَطَا فيَنْجُو سليمًا * ويَحُلُّ القضاءُ بالصيَّادِ

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

فى المحرم منها: أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد، وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور، ثم أُسقط اسمه في شوال منها، وعزل عن ذلك وولى عبيد الله بن طاهر.[5]

وفيها: ولى الموفق ابن أبى الساج نيابة أذربيجان.

وفيها: قصد هارون الشارى الخارجي مدينة الموصل فنزل شرقي دجلتها فحاصرها، فخرج إليه أشراف أهلها فاستأمنوه فأمنهم ورجع عنهم.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد العباسى أمير الحرمين والطائف، ولما رجع حجاج اليمن نزلوا فى بعض الأماكن، فجاءهم سيل فلم يشعروا به حتى غرقهم كلهم فلم يفلت منهم أحد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وذكر ابن الجوزى فى «منتظمه» وابن الأثير فى «كامله»: أن فى هذه السنة انفرج تل فى أرض البصرة يعرف بتل بنى شقيق عن سبعة أقبر فى مثل الحوض، وفيه سبعة أبدانهم صحيحة وأكفانهم يفوح منهم ريح المسك، أحدهم شاب له جمة وعلى شفتيه بلل كأنه قد شرب ماء، وكأن عينيه مكحلتان، وبه ضربة فى خاصرته، وأراد بعض من حضره أن يأخذ من شعره شيئًا فإذا هو قوى كشعر الحي.[6]

---

(1) ابن عساكر (24/ 138)، و«تهذيب الكمال» (11/ 365).
(2) ابن عساكر (24/ 139)، و«تهذيب الكمال» (11/ 365).
(3) ابن عساكر (24/ 130).
(4) «تاريخ بغداد» (9/ 58).
(5) «الطبرى» (10/ 16)، و«المنتظم» (12/ 273).
(6) «المنتظم» (12/ 273)، و«الكامل» (7/ 437).

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن حازم بن أبى غرزة الحافظ: صاحب «المسند» المشهور، له حديث كثير ورواية عالية.

ويقى بن مخلد: أبو عبدالرحمن الأندلسى الحافظ الكبير، صاحب «المسند» المبوب على الفقه، روى فيه عن ألف وستمائة صحابى، وقد فضله ابن حزم على «مسند الإمام أحمد»، وعندى فى ذلك نظر، والظاهر أن «مسند أحمد» أجود منه فإنه ليس هو ببلادهم، ولا وقع لهم روايته، ولو اطلع عليه ووقف على ما فيه لما فضل عليه مسندًا من المسندات، اللهم إلا أن يكون بقيّ قد سمع من أحمد جميع «المسند»، وزاد عليه، كما قد يسر الله من الزيادات التي ألحقناها بـ«مسند الإمام أحمد». ولله الحمد والمنة.

وقد رحل بقيّ إلى العراق فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المائتين بأربعة وثمانين شيخاً، وله تصانيف أخر، وكان مع ذلك رجلاً صالحاً عابداً زاهداً مجاب الدعوة، ذكر القشيري إن امرأة جاءته فقالت: إن ابنى قد أسرته الإفرنج، وإنى لا أنام الليل من شوقى إليه، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأستفكه، فإن رأيت أن تسير إلى أحد يأخذها لأسعى فى فكاكه، فليس لى ليل ولا نهار، ولا صبر ولا قرار. فقال: نعم انصرفى حتى ننظر فى ذلك إن شاء الله. وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص، فذهبت المرأة فما كان إلا عن قليل حتى جاءت وابنها معها، فقالت: اسمع خبره يرحمك الله. فقال: كيف كان أمرك؟ فقال: إنى كنت فيمن يخدم الملك ونحن فى القيود، فبينما أنا ذات يوم أمشى إذ سقط القيد من رجلى، فأقبل الموكل بنا فشتمنى، وقال: فككت القيد من رجليك؟ فقلت: لا والله ولكنه سقط ولم أشعر، فجاؤوا بالحداد فأعاده وشد مسماره وأيده، ثم قمت فسقط أيضاً فأعادوه وأكدوه فسقط أيضاً، فسألوا رهبانهم فقالوا: له والدة؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنه قد استجيب دعاؤها أطلقوه، فأطلقونى وخفرونى حتى وصلت إلى بلاد الإسلام. فسأله بقى بن مخلد عن الساعة التى سقط فيها القيد من رجليه فإذا هى الساعة التى دعا فيها الله له.

صاعد بن مخلد الكاتب: كان كثير الصدقة والصلاة، وقد أثنى عليه أبو الفرج ابن الجوزى في «منتظمه» وتكلم فيه ابن الأثير فى «كامله»، وذكر أنه كان فيه تيه وحمق، وقد يمكن الجمع بين القولين وهاتين الصفتين.

ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينورى ثم البغدادى، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء، روى عن إسحاق بن راهويه، وغير واحد، وله التصانيف المفيدة المشهورة الأنيقة؛ كـ: «غريب القرآن»، و«مشكله»، و«المعارف»، و«أدب الكاتب»، و«عيون الأخبار» وغير ذلك، وكان ثقة نبيلاً جليلاً من الأئمة وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن فى منزله شيء من تصانيفه، وكان سبب وفاته: أنه أكل لقمة من هريسة، فإذا هى حارة فصاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت الظهر، ثم أفاق ثم لم يزل يتشهد إلى أن مات وقت السحر أول ليلة من رجب من هذه السنة، وقيل: إنه توفى فى سنة سبعين ومائتين، والصحيح فى هذه السنة.

عبد الملك بن محمد بن عبد الله: أبو قلابة الرقاشي، أحد الحفاظ، وكان يكنى بأبى محمد، ولكن غلب عليه لقب أبو قلابة، سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وأبا داود الطيالسى وغيرهم، وعنه ابن صاعد والمحاملى والبخارى وأبو بكر الشافعى وغيرهم.وكان صدوقاً عابداً يصلى فى كل يوم أربعمائة ركعة، وروى من حفظه ستين ألف حديث، غلط فى بعضها لا على سبيل العمد، وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة عن ست وثمانين سنة.

ومحمد بن أحمد بن أبي العوام، **ومحمد** بن إسماعيل الصائغ. **ويزيد** بن عبدالصمد.

وأبو الرداد المؤذن: وهو عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن، صاحب المقياس بمصر، الذى هو مسلَّم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا. قاله القاضي ابن خلكان في «الوفيات».

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

فيها: خطب يازمان نائب طرسوس لخمارويه، وذلك أنه هاداه بذهب كثير وتحف هائلة من حرير وغير ذلك.(1)

وفيها: قدم قائد عظيم من أصحاب خمارويه إلى بغداد.

وفيها: ولى المظالم ببغداد يوسف بن يعقوب، ونودى فى الناس: من كانت له مظلمة ولو عند الأمير الناصر لدين الله أبي أحمد الموفق، أو عند أحد من الناس فليحضر. وسار فى الناس سيرة حسنة، وأظهر صرامة لم ير مثلها.

وحج بالناس هارون بن محمد الهاشمي.

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن إسحاق بن أبى العنبس أبو إسحاق الكوفى، قاضى بغداد بعد ابن سماعة، سمع يعلى بن عبيد وغيره، وحدَّث عنه ابن أبى الدنيا وغيره، توفى عن ثلاث وتسعين سنة، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً.

أحمد بن عيسى: أبو سعيد الخراز أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، وله تصانيف فى ذلك، وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد وضيق الحال، وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم وغيره، وعنه عليّ بن محمد المصرى وجماعة. ومن جيد كلامه قوله رحمه الله: إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم.(2) وقوله: العافية تستر البر والفاجر، فإذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال.(3) وقوله: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل.(4) وقوله: الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت حاضر. وقوله: ذنوب المقربين حسنات الأبرار.(5) وقال: الرضا قبل القضاء تفويض، والرّضا مع القضاء تسليم.(6) وقد روى البيهقى بسنده إليه: أنه سئل عن قول النبى ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»(7). فقال: يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل إليه بكليته؟

قلت: وهذا الحديث ليس بصحيح، ولكن كلامه عليه أحسن. وقال ابنه سعيد: طلبت من أبى دانق فضة فقال: يا بنى اصبر فلو أحب أبوك أن يركب الملوك إلى بابه ما تأبوا عليه.(8) وروى الحافظ ابن عساكر عنه قال: أصابنى مرة جوع شديد فهممت أن أسأل الله طعامًا، فقلت: هذا ينافى التوكل فهممت أن أسأله صبراً، فهتف بى هاتف يقول:

---

(1) «تاريخ الطبرى» (10/ 18)، و«المنتظم» (12/ 281).

(2،3) «المنتظم» (12/ 282). (4) «الحلية» (10/ 247)، و«السير» (13/ 420).

(5) «تاريخ بغداد» (4/ 277). (6) ابن عساكر (5/ 204).

(7) رواه ابن عدى (2/ 701)، وأبو نعيم فى «الحلية» (4/ 121)، والبيهقى «شعب» (8983)، والخطيب فى «تاريخه» (4/ 277)، وقال الألبانى فى «الضعيفة» (600): موضوع مرفوعًا وموقوفًا. وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(8) ابن عساكر (5/ 207).

ويزعــمُ أنـــهُ مِنّــا قـــريبٌ * وأنّـا لا نُضــيّــعُ مَن أتـانـا
ويسألُنا القِرَى جُـهْـداً وصَبراً * كـأنّـا لا نـراهُ ولا يـرانـا

قال: فقمت ومشيت فراسخ بلا زاد.[1] وقال أبو سعيد الخراز: المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء، ولا يتسلى عنه بشيء يتبع آثاره ولا يدع استخباره، ثم أنشد:

أُسائلُكم عنها فهل من مُخبِّرٍ * فمالي بنُعْمَى بعدَ مكّتنا عِلمُ
فلوْ كنتُ أدري أينَ خيّمَ أهلُها * وأيَّ بلادِ اللهِ إذ ظعَنوا أمُّوا
إذاً لسَلَكْنا مَسْلَكَ الرِّيحِ خلفَها * ولو أصبحتْ نُعْمَى ومن دُونِها النَّجْمُ

وكانت وفاته فى هذه السنة، وقيل: فى سنة سبع وأربعين، وقيل: فى سنة ست وثمانين، والأول أصح.[2]

عيسى بن عبد الله: ابن سنان بن دلويه بن موسى الطيالسى الحافظ، يلقب زغاث، سمع عفان وأبا نعيم، وعنه أبو بكر الشافعى وغير واحد، ووثقه الدارقطنى. كانت وفاته فى شوال من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة.

أبو حاتم الرازى: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلى الرازى، أحد أئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل، وهو قرين أبى زرعة الرازي تغمدهما الله برحمته، سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار، وروى عن خلق من الكبار، وحدث عنه الربيع بن سليمان، ويونس بن عبد الأعلى وهما أكبر منه. وقدم بغداد فحدث بها، وروى عنه من أهلها إبراهيم الحربى وابن أبى الدنيا والمحاملى وغيرهم.

قال لابنه عبد الرحمن: يا بنى مشيتُ على قدمى فى طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق عليه فى بعض الأحيان، وأنه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار[3]، وقد أثنى عليه غير واحد من العلماء والفقهاء، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم، ويقول: من أغرب عليَّ بحديث واحد صحيح فله عليَّ درهم أتصدق به. قال: ومرادى أن أسمع ما ليس عندى، فلم يأت أحد بشيء من ذلك[4]، وكان فى جملة من حضر ذلك أبو زرعة الرازى. كانت وفاة أبى حاتم فى شعبانَ من هذه السنة.

محمد بن الحسين بن موسى بن الحسن: أبو جعفر الكوفى الخزاز المعروف بالحنيني، له مسند كبير، روى عن عبيد الله بن موسى والقعنبى وأبى نعيم وغيرهم، وعنه ابن صاعد والمحاملى وابن السماك، وكان ثقة صدوقًا.

محمد بن سعدان: أبو جعفر البزاز، سمع من أكثر من خمسمائة شيخ، ولكن لم يحدث إلا باليسير، وتوفى فى شعبان منها. قال ابن الجوزى: وثَّق محمد بن سعدان البزاز عن القعنبى وهو غير مشهور. ومحمد بن سعدان النحوى مشهور. توفى فى سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

قال ابن الأثير فى «كامله»: **وتوفى فيها** يعقوب بن سفيان بن جوان الإمام الفسوى، وكان يتشيع.

---

(1) ابن عساكر (5/ 208).
(2) «تاريخ بغداد» (4/ 278).
(3) «مقدمة الجرح» (1/ 359).
(4) «تاريخ بغداد» (2/ 75).

ويعقوب بن يوسف بن معقل الأموى مولاهم، والد أبى العباس أحمد الأصم. **عريب** المغنية المأمونية، قيل: إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكى.

فأما يعقوب بن سفيان بن جوان: فهو أبو يوسف ابن أبى معاوية الفارسى الفسوى، سمع الحديث الكثير، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات، منهم هشام بن عمار، ودحيم، وأبو الجماهر، وسليمان ابن عبد الرحمن الدمشقيون، وسعيد بن منصور، وأبو عاصم، ومكى بن إبراهيم، وسليمان بن حرب، ومحمد بن كثير، وعبيد الله بن موسى، والقعنبى. وروى عنه النسائى فى «سننه» وأبو بكر ابن أبى داود والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وأبو عوانة الإسفراييني وخلق سواهم، وصنف كتاب «التاريخ والمعرفة» وغيره من الكتب المفيدة النافعة، وقد رحل فى طلب الحديث إلى البلدان النائية، وتغرب عن وطنه في ذلك نحو ثلاثين سنة. وقد روى ابن عساكر عنه أنه قال: كنت أكتب فى الليل على ضوء السراج فى زمن الرحلة، فبينا أنا ذات ليلة إذ وقع شىء على بصرى، فلم أبصر معه السراج، فجعلت أبكى على ما فاتنى من ذهاب بصرى، وما يفوتنى بسبب ذلك من كتابة حديث رسول الله ﷺ وما أنا فيه من الغربة، ثم غلبتنى عينى فنمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: ما لك؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة، وما فاتنى من كتابة السنة. فقال: ادن منى، فدنوت منه فوضع يده على عينى وجعل كأنه يقرأ شيئاً من القرآن. ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله.(1)

وقد أثنى عليه أبو زرعة الدمشقى والحاكم أبو عبد الله النيسابورى، وقال: هو إمام أهل الحديث بفارس، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا، وقد نسبه بعضهم إلى التشيع. وذكر ابن عساكر: أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم فى عثمان بن عفان فأمر بإحضاره فقال له وزيره: أيها الأمير إنه لا يتكلم فى شيخنا عثمان بن عفان السجزى، إنما يتكلم فى عثمان بن عفان الصحابى، فقال: دعوه ما لى وللصحابة، إنى إنما حسبته يتكلم فى شيخنا عثمان بن عفان السجزى.(2)

قلت: وما أظن هذا صحيحاً عن يعقوب بن سفيان فإنه إمام محدث كبير القدر، وقد كانت وفاته قبل أبى حاتم بشهر فى رجب من هذه السنة بالبصرة رحمه الله. وقد رآه بعضهم فى المنام فقال: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لى وأمرنى أن أملى الحديث فى السماء كما كنت أمليه فى الأرض، فجلست للإملاء فى السماء الرابعة، وجلس حولى جماعة من الملائكة، منهم جبريل يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب.

وأما عريب المأمونية: فقد ترجمها الحافظ ابن عساكر فى «تاريخه»(3)، وحكى قولاً لبعضهم أنها ابنة جعفر بن يحيي بن خالد البرمكى، سرقت وهى صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة، وبيعت فاشتراها المأمون ابن الرشيد، ثم روى عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه قال: ما رأيت امرأة قط أحسن وجهاً وأدباً وغناء وضرباً وشعراً ولعباً بالشطرنج والنرد منها، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة طريفة بارعة فى امرأة إلا وجدتها فيها. وقد كانت شاعرة مطبقة فصيحة بليغة، وكان المأمون يتعشقها ثم أحبها بعده المعتصم، وكانت هى تتعشق لرجل يقال له: محمد بن حامد، وربما أدخلته إليها فى دار الخلافة قبحها الله على ما ذكره ابن عساكر عنها في «تاريخه»، ثم تعشقت صالحاً المنذرى وتزوجته سراً، وكانت تقول فيه الشعر، وربما غنته بين يدى

(1) ابن عساكر (69/ 200). (2) ابن عساكر (69/ 201).
(3) ابن عساكر (73/ 199).

المتوكل وهو لا يشعر فيمن هو، فتضحك جواريه من ذلك فيقول: يا سحاقات هذا خير من عملكن. وقد أورد ابن عساكر شيئاً كثيراً من شعرها، فمن ذلك قولها لما دخلت على المتوكل تعوده من حمى أصابته فقالت:

أَتَوني فَقَالوا بالخليفةِ عِلَّةٌ * فَقُلْتُ ونارُ الشوقِ تُوقَدُ في صَدْرِي

ألاَ ليتَ بي حُمَّى الخليفةِ جَعْفَرٍ * فكانتْ بِيَ الحُمَّى وكان لهُ أجْرِي

كفَى حزَنًا إنْ قيلَ حُمَّ فلم أَمُتْ * مِنَ الحزنِ إنِّي بعدَ هذا لذُو صَبْرِ

جُعِلْتُ فِداءً للخليفةِ جعفرٍ * وذاكَ قليلٌ للخليفةِ مِن شُكْرِ

ولما عوفي دخلت عليه فغنته من قيلها:

شُكْرًا لأنْعُمِ مَنْ عافاكَ مِن سَقَمِ * دُمْتَ المُعافَى مِنَ الآلامِ والسَّقَمِ

عادتْ بنورِكَ للأيَّامِ بهْجَتُها * واهتزَّ نَبْتُ رِياضِ الجُودِ والكَرَمِ

ما قامَ للدِّينِ بعدَ المصطفَى مَلِكٌ * أعفُّ منكَ ولا أرْعَى على الذِّمَمِ

فعَمَّرَ اللهُ فينا جعفرًا ونَفَى * بنُورِ سنَّتهِ عَنَّا دُجَى الظُّلَمِ

ولها في عافيته أيضًا:

حَمِدْنا الذي عافَى الخليفةَ جَعْفَرًا * على رغْمِ أشْياخِ الضَّلالةِ والكُفْرِ

وما كانَ إلاَّ مثلَ بدرٍ أصابَهُ * كسوفٌ قليلٌ ثم أجْلَى عَنِ البَدْرِ

سلامتُهُ للدِّينِ عِزٌّ وقُوَّةٌ * وعِلَّتُهُ للدِّينِ قاصِمَةُ الظهرِ

مرِضْتَ فأمْرَضْتَ البريَّةَ كلَّها * وأظْلَمَتِ الأمْصارُ مِن شدَّةِ الذُّعْرِ

فلمَّا استبانَ الناسُ منكَ إفاقةً * أفاقُوا وكانُوا كالنِّيامِ على الجَمْرِ

سلامةُ دنْيانا سلامةُ جَعْفَرٍ * فدامَ مُعافًى سالِمًا آخرَ الدَّهْرِ

إمامٌ يعُمُّ الناسَ بالفَضْلِ والتُّقَى * قَرِيبًا مِنَ التقوى بعيدًا مِنَ الوِزْرِ

ولها من الأشعار الرائقة الفائقة شيء كثير، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للصواب، قال ابن عساكر: بلغني أن مولدها في سنة إحدى وثمانين ومائة، وتوفيت سنة سبع وسبعين ومائتين بـ«سُرَّ من رأى»، ولها ست وتسعون سنة.(1)

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

قال ابن الجوزي: في المحرم في هذه السنة طلع نجم ذو جمة ثم صارت الجمة ذؤابة. قال: وفي هذه السنة غار ماء النيل وهذا شيء لم يعهد مثله ولا بلغنا في الأخبار السالفة. فغلت الأسعار بمصر بسبب ذلك جدًا.

قال: وفيها: خلع على عبد الله بن سليمان بن وهب بالوزارة.

وقال: في المحرم منها: قدم الموفق أبو أحمد من الغزو فتلقاه الناس إلى النهروان فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس فاستمر في داره في أوائل صفر، ومات بعد أيام كما ستأتي ترجمته في هذه السنة.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة تحركت القرامطة قبحهم الله وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع

(1) راجع «تاريخ ابن عساكر» (73/ 200-201).

الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات. ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يدخلون من جهة الرافضة، لأنهم أقل الناس عندهم وعند غيرهم عقولاً، ويقال لهم: الإسماعيلية، لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق. ويقال لهم: القرامطة، قيل: نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار، وقيل: إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة. ثم اتخذ نقباء اثنى عشر، وأسس لأتباعه دعوة ومسلكًا ودعا إلى إمام من أهل البيت[1]، ويقال لهم: الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، والخرمية والبابكية نسبة إلى بابك الخرمي الذي ظهر في أيام المعتصم فلم يزل يبعث خلفه الجيوش حتى جيء به أسيرًا فقتله كما ذكرنا فيما سبق. ويقال لهم: المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً مضاهاة لسواد بني العباس. ويقال لهم: التعليمية نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم، وترك الرأى ومقتضى العقل. ويقال لهم: السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيزة السيارة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون لعنهم الله. وهي القمر في الأولى، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشترى في السادسة، وزحل في السابعة.

قال ابن الجوزي[2]: وقد بقي من البابكية جماعة يقال: إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصباح وينتهبون النساء فمن وقع في يده امرأة حلت له. ويقولون: هذا اصطياد مباح لعنهم الله. وقد بسط أبو الفرج ابن الجوزي في هذا الموضع من تاريخه المسمى بـ «المنتظم» تفصيل قولهم، لعنهم الله، وقد سبقه إلى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم المشهور في كتابه «هتك الأستار وكشف الأسرار» في الرد على الباطنية، ورد على كتابهم الذي جمعه بعض قضاتهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه «البلاغ الأعظم والناموس الأكبر» جعله ست عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولاً إن كان من أهل السنة إلى القول بتفضيل عليّ على عثمان، ثم ينتقل إذا وافقه على ذلك إلى تفضيل عليّ على الشيخين أبي بكر وعمر، ثم يترقى بعد ذلك إلى سبهما لأنهما ظلما علياً وأهل البيت، ثم يترقى به إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك، ثم يشرع في القدح في دين الإسلام من حيث هو. وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شُبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبي جاهل شقي. كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (الذاريات: 7-9) أي: يضل به من هو ضال. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: 161-163). وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: 112، 113) والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومضمونها أن الجهل والضلال لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما قال بعض الشعراء:

إنْ هوَ مُسْتَحْوِذًا على أحدٍ * إلاَّ على أضْعَفِ المَجانِينِ

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والجهل والسخافة والرعونة ما لا ينبغي لضعيف عقل أو دين

---

(1) «المنتظم» (12/ 287). (2) «المنتظم» (12/ 292).

أو تصور سماعه مما فتح عليهم إبليس من الأبواب وأنواع الجهالات، وربما أفاد بعضهم إبليس أشياء لم تكن عنده كما قال بعضهم:

وكنتُ امْـرَأً من جُنْدِ إبْليسَ برْهَةً * مِنَ الدهرِ حتى صارَ إبْليسُ مِن جُنْدِي

والمقصود: أن هذه الطائفة تحركت فى هذه السنة، ثم استفحل أمرهم وتفاقم الحال بهم على ما سنذكره حتى آل الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا فيه دماء الحجيج فى وسط المسجد حول الكعبة المكرمة وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه، وذهبوا به إلى بلادهم فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فمكث غائباً عن موضعه اثنتين وعشرين سنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. واتفق فى هذه السنة شيئان أحدهما ظهور هؤلاء، والثانى موت حسام الإسلام وناصر الدين أبو أحمد الموفق تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته بمنه وكرمه، لكن أبقى الله للمسلمين بعده ولده أبا العباس أحمد بن الموفق الملقب بالمعتضد، وكان شهماً شجاعًا فاتكًا كريمًا جوادًا ممدحًا.

وهذه ترجمة أبى أحمد الموفق رحمه الله

هو الأمير الناصر لدين الله، الموفق بالله أبو أحمد محمدٌ طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، كان مولده فى يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين، وكان أخوه المعتمد حين صارت إليه الخلافة قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر، ولقبه الموفق بالله، ثم لما قتل صاحب الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله، وصار إليه العقد والحل والولاية والعزل، وإليه يجبى الخراج، وكان يخطب له على المنابر، فيقال: اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولى عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين. ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر رحمه الله، وكان غزير العقل حسن التدبير كريمًا جوادًا ممدحًا شجاعًا مقدامًا رئيسًا، حسن المحادثة والمجالسة عادلاً حسن السيرة. يجلس للمظالم وعنده القضاة، فينصف المظلوم من الظالم، وكان عالماً بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وغير ذلك، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً.

وكان سبب موته أنه أصابه مرض النقرس فى السفر ثم قدم إلى بغداد وهو عليل، فاستقر فى داره فى أوائل صفر وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جداً، وكان يوضع عليها الأشياء المبردة كالثلج ونحوه، وكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة، عشرون عشرون. فقال لهم ذات يوم: ما أظنكم إلا قد مللتم فيا ليتنى كواحد منكم آكل كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، وأرقد كما ترقدون فى عافية. وقال أيضًا: فى ديوانى مائة ألف مرتزق ليس فيهم أسوأ حالاً منى. ثم كانت وفاته فى القصر الحسينى ليلة الخميس لثمان بقين من صفر. قال ابن الجوزى: وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً[1]. ولما توفى أبو أحمد الموفق اجتمع الأمراء على أخذ البيعة بولاية العهد من بعده لولده أبى العباس أحمد، فبايع له المعتمد بولاية العهد بعد ابنه المفوض، وخطب له على المنابر بعد المفوض. وجعل إليه ما كان إلى أبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل والعقد والحل، ولقب المعتضد بالله.

وممن توفى فيها أيضًا: إدريس بن سليم الفقعسى الموصلى. قال ابن الأثير: وكان كثير الحديث والصلاح.

---

(1) «المنتظم» (12/ 304).

وإسحاق بن كنداج: نائب الجزيرة، وكان من ذوى الرأى الشجعان المشهورين، وقام بما كان إليه ولده محمد.

ويازمان: نائب طرسوس جاءه حجر منجنيق من بلدة كان يحاصرها ببلاد الروم فمات منه وذلك فى رجب من هذه السنة، ودفن بطرسوس، فولى نيابة الثغر بعده أحمد العجيفي بأمر خمارويه بن أحمد بن طولون، ثم عزله عن قريب بابن عمه موسى بن طولون.

وعبدة بن عبد الرحيم قبحه الله: ذكر ابن الجوزى في «المنتظم» أن هذا الشقى كان من الذين يجاهدون كثيراً فى بلاد العدو، فلما كان فى بعض الغزوات والمسلمون محاصرون لبلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة فى ذلك الحصن، فهويها فراسلها: وما السبيل إليك؟ فقالت: أن تتنصر وتصعد إليَّ، فأجابها إلى ذلك قبحه الله، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غماً شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة فى ذلك الحصن، فقالوا له: يا فلان ما فعل قراءتك؟ما فعل علمك؟ما فعل صيامك وصلاتك؟ فقال: اعلموا أنى أُنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر: 2، 3).

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

فى أواخر المحرم منها: خلع جعفر المفوض من العهد، واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس ابن الموفق ولقب بالمعتضد، وجعل إليه السلطنة كما كان أبوه، وخطب بذلك المعتمد على رؤوس الأشهاد، وكان يومًا مشهودًا، ففي ذلك يقول يحيى بن عليّ يهنئ المعتضد:

ليهْنِكَ عَقْدٌ أنتَ فيه المقدَّمُ	*	حَبَاكَ به ربٌّ بفَضْلِكَ أعْلَمُ
فإنْ كنتَ قد أصبَحْتَ واليَ عهْدِنا	*	فأنتَ غداً فينا الإمامُ المُعظَّمُ
ولا زالَ مَن والاك فينا مُبَلَّغًا	*	مُنَاهُ ومَنْ عاداكَ يَشْجَى ويَنْدَمُ
وكانَ عَمُودُ الدينِ فيه تأوُّدٌ	*	فعادَ بهذا العَهْدِ وهْوَ مُقَوَّمُ
وأصْبَحَ وجْهُ المُلْكِ جَذْلانَ ضاحكًا	*	يُضيءُ لنا منهُ الذي كانَ يُظْلِمُ
فدُونَكَ فاشْدُدْ عقدَ ما قد حوَيْتَهُ	*	فإنَّكَ دونَ الناسِ فيهِ المُحَكَّمُ

وفيها: نودى ببغداد أن لا يمكن أحد من القصاص والطرقية والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس فى المساجد ولا فى الطرقات، وأن لا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمة أبى العباس المعتضد سلطان الإسلام.

وفي هذه السنة: وقعت حروب بين هارون الشارى وبين بنى شيبان فى أرض الموصل، وقد بسط ذلك ابن الأثير فى «كامله».(1)

وفى رجب منها: كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه.

وهذه ترجمته: هو أمير المؤمنين المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد، واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن

(1) راجع «الكامل» (7/ 452-453)، وابن جرير (10/ 28)، و«المنتظم» (12/ 305).

علي بن عبد الله بن عباس، استمرت أيامه في الخلافة ثلاثًا وعشرين سنة وستة أيام، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة أشهر، وكان أسنَّ من أخيه أبي أحمد الموفق بستة أشهر، وتأخر بعده أقل من سنة، ولم يكن إليه من الأمر شيء، وإنما كان الأمر كله فيما يتعلق بتدبير الخلافة إلى الموفق. وقد اتفق أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يحصل له، فقال في ذلك:

أليس من العجائب أنَّ مثلي * يرى ما قلَّ ممتنعًا عليه
وتؤخذُ باسمه الدُّنيا جميعًا * وما من ذاك شيءٌ في يديه
إليه تُحملُ الأموالُ طُرًا * ويُمنعُ بعضَ ما يُجْبَى إليه

وكان أول خليفة انتقل من سامرًا إلى بغداد بعد ما بنيت سامرًا، ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء، بل جعلوا دار إقامتهم ببغداد، وكان سبب هلاكه في ما ذكر ابن الأثير، أنه شرب تلك الليلة شرابًا كثيرًا وتعشى عشاءً كثيرًا، وكانت وفاته في القصر الحسني من بغداد، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه، ثم غسل وكفن وصلي عليه، ثم حمل فدفن بسامرًا. وفي صبيحة العزاء بويع للمعتضد بالله.

خلافة المعتضد بالله

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل، وكان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم. وكانت البيعة له صبيحة موت المعتمد، وذلك لعشر بقين من رجب من هذه السنة -أعني سنة تسع وسبعين ومائتين- وقد كان أمر الخلافة داثرًا فأحياه الله بهمته وعدله وشهامته وصرامته وشجاعته، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب، وولي مولاه بدرًا الشرطة في بغداد، وجاءته هدايا عمرو بن الليث، وسأل منه أن يوليه إمرة خراسان فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه بالخلع واللواء، فنصبه عمرو بن الليث في داره ثلاثة أيام فرحًا وسرورًا بذلك، وعزل رافع بن هرثمة عن إمرة خراسان، ودخلها عمرو بن الليث، فلم يزل يتبع رافعًا من بلد إلى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي، وبعث برأسه إلى المعتضد، وصفت إمرة خراسان لعمرو بن الليث.

وفي هذه السنة: قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خمارويه صاحب مصر إلى المعتضد بالله، فتزوج المعتضد بابنة خمارويه، فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله، حتى قيل: إنه كان من الهواوين الذهب مائة هاون، فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى بغداد صحبة العروس، وكان وقتًا مشهودًا.

وفي هذه السنة: تملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين، وكانت قبل ذلك لإسحاق بن كنداج.

وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسي وهي آخر حجة حجها، وكان يحج بالناس من سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد أمير المؤمنين المعتمد كما تقدم ترجمته قريبًا.

وأبو بكر ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير بن خيثمة صاحب «التاريخ» وغيره، سمع أبا نعيم، وعفان، وأخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعلم النسب عن مصعب الزبيري، وأيام الناس

عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني. وأخذ الأدب عن محمد بن سلام الجمحي. وكان ثقةً حافظًا ضابطًا مشهورًا، وفي «تاريخه» هذا فوائد كثيرة وفرائد غزيرة. روى عنه البغوي، وابن صاعد وابن أبي داود وابن المنادي، وقد كانت وفاته في جمادي الأولى من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله.

وخاقان أبو عبد الله الصوفي، كانت له أحوال وكرامات. **ونصر بن أحمد بن أسد بن سامان،** الساماني، أحد ملوكهم الأكابر، وقد كانو من سلالة الأكاسرة، كان جدهم سامان من أصحاب أبي مسلم الخراساني، وأصله من ذرية بهرام بن أزدشير بن سابور، ثم كان ابنه أسد من عقلاء الرجال، وخلف نوحًا وأحمد ويحيى وإلياس، وقد ولى كل واحد من هؤلاء مملكة ناحية من النواحي، وهي السامانية.

البلاذري المؤرخ أحد المشاهير، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن، ويقال: أبو جعفر. ويقال: أبو بكر البغدادي البلاذري، صاحب «التاريخ» المنسوب إليه، سمع هشام بن القاسم بن سلام، وأبا الربيع الزهراني وجماعة، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي.

قال الحافظ ابن عساكر(1): كان أديبًا راوية، له كتب جياد، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، وتوفى أيام المعتمد، ووسوس في آخر عمره. وروى ابن عساكر عن البلاذري قال: قال لي محمود الورَّاق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره، ويزول عنك إثمه فقلت:

استعدِّي يا نفسُ للموتِ واسْعَيْ * لنجاةٍ فالحازمُ المُستعِدُّ
قد تبينتِ أنَّه ليس للحيِّ * خلودٌ ولا من الموتِ بدُّ
إنَّما أنتِ مستعيرةُ ما سو * ف تَرُدِّين والعواري تُرَدُّ
أنت تسهينَ والحوادثُ لا تسـ * ـهُو وتَلْهِينَ والمَنايا تجِدُّ
أيُّ مُلكٍ في الأرضِ أو أيُّ حظٍّ * لامرئٍ حظُّه من الأرض لَحْدُ
لا تُرَجِّي البقاءَ في معدنِ المو * تِ ودارٍ حتوفُها لكِ وِرْدُ
كيفَ يهْوَى امْرؤٌ لَذاذةَ أيَّا * مٍ عليه الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل: محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن، ويقال: محمد بن عيسى بن سورة بن شداد. أبو عيسى السلمي الترمذي الضرير، ويقال: إنه ولد أكمه. وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه، وله المصنفات المشهورة منها؛ «الجامع» و«الشمائل»، و«أسماء الصحابة» وغير ذلك. وكتاب «الجامع» أحد الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في سائر الآفاق، وجهالة ابن حزم لأبي عيسى حيث قال في «محلاه»: «ومَنْ محمد بن عيسى بن سورة؟» لا تضره في دينه ودنياه ولا تضع من قدره عند أهل العلم، بل تحط من منزلة ابن حزم عند الحفاظ.

وكيف يصحُ في الأذهانِ شيءٌ * إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

وقد ذكرنا مشايخه فى كتابنا «التكميل». وروى عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخارى فى غير الصحيح، والهيثم بن كليب الشاشى صاحب «المسند»، ومحمد بن أحمد بن محبوب المحبوبى، راوى الجامع عنه. ومحمد بن المنذر شكَّر. قال الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى

(1) ابن عساكر (6/ 75).

القزوينى فى كتابه «علوم الحديث»: محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الحافظ متفق عليه، له كتاب فى السنن وكلام فى الجرح والتعديل، روى عنه ابن محبوب والأجلاء، وهو مشهور بالأمانة والعلم. مات بعد الثمانين ومائتين. كذا قال فى تاريخ وفاته. وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغنجار فى «تاريخ بخارى»: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الترمذى الحافظ، دخل بخارى وحدَّث بها، وهو صاحب الجامع والتاريخ، توفى بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. وذكره الحافظ أبو حاتم ابن حيان فى «الثقات»، فقال: كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر. وقال الترمذى: كتب عنى البخارى حديث عطية عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعليّ: «**لا يحل لأحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك**».

وروى ابن نقطة فى «تقييده» عن الترمذى، أنه قال: صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى يتكلم. قالوا: وجملة الجامع مائة وأحد وخمسون كتاباً، وكتاب العلل صنفه بسمرقند، وكان فراغه منه فى يوم عيد الأضحى من سنة سبعين ومائتين. قال ابن نقطة: سمعت محمد بن طاهر المقدسى سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى يقول: كتاب الترمذى عندى أفيد من كتاب البخارى ومسلم. قلت: ولم؟ قال: لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَنْ هو من أهل المعرفة التامة، وهذا الكتاب قد شرح أحاديثه وبيَّنها، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم.
قلت: والذى يظهر من حاله أنه إنما طرأ عليه العمى بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف، ثم اتفق موته فى بلده فى رجب من هذه السنة على الصحيح المشهور، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة

فى المحرم منها: قتل المعتضد رجلاً من أمراء الزنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بشيلمة، ذكر له أنه كان يدعو إلى رجل لا يعرف من هو، وقد أفسد جماعة فاستدعى به فقرره فلم يقر، وقال: لو كان تحت قدمى ما أقررت به، فأمر به فشد على عمود خيمة، ثم لوحه على النار حتى تساقط جلده عن عظامه، ثم أمر بضرب عنقه وصلبه لسبع ليال خلون من المحرم.(1)

وفى أول صفر: ركب المعتضد بالله أبو العباس ابن الموفق من بغداد قاصداً بنى شيبان من أرض الموصل فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له: توباذ. وكان مع المعتضد حاد جيد الحداء، فقال فى بعض تلك الليالى يحدو للمعتضد:

فأجهشْتُ للتَّوْبَاذِ حينَ رأيتُه * وهَلَّلْتُ للرَّحمن حينَ رآني
وقلتُ له أينَ الذين عهدتَهم * بظلِّكَ في أمنٍ ولينِ زمانِ
فقال مضَوا واستخلفوني مَكانَهمْ * ومَن ذا الذي يَبْقَى على الحدثانِ

قال: فتغرغرت عينا المعتضد، وقال: من ذا الذي يبقى على الحدثان.

وفي هذه السنة: أمر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان فغرم عليها عشرين ألف دينار، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة.

(1) انظر «تاريخ الطبرى» (10/ 32)، و«المنتظم» (12/ 332).

وفيها: وسع المعتضد جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه، وغرم عليه عشرين ألف دينار، وكانت الدار قبليه فبناها مسجداً على حدة، وفتح بينهما سبعة عشر باباً، وحول المنبر والمحراب إلى المسجد ليكون في قبلة الجامع على عادته. قال الخطيب البغدادي: وزاد بدر مولى المعتضد المسقطات من قصر المنصور المعروفة بالبدرية في هذا الوقت.

ذكر بناء دار الخلافة ببغداد

أول من بناها المعتضد فى هذه السنة. وكان أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم، وكانت أولاً داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسنى، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران التي تزوج بها المأمون، فعمرت فيها حتى استنزلها المعتضد عنها فأجابته إلى ذلك، ثم أصلحت ما وهى منها، ورممت ما كان قد شعث فيها، وفرشت فى كل موضع منها ما يليق به من المفارش، وأسكنت فيه ما يليق به من الجوارى والخدم، وأعدت بها المآكل الشهية وما يحسن ادخاره فى ذلك الزمان، ثم أرسلت بمفاتيحها إلى المعتضد فلما دخلها أذهله ما رأى فيها من الخيرات، ثم وسَّعها وزاد فيها، وجعل لها سوراً حولها، وكانت قدر مدينة شيراز، وبنى الميدان ثم بنى قصراً مشرفاً على دجلة، ثم بنى المكتفى التاج. ثم كانت أيام المقتدر فزاد فيها زيادات عظيمة جداً، وتأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوا بغداد وسبوا من كان بها من الحرائر الآمنات كما سيأتى بيانه فى موضعه من سنة ست وخمسين وستمائة. قال الخطيب: والذى يشبه أن تكون بوران سلمت دار الخلافة إلى المعتمد، فإنها لم تعش إلى أيام المعتضد.

وفيها: زلزلت أردبيل ست مرات فتهدمت دورها، ولم يبقَ منها مائة دار، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: غارت المياه ببلاد الرى وطبرستان حتى بيع الماء كل ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعار هنالك جداً.

وفيها: غزا إسماعيل بن أحمد السامانى بلاد الترك، ففتح مدينة ملكهم، وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير، وغنم من الدواب والأمتعة والأموال شيئاً كثيراً، أصاب الفارس ألف درهم.

وحج بالناس في هذه السنة: أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق العباسى.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أحمد بن سيار** بن أيوب الفقيه الشافعى المشهور بالعبادة والزهد.

وأحمد بن أبى عمران موسى بن عيسى: أبو جعفر البغدادى، كان من أكابر الحنفية، تفقه على محمد بن سماعة، وهو أستاذ أبى جعفر الطحاوى، وكان ضريراً، سمع الحديث من عليّ بن الجعد وغيره، وقدم مصر فحدّث بها من حفظه، وتوفى بها فى المحرم من هذه السنة، وقد وثقه ابن يونس فى «تاريخ مصر».

أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر: أبو العباس البرتي القاضى بواسط صاحب «المسند»، روى عن مسلم بن إبراهيم وأبى سلمة التبوذكى، وأبى نعيم وأبى الوليد وخلق، وكان ثقة ثبتاً تفقه بأبى سليمان الجوزجانى صاحب محمد بن الحسن، وقد حكم بالجانب الشرقى من بغداد فى أيام المعتز، فلما كان أيام الموفق طلب منه ومن إسماعيل القاضى أن يعطياه ما بأيديهما من أموال اليتامى الموقوفة، فبادر إلى ذلك إسماعيل القاضى، واستنظره إلى ذلك أبو العباس البرتي هذا، ثم بادر إلى كل من أنس منه رشداً من اليتامى فدفع إليه ماله، فلما طولب به، قال: ليس عندى منه شيء، دفعته إلى أهله، فعزل عن القضاء ولزم

بيته، وتعبد إلى أن توفى فى ذى الحجة منها. وقد رآه بعضهم فى المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ فقام إليه وصافحه وقبّل بين عينيه، وقال: مرحباً بمن يعمل بسنتى وأثرى.(1)

وفيها توفى: جعفر بن المعتمد، وكان يسامر أباه.

وراشد: مولى الموفق بمدينة الدينور فحمل إلى بغداد.

وعثمان بن سعيد الدارمى: مصنف الرد على بشر المريسى فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية وقد ذكرناه فى «طبقات الشافعية».

ومسرور الخادم: وكان من أكابر الأمراء.

ومحمد بن إسماعيل بن يوسف: أبو إسماعيل الترمذى، صاحب التصانيف الحسنة، فى رمضان من هذه السنة، قاله ابن الأثير، وشيخنا الذهبى.

وهلال بن العلاء: المحدث المشهور، وقد وقع لنا من حديثه طرف.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

فيها: دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا ولله الحمد.

وفيها: تكامل غور المياه ببلاد الرى وطبرستان. وغلت الأسعار جداً، وجهد الناس وقحطوا حتى أكل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته، فإنا لله وإنا إليه راجعون.(2)

وفيها: حاصر المعتضد قلعة ماردين، وكانت بيد حمدان بن حمدون ففتحها قسراً، وأخذ ما كان فيها، ثم أمر بتخريبها فهدمت.

وفي هذه السنة: وصلت قطر الندى بنت خمارويه نائب الديار المصرية إلى بغداد فى تجمل عظيم ومعها من الجهاز شىء عظيم حتى قيل: إنه كان فى الجهاز مائة هاون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش، وغير ذلك مما لا يحصى. ثم بعد كل حساب معها مائة ألف دينار لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية.

وفيها: خرج المعتضد إلى بلاد الجبل، وولى ولده علياً المكتفى نيابة الرى وقزوين وزنجان وقم وهمذان والدينور، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبغ، وولى عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف نيابة أصبهان ونهاوند والكرخ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد. **وحج بالناس** محمد بن هارون بن إسحاق، وأصاب الحجاج فى الأجفر مطر عظيم فغرق كثير منهم، كان الرجل يغرق فى الرمل فلا يقدر أحد على خلاصه.

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: الحافظ، صاحب كتاب المصنفات، منها فى صفين مجلد كبير.

وأحمد بن محمد الطائى: بالكوفة فى جمادى منها.

وإسحاق بن إبراهيم: المعروف بابن الجبلي، سمع الحديث وكان يفتى الناس بالحديث، وكان يوصف بالفهم والحفظ.

---

(1) «تاريخ بغداد» (5/ 62).
(2) «الطبرى» (10/ 38)، و«المنتظم» (12/ 339).

ابن أبى الدنيا: القرشى مولى بنى أمية، وهو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر ابن أبى الدنيا الحافظ المصنف، المشهور، له التصانيف النافعة الشائعة الذائعة فى الرقائق وغيرها، تزيد على مائة مصنف. سمع إبراهيم بن المنذر الحزامى، وخالد بن خراش وعليّ بن الجعد وخلقاً، وكان مؤدبًا للمعتضد وابنه على بن المعتضد الملقب بالمكتفى، وكان له عليه في كل شهر خمسة عشر ديناراً، وكان ثقة صدوقاً حافظاً ذا مروءة، لكن قال صالح بن محمد جزرة: إلا أنه كان يروى عن رجل يقال له: محمد بن إسحاق البلخى، وكان هذا الرجل كذاباً يضع للكلام إسناداً، ويروى أحاديث منكرة.

ومن شعر ابن أبى الدنيا: أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم، فجاء المطر فحال بينه وبينهم، فكتب إليهم رقعة فيها:

أنا مُشْتاقٌ إلى رُؤيَتِكُم * يا أخِلائي وسَمْعي والبَصَرْ

كيف أنْساكمْ وقلْبي عندَكُم * حالَ فيما بينَنا هذا المطَرْ

توفى ببغداد فى جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى، ودفن بالشونيزية رحمه الله.

عبد الرحمن بن عمرو: أبو زرعة الدمشقى الحافظ الكبير الشهير بين أهل العلم.

محمد بن إبراهيم: ابن المواز الفقيه المالكى، له اختيارات فى مذهب الإمام مالك، فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ فى الصلاة.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائتين

فى خامس ربيع الأول منها: يوم الثلاثاء دخل المعتضد بالله بزوجته ابنة خمارويه، وكان قدومها إلى بغداد صحبة عمها وصحبة ابن الجصاص، وكان الخليفة غائبًا، وكان دخولها إليها يومًا مشهودًا، امتنع الناس من المرور فى الطرقات.(1)

وفيها: نهى الخليفة المعتضد أن يعمل الناس فى يوم النيروز ما كانوا يتعاطونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة للمجوس، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المقطعين فى هذا اليوم، وأمر بتأخير ذلك إلى الحادى عشر من حزيران، وسمى النيروز المعتضدى، وكتب بذلك إلى الآفاق وسائر العمال.

فى ذى الحجة من هذه السنة: قدم إبراهيم بن أحمد الماذرائى من دمشق على البريد، فأخبر المعتضد بالله بأن خمارويه ذبحه بعض خدامه على فراشه، وولوا بعده ولده جيشًا ثم قتلوه ونهبوا داره، ثم ولوا هارون بن خمارويه، وقد التزم فى كل سنة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار تحمل إلى باب الخليفة، فأقره المعتضد على ذلك، فلما كان المكتفى عزله وولى مكانه محمد بن سليمان الواثقى فاصطفى أموال آل طولون، وكان ذلك آخر العهد بهم.

وفيها: أطلق لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من السجن فعاد إلى مصر فى أذل حال.

وحج بالناس الأمير المتقدم ذكره.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن داود: أبو حنيفة الدينورى اللغوى، صاحب كتاب «النبات».

---

(1) «الطبرى» (10/ 39)، و«المنتظم» (12/ 343).

إسماعيل بن إسحاق: ابن إسماعيل بن حماد بن زيد، أبو إسحاق الأزدى القاضى، أصله من البصرة، ونشأ ببغداد، وسمع مسلم بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصارى، والقعنبى، وعليّ ابن المدينى، وكان حافظاً فقيهاً مالكياً، جمع وصنف وشرح فى المذهب عدة مصنفات فى التفسير والحديث والفقه وغير ذلك. وقد ولى القضاء أيام المتوكل بعد سوار بن عبد الله ببغداد، ثم عزل ثم ولى وصار مقدّم القضاة. وكانت وفاته فجاءة ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذى الحجة من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

الحارث بن محمد بن أبى أسامة: صاحب «المسند» المشهور.

خمارويه بن أحمد بن طولون: صاحب الديار المصرية، بويع له بملك الديار المصرية بعد أبيه سنة إحدى وسبعين ومائتين، فقصده المعتضد بن الموفق فى حياة أبيه فاقتتلوا قتالاً شديدًا فى أرض الرملة، وقيل: فى أرض الصعيد. فانهزم خمارويه هاربًا على حمار، وكر جيشه على المعتضد، فهرب، كما قدمنا، ثم تزوج ابنته وتصافيا بعد ذلك، فلما كان فى ذى الحجة من هذه السنة عدا الخدم من الخصيان على خمارويه فذبحوه وهو على فراشه، وذلك لأنه اتهمهم بجواريه، فمات عن ثنتين وثلاثين سنة، فقام بالأمر من بعده ولده هارون بن خمارويه، وهو آخر الطولونية.

وذكر ابن الأثير فيمن توفى هذه السنة **عثمان بن سعيد بن خالد** أبا سعيد الدارمى الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن البويطى صاحب الشافعى. **الفضل بن محمد:** ابن المسيب بن موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن باذان ملك اليمن، وقد أسلم باذان فى حياة النبى ﷺ.

أبو محمد الشعرانى: الأديب الفقيه العابد الحافظ الرحال، تلمذ ليحيى بن معين، روى عنه الفوائد فى الجرح والتعديل وغير ذلك، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل وعليّ ابن المدينى، وقرأ على خلف بن هشام البزار، وتعلم اللغة من ابن الأعرابى، وكان ثقة كبير القدر رحمه الله.

محمد بن القاسم بن خلاد: أبو العيناء البصرى الضرير الشاعر الأديب البليغ اللغوى تلميذ الأصمعى، وكنيته أبو عبد الله، وإنما لقب بأبى العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغِّر عينًا؟ فقال: عُيَيْنًا يا أبا العيناء، فبقى عليه. وله معرفة تامة بالأدب والحكايات والمُلَح. فأما الحديث فليس له منه إلا القليل.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

فى المحرم منها: خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشارى الخارجى، فظفر به وهزم أصحابه وكتب بذلك إلى بغداد، فلما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون وكان صفرياً. فلما صلب قال: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون. وكان الحسين بن حمدان بن حمدون قد قاتل الخوارج فى هذه الغزوة قتالاً عظيمًا مع الخليفة، فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من القيود بعد ما كان قد سجنه حين أخذ قلعة ماردين من يده وهدمها عليه، فأطلقه وخلع عليه وأحسن إليه.(1)

وفيها: كتب المعتضد إلى الآفاق برد ما فضل عن سهام ذوى الفروض إذا لم تكن عصبة إلى ذوى الأرحام وذلك عن فتيا أبى حازم القاضى. وقد قال فى فتياه: إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فإنه تفرد برد ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال. ووافق عليّ بن محمد بن أبى الشوارب لأبي حازم، أفتى

---

(1) «الطبرى» (10/ 43)، و«المنتظم» (12/ 359).

القاضي يوسف بن يعقوب بقول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد، وأمضى فتيا أبي حازم، ومع هذا ولى القاضي يوسف بن يعقوب قضاء الجانب الشرقى، وخلع عليه خلعًا سنية أيضًا، وقلد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة وكذلك لابن أبى الشوارب وخلع عليه خلعاً سنية أيضاً.

وفيها: كان الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمائة وأربعة أنفس ولله الحمد والمنة.

وفيها: حاصرت الصقالبة الروم فى القسطنطينية فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحاً كثيراً فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة، ثم خاف ملك الروم من غائلة المسلمين ففرقهم فى البلاد.

وفيها: خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله، فخلفه فيها رافع بن هرثمة، ودعا على منابرها لمحمد ابن زيد المطلبى ولولده من بعده، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها.

وفيها: بعث الخليفة المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمنه وأخذه معه إلى الخليفة فتلقاه الأمراء عن أمر الخليفة، وخلع عليه وأحسن إليه.

وممن توفى فيها من الأعيان: **إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران:** أبو إسحاق الثقفى السراج النيسابورى، كان الإمام أحمد يدخل إلى منزله وكان بقطيعة الربيع فى الجانب الغربى من بغداد وينبسط فيه ويفطر عنده، وكان من الثقات العلماء العباد، توفى فى صفر منها.

إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن حازم: أبو القاسم الختلي، وليس هو بالذى تقدم ذكره فى السنين المتقدمة. سمع داود بن عمرو وعلى بن الجعد وخلقاً كثيراً. وقد لينه الدارقطنى فقال: ليس بالقوى. توفى في هذه السنة عن نحو ثمانين سنة.

سهل بن عبد الله بن يونس التسترى: أبو محمد أحد أئمة الصوفية، لقى ذا النون المصرى. ومن كلام سهل الحسن قوله: أمس قد مات، واليوم فى النزع، وغد لم يولد. وهذا كما قال بعض الشعراء:

ما مضَى فاتَ والمُؤمَّلُ غيبٌ * ولك الساعةُ التي أنت فيها

قال القاضي ابن خلكان: وكان سلوكه على يدي خاله محمد بن سوار، وقيل: إنه توفى سنة ثلاث وسبعين فالله أعلم.

عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش: أبو محمد الحافظ المروزى أحد الجوالين الرحالين حفاظ الحديث والمتكلمين فى الجرح والتعديل، وقد يتستر بشىء من التشيع فالله أعلم. روى الخطيب عنه أنه قال: شربت بولى فى هذا الشأن خمس مرات يعنى أنه اضطر إلى ذلك فى الأسفار فى طلبه الحديث.

على بن محمد بن أبى الشوارب عبد الملك: الأموى البصرى قاضى سامرا. وقد ولى فى بعض الأحيان قضاء القضاة، وكان من الثقات، سمع أبا الوليد وأبا عمر الحوضي، وعنه النجاد وابن صاعد وابن قانع، وحمل الناس عنه علمًا كثيرًا.

ابن الرومى: الشاعر صاحب الديوان فى الشعر عليّ بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومى، وهو مولى عبد الله بن جعفر، وكان شاعرًا مشهورًا مطبقًا، فمن ذلك قوله:

إذا ما مدَحْتَ الباخِلين فإنَّما * تُذكِّرُهمْ ما في سِواهم مِن الفَضْلِ
وتُهْدِي لهم غمًّا طويلاً وحَسْرَةً * فإنْ منَعُوا منك النَّوالَ فبالعَدْلِ

ومن ذلك قوله:

إذا ما كسَاك الدهرُ سِرْبالَ صحَّةٍ * ولم تخلُ مِن قُوتٍ يَلَذُّ ويعْذُبُ
فلا تَغْبِطَنَّ المُتْرَفِين فإنَّهُ * على قدْرِ ما يكْسُوهم الدهرُ يَسلُبُ

وقال أيضًا:

عدوُّكَ مِن صَديقِك مُسْتَفادٌ * فلا تسْتكْثِرَنَّ مِن الصِّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثرُ ما تَراهُ * يكونُ مِن الطعامِ أو الشَّرابِ
إذا انْقلَبَ الصَّديقُ غداً عدوَاً * مُبِينًا والأمورُ إلى انْقِلابِ
ولو كان الكثيرُ يطيبُ كانتْ * مُصاحَبَةُ الكثيرِ مِن الصَّوابِ
ولكِنْ قَلَّ ما استَكْثَرتَ إلاَّ * وقَعَتَ على ذِئابٍ في ثِيابِ
فدَعْ عنكَ الكثيرَ فَكمْ كثيرٍ * يُعافُ وكَمْ قليلٍ مُسْتَطابِ
وما اللُّجَجُ المِلاحُ بمُروِياتٍ * ويكْفِي الرِّيُّ في النُّطفِ العِذابِ

وقال أيضاً:

وما الحسَبُ المَوْروثُ لا درَّ درُّهُ * بمُحتَسَبٍ إلاَّ بآخَرَ مُكْتَسَبْ
فلا تتَّكِلْ إلاَّ على ما فعَلتَهُ * ولا تَحسبَنَّ المجدَ يُورَثُ بالنَّسَبْ
فليسَ يسودُ المرءُ إلا بنفسِهِ * وإنْ عَدَّ آباءً كِرامًا ذَوِي حسَبْ
إذا العودُ لم يُثمِرْ وإنْ كان شُعبةً * مِن المثمِراتِ اعْتَدَّهُ الناسُ في الحَطَبْ
وللمجْدِ قومٌ ساوروهُ بأنفُسٍ * كِرامٍ ولم يَعْبَوْا بأمٍّ ولا بأَبْ

ومن لطيف شعره:

قلْبي مِن الطَّرْفِ السَّقيمِ سقيمُ * لو أنَّ مَنْ أَشكُو إليهِ رَحيمُ
في وَجْهِها أبدًا نَهارٌ واضحٌ * مِن فرعِها ليلٌ عليهِ بَهيمُ
إنْ أقبَلَتْ فالبَدْرُ لاحَ وإنْ مشَتْ * فالغُصْنُ راحَ وإن رَنَتْ فالرِّيمُ
نَعِمتْ بها عَيْني فطال عَذابُها * ولكَمْ عَذابٌ قدْ جَناهُ نَعيمُ
نظَرتْ فأقصدَتِ الفؤادَ بسهمِها * ثمَّ انثَنتْ نحوِي فكِدْتُ أَهيمُ
وَيْلاَهُ إنْ نظَرتْ وإن هي أعرضَتْ * وقعُ السِّهامِ ونَزْعُهُنَّ أليمُ
يا مُستَحِلَّ دَمِي مُحرِّمَ رحمتي * ما أنصَفَ التَّحْليلُ والتَّحْريمُ

وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة غير ما أوردناه، من ذلك قوله، وكان يزعم أنه لم يسبق إليه:

آراؤكمْ ووجوهُكمْ وسُيوفُكمْ * في الحادثاتِ إذا دجَوْنَ نُجومُ
منها معالمُ للهُدَى ومصَابحٌ * تجلُوا الدُّجَى والأُخْرَياتُ رُجُومُ

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين. وأنه مات فى هذه السنة، وقيل: فى التى بعدها، وقيل: فى سنة ست وسبعين، وذكر أن سبب وفاته أن وزير المعتضد القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجوه ولسانه فدس إليه من أطعمه وهو بحضرته خشكنانجة مسمومة، فلما أحس بالسم قام فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى المكان الذى بعثتنى إليه. قال: سلم على والدى. فقال: لست أجتاز على النار.

محمد بن سليمان بن الحارث: أبو بكر الباغندى الواسطى، كان من الحفاظ، وقد ذكر أن أبا داود كان يسأله عن الحديث، ومع هذا تكلموا فيه وضعفوه.

محمد بن غالب بن حرب: أبو جعفر الضبى المعروف بتمتام سمع عفان وقبيصة والقعنبى، وكان من الثقات. قال الدارقطنى: وربما أخطأ. توفى فى رمضان عن تسعين سنة.

البحترى الشاعر: صاحب الديوان المشهور، اسمه الوليد بن عبادة ويقال: الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عبادة الطائى البحترى الشاعر، أصله من منبج وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء وكان شعره فى المديح خيراً منه فى المراثى، فقيل له فى ذلك فقال: المديح للرجاء والمراثى للوفاء وبينهما بُعْد. وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان. وقيل له: إنهم يقولون إنك أشعر من أبى تمام. فقال: لولا أبو تمام ما أكلت الخبز، كان أبو تمام أستاذنا. وقد كان البحترى شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً رجع إلى بلده فمات بها فى هذه السنة، وقيل: فى التى بعدها عن ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

فى المحرم منها: دخل رأس رافع بن هرثمة إلى بغداد فأمر الخليفة بنصبه فى الجانب الشرقى إلى الظهر، ثم بالجانب الغربى إلى الليل.(1)

وفى ربيع الأول منها: خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة المنصور عوضاً عن ابن أبى الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام، وهي شاغرة.

وفى ربيع الآخر: ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحمرة فى الأفق حتى صار الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً. وكذلك الجدران، فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ثم خرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون إليه حتى كشف عنهم.

وفي هذه السنة: عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر فحذره وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب من ذلك، فإن العامة تنكر قلوبهم وهم يترحمون عليه فى أسواقهم ومجامعهم، فلم يلتفت إليه وأمر بذلك وأمضاه وكتبت نسخ بلعن معاوية وذكر فيها ذمه وذم ابنه يزيد بن معاوية وجماعة من بنى أمية، وأورد فيها أحاديث باطلة فى ذم معاوية وقرئت فى الجانبين من بغداد، ونهيت العامة عن الترحم عليه والترضى عنه، فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الصنيع مما يرغب العامة فى الطالبيين وقبول الدعوة إليهم، فوجم لذلك المعتضد وترك ما كان عزم عليه من ذلك لخوفه على الملك، وقدر الله تعالى أن هذا الوزير كان ناصبياً يبغض علياً فكان هذا من هفوات المعتضد سامحه الله.

وفيها: نودى فى البلدان لا يجتمع العامة على قاص ولا كاهن ولا منجم ولا جدلى ولا غير ذلك، وأن

(1) «الطبرى» (10/ 51)، و«المنتظم» (12/ 370).

لا يهتموا لأمر النوروز، ثم أطلق لهم أمر النوروز فكانوا يصبون المياه على المارة فتوسعت العامة فى ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون المياه على الجند وعلى أصحاب الشرط وغيرهم، وهذا أيضاً من هفواته.

قال ابن الجوزى: وفي هذه السنة: وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق فى زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار، فأكذبهم الله فى قولهم هذا فلم يكن سنة منها أقل مطراً منها، وقلت العيون جداً وقحطت الناس فى كل بقعة حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

قال: وفي هذه السنة: كان يتبدى بالليل فى دار الخلافة شخص بيده سيف مشهور فإذا أرادوا أخذه انهزم منهم، فدخل فى بعض الأماكن والزروع والأشجار والعطفات التى بدار الخلافة فلا يطلع له على خبر، فقلق من ذلك المعتضد قلقاً شديداً وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يفد ذلك شيئاً، ثم استدعى بالمعزمين ومن يعانى علم السحر وأمر المجانين فعزموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً فأعياهم أمره. ثم بعد مدة اطلع على جلية خبره وحقيقة أمره أنه كان خادماً خصياً من الخدام كان يتعشق بعض الجوارى من خواص الخطايا التى لا يصل مثله إلى النظر إليها، فكان قد اتخذ لحاً مختلفة الألوان فيلبس الواحدة ويتبدى فى الليل فى شكل مزعج فينزعج الجوارى والخدم، ويثورون من كل جانب فيقصدونه فيدخل فى بعض العطفات ويخلعها ويجعلها فى كمه، ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر، ويسأل هذا وهذا ما الخبر؟ والسيف فى يده في صفة أنه من جملة من رُهب من هذا الأمر، وإذا اجتمع الجواري يتمكن من النظر إلى تلك المعشوقة وملاحظتها والإشارة إليها بما يريده منها، فلم يزل ذلك دأبه إلى زمن المقتدر فبعث فى سرية إلى طرسوس فنمَّت عليه تلك الجارية، وانكشف زيفه ومحاله وأهلكه الله، عز وجل.(1)

وفي هذه السنة: اضطرب الجيش على هارون بن خمارويه بمصر فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدبر الأمور ويصلح الأحوال، وهو أبو جعفر ابن أبا فبعث إلى دمشق وكانت قد منعت بيعة جيش ابن خمارويه في مدة ولايته تسعة أشهر بعد أبيه، واضطربت أحوالها فبعث إليهم جيشاً كثيفاً مع بدر الحمامى والحسين بن أحمد الماذرائى فأصلحا أمرها، واستعملا على نيابتها طغج بن جف، ورجعا إلى الديار المصرية والأمور مختلفة جدًّا، وهكذا يكون انقضاء الدول في أواخرها: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (الرعد:11).

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن المبارك: أبو عمرو المستملى الزاهد النيسابورى، يلقب بحمكويه العابد، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم، واستملى الزاهد النيسابوري على المشايخ ستاً وخمسين سنة، وكان فقيراً رث الهيئة زاهداً، دخل يوماً على أبى عثمان سعيد بن إسماعيل وهو فى مجلس التذكير، فبكى أبو عثمان وقال للناس: إنما أبكانى رثاثة رجل كبير من أهل العلم أنا أجله من أن أسميه فى هذا المجلس، فجعل الناس يلقون الخواتيم والثياب والدراهم حتى اجتمع من ذلك شىء كثير بين يدى الشيخ أبى عثمان، فنهض عند ذلك أبو عمرو المستملى، فقال: أيها الناس أنا الذى قصدنى الشيخ بكلامه، ولولا أنى كرهت أن يتهم بإثم لسترت ما ستره. فتعجب الشيخ من إخلاصه، ثم أخذ أبو عمرو

(1) «المنتظم» (12/ 372-373).

ذلك المجتمع من المال بين يدي الشيخ فما خرج من باب المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمحاويج، رحمه الله. كانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة.(1)

إسحاق بن الحسن: ابن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحربى، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما. وكان أسن من إبراهيم الحربى بثلاث سنين، ولما توفى إسحاق نودى عليه بالبلد فقصد الناس داره للصلاة عليه، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحربى، فجعلوا يقصدون داره فيقول لهم إبراهيم: ليس إلى هذا الموضع قصدتم وغدًا تأتونه أيضًا، فما عمِّر بعده إلا دون السنة، رحمهما الله.

إسحاق بن محمد: أبو يعقوب السدوسي، عمِّر تسعين سنة، وكان ثقة صالحًا.

إسحاق بن موسى بن عمران: الفقيه أبو يعقوب الإسفراييني الشافعي.

عبيد الله بن علي: ابن الحسن بن إسماعيل أبو العباس الهاشمي، كانت إليه الحسبة ببغداد وإمامة جامع الرصافة.

عبد العزيز بن معاوية العتابي: من ولد عتاب بن أسيد، بصرى، قدم بغداد، وحدث عن أزهر السمان وأبي عاصم النبيل.

يزيد بن الهيثم بن طهمان: أبو خالد الدقاق ويعرف بالبادا. قال ابن الجوزى: والصواب أن يقال: البادى لأنه ولد توأماً فكان هو الأول فى الميلاد. روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة صالحًا، عالـمًا عاملاً.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها: خرج صالح بن مدرك الطائى على الحاج بالأجفر، فأخذ أموالهم ونساءهم وخدمهم، يقال: إنه أخذ منهم ما قيمته ألفا ألف دينار.(2)

وفى ربيع الأول منها: يوم الأحد لعشر بقين منه، ارتفعت بنواحى الكوفة ظلمة شديدة جداً، ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم ير مثلها، وسقط فى بعض القرى مع المطر حجارة بيض وسود، وسقط برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهماً، واقتلعت الرياح شيئاً كثيراً من النخيل مما حول دجلة، وزادت دجلة زيادة عظيمة حتى خيف على بغداد من الغرق.

وفيها: غزا راغب الخادم مولى الموفق بلاد الروم، ففتح حصوناً كثيرة، وأسر ذرارى كثيرة جداً، وقتل من أسارى الرجال الذين تحصلوا معه ثلاثة آلاف رقبة، وعاد سالماً مؤيداً منصوراً.

وحج بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي.

وفيها توفي: أحمد بن عيسى بن الشيخ: صاحب آمد، فقام بأمرها من بعده ولده محمد، فقصده المعتضد ومعه ابنه أبو محمد عليّ المكتفى بالله فحاصره بها فخرج إليه سامعاً مطيعاً، فتسلمها منه وخلع عليه وأكرم أهله وأحسن إليه، واستخلف عليها ولده المكتفى. ثم سار إلى قنسرين والعواصم، فتسلمها عن كتاب هارون بن خمارويه، وإذنه له فى ذلك ومصالحته له على ذلك.

وفيها: غزا ابن الأخشيد بأهل طرسوس بلاد الروم، ففتح الله على يديه حصوناً كثيرة، ولله الحمد.

(1) راجع «المنتظم» (12/ 374).
(2) «الطبرى» (10/ 67)، و«المنتظم» (12/ 377).

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربى. أحد الأئمة فى الفقه والحديث وغير ذلك، وكان زاهداً عابداً تخرج بأحمد بن حنبل، وروى عنه كثيراً. قال الدارقطنى: إبراهيم الحربى، إمام مصنف عالم بكل شيء، بارع فى كل علم، صدوق، كان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وعلمه وورعه[1]، وقال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه.[2] وكان يقول: الرجل الذى يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله. وقد كانت بى شقيقة منذ خمس وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولى عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت بهذا أحداً قط[3]. وذكر أنه مكث نيفاً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداء ولا عشاء، بل إن جاءوه شيء أكله، وإلا طوى إلى الليلة القابلة.

وذكر أنه أنفق فى بعض الرمضانات على نفسه وعياله درهماً واحداً وأربعة دوانيق ونصفًا، وما كنا نعرف من هذه الطبائخ شيئاً، إنما هو باذنجان مشوى، أو باقة فجل، أو نحو هذا[4]. وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد فى بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها وردها، فرجع الرسول، وقال: يقول لك الخليفة: فرّقها على من تعرف من فقراء جيرانك. فقال: هذا شيء لم نجمعه، ولا نسأل عن جمعه، فلا نسأل عن تفريقه، قل لأمير المؤمنين: إما يتركنا وإلا نتحول من بلده.[5] ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يعوده، فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح، وربما عدموا الملح فى بعض الأحيان. فقال لها إبراهيم: يا بنية تخافين الفقر؟انظرى إلى تلك الزاوية ففيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها في العلم، ففى كل يوم بيعي منها جزءًا بدرهم، فمن عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير. ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذى الحجة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى عند باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.

المبرد النحوى: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدى الثمالى، المعروف: بالمبرد النحوى البصرى، إمام فى اللغة والعربية. أخذ ذلك عن المازنى، وأبى حاتم السجستانى، وكان ثقة ثبتاً فيما ينقله، وكان مناوئاً لثعلب، وله كتاب «الكامل فى الأدب»، وإنما سمى بالمبرد: لأنه اختبأ من الوالى عند أبى حاتم تحت المزملة. قال المبرد: دخلنا يوماً على المجانين نزورهم أنا وأصحاب معى بالرقة، فإذا فيهم شاب قريب عهد بالمكان، عليه ثياب ناعمة فلما أبصر بنا قال: حياكم الله ممن أنتم؟ قلنا: من أهل العراق. فقال: بأبى العراق وأهلها أنشدونى أو أنشدكم؟ قال المبرد: فقلت: بل أنشدنا أنت، فقال:

الله يعلمُ أنّني كَمِدُ * لا أستطيعُ أَبُثُّ ما أجِدُ
رُوحانِ لي رُوحٌ تضمنها * بلَدٌ وأخرَى حازها بلَدُ
وأرَى المقيمةَ ليسَ ينفعُها * صبرٌ ولا يقوَى لها جلَدُ
وأظنُّ غائبَتي كشاهدتي * بمكانها تجِدُ الذي أجِدُ

قال المبرد: فقلت: والله إن هذا لظريف فزدنا منه، فأنشأ يقول:

---

(1) «تاريخ بغداد» (6/ 40)، و«المنتظم» (12/ 380).
(2-4) «تاريخ بغداد» (6/ 30-32).
(5) «تاريخ بغداد» (6/ 32).

لمّا أناخوا قُبَيْلَ الصُّبحِ عِيرَهُمُ * ورحّلوها فثارَتْ بالهَوى الإبلُ
وأبرزَتْ مِن خلالِ السَّجفِ ناظرَها * ترنُو إليَّ ودمعُ العينِ ينهمِلُ
وودَّعتْ ببنانٍ عَقْدُهُ عنَمٌ * ناديتُ لا حمَلَتْ رِجْلاكَ يا جملُ
وَيلي من البَيْنِ ماذا حلَّ بي وبهمْ * من نازلِ البَيْنِ حانَ البينُ وارتحلوا
يا راحلَ العيسِ عجِّلْ كي أُودِّعهمْ * يا راحلَ العيسِ في ترْحالكَ الأجَلُ
إنّي على العهدِ لم أنقُضْ مودَّتَهم * فليْتَ شعْري لطولِ العَهْدِ ما فعلوا

فقال رجل من البغضاء الذين معي: ماتوا. فقال الشاب: إذاً أموت. فقال له: إن شئت. فتمطى واستند إلى سارية عنده ومات، وما برحنا حتى دفناه رحمه الله. ومات المبرد وقد جاوز السبعين.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

فيها: وقع تسلم آمد من ابن الشيخ في ربيع الآخر، ووصل كتاب هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمد أن يسلم إليه قنسرين والعواصم، على أن يقره على إمرة الديار المصرية، فأجابه إلى ذلك. ثم ترحل عن آمد قاصداً العراق وأمر بهدم سور آمد، فهدم البعض ولم يقدر على ذلك، فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمد:

اسلَمْ أميرَ المؤمنينَ ودُمْ * في غِبْطةٍ وَلْيَهْنِكَ النصرُ
فلَرُبَّ حادثةٍ نهَضْتَ لها * مُتقدِّماً فتأخَّرَ الدهْرُ
لَيْثٌ فرائسُهُ الليُوثُ فما * يبيضُّ مِن دَمِها لهُ ظُفُرُ

ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور، فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم خارجاً عن دواب وسروج وغير ذلك.

وفيها: تحارب إسماعيل بن أحمد الساماني وعمرو بن الليث، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة، سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافاً إلى ما بيده من ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر، وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة، فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد. فلم يقبل، فأقبل إليه إسماعيل بن أحمد الساماني في جيوش عظيمة جدًا، فالتقيا عند بلخ، فهزم أصحاب عمرو، وأسر عمرو بن الليث، فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبّل بين عينيه، وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه، وكتب إلى الخليفة في أمره، يذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوه وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن. ومن العجائب أن عمراً كان معه خمسون ألف مقاتل لم يُصَب أحد منهم، ولا أسر سواه.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة قبحهم الله ولعنهم وهم أخبث من الزنج وأشد فساداً

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشرٌ كثير، وقويت شوكته جداً، وقتل من حوله من أهل القرى. ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة ورام

دخولها، فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها، فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك. وتغلب أبو سعيد الجنابى ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد، وأكثروا فى الأرض الفساد. وكان أصل أبى سعيد الجنابى هذا أنه كان سمساراً فى الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان، فقدم رجل به، يقال له: يحيى بن المهدى فى سنة إحدى وثمانين ومائتين، فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدى، فاستجاب له رجل يقال له: على بن العلاء بن حمدان الزيادى، وساعده فى الدعوة إلى المهدى، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف، فاستجابوا له، فكان من جملة من استجاب له أبو سعيد الجنابى هذا قبحه الله. ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة، فاستجابوا له والتفوا عليه، فتأمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم، وأصله من بلدة هناك يقال لها: جنابة، وسيأتى ما يكون من أمره وأمر أصحابه.

قال ابن الجوزي فى «المنتظم»: ومن عجائب ما وقع من الحوادث فى هذه السنة. ثم روى بسنده: أن امرأة تقدمت إلى قاضى الرى، فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار، فأنكره الزوج فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا، فلما صمموا على ذلك، قال الزوج: لا تفعلوا هى صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها. فقالت المرأة: وإذ قد أراد ذلك فهو فى حلٍّ من صداقى عليه فى الدنيا والآخرة.(1)

وممن توفى فيها من الأعيان المشاهير: أحمد بن عيسى: أبو سعيد الخراز، فيما ذكره شيخنا الذهبى. وقد أرخه ابن الجوزى فى سنة سبع وسبعين ومائتين، فالله أعلم.

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان: أبو يعقوب النخعى الأحمر، وإليه تنسب الطائفة الإسحاقية من الشيعة. وقد ذكر ابن النوبختى، والخطيب، وابن الجوزى: أن هذا الرجل كان يعتقد إلهية على بن أبى طالب، وأنه انتقل إلى الحسن ثم إلى الحسين، وأنه كان يظهر فى كل وقت، وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحمير قبحه الله وقبحهم. وإنما قيل له: الأحمر لأنه كان أبرص، وكان يطلى برصه بما يغير لونه. وقد أورد له النوبختي أقوالاً عظيمة فى الكفر، لعنه الله. وقد روى شيئاً من الحكايات والـمُلَح عن المازنى وطبقته، ومثل هذا أقل وأذل من أن يروى عنه.

بقى بن مخلد بن يزيد: أبو عبد الرحمن الأندلسى الحافظ أحد علماء الغرب، له التفسير والمسند والسنن والآثار التى فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير، ومسند أحمد، ومصنف ابن أبى شيبة. وفيما زعم ابن حزم نظر. وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فى «تاريخه» فأثنى عليه خيرًا، ووصفه بالحفظ والإتقان، وذكر أنه كان مجاب الدعوة رحمه الله. وأرخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة.

والحسين بن بشار بن موسى: أبو على الخياط روى عن أبى بلال الأشعرى، وعنه أبو بكر الشافعى، وكان ثقة، رأى فى منامه -وقد كانت به علة- قائلاً يقول له: كُلْ لا، واشرب لا، ففسره بقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور: 35) فأكل زيتوناً، وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك.

محمد بن إبراهيم: أبو جعفر الأنماطى، المعروف: بمربع، تلميذ يحيى بن معين، كان ثقة حافظًا.

عبد الرحيم البرقي، ومحمد بن وضاح المصنف. **وعلى** بن عبد العزيز البغوى صاحب المسند.

---

(1) «المنتظم» (12/ 402-403).

محمد بن يونس: ابن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم أبو العباس القرشى البصرى الكديمى، وهو ابن امرأة روح بن عبادة، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائة، وسمع عبد الله بن داود الخريبى، ومحمد بن عبد الله الأنصارى، وأبا داود الطيالسى، والأصمعى، وخلقاً. وعنه ابن السماك، والنجاد. وآخر من حدث عنه أبو بكر ابن مالك القطيعي، وقد كان حافظاً مكثراً مغرباً، تكلم فيه الناس لإغرابه فى الروايات. وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا «التكميل» بما فيه الكفاية، ولله الحمد والمنة. دفن يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد جاوز المائة سنة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى، رحمه الله.

يعقوب بن إسحاق بن تحية: أبو يوسف الواسطى، سمع من يزيد بن هارون وقدم بغداد، فحدَّث بها بأربعة أحاديث، ووعد الناس أن يحدثهم من الغد، فمات من ليلته عن مائة واثنتي عشرة سنة، رحمه الله.

الوليد أبو عبادة البحترى: فيما ذكره شيخنا الذهبى، وقد تقدم ذكره فى سنة ثلاث وثمانين كما ذكره ابن الجوزى، فالله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

فى ربيع الأول منها: تفاقم أمر القرامطة صحبة أبى سعيد الجنابى، فقتلوا وسبوا وأفسدوا فى بلاد هجر، فجهز الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً، وأمّر عليهم العباس بن عمرو الغنوى، وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد، فالتقوا هنالك. والعباس فى عشرة آلاف مقاتل، فأسرهم أبو سعيد كلهم فنجا من بينهم كلهم الأمير وحده، وقُتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يدي أبي سعيد قبحه الله. وهذا عجيب جداً وهو عكس واقعة عمرو بن الليث، فإنه أسر من بين أصحابه وكانوا خمسين ألفاً.(1) ويقال: إن العباس لما قتل أبو سعيد أصحابه صبراً بين يديه والعباس ينظر، أقام عند أبى سعيد أياماً ثم أطلقه وحمله على رواحل، وقال: ارجع إلى صاحبك فأخبره بما رأيت. وقد كانت هذه الواقعة فى أواخر شعبان من هذه السنة، فلما وقع هذا انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيماً جداً، وهمَّ أهل البصرة بالجلاء منها، فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثقى، فإن لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: أغارت الروم على بلاد طرسوس، وكان نائبها وهو ابن الأخشيد قد توفى فى العام الماضى، واستخلف على الثغر أبا ثابت، فطمعت الروم فى تلك الناحية، وحشدوا عساكرهم إلى هنالك، فالتقاهم أبو ثابت فلم يقدر على مقاومتهم، فقتلوا من أصحابه جماعة، وأسروه فيمن أسروا، فاجتمع أهل الثغر على ابن الأعرابى فولوه أمرهم، وذلك فى ربيع الآخر.

وفيها قتل: محمد بن زيد العلوى أمير طبرستان والديلم، وكان سبب ذلك: أنه لما ظفر إسماعيل ابن أحمد السامانى بعمرو بن الليث نائب خراسان ظن محمد أن إسماعيل لا يجاوز عمله، وأن خراسان قد خلت له، فارتحل من بلده يريدها، وسبقه إلى خراسان إسماعيل بن أحمد، وكتب إليه: أن الزم عملك ولا تجاوزه إلى غيره. فلم يقبل، فبعث إليه جيشاً مع محمد بن هارون الذى كان ينوب عن رافع بن هرثمة، فلما التقيا هرب منه محمد بن هارون خديعة، فسار الجيش وراءه فى الطلب، فكر عليهم راجعاً فانهزموا منه، فاحتاز ما فى معسكرهم، وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة، فمات بسببها بعد أيام، وأسر ولده

(1) «الطبرى» (10/ 75)، و«المنتظم» (12/ 411).

زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد، فأكرمه وأنزله بخارى. وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلاً ديناً، حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد، وكان فيه تشيع. فتقدم إليه يوماً خصمان اسم أحدهما: معاوية، واسم الآخر: عليّ، فقال محمد بن زيد: إن الحكم بينكما ظاهر. فقال معاوية: أيها الأمير، لا تغترن بنا فإن أبى كان من كبار الشيعة، وإنما سمانى معاوية مداراة لمن ببلدنا من السنة. وهذا كان أبوه من كبار النواصب، فسماه: علياً تقاة لكم. فتبسم محمد بن زيد، وأحسن إليه، رحمه الله.

قال ابن الأثير فى «كامله»: **وممن توفى فيها: إسحاق** بن أيوب بن عمر بن الخطاب العدوى عدى ربيعة. وكان أميراً على ديار ربيعة من الجزيرة، فولى مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر. **وعلى** بن عبد العزيز البغوى صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام. **وفهد** بن أحمد بن فهد الأزدى الموصلى، وكان من الأعيان.

وذكر هو وأبو الفرج ابن الجوزى: **أن قطر الندى** بنت خمارويه بن أحمد بن طولون امرأة المعتضد بالله توفيت فى هذه السنة. قال ابن الجوزى: لسبع خلون من رجب منها، ودفنت داخل قصر الرصافة. **ويعقوب** بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطوعى، سمع أحمد بن حنبل، وعليّ ابن المدينى، وعنه النجاد والخلدى، وكان ورده فى كل يوم قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى وثلاثين ألف مرة، أو إحدى وأربعين ألف مرة.

قلت: وممن توفى فيها: أبو بكر ابن أبى عاصم: صاحب السنة والمصنفات وهو: أحمد بن عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل، له مصنفات فى الحديث كثيرة منها: كتاب «السنة» فى أحاديث الصفات على طريقة السلف، وكان حافظًا كبيرًا جليلاً، قد ولى قضاء أصبهان بعد صالح ابن الإمام أحمد، وكان قد طاف البلاد فى طلب الحديث، وصحب أبا تراب النخشبى وغيره من مشايخ الصوفية. وقد اتفق له مرة كرامة هائلة: كان هو واثنان من كبار الصالحين فى سفر، فنزلوا يومًا على رمل أبيض، فجعل أبو بكر هذا يقلبه بيده، ويقول: اللهم ارزقنا خبيصاً يكون بلون هذا. فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابى وبيده قصعة فيها خبيص بلون ذلك الرمل فى بياضه، فأكلوا منه، رحمه الله. وكان يقول: لا أحب أن يحضر مجلسى مبتدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء، ولا منحرف عن الشافعى وأصحاب الحديث. وكانت وفاته فى هذه السنة بأصبهان، وقد رآه بعضهم بعد وفاته وهو يصلى، فلما انصرف قال: ما فعل الله بك؟ فقال: يؤنسنى ربى عز وجل.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

اتفق فى هذه السنة مصائب عديدة **منها**: أن الروم قصدوا بلاد الرقة فى جحافل من البر والبحر، فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً من الذرية. **ومنها**: أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبقَ أحد يقدر على دفن الموتى، فتُركوا فى الطرق لا يوارون عن الأبصار. **ومنها**: أن بلاد أردبيل أصابتها ريح شديدة أيضًا من بعد العصر إلى ثلث الليل، ثم زلزلوا زلزالاً شديداً، واستمر ذلك أياماً فتهدمت الدور والمنازل، وخسف بآخرين منهم، وكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف وخمسين ألفاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: اقترب القرامطة من البصرة فخاف أهلها خوفاً شديداً، وهموا بالرحيل منها فمنعهم واليها.(1)

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 83)، و«المنتظم» (12/ 416).

ومن توفى فيها من الأعيان: **بشر بن موسى بن صالح:** أبو على الأسدى ولد سنة تسعين ومائة، وسمع من روح بن عبادة حديثاً واحداً، وسمع الكثير من هوذة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبى نعيم وعليّ بن الجعد والأصمعى وغيرهم، وعنه ابن المنادى وابن مخلد وابن صاعد والنجاد وأبو عمر الزاهد والخلدى والخطبي وأبو بكر الشافعى وابن الصواف وغيرهم. وكان ثقة أميناً حافظاً، وكان من أهل البيوتات وكان أحمد يكرمه. ومن شعره:

ضَعُفْتُ ومَنْ جازَ الثمانينَ يضْعُفُ * ويُنكَرُ منه كلُّ ما كانَ يُعْرَفُ

ويمشِي رُوَيْدًا كالأسيرِ مقيَّدًا * يُداني خُطَاه في الحديدِ ويَرْسُفُ

ثابت بن قرة بن هارون: ويقال: زهرون، ابن ثابت بن كرايا بن إبراهيم الصابئي الفيلسوف الحرانى صاحب التصانيف، من جملتها أنه حرر كتاب إقليدس الذى عربه حنين بن إسحاق العبادى. وكان أصله صيرفيًا بحران فترك ذلك واشتغل بعلم الأوائل، فنال منه رتبة سامية عند أهله، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها، وكان يدخل مع المنجمين على الخليفة وهو باق على دين الصابئة، وحفيده ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن، وكان بليغاً ماهراً حاذقاً بالغاً. وعمه إبراهيم بن ثابت بن قرة، كان طبيباً عارفاً أيضاً. وقد سردهم كلهم فى هذه الترجمة القاضى ابن خلكان.

الحسن بن عمرو بن الجهم: أبو الحسن الشيعى -من شيعة المنصور لا من الروافض- حدث عن عليّ ابن المديني، وحكى عن بشر الحافى. وعنه أبو عمرو ابن السماك.

عبيد الله بن سليمان بن وهب: وزير المعتضد، كان حظياً عنده، وقد عز عليه وفاته وتألم لفقده وأهمه من يجعله من بعده، فعقد لولده القاسم بن عبيد الله الوزارة من بعد أبيه جبراً لمصابه به.

وأبو القاسم: عثمان بن سعيد بن بشار المعروف بالأنماطى أحد كبار الشافعية. وقد ذكرناه فى «طبقاتهم».

وهارون بن محمد: ابن إسحاق بن موسى بن عيسى أبو موسى الهاشمى، إمام الناس فى الحج، سمع وحدَّث، وتوفى بمصر فى رمضان من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

فيها: عاثت القرامطة بسواد الكوفة، فظفر بعض العمال بطائفة منهم، فبعث برئيسهم إلى المعتضد، وكان يقال له: أبو الفوارس، فنال من العباس بين يدى الخليفة فأمر به فقلعت أضراسه وخلعت يداه، ثم قطعتا مع رجليه ثم قتل وصلب ببغداد، وأشهر أمره.(1)

وفيها: قصدت القرامطة دمشق فى جحفل عظيم فقاتلهم نائبها طغج بن جف من جهة هارون بن خمارويه، فهزموه مرات متعددة، وتفاقم الحال بينهم، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زكرويه بن بهرويه الذى ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وقد كذب فى ذلك، وزعم لهم أنه قد اتبعه على أمره مائة ألف، وأن ناقته مأمورة حيث ما توجهت به نُصر على أهل تلك الناحية. فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ، واتبعه طائفة من بنى الأصبغ، وسموا بالفاطميين. وقد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيفاً فهزموه، ثم اجتازوا بالرصافة

---

(1) «الطبرى» (10/ 86)، و«المنتظم» (12/ 421).

فأحرقوا جامعها، ولم يجتازوا بقرية إلا انتهبوها، ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشق فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيراً. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفى هذه الحال الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله فى ربيع الأول من هذه السنة أحسن الله خاتمتها.

وهذه ترجمة المعتضد

أحمد ابن الأمير أبى أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله، واسم أبى أحمد محمد، وقيل: طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس أمير المؤمنين الخليفة المعتضد بالله. ولد فى سنة ثنتين، وقيل: ثلاث وأربعين ومائتين، وأمه أم ولد. وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة، قد وخطه الشيب، وفى مقدم لحيته طول، وفى رأسه شامة بيضاء.[1] بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، فاستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب، وولى القضاء إسماعيل بن إسحاق ويوسف بن يعقوب وابن أبى الشوارب. وكان أمر الخلافة قد ضعف فى أيام عمه المعتمد على الله، فلما ولى المعتضد أقام شعارها ورفع منارها وشيد دعائمها وحيطانها، وأطد أركانها، وكان شجاعاً فاضلاً من رجالات قريش حزماً وجرأة وغزواً وعزاً وإقداماً وحرمة، وكذلك كان أبوه من قبله.

وقد أورد ابن الجوزى بإسناده أن المعتضد اجتاز فى بعض أسفاره بقرية فيها مقثأة فوقف صاحبها صائحاً مستصرخاً بالخليفة، فاستدعى به فسأله عن أمره، فقال: إن بعض الجيش أخذوا لى شيئاً من القثاء وهم من غلمانك. فقال: أتعرفهم؟ قال: نعم. فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة، فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم، فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة الطريق، فاستعظم الناس ذلك واستنكروه وعابوا ذلك على الخليفة، وقالوا: قتل ثلاثة بسبب قثاء أخذوه؟ فلما كان بعد قليل أمر الخواص مسامره أن ينكر عليه ذلك، وليتلطف فى مخاطبته فى ذلك، فدخل عليه ذات ليلة وقد عزم على ذلك، ففهم الخليفة ما فى نفسه من كلام يريد أن يبديه، فقال له: إنى أعرف أن فى نفسك كلاماً فما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم. قلت له: فإن الناس ينكرون عليك تسرعك فى سفك الدماء. فقال: والله ما سفكت دماً حراماً منذ وليت الخلافة إلا بحقه. فقلت له: فعلام قتلت أحمد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له جناية؟ فقال: ويحك إنه دعانى إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بينى وبينه، فقلت له: يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة، وأنا منتصب فى منصبه فأكفر حتى أكون من غير قبيلته. فقتلته على الكفر والزندقة. فقلت له: فما بال الثلاثة الذين قتلتهم في القثاء؟ فقال: والله ما كان أولئك الذين أخذوا القثاء، وإنما كانوا لصوصًا قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم، فبعثت فجئت بهم من السجن فقتلتهم، وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القثاء، وأردت بذلك أن أرهب الجيش؛ لئلا يفسدوا فى الأرض، ويتعدوا على الناس، ويكفوا عن الأذى. ثم أمر بإخراج أولئك الذين كان حبسهم بسبب القثاء فأطلقهم بعد ما استتابهم، وخلع عليهم وردَّهم إلى أرزاقهم التي كانت لهم.[2]

قال ابن الجوزى: وخرج المعتضد يوماً فعسكر بباب الشماسية ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئاً، فأتى بأسود قد أخذ عذقاً من بسر فتأمله طويلاً ثم أمر بضرب عنقه. ثم التفت إلى أصحابه وقال: إن العامة

---

(1) «تاريخ بغداد» (4/ 403)، و«السير» (13/ 463).
(2) «المنتظم» (12/ 307).

ينكرون هذا ويقولون: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا قطع فى ثمر ولا كثر**». ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله، وإنى لم أقتل هذا على سرقته، وإنما هذا الأسود له خبر طريف، هذا رجل من الزنج كان قد استأمن فى حياة أبى، وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين فضرب المسلم فقطع يده فمات المسلم، فأهدر أبى دم الرجل المقتول تأليفاً للزنج، فآليت على نفسى لئن أنا قدرت عليه لأقتلنه، فما وقعت عيني عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل.(1)

وقال أبو بكر الخطيب: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن نعيم الضبى، سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سمعت أبا العباس ابن سريج يقول: سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضى يقول: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه، فنظرت إليهم فرآنى المعتضد وأنا أتأملهم، فلما أردت القيام أشار إليَّ فمكثت ساعة فلما خلا قال لى: أيها القاضى والله ما حللت سراويلى على حرام قط.(2) وروى البيهقى: عن الحاكم، عن حسان بن محمد، عن ابن سريج عن القاضى إسماعيل بن إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتضد فدفع إليَّ كتاباً فقرأته، فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء، فقلت: يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديق. فقال: كيف؟ فقلت: إن من أباح النبيذ لم يبح المتعة، ومن أباح الغناء لم يبح النبيذ، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه. فأمر بتحريق ذلك الكتاب.(3) وروى الخطيب بسنده عن صافى الحرمي الخادم قال: انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شغب، وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشر من الوصائف، والصبيان من أصحابه فى سنه عنده، وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب، وكان العنب إذ ذاك عزيزًا جدًا، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على كل واحد من جلسائه عنبة عنبة، فتركه المعتضد وجلس ناحية فى بيت مهمومًا. فقلت له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام، فإن فى قتله صلاحاً للأمة. فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين العن الشيطان. فقال: ويحك يا صافى إن هذا الغلام فى غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان، فإن طباع الصبيان تأبى الكرم، وهذا فى غاية الكرم، وإن الناس بعدى لا يولون عليهم إلا من هو من ولدى، فسيلى عليهم المكتفى ثم لا تطول أيامه لعلته التى به -وهى داء الخنازير- ثم يموت فيولى على الناس جعفر هذا الغلام، فيصرف جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن، وقرب عهده من تشبهه بهن، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور. قال صافى: فوالله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء.

وروى ابن الجوزى عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يوماً نائماً وقت القائلة ونحن حول سريره، فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا فجئنا إليه، فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدونها فارغة منحدرة فأتونى بملاحها واحتفظوا بها. فذهبنا سراعاً فوجدنا ملاحاً فى سميرية فارغة منحدراً، فأتينا به الخليفة، فلما رأى الملاح الخليفة كاد يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج، فقال له الخليفة: ويحك يا ملعون، اصدقنى عن قصتك مع المرأة التى قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك. قال: فتلعثم، ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سَحَرًا فى مشرعتى الفلانية، فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها

(1) «المنتظم» (12/ 324)، والحديث رواه أبو داود (4388)، والترمذى (1449)، وهو فى «صحيح أبى داود» (3688).
(2) «تاريخ بغداد» (4/ 404).
(3) أخرجه الذهبى فى «السير» (13/ 465) من طريق إسحاق به.

ثياب فاخرة وحلى كثير وجوهر، فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلى والثياب، وخشيت أن أرجع به إلى منزلى فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب إلى واسط فلقينى هؤلاء الخدم فأخذونى. فقال له: وأين حليها؟ فقال له: فى صدر السفينة تحت البوارى. فأمر الخليفة بإحضار الحلى، فجىء به فإذا هو حلى كثير يساوى أموالاً كثيرة، فأمر الخليفة بتغريق الملاح فى المكان الذى غرق فيه المرأة، وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال وليتهم، فنادى بذلك ثلاثة أيام فى أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فسلم إليهم ما كان مع تلك المرأة من الحلى والثياب. فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت فى نومى تلك الساعة شيخاً أبيض الرأس واللحية والثياب، وهو ينادى: يا أحمد يا أحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التى قتلها اليوم وسلبها، فأقم عليه الحد. فكان ما شاهدتم.(1)

وعن خفيف السمرقندي الحاجب قال: كنت مع مولاى المعتضد فى بعض متصيداته وكان قد انقطع عن العسكر وليس معه غيرى، إذ خرج علينا أسد فقصد قصدنا، فقال لى المعتضد: يا خفيف أفيك خير؟ قلت: لا والله يا مولاي. فقال: ولا حتى تمسك فرسى وأنزل أنا؟ فقلت: بلى. قال: فنزل عن فرسه فأمسكتها وغرز أطراف ثيابه فى منطقته، واستل سيفه ورمى بقرابه إليَّ ثم تقدم إلى الأسد، فوثب الأسد عليه فضربه المعتضد بالسيف فأطار يده فاشتغل الأسد بيده، فضربه ثانية في هامته ففلقها، فخر الأسد صريعاً فدنا منه فمسح سيفه فى صوفه، ثم أقبل إليَّ فأغمد سيفه فى قرابه، ثم ركب فرسه ثم عدنا إلى العسكر قال: وصحبته إلى أن مات فوالله ما سمعته ذكر ذلك لأحد، فما أدرى من أى شىء أعجب؟ من شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك، حيث لم يذكره لأحد؟ أم من عدم عتبه عليَّ حيث ضننت بنفسى عنه؟ والله ما عاتبنى فى ذلك قط.(2)

وروى الحافظ ابن عساكر عن أبى الحسين النورى: أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح، فقال: ما هذه ولمن هذه؟ فقال له: هذه خمر للمعتضد. فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود فى يده حتى كسرها كلها إلا دناً واحداً تركه، واستغاث الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقفوه بين يدى المعتضد، فقال له: من أنت؟ فقال: محتسب. فقال: ومن ولاك الحسبة؟ فقال: الذى ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين. فأطرق رأسه ثم رفعها فقال: ما الذى حملك على ما فعلت؟ فقال: شفقةً عليك لدفع الضرر عنك. فأطرق رأسه ثم رفعه فقال: ولم تركت من الدنان واحداً؟ فقال: إني أقدمت عليها فكسرتها إجلالاً لعظمة الله تعالى، ولم أبال أحداً من الناس حتى انتهيت إلى هذا الدن، فتخوفت على نفسي كبرًا على أني أقدمت على مثلك فتركته، فقال له المعتضد: اذهب فقد أطلقت يدك فغيِّر ما أحببت أن تغيره من المنكر. فقال النورى: الآن نقص عزمى عن التغيير، فقال: ولمَ؟ فقال: لأنى كنت أغير عن الله، وأنا الآن أغير عن شرطى. فقال: سل حاجتك. فقال: أحب أن تخرجَنى من بين يديك سالماً. فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة، فأقام بها مختفياً خشية أن يشق عليه أحد فى حاجة عند المعتضد. فلما توفى المعتضد رجع إلى بغداد.(3)

وذكر القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى عن شيخ من التجار، قال: كان لى على بعض الأمراء مال كثير فماطلنى ومنعنى حقى، وجعل كلما جئت أطالبه حجبنى عنه ويأمر غلمانه يؤذوننى،

(1) «المنتظم» (12/ 312). (2) «المنتظم» (12/ 314).
(3) ذكره الذهبى فى «السير».

فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً، فأيست من المال الذى عليه ودخلنى همٌ من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكى، إذ قال لى رجل: ألا تأتى فلاناً الخياط -إمام مسجد هناك- فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه. فقال لى: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً. قال: فقصدته غير محتفل فى أمره، فذكرت له حاجتى ومالى، وما لقيت من هذا الظالم، فقام معى فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه، وبادر إلى قضاء حقى الذى عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت، فتغير لون الأمير ودفع إليَّ حقى.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته، كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إنى عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل منى شيئًا، وقال: لو أردت هذا لكان لى من الأموال ما لا يحصى. فسألته عن خبره وذكرت له تعجبى منه وألححت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا ههنا رجل تركى شاب حسن أمير فلما كان ذات يوم أقبلت امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله، وهى تأبى عليه وتصرخ بأعلى صوتها: يا معشر المسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا يريدنى على نفسى ليدخلني منزله، وقد حلف زوجى بالطلاق أن لا أبيت فى غير منزله، ومتى بت هاهنا طلقت منه، ولحقنى بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع. قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه، فضربنى بدبوس فى يده فشج رأسى، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغسلت الدم عنى وعصبت رأسى وصليت بالناس العشاء، ثم قلت لهم: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معى إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه، فقام الناس معى فهجمنا عليه داره فثار إلينا فى جماعة من غلمانه بأيديهم العصى والدبابيس يضربون الناس، وقصدنى هو من بينهم فضربنى ضرباً شديداً مبرحاً حتى أدمانى، وأخرجنا من منزله ونحن فى غاية الإهانة. فرجعت إلى منزلى وأنا لا أهتدى إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشى فلم يأخذنى نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ هذه المرأة من يده فى هذه الليلة لترجع فتبيت فى منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح فى أثناء الليل، لكى يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتى قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت، ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق فرساناً ورجّالة وهم يقولون: أين الذى أذن هذه الساعة؟ فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينونى عليه، فقالوا: انزل فنزلت. فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأخذونى وذهبوا بى لا أملك من نفسى شيئاً، وما زالوا بي حتى أدخلونى على الخليفة المعتضد بالله، فلما رأيته جالساً فى مقام الخلافة ارتعدت من الخوف، وفزعت فزعاً شديداً، فقال: ادنُ، فدنوت فقال لى: ليسكن روعك وليهدأ قلبك. وما زال يلاطفنى حتى اطمأننت وذهب خوفى، فقال: أنت الذى أذنت هذه الساعة. قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه؟ فيغتر بذلك الصائم والمسافر والمصلى وغيرهم. فقلت: يؤمننى أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبرى؟ فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة. قال: فغضب غضباً شديداً، وأمر

بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أى حالة كانا، فأحضرا سريعاً فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات، ومعهن ثقة من جهته أيضاً، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعذورة.

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير، فقال له: كم لك من الرزق؟وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجواري والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً. فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله، وتعديت حدوده، وتجرأت على السلطان، وما كفاك ذلك حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر، فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن له جواب. فأمر به فجعل فى رجله قيد، وفى عنقه غل، ثم أمر به فأدخل فى جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً حتى خفت صوته، ثم أمر به فألقى فى دجلة فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر بدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما فى داره من الحواصل والأموال التى كان يتناولها من بيت المال بغير حلها، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا وأشار إلى صاحب الشرطة فأعلمنى به، فإن اتفق اجتماعك بى وإلا فعلامة ما بينى وبينك: أن تؤذن فى مثل وقت أذانك هذا. قال: فبهذا السبب لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشىء من الخير، أو أنهاه عن الشر إلا بادر إلى امتثاله وقبوله خوفاً من المعتضد، وما احتجت أن أؤذن فى مثل تلك الساعة إلى الآن.(1)

وذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال: كنت يوماً عند المعتضد، وخادم واقف على رأسه يذب بمذبة فى يده إذ حركها فجاءت فى قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه، فأعظمت أنا ذلك جداً وخفت من هول ما وقع، ولم يكترث الخليفة لذلك، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم: مر هذا البائس فليذهب لراحته فإنه قد نعس، وزيدوا فى عدة من يذب بالنوبة. قال الوزير: فأخذت فى الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال: إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه وإنما نعس، وليس العقاب والمعاتبة إلا على المتعمد لا على المخطئ والساهى.(2) وقال خفيف السمرقندى الحاجب: لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان خر ساجداً طويلاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك. فقال: إنما سجدت شكراً لله أنى لم أعزله ولم أؤذه، ثم استشار الحاضرين فيمن يستوزره من بعده، وذكر هو رجلين، أحدهما جرادة وكان حازم الرأى قوياً، والآخر أحمد بن محمد بن الفرات، فعدل به بدر صاحب الشرطة عنهما وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسفَّه رأيه، فألح عليه، فولاه وبعث إليه يعزيه فى أبيه ويهنيه بالوزارة، فما لبث القاسم بن عبيد الله حتى ولى المكتفى الخلافة من بعد أبيه المعتضد حتى قتل بدراً. وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق، وهذه فراسة عظيمة وتوسم قوى.(3)

وقد رفع يوماً إلى المعتضد أن قومًا يجتمعون على المعصية، فاستشار وزيره فى أمرهم، فقال: ينبغى أن يصلب بعضهم ويحرق بعضهم. فقال: ويحك لقد بردت لهب غضبى عليهم بقسوتك هذه، أما علمت أن الرعية وديعة الله عند سلطانها، وأنه سائله عنها؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير فيهم.(4) ولهذه النية لما

(1) «المنتظم» (12/ 317).
(2) «المنتظم» (12/ 324).
(3) «المنتظم» (12/ 322).
(4) «المنتظم» (12/ 325).

ولى الخلافة كان بيت المال صفراً من المال، وكانت الأحوال فاسدة، والأعراب تعيث فى الأرض فساداً فى كل جهة، فلم يزل برأيه وتسديده حتى كثرت الأموال في بيت المال وصلحت الأحوال فى سائر الأقاليم والآفاق والمحال.

ومن شعره فى جارية له توفيت فوجد عليها وجدًا عظيمًا، فقال:

يا حَبِيبًا لم يكُنْ يعـ * ـدِلُه عندي حبيبُ
أنتَ عن عينِي بعيدٌ * ومِن القلبِ قريبُ
ليس لي بعدَكَ في شيْ * ءٍ مَن اللَّهْوِ نصيبُ
لكَ مِن قلْبِي على قلْبي * وإنْ بِنْتَ رقيبُ
وخَيالي منكَ مُذْ غِبْـ * ـتَ خيالٌ ما يغِيبُ
لو تَراني كيفَ لي بعـ * ـدَكَ عوْلٌ ونحِيبُ
وفُؤادِي حشْوُه مِن * حُرَقِ الحزْنِ لَهِيبُ
لتَيقَّنْتَ بأنِّي * بكَ محزونٌ كئيبُ
ما أرَى نفْسِي وإنْ طيَّـ * ـبْتُها عنكَ تطيبُ
ليس دمعٌ لِيَ يعصِيـ * ـنِي وصبْرِي ما يُجِيبُ

وقال فيها أيضًا:

لم أبكِ للدَّارِ ولكِنْ لمَنْ * قد كانَ فيها مرَّةً ساكِنَا
فخانَنِي الدهْرُ بفِقْدانِه * وكنتُ مِنْ قبلُ له آمِنَا
ودَّعْتُ صبْرِي عند توْديعِه * وبانَ قلبي معه ظاعِنَا

وكتب إليه ابن المعتز يعزيه ويسليه عن مصيبته فيها:

يا إمامَ الهُدَى بنا لا بك الغـ * ـمُّ وأفْنَيْتنا وعِشْتَ سَلِيمَا
أنتَ علَّمْتَنا على النِّعَمِ الشكْـ * ـرَ وعندَ المصائبِ التَّسْلِيمَا
فاسْلُ عن ما مضَى فإنَّ التي كا * نتْ سُرورًا صارَتْ ثوابًا عَظِيمَا
قد رضِينا بأن نموتَ وتَحْيَى * إنَّ عندِي في ذاك حظًا جَسِيمَا
من يَمُتْ طائعًا لديْكَ فقد أُعْـ * ـطِيَ فوزًا وماتَ موْتًا كريمَا

واجتمع ليلة عند المعتضد ندماؤه، فلما انقضى السمر وصار إلى حظاياه ونام القوم السمار، نبههم من نومهم خادم من عند الخليفة، وقال: يقول لكم أمير المؤمنين: إنه أصابه أرق من بعدكم، وقد عمل بيتاً أعياه ثانيه، فمن عمل ثانيه فله جائزة وهو هذا البيت:

ولمَّا انتبهْنا للخيالِ الذي سَرَى * إذا الدارُ قَفْرى والمزارُ بعيدُ

قال: فجلس القوم من فرشهم يفكرون فى ثانيه، فبدر واحد منهم فقال:

قلْتُ لعَيْنِي عاوِدي النوْمَ واهْجَعِي * لعَلَّ خَيالاً طارِقًا سَيَعودُ

قال: فلما رجع به الخادم إلى المعتضد، وقع منه موقعاً جيداً وأمر له بجائزة سنية، واستعظم المعتضد يوماً من بعض الشعراء قول الحكم بن عمرو المازني البصرى:

لَهْفي علي مَنْ أطارَ النومَ فامْتَنَعا * وزادَ قَلْبي على أوْجَاعِه وَجَعا
كأنَّما الشمسُ مِن أعْطافِه طلَعتْ * حُسْنًا أو البَدْرُ مِن أزراره طلَعا
مستقبَلٌ بالذي يَهوَى وإن عَظُمَتْ * منه الإساءَةُ معذورٌ بما صنَعا
في وجْهِهِ شافعٌ يمحو إساءتَه * مِن القلوبِ وجيهٌ حيثما شفَعا

ولما كان فى ربيع الأول من هذه السنة: -أعني سنة تسع وثمانين ومائتين- اشتد وجع الخليفة المعتضد بالله، فاجتمع رؤساء القواد منهم يونس الخادم وغيره إلى الوزير القاسم بن عبيد الله، فأشاروا بأن يجتمع الناس لتجديد البيعة للمكتفى بالله عليّ بن المعتضد بالله، ففعل ذلك وتأكدت البيعة، وكان فى ذلك خير كثير. وحين حضرت المعتضد الوفاة أنشد لنفسه:

تمتَّعْ مِن الدنْيا فإنكَ لا تَبْقَى * وخُذْ صفْوَها ما إن صَفَتْ ودَعِ الرَّنْقا
ولا تأمَنَنَّ الدهْرَ إنِّي أَمِنتُه * فلم يُبْقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حقًا
قَتَلْتُ صَناديدَ الرجالِ فلم أدَعْ * عدُوًا ولم أُمْهِلْ على خُلْقِ خَلْقا
وأخْلَيْتُ دار المُلْكِ مِن كلِّ نازِع * فشَرَّدْتُهمْ غربًا ومزَّقْتُهمْ شَرْقا
فلمَّا بلَغْتُ النَّجْمَ عِزًا ورِفْعَةً * وصارَتْ رِقابُ الخلْقِ أجمعُ لي رِقَا
رَماني الرَّدَى سَهْمًا فأخْمَدَ جَمْرَتي * فهأنَذا في حُفْرتي عاجِلاً أُلْقَى
ولم يُغْنَ عنِّي ما جمَعتُ ولم أجِدْ * لِذي مَلِكِ الأحياء في حينِها رِفْقا
وأفسَدْتُ دُنْيايَ ودِيني سَفاهَةً * فمَنْ ذا الذي مِنِّي بمصْرَعِه أشْقَى
فيالَيْتَ شعْرِي بعدَ موتِيَ ما أَلْقَى * إلى نعمةٍ للَّهِ أم نارِه أُلْقَى

وكانت وفاته رحمه الله ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول من هذه السنة. ولم يبلغ الخمسين. فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وخلف من الأولاد الذكور: علياً المكتفى، وجعفر المقتدر، وهارون. ومن البنات إحدى عشرة بنتاً. ويقال: سبع عشرة بنتاً. وترك فى بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار. وكان يمسك عن صرف الأموال فى غير وجهها، فلهذا كان بعض الناس يبخله، ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين فى الحديث الاثني عشر المنصوص عليهم في حديث جابر بن سمرة، فالله أعلم.

وقد رثى أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسى ابن عمه المعتضد بمرثاة حسنة، يقول فيها:

يا دهْرُ وَيْحَكَ ما أبقَيْتَ لي أحداً * وأنتَ والدُ سُوءٍ تأكُلُ الولَدَا
أستغفرُ اللَّهَ بل ذا كلُّهُ قَدَرٌ * رضيتُ باللهِ رَبًا واحداً صمَدَا
يا ساكِنَ القبرِ في غَبْراءَ مُظْلِمَةٍ * بالظاهِرِيَّةِ مُقْصَى الدارِ مُنْفَرِدَا
أينَ الجُيوشُ التي قد كنتَ تسْحبُها * أينَ الكُنوزُ التي أحْصيتَها عددَا
أينَ السريرُ الذي قد كنتَ تمْلَؤُه * مَهابةً مَن رأتْهُ عينُه ارْتَعدَا

أينَ الأعادِي الأُلى ذَلَّلْتَ صعْبَهمُ * أينَ اللُّيوثُ التي صيَّرْتَها نَقَدا
أينَ الوفودُ على الأبْوابِ عاكفةً * وِرْدَ القَطا صفْوَ ماءٍ جالَ واطَّردا
أينَ الرجالُ قيامًا في مراتِبِهمْ * مَن راحَ منهم ولم يُطْمَر فقدْ سعِدَا
أينَ الجيادُ التي حجَّلْتَها بدَمٍ * وكنَّ يحْمِلْنَ منكَ الضَّيْغَمَ الأسدَا
أينَ الرماحُ التي غذَّيْتَها مُهَجًا * مُذْ متَّ ما ورَدَتْ قلْبًا ولا كبِدَا
أينَ السيوفُ وأينَ النَّبْلُ مُرْسَلَةً * يُصِبْنَ مَن شئتَ مِنْ قِرْنٍ وإنْ بَعُدا
أينَ المجانيقُ أمثالُ الفيولِ إذا * رَمَيْنَ حائطَ حِصْنٍ قائمٍ قعَدَا
أينَ القصورُ التي شيَّدْتها فعلَتْ * ولاحَ فيها سنَا الإبْرِيزِ فاتَّقدَا
أينَ الجنانُ التي تجْرِي جَداوِلُها * وتَستجيبُ إليها الطائرَ الغردا
أينَ الوصائفُ كالغِزْلانِ رائحةً * يَسحَبْنَ مِن حُلَلٍ مَوْشِيَّةٍ جُدُدَا
أين الملاهِي وأين الرَّاحُ تحْسَبُها * ياقوتةً كُسِيَتْ مِن فضَّةٍ زرَدا
أينَ الوثوبُ إلى الأعْداءِ مُبْتَغِيًا * صلاحَ مُلكِ بني العباسِ إذْ فسَدَا
ما زلتَ تَقْسِرُ منهم كلَّ قَسْوَرَةٍ * وتحطِمُ العاتى الجبَّارَ مُعْتَمِدَا
ثم انْقَضَيْتَ فلا عَينٌ ولا أثَرٌ * حتى كأنَّكَ يومًا لم تكُنْ أحدَا
لا شيءَ يبقَى سِوى خيرٍ تُقدِّمُه * ما دامَ مُلْكٌ لإنسانٍ ولا خَلَدَا

ذكرها ابن عساكر فى «تاريخه».

خلافة المكتفى بالله أبي محمد

عليّ بن المعتضد بالله أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه فى ربيع الأول من هذه السنة، وليس فى الخلفاء من اسمه عليّ سوى هذا وعليّ بن أبى طالب. وليس فيهم من يكنى بأبى محمد إلا هذا والحسن بن عليّ بن أبى طالب والهادى، والمستضيء بأمر الله. وحين ولى المكتفى كثرت الفتن وانتشرت فى البلاد.

وفى رجب منها: زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جدًا.

وفى رمضان: تساقط وقت السحر من السماء نجوم كثيرة، ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس. ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرقة، فكتب إليه الوزير وأعيان الأمراء فركب ودخل بغداد فى يوم مشهود، وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى من هذه السنة.

وفى هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصفار وكان معتقلاً فى سجن أبيه وأمر بتخريب المطامير التى كان اتخذها أبوه للسجن، وأمر ببناء جامع مكانها، وخلع فى هذا اليوم على الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ست خلع وقلده سيفاً، وكان عمره يومئذ خمساً وعشرين سنة وبعض شهر.

وفي هذه السنة: انتشرت القرامطة بعد موت المعتضد فى الآفاق وقطعوا الطريق على الحجيج، وتسمى بعضهم بأمير المؤمنين. فبعث المكتفى إليهم جيوشًا كثيرة، وأنفق أموالاً غزيرة، حتى أطفأ الله بعض شرهم قبحهم الله.

وفي هذه السنة: خرج محمد بن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد الساماني، وكاتبه أهل الري بعد قتله محمد بن زيد الطالبي، فصار إليهم فسلموا إليه البلد فاستحوذ عليها، فقصده إسماعيل بن أحمد بالجيوش فقهره وأخرجه منها مذموماً مدحوراً.

قال ابن الجوزي في «المنتظم»: وفي يوم التاسع من ذي الحجة صلى الناس العصر في زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف، فهبت ريح باردة جداً حتى احتاج الناس مع ذلك إلى الاصطلاء بالنار، ولبسوا الفراء والمحشوات، وجمد الماء كفصل الشتاء.(1) قال ابن الأثير: وكذا وقع بمدينة حمص. قال: وهبت ريح عاصف بالبصرة، فاقتلعت شيئاً كثيراً من نخيلها، وخسف بموضع منها فمات تحته ستة آلاف نسمة. قال ابن الأثير، وابن الجوزي: وزلزلت بغداد في رجب من هذه السنة مرات متعددة ثم سكنت ولله الحمد والمنة.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وممن توفي فيها من الأعيان: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم: أحد الصوفية الكبار. قال ابن الأثير: وهو من أقران السري السقطي.

وأحمد بن محمد: المعتضد بالله، غلب عليه سوء المزاج والجفاف لكثرة الجماع، وكان الأطباء يصفون له ما يرطب بدنه به فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته وقد ذكرنا كيفية وفاته في ترجمته آنفًا.

بدر غلامُ المعتضد ورأس الجيش، كان القاسم بن عبيد الله الوزير قد عزم في حياة المعتضد على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد، وفاوض في ذلك بدرًا هذا، فامتنع عليه، وأبى إلاَّ البيعةَ لأولاد مولاه، فلما ولي المكتفي خاف الوزير من غائلة ما كان أسر به إلى بدر، فعمل عليه عند المكتفي، ولم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وأمواله وهو بواسط، ثم بعث إليه بالأمان فقدم، فأمر الوزير من قتله، فقتل يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة، ثم قطع رأسه وبقيت جثته؛ أخذها أهله، ثم بعثوها في تابوت إلى مكة، فدفن بها، وذلك أنه أوصى بذلك، وكان قد أعتق كل مملوك له قبل وفاته، وحين أريد قتله صلى ركعتين لله، عز وجل، ثم قتلوه.

الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن إبراهيم، أبو عليٍّ، الحافظ البغدادي، سمع خلف بن هشام، ويحيى بن معين، ومحمد بن سعد وغيرهم، وعنه الخطبي، والطوماري، وكان عسرًا في التحديث إلا لمن لازمه، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه، توفي عن ثمان وسبعين سنة، وقد قال الدارقطني: ليس بالقوي.

عمارة بن وثيمة بن موسى، أبو رفاعةَ الفارسي، صاحب التاريخ على السنين وقد ولد بمصر، وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره.

عمرو بن الليث الصفار، أحد الأمراء الكبار، قتل في السجن أول ما قدم المكتفي بغداد.

سنة تسعين ومائتين من الهجرة النبوية

فيها: أقبل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو قاسم القرمطي المعروف بالشيخ في جحافل عظيمة من القرامطة، فعاث بناحية الرقة فسادًا، فجهز إليه الخليفة جيشاً كثيفًا في نحو عشرة آلاف فارس.(2)

(1) «المنتظم» (13/ 6).

(2) «الطبري» (10/ 97)، و«المنتظم» (13/ 14).

وفيها: ركب الخليفة المكتفي من بغداد إلى سامرا يريد الإقامة بها، فثنى رأيه عن ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ورجع به إلى بغداد.

وفيها: قتل يحيى بن زكرويه بن مهرويه على باب دمشق، قتله جيش المصريين، زرقه رجل من المغاربة بمزراق من نار فحرقه، وذلك بعد ما كان قتل خلقًا كثيرًا من جيشها من أصحاب طغج بن جف نائبها، ثم منَّ الله على الناس بقتله، ففرح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا، فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين وتسمى بأحمد، وتكنى بأبي العباس، وتلقب بأمير المؤمنين، وأطاعته القرامطة كما كانوا يطيعون أخاه، فحاصر دمشق فصالحه أهلها على مال، ثم سار إلى حمص فافتتحها وخطب له على منابرها، ثم سار إلى حماه ومعرة النعمان فقهر أهل تلك النواحي، واستباح أموالهم وحريمهم، وكان يقتل الدواب والصبيان في المكاتب، ويبيح لمن معه وطء النساء، فربما وطئ الواحدة الجماعة الكثيرة من الرجال، فإذا ولدت ولدًا هنأ به كل واحد منهم الآخر، فكتب أهل الشام إلى الخليفة يشكون إليه ما يلقون من هذا اللعين، فجهز المكتفي جيوشاً كثيفة، وأنفق فيهم أموالاً جزيلة لحربه، وركب في رمضان فنزل الرقة وبث الجيوش في كل جانب لقتال القرمطي، وكان القرمطى يكتب إلى أصحابه: (من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدى المنصور بالله الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، الحاكم بحكم الله، الداعى إلى كتاب الله، الذاب عن حريم الله، المختار من ولد رسول الله) وكان يدعى أنه من سلالة عليّ بن أبي طالب من فاطمة، وهو كاذب أفاك أثيم قبحه الله، فإنه كان من أشد الناس عداوة لقريش، ثم لبنى هاشم، ثم دخل سلمية فلم يدع بها أحداً من بنى هاشم حتى قتلهم وقتل أولادهم واستباح نساءهم.

وفيها: ولى ثغر طرسوس أبو العشائر أحمد بن نصر عوضاً عن مظفر بن حاج لشكوى أهل الثغر منه.

وحج بالناس الفضل بن محمد العباسي.

وممن توفى فيها من الأعيان: **عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الرحمن الشيباني، كان إماماً ثقة حافظاً ثبتاً مكثراً عن أبيه وغيره. قال ابن المنادى: لم يكن أحد أروى عن أبيه منه. سمع منه «المسند» ثلاثين ألفاً، والتفسير مائة ألف حديث وعشرين ألفاً، من ذلك سماع ومن ذلك وجادة، ومن ذلك الناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر في كتاب الله، والتاريخ وحديث شعبة، وجوابات القرآن والمناسك الكبير، والصغير. وغير ذلك من التصانيف، وحديث الشيوخ.[1] قال: وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك، حتى إن بعضهم أسرف في تقريظه إياه بالمعرفة وزيادة السماع للحديث عن أبيه. ولما مرض قيل له: أين تدفن؟ فقال: صح عندى أن بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون في جوار نبى أحب إليَّ من أن أكون في جوار أبي. فمات في جمادى الآخرة من هذه السنة عن سبع وسبعين سنة، كما مات لها أبوه، وكان الجمع كثيرًا جدًا، وصلى عليه زهير ابن أخيه، ودفن في مقابر باب التبن رحمه الله.

عبد الله بن أحمد بن سعيد: أبو محمد الرباطي المروزى، صحب أبا تراب النخشبي، وكان الجنيد يمدحه ويثنى عليه.

عمر بن إبراهيم: أبو بكر الحافظ المعروف بأبى الأذان، كان ثقة ثبتاً.

---

(1) «تاريخ بغداد» (9/ 375).

محمد بن الحسين بن الفرج: أبو ميسرة الهمدانى، صاحب «المسند»، وكان أحد الثقات المشهورين والمصنفين المنصفين.

محمد بن عبد الله: أبو بكر الزقاق أحد أئمة الصوفية وعبادهم، روى عن الجنيد أنه قال: رأيت إبليس فى المنام وكأنه عريان، فقلت له: أما تستحى من الناس؟ فقال: هؤلاء أناس وأنا أتلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة، إنما الناس جماعة غير هؤلاء. فقلت له: من هم؟ فقال: قوم فى مسجد الشونيزى، قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسدى، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عز وجل فأكاد أحترق. قال: فانتبهت ولبست ثيابى وقصدت مسجد الشونيزي، فإذا فيه ثلاثة جلوس ورؤوسهم فى مرقعاتهم، فرفع أحدهم رأسه من جيبه فقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شىء تقبل؟ فإذا هم أبو بكر الزقاق، وأبو الحسين النورى، وأبو حمزة محمد بن على بن علوية بن عبد الله الجرجانى الفقيه الشافعى تلميذ المزنى. ذكره ابن الأثير.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

فيها: جرت وقعة هائلة بين القرامطة وجند الخليفة، فهزمت القرامطة هزيمة عظيمة، وأسر رئيسهم الحسين بن زكرويه، الملقب بأمير المؤمنين الذي يقال له: ذو الشامة، وقد تسمى كما ذكرنا بأحمد، وتكنى بأبي العباس، والتف عليه خلائق من الأعراب وغيرهم، واستفحل أمره جدًا، فلما أسر حُمل إلى الخليفة فى جماعة كثيرة من رؤوس أصحابه وأدخل بغداد على فيل مشهور للناس، وأمر الخليفة بعمل دكة مرتفعة فأجلس عليها القرمطي وجىء بأصحابه فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر، وقد جعل فى فمه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه، ثم أنزل فضرب مائتى سوط ثم قطعت يداه ورجلاه، وكوى، ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيف به فى أرجاء بغداد، وذلك فى شهر ربيع الأول.(1)

وفيها: قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر فى جحافل عظيمة، فبيّتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجمّا غفيرًا ما لا يحصون كثرة ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ (الأحزاب: 25).

وفيها: بعث ملك الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف، فأغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقًا كثيرًا وسبوا أناسًا من الذرية.

وفيها: دخل نائب طرسوس بلاد الروم، ففتح مدينة أنطاكية -وهى مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية- وخلّص من المسلمين خمسة آلاف أسير، وأخذ من الروم ستين مركباً، وغنم شيئاً عظيمًا جدًا، فبلغ نصيب كل من الغزاة ألف دينار.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار: أبو العباس الشيبانى مولاهم، الملقب بثعلب، إمام الكوفيين فى النحو واللغة، مولده سنة مائتين، سمع محمد بن زياد بن الأعرابى والزبير بن بكار والقواريرى وغيرهم، وعنه ابن الأنبارى وابن عرفة وأبو عمر الزاهد، وكان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالصدق والحفظ، وذكر أنه سمع من القواريرى مائة ألف حديث.(2) وكانت وفاته يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، عن إحدى وتسعين سنة. قال ابن خلكان: وكان

---

(1) «الطبرى» (10/ 108)، و«المنتظم» (13/ 22).

(2) «تاريخ بغداد» (5/ 204)، و«السير» (14/ 5).

سبب موته أنه خرج من الجامع وفى يده كتاب ينظر فيه، وكان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس، فألقته فى هوة فاضطرب دماغه فمات من اليوم الثانى رحمه الله.(1) قال: وهو مصنف كتاب «الفصيح»، وهو صغير الحجم كبير الفائدة، وله كتاب «المصون» و«اختلاف النحويين» و«معانى القرآن» وكتاب «القراءات» و«معانى الشعر» و«ما تلحن فيه العامة» وذكر أشياء كثيرة أيضًا، ومما نسب إليه من الشعر قوله:

إذا كنتَ قُوتَ النفسِ ثم هَجَرْتَها * فكم تلبَثُ النفسُ التي أنتَ قُوتُها

ستبقى بقاءَ الضَّبِّ في الماءِ أو كما * يعيشُ ببيداءِ المهامهِ حُوتُها

أغرَّكَ منّي أن تصبَّرتُ جاهدًا * وفي النفسِ منّي منكَ ما سيُميتُها

فلو كان ما بي بالصُّخورِ لهدَّها * وبالريحِ ما هبَّتْ وطال خُفُوتُها

فصبرًا لعلَّ اللهَ يجمعُ بيْننا * فأشكُو هُمومًا منكَ فيكَ لَقيتُها

القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب: الوزير، تولى بعد أبيه الوزارة فى آخر أيام المعتضد، ثم وزر لولده المكتفى من بعده فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى السجون فأطلق من فيها من المظلومين، ثم كانت وفاته فى ذى القعدة منها، وقد قارب ثلاثاً وثلاثين سنة، وقد كان حظياً عند الخليفة جدًا، وخلف من الأملاك ما يعدل سبعمائة ألف دينار.

ومحمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد: أبو عبد الله البصرى القاضى بواسط، المعروف بالجذوعي، حدث عن مسدد وعليّ ابن المدينى وابن نمير وغيرهم، وكان من الثقات القضاة الأجواد العدول الأمناء.

وممن توفى فيها: محمد بن إبراهيم البوشنجى. **ومحمد** بن عليّ الصائغ. **وقنبل** أحد مشاهير القراء، وأئمة العلماء.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين

فيها: دخل محمد بن سليمان فى نحو من عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفى إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خمارويه، فبرز إليه هارون فاقتتلا فقهره محمد بن سليمان، وجمع آل طولون فكانوا سبعة عشر رجلاً فقتلهم واستحوذ على أموالهم وأملاكهم. وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية، وكتب بالفتح إلى المكتفى.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى، أمير الحاج فى السنين المتقدمة.(2)

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم الكجى: أحد المشايخ المعمرين، كان يحضر مجلسه نحو من خمسين ألفاً ممن معه محبرة سوى النظارة، ويستملى عليه سبعة مستملين كل يبلغ صاحبه، ويكتب بعض الناس وهم قيام، وكان كلما حدَّث بعشرة آلاف حديث تصدق بصدقة، ولما فرغ من قراءة السنن عليه عمل مأدبة غرم عليها ألف دينار، وقال: شهدت اليوم على رسول الله ﷺ فقبلت شهادتى وحدى، أفلا أعمل شكرًا لله عز وجل؟ وروى ابن الجوزى والخطيب عن أبى مسلم الكجى قال: خرجت ذات ليلة من المنزل بليل، فمررت بحمام وعليَّ جنابة فدخلته فقلت

(1) «الوفيات» (1/ 104).
(2) «الطبرى» (10/ 118)، و«المنتظم» (13/ 33).

للحمّامي: أدخل حمامك أحد بعد؟ فقال: لا. فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قائل يقول: أبا مسلم أسلم تسلم. ثم أنشأ يقول:

لكَ الحمدُ إمَّا على نِعْمَةٍ * وإمَّا على نِقْمَةٍ تَدْفَعُ
تشاءُ فتَفْعَلُ ما شِئْتَهُ * وتَسْمَعُ مِن حيثُ لا تُسْمَعُ

قال: فبادرت فخرجت فقلت للحمامي: أنت زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد. فقال: نعم! وما ذاك؟ فقلت: إني سمعت قائلاً يقول كذا. فقال: أوسمعته؟ قلت: نعم. فقال: يا سيدى هذا رجل من الجان يتبدى لنا فى بعض الأحيان فينشد الأشعار ويتكلم بكلام حسن فيه مواعظ. فقلت: هل حفظت من شعره شيئاً؟ فقال: نعم. ثم أنشدنى من شعره:

أيُّها المُذنبُ المُفرِّطُ مَهْلاً * كم تمادَى وتركَبُ الذَّنْبَ جَهْلاً
كم وكم تُسْخِطُ الجليلَ بفِعْلٍ * سَمِجٍ وهْو يُحْسِنُ الصُّنْعَ فِعْلاً
كيف تَهْدا جُفونُ مَن ليسَ يدْرِي * أرَضِي عنهُ مَن على العَرْشِ أمْ لا

عبد الحميد بن عبد العزيز: أبو حازم القاضى الحنفى، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء، ورعاً نزهاً كثير الصيانة والديانة والأمانة. وقد أورد له ابن الجوزى فى «المنتظم» آثاراً حسنة وأفعالاً جميلة رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

فيها: التف على أخي الحسين القرمطى المعروف بذى الشامة الذى قدمنا ذكر مقتله في السنة الماضية خلائق من القرامطة والأعراب واللصوص بطريق الفرات، فعاث بهم فى الأرض فساداً، ثم قصد طبرية فامتنعوا من إيوائه فدخلها قهراً، وقتل بها خلقاً من الرجال، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال، ثم كرّ راجعاً إلى البادية، ودخلت فرقة أخرى منهم إلى هيت فقتلوا أهلها إلا القليل، وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير، فبعث إليهم الخليفة المكتفى جيشاً فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه. ونبغ رجل من القرامطة يقال له: الداعية باليمن، فحاصر صنعاء فدخلها قهراً، وقتل خلقاً من أهلها، ثم سار إلى بقية مدن اليمن فأكثر فيها الفساد وقتل خلقاً من العباد، ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه، فانحاز إلى بعض مدنها، وبعث الخليفة إليها المظفر بن حاج نائباً، وخلع عليه فسار إليها فلم يزل بها حتى مات.(1)

وفى يوم عيد الأضحى: دخلت طائفة من القرامطة نحو من ثمانمائة إلى الكوفة والناس في عيدهم فنادوا: يا ثارات الحسين، يعنون المصلوب ببغداد -وشعارهم: يا أحمد يا محمد- يعنون الذين قتلوا معه، فبادر الناس الدخول إلى الكوفة فولج خلفهم القرامطة فرمتهم العامة بالحجارة وغير ذلك فقتلوا منهم نحواً من عشرين ورجع الباقون خاسئين ولله الحمد والمنة.

وفيها: ظهر رجل بمصر يقال له: الخلنجي، فخلع الطاعة واجتمع إليه طائفة من الجند، فأمر الخليفة أحمد بن كيغلغ نائب دمشق وأعمالها فركب إليه، فاقتتلا بظاهر مصر، فهزمه الخلنجي هزيمة منكرة، فبعث إليه الخليفة جيشاً آخر فهزموا الخلنجي وهرب فاستتر بمصر، فأحضر وسلم إلى أمير الخليفة وانطفأ

---

(1) «الطبرى» (10/ 121)، و«المنتظم» (13/ 44).

خبره ولله الحمد، ولما اشتغل الجيش بأمر الديار المصرية، بعث زكرويه بن مهرويه بعد مقتل ابنه الحسين ببغداد جيشاً صحبة رجل كان يعلم الصبيان يقال له: عبد الله بن سعيد، فقصد بصرى وأذرعات والبثنية فحاربه أهلها ثم أمنهم، فلما أن تمكن منهم قتل المقاتلة، ورام الدخول إلى دمشق فقاتله نائب أحمد بن كيغلغ بدمشق، وهو صالح بن الفضل، فهزمه القرمطى وقتل صالح فيمن قتل، وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها، فانصرف إلى طبرية فقتلوا أكثر أهلها كما ذكرنا ونهبوا منها شيئًا كثيرًا. ثم ساروا إلى هيت ففعلوا كذلك، ثم جهز الخليفة إليهم جيشًا فأخذ رئيسهم من بينهم ونجا بقيتهم، ثم ساروا إلى الكوفة فى يوم عيد الأضحى كما ذكرنا فلم ينتج لهم أمر، ولله الحمد والمنة، وكل ذلك بإشارة زكرويه بن مهرويه وهو مختف فى بلده بين ظهرانى قومه من القرامطة، إذا أُلح في طلبه نزل بئراً قد اتخذها، وعلى بابه تنور فتقوم امرأةٌ تسجره وتخبز فيه فلا يشعر بأمره أصلاً، فبعث الخليفة إليه جيشاً كثيفًا فقاتلهم زكرويه بنفسه ومن أطاعه فهزم جيش الخليفة، وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً جداً فتقوى به، واشتد أمره، فندب الخليفة إليه جيشاً كثيفاً آخر فكان من أمره وأمرهم ما سنذكره.

وفيها: افتتح إسماعيل بن أحمد السامانى نائب خراسان وما وراء النهر طائفة من بلاد الأتراك.

وفيها: أغارت الروم على بعض أعمال حلب.

وفيها: حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أبو العباس الناشى الشاعر:** عبد الله بن محمد أبو العباس المعتزلى، أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة ثم انتقل إلى مصر فمات بها، وكان يعاكس الشعراء ويرد على المنطقيين والعروضيين، وكان شاعراً مطبقًا إلا أنه كان فيه هوس، وله قصيدة حسنة فى نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها فى «السيرة». قال القاضي ابن خلكان: كان متبحرًا فى عدة علوم، من جملتها علم المنطق، وكان ذكيًا فطنًا، وله قصيدة فى فنون من العلوم على رَوِيٍّ واحد تبلغ أربعة آلاف بيت، وله عدة تصانيف جميلة وأشعار كثيرة. قال: وأما الناشي الأصْغرُ فسيأتي.[1]

عبيد بن محمد بن خلف: أبو محمد البزار أحد الفقهاء من أصحاب أبى ثور، وكان عنده فقه أبى ثور، وكان من الثقات النبلاء.

نصر بن أحمد بن عبد العزيز: أبو محمد الكندى الحافظ المعروف بنصرك، كان أحد حفاظ الحديث المشهورين، وكان الأمير خالد بن أحمد الذهلى نائب بخارى قد ضمه إليه وصنف له المسند. وكانت وفاته ببخارى فى هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

فى المحرم من هذه السنة: اعترض زكرويه -لعنه الله- وأصحابه الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن آخرهم، وأخذ أموالهم وسبى نساءهم، فكان قيمة ما أخذه منهم ألفى ألف دينار، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج بالماء صفة أنهن يسقين الجرحى، فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه، لعنهن الله وقبح أزواجهن.[2]

---

(1) «الوفيات» (3/ 91). (2) «الطبرى» (10/ 130)، و«المنتظم» (13/ 49).

ذكر مقتل زكرويه لعنه الله

لما بلغ الخليفة خبر الحجيج وما أوقع بهم الخبيث زكرويه، جهز إليه جيشاً كثيفاً، فالتقوا معه فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبقَ إلا القليل، وذلك فى أول ربيع الأول منها.

وضُرب زكرويه لعنه الله بالسيف فى رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه، وأُخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام، ففتحوا عن بطنه وصبّروه وحملوه فى جماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد، واحتوى العسكر على ما كان بأيدى القرامطة من الأموال والحواصل ولله الحمد، وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطى وأن يطاف برأس القرمطي فى سائر بلاد خراسان، لئلا يمتنع الناس عن الحج بسبب ما وقع. وأطلق من كان بأيدى القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم.

وفيها: غزا أحمد بن كيغلغ نائب دمشق بلاد الروم من ناحية طرسوس، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف، وأسر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفاً، وأسلم بعض البطارقة وصحبته من الروم وجاء معه بنحو من مائتى أسير كانوا فى حصنه، فأرسل ملك الروم جيشاً فى طلبه، فركب هو فى جماعة من المسلمين وكبس الروم فقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم غنيمة كثيرة جداً، ولما قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمناه.

وفيها: ظهر بالشام رجل فادعى أنه السفيانى، فأُخذ وبعث به إلى بغداد فادعى أنه موسوس.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن عليّ بن مروان أبو عليّ، المعروف بعبيد العجل، كان حافظاً مكثراً متقناً ثقة مقدماً فى حفظ المسندات، توفى فى صفر منها.

صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب: أبو عليّ الأسدى -أسد خزيمة- المعروف بجزرة لأنه قرأ على بعض المشايخ أن أبا أمامة كانت له خرزة يرقى بها المريض، فقرأها هو جزرة تصحيفاً منه فلقب بذلك لذلك، وقد كان حافظاً مكثراً جوّالاً رحالاً طاف الشام ومصر وخراسان، وانتقل من بغداد فسكن بخارى، وكان ثقة صدوقاً أميناً، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين وسؤالات كثيرة، وكان مولده بالكوفة سنة عشر ومائتين.

وتوفى فى هذه السنة: محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العباس المعروف بالبياضى؛ لأنه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب البياض، فقال الخليفة: من ذاك البياضى؟ فعُرف به. وكان ثقة روى عن ابن الأنبارى وابن مقسم. قتلته القرامطة فى هذه السنة.

محمد ابن الإمام إسحاق بن راهويه: سمع أباه وأحمد بن حنبل وغيرهما، وكان عالـمًا بالفقه والحديث، جميل الطريقة وقدم بغداد فحدث بها، وقتلته القرامطة هذه السنة فيمن قتلوا من الحجيج.

محمد بن نصر: أبو عبد الله المروزى الفقيه، ولد ببغداد ونشأ بنيسابور واستوطن سمرقند، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام في الأحكام وقد رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع، وصنف الكتب المفيدة الحافلة النافعة، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم فيها خشوعًا، وقد صنف كتاباً عظيماً فى الصلاة. روى عنه الخطيب البغدادي أنه قال: خرجت من مصر قاصداً مكة، فركبت البحر ومعى جارية لي فغرقت السفينة فذهب لى فى الماء ألفا جزء وسلمتُ أنا والجارية، فلجأنا إلى جزيرة فطلبنا بها ماء فلم نجد، فوضعت رأسى على فخذ الجارية ويئست من الحياة،

فبينا أنا كذلك إذا رجل قد أقبل وفى يده كوز فقال: هاه، فأخذته فشربت منه وسقيت الجارية، ثم ذهب فلم أدر من أين أقبل ولا إلى أين ذهب.

وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم نفساً. وكان إسماعيل بن أحمد يصله فى كل سنة بأربعة آلاف، ويصله أخوه إسحاق بن أحمد بأربعة آلاف أيضًا، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف فينفق ذلك كله، فقيل له: لو ادخرت منها شيئاً لنائبة. فقال: يا سبحان الله أنا كنت بمصر أنفق فيها فى كل سنة عشرين درهماً فرأيت إذا لم يحصل لى شيء من هذا لا يتهيأ لى فى السنة عشرون درهماً. وكان محمد بن نصر المروزى إذا دخل على إسماعيل بن أحمد السامانى ينهض له ويكرمه، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق، فقال له: تقوم لرجل فى مجلس حكمك، وأنت ملك خراسان؟ قال إسماعيل: فبت تلك الليلة وأنا مشتت القلب فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول: يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بتعظيمك محمد بن نصر، وذهب ملك أخيك باستخفافه بمحمد بن نصر.(1)

وقد روى أنه اجتمع بالديار المصرية محمد بن نصر، ومحمد بن جرير، ومحمد بن المنذر، فجلسوا في بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه، فاقترعوا فيما بينهم من يسعى لهم في شيء يأكلونه؛ ليدفعوا عنهم ضرورتهم، فجاءت القرعة على أحدهم، فنهض إلى الصلاة فجعل يصلي ويدعو الله، عز وجل، وذلك وقت القيلولة، فرأى نائب مصر -وأظنه أحمد بن طولون- في منامه في ذلك الوقت رسول الله ﷺ وهو يقول له: «أنت ههنا، والمحمدون ليس عندهم شيء يقتاتونه؟». فانتبه الأمير من منامه، فسأل: من ههنا من المحدثين؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة، فأرسل إليهم في الساعة الراهنة بألف دينار، فدخل بها عليهم وأزال الله ضرورتهم ويسر عليهم.(2)

وقد بلغ محمد بن نصر سنًا عالية، وكان يسأل الله ولداً، فأتاه يومًا إنسان فبشره بولد ذكر قد ولد له، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ (إبراهيم: 39)، فاستفاد الحاضرون من ذلك فوائد؛ منها أنه قد ولد له على كبر السن ولد ذكر بعد ما كان يسأل الله في ذلك، ومنها أنه سماه يوم مولده، كما سمى رسول الله ﷺ ولده إبراهيم قبل السابع، ومنها اقتداؤه بالخليل في تسميته أول ولد له إسماعيل.

موسى بن هارون بن عبد الله، أبو عمران المعروف والده بالحمال، ولد سنة أربع عشرة ومائتين، وسمع أحمد بن حنبل، ويحيي بن معين وغيرهما، وكان إمام أهل عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والإتقان، وكان ثقة شديد الورع عظيم الهيبة، قال عبد الغنى بن سعيد الحافظ المصري: كان أحسن الناس كلامًا على الحديث عليُّ ابن المديني، ثم موسى بن هارون، ثم الدارقطني.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

فيها: كانت المفاداة بين المسلمين والروم، وكان من جملة من استنقذ من أيدي الروم من نساء ورجال نحو من ثلاثة آلاف نسمة، ولله الحمد.(3)

---

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 317).

(2) «تذكرة الحفاظ» (2/ 753)، وذكره الذهبى أيضًا فى «السير» فى ترجمته لكن فى ثبوتها نظر.

(3) «الطبرى» (10/ 137)، و«المنتظم» (13/ 59).

في المنتصف من صفر منها: كانت وفاة إسماعيل بن أحمد الساماني أمير خراسان، وقد كان عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته، حليمًا كريمًا. جوادًا ممدحًا، وهو الذي كان يُحسن إلى محمد بن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقوم له في مجلس ملكه، وقد ولي بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني، وبعث إليه الخليفة المكتفي بالله بالولاية والتشريف. وقد تذاكر الناس عند إسماعيل بن أحمد ذات ليلة الفخر بالأنساب، فقال: ينبغي أن يكون الإنسان عصاميًا لا عظاميًا -أي ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه وبلده وجده- كما قال بعضهم:

*** وبجِدِّي سَمَوْتُ لا بجُدودي ***

وقال آخر:

حَسْبِي فَخارًا وشِيمَتي أدَبِي * ولسْتُ مِن هاشِمٍ ولا العربِ
إنَّ الفَتَى مَن يقولُ هاأنذا * ليسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كانَ أبي

وفي ذي القعدة منها كانت: وفاة الخليفة المكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد، وهذه ترجمته وذكر وفاته:

أبو محمد علي ابن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور، رحمهم الله، وقد ذكرنا أنه ليس من الخلفاء العباسيين من اسمه عليٌّ سواه بعد علي بن أبي طالب ﷺ، ولم يكن في الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسين بن عليٍّ، وموسى الهادي والمستضيء بأمر الله، وكان مولده في رجب من سنة أربع وستين ومائتين، وبويع له بالخلافة بعد أبيه -في حياته- في يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين ومائتين، وعمره نحو من خمس وعشرين سنة، وكان ربعة من الرجال جميلاً رقيق اللون حسن الشعر، وافر اللحية عريضها، ولما مات أبوه المعتضد، وباشر هو منصب الخلافة، دخل عليه بعض الشعراء فأنشده:

أجَلُّ الرَّزَايا أنْ يموتَ إمامُ * وأسْنَى العَطايا أنْ يقومَ إمامُ
فأسقَى الذي ماتَ الغمامُ وجادَهُ * ودامتْ تحيَّاتٌ لهُ وسَلامُ
وأبْقَى الذي قامَ الإلهُ وزادَهُ * مَواهِبَ لا يفْنَى لهُنَّ دوامُ
وتمَّتْ له الآمالُ واتَّصلَتْ بها * فوائدُ مَوْصُولٌ بهنَّ تَمَامُ
هو المُكْتَفِي باللهِ يكْفِيهِ كلَّما * عَناهُ بركنٍ منهُ ليسَ يُرامُ

فأمر له بجائزة سنيَّة. وقد كان يقول الشعر، فمن ذلك قوله:

مَنْ لي بأنْ يعْلَمَ ما ألْقَى * فيعرِفُ الصبوةَ والعِشْقَا
ما زالَ لي عبْدًا وحُبِّي لهُ * صَيَّرَني عبْدًا لهُ رِقَّا
العِتْقُ مِنْ شأني ولكِنَّني * مِنْ حُبِّهِ لا أملِكُ العِتْقَا

وكان نقش خاتمه: عليٌّ متوكل على ربه. وكان له من الولد محمدٌ، وجعفر، وعبد الصمد، وموسى، وعبد الله، وهارون، والفضل، وعيسى، والعباس، وعبد الملك.

وفي أيامه فتحت أنطاكية واستنقذت من أيدي الروم، وكان فيها من أسارى المسلمين بشرٌ كثير وجم

غفير وأخذ المسلمون من غنائمهم شيئًا كثيرًا جدًا كما تقدم. ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد فصحَّ عنده أنه بالغ، فأحضره في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة، وأحضر القضاة وأشهدهم على نفسه بأنه قد جعل الخلافة إليه من بعده، ولقبه بالمقتدر بالله. وتوفى المكتفي بالله بعد ثلاثة أيام، رحمه الله، وقيل: في آخر يوم السبت بين الظهر والعصر، وقيل: بعد المغرب، ليلة الأحد لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، عن ثنتين، وقيل: عن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يومًا. وكان قد أوصى بصدقة من خالص ماله، ستمائة ألف دينار، كان جمعها وهو صغيرٌ، وكان مرضه بداء الخنازير، رحمه الله.

خلافة المقتدر بالله أمير المؤمنين أبي الفضل جعفر بن المعتضد

جددت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة من هذه السنة -أعنى سنة خمس وتسعين ومائتين- وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر وأحد وعشرون يوماً، ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر سنًا منه، ولما أجلس فى منصب الخلافة صلى أربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالدعاء والاستخارة، ثم بايعه الناس بيعة العامة، وكتب اسمه على الرقوم وغيرها: المقتدر بالله، وكان فى بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار، وفى بيت مال العامة ستمائة ألف دينار ونيف، وكانت الجواهر الثمينة فى الحواصل من لدن بنى أمية وأيام بنى العباس قد تناهى جمعها، فما زال يفرقها فى حظاياه وأصحابه حتى أنفذها، وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تعدادهم، منهم أبو الحسن على بن محمد بن الفرات، ولاّه ثم عزله بغيره، ثم أعاده، ثم عزله بغيره، ثم أعاده، ثم عزله، ثم قتله، وقد تقصى ذكرهم أبو الفرج ابن الجوزى. وكان له من الخدم والحجّاب والحشمة التامة شىء كثير جداً، وكان كريماً جدًا وفيه عبادة مع هذا كله وكثرة صلاة وصيام تطوع[1]، وفى يوم عرفة أول ولايته فرق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس، ومن الإبل ألفى بعير، وردّ الرسوم والكلف والأرزاق إلى ما كانت عليه فى زمن أوائل العباسيين وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم، ووكل أمر ذلك إلى القاضى أبى عمر محمد بن يوسف، وكان قد بنيت أبنية فى الرحبة دخلها فى كل شهر ألف دينار، فأمر بهدمها ليوسع على المسلمين الطرقات، وسيأتى ذكر شىء من أيامه وترجمته فيما بعد.

وممن توفى فيها من الأعيان: **إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله:** أبو إسحاق المزكى، الحافظ الزاهد، إمام أهل عصره بنيسابور فى معرفة الحديث والرجال والعلل، وقد سمع خلقاً من المشايخ الكبار، ودخل على الإمام أحمد وذاكره، وكان مجلسه مهيبًا، ويقال: إنه كان مجاب الدعوة، وكان لا يملك إلا داره التى يسكنها وحانوتاً يستغله كل شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على نفسه وعياله، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيأتدم به طول الشتاء، وقال أبو عليّ الحسين بن عليّ الحافظ النيسابوري: لم ترَ عيناى مثله.[2]

أبو الحسين النورى: أحد أئمة الصوفية، أحمد بن محمد، ويقال: محمد بن محمد، والأول أصح، أبو الحسين النوري، ويعرف بابن البغوى، أصله من خراسان، وحدّث عن سرى السقطى، ثم صار هو من أكابر أئمة القوم، قال أبو أحمد المغازلى: ما رأيت أحداً قط أعبد من أبى الحسين النورى، قيل له: ولا

(1) «المنتظم» (13/ 61). (2) «المنتظم» (13/ 73).

الجنيد؟ قال: ولا الجنيد. وقال غيره: صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا غيرهم. وتوفى فى المسجد وهو مقنّع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام.(1)

إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان الساماني: أحد ملوك خراسان للخلفاء، وهو الذى قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجى، وكتب بذلك إلى الخليفة المعتضد فولاّه خراسان ثم ولاّه المكتفى الرى وما وراء النهر وبلاد الترك، فأوقع بهم بأساً شديداً، وبنى الربط فى الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليها أوقافاً جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا عظيمة منها ثلاث عشرة جوهرة زنة كل واحدة منها ما بين السبعة مثاقيل إلى العشرة، وبعضها أحمر وبعضها أزرق قيمتها مائة ألف دينار، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد وشفع فى طاهر فشفعه فيه. ولما مات إسماعيل بن أحمد وبلغ المكتفى موته تمثّل بقول أبى نواس:

لنْ يخلُف الدهرُ مثلَهمْ أبداً * هَيْهاتَ هيهاتَ شأنُهمْ عجَبُ

المعمري الحافظ: صاحب «عمل اليوم والليلة»، وهو الحسن بن عليّ بن شبيب أبو عليّ المعمرى الحافظ، رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقاً منهم عليّ ابن المدينى ويحيى بن معين، وعنه ابن صاعد والنجاد والخلدي، وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث، صدوقاً ثبتاً، وقد كان يشبك أسنانه بالذهب من الكبر، لأنه جاوز الثمانين، وكان يكنى أولاً بأبى القاسم، ثم بأبى عليّ، وقد ولى القضاء للبرتى على القصر وأعمالها، وإنما قيل له المعمرى بأمه أم الحسن بنت أبى سفيان صاحب معمر بن راشد. وكانت وفاته لإحدى عشرة بقيت من المحرم.(2)

عبد الله بن الحسن بن أحمد: ابن أبى شعيب واسم أبى شعيب عبد الله بن مسلم، أبو شعيب الأموى الحرّانى المؤدب المحدث ابن المحدث، ولد سنة ست وثمانين ومائتين، وسمع أباه وجده وعفان بن مسلم وأبا خيثمة، كان صدوقاً ثقة مأموناً، توفى فى ذى الحجة منها.(3)

على بن أحمد المكتفى بن المعتضد تقدم ذكر ترجمته قريبًا من هذه السنة.

أبو جعفر الترمذى: محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذى الفقيه الشافعى، وكان من أهل العلم والزهد، قال الدارقطنى: هو ثقة كان مأموناً ناسكاً. وقال القاضى أحمد بن كامل: لم يكن لأصحاب الشافعى بالعراق أرأس منه، ولا أشد ورعًا، وكان من التقلل فى المطعم على حالة عظيمة فقراً وورعاً وصبراً، وكان ينفق فى كل شهر أربعة دراهم، وكان لا يسأل أحداً شيئاً، وكان قد اختلط فى آخر عمره، توفى فى المحرم من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

فى ربيع الأول منها: اجتمع جماعة من القواد والجند على خلع المقتدر بالله وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة عوضًا عنه، فأجابهم على أنه لا يُسفك بسببه دم، وكان المقتدر قد خرج للعب بالصوالجة فقصد إليه الحسين بن حمدان يريد أن يفتك به، فلما سمع المقتدر الضجة بادر إلى دار الخلافة فأغلقها دون الجيش،

(1) «الحلية» (10/ 249)، و«تاريخ بغداد» (5/ 130)، و«المنتظم» (13/ 73).
(2) انظر «تاريخ بغداد» (7/ 369)، و«المنتظم» (13/ 75)، و«السير» (13/ 510).
(3) انظر «تاريخ بغداد» (9/ 435)، و«المنتظم» (13/ 76)، و«السير» (13/ 356).

واجتمع القواد والأعيان والقضاة فى دار الخلافة، فبايعوا عبد الله بن المعتز، وخوطب بالخلافة ولقب بالمرتضى بالله.(1) وقال الصولى: إنما لقبوه المنتصف بالله، واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود، وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحول من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينتقل هو إليها، فأجيب بالسمع والطاعة، فركب الحسين بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلمها، فقاتله الخدم ومن فيها، ولم يسلموها إليه، وهزموه فلم يقدر على تخليص أهله وبعض ماله إلا بالجهد الجهيد.(2) فلما قدر عليهم ارتحل من فوره إلى الموصل، فتفرق نظام ابن المعتز وجماعته، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامرا لينزلها، فلم يتبعه أحد من الأمراء، فدخل إلى دار ابن الجصاص فاستجار به، ووقع النهب بالبلد واختبط الناس وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم وقتل أكثرهم وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة، فجدد البيعة للمقتدر، وأرسل إلى دار ابن الجصاص فكبسها. وأحضر ابن المعتز وابن الجصاص فصادر ابن الجصاص بمال جزيل جداً، يقال: إنه وزن ستة عشر ألف ألف درهم، ثم أطلقه، واعتقل ابن المعتز، فلما دخل فى ربيع الآخر ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته فسلمت إلى أهله فدفن، وصفح المقتدر عن بقية من بقى فى هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس. قال ابن الجوزى: ولا يعرف خليفة خلع ثم أعيد سوى الأمين والمقتدر.(3)

وفى يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول: سقط ببغداد ثلج عظيم، حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربع أصابع، وهذا يستغرب فى بغداد جداً، ولم تخرج السنة حتى خرج الناس للاستسقاء من تأخر المطر عن أيامه.

وفى شعبان منها: خلع على مؤنس الخادم، وأمر بالمسير إلى طرسوس لغزو الروم.

وفي هذه السنة: أمر المقتدر بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى فى الدواوين، وألزموا بيوتهم، وأمروا بلبس العسلي وجعل الرقاع بين أظهرهم ليعرفوا بها، وألزموا بالذلِّ حيث كانوا.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن محمد بن زكريا بن أبى عتاب: أبو بكر البغدادى الحافظ، ويعرف بأخي ميمون. روى عن نصر بن عليّ الجهضمى وغيره، وروى عنه الطبرانى، وكان يمتنع من أن يحدث وإنما يسمع منه فى المذاكرات. توفى فى شوال منها.(4)

أبو بكر الأثرم: أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الطائى الأثرم تلميذ الإمام أحمد، سمع عفان وأبا الوليد والقعنبى وأبا نعيم وخلقاً كثيراً، وكان حاذقًا صادقاً قوى الذاكرة، كان ابن معين يقول عنه: كان أحد أبويه جنيًا لسرعة فهمه وحفظه وحذقه، وله كتب مصنفة فى العلل والناسخ والمنسوخ، وكان من بحور العلم.(5)

خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى: أبو محمد العكبرى، سمع الحديث وكان ظريفاً، له

---

(1) «الطبرى» (10/ 140)، و«المنتظم» (13/ 79).
(2) «المنتظم» (13/ 80).
(3) «المنتظم» (13/ 81).
(4) «تاريخ بغداد» (5/ 8)، و«المنتظم» (13/ 82).
(5) «الجرح» (2/ 72)، و«تهذيب الكمال» (1/ 476)، و«السير» (12/ 623).

ثلاثون خاتماً وثلاثون عكازاً، يلبس في كل يوم من الشهر خاتماً ويأخذ في يده عكازاً، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني، وكان له سوط معلق في منزله، فإذا سئل عن ذلك يقول: ليرهب العيال منه.(1)

ابن المعتز الشاعر: الذي بويع بالخلافة، عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون، يكنى ابن المعتز أبا العباس الشاعر الهاشمي العباسي الفصيح البليغ المطبق، وقريش قادة الناس في الخير ودفع الشر. وقد سمع المبرد وثعلباً، وقد روى عنه من الحكم والآداب شيء كثير، فمن ذلك قوله: أنفاس الحي خطاه. أهل الدنيا ركب يُسار بهم وهم نيام، ربما أورد الطمع ولم يصدر، ربما شرق شارب الماء قبل ريه، من تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار، كلما عظم قدر المنافس فيه عظمت الفجيعة به، من ارتحله الحرص أضناه الطلب. الحرص ينقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظه، أشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقًا. من شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة، يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك. الفرصة سريعة الفوت بعيدة العود، الأسرار إذا كثر خزانها ازدادت ضياعاً، العزل يضحك من تيه الولاية. الجزع أتعب من الصبر، لا تشن وجه العفو بالتقريع، تركة الميت عزّ للورثة. إلى غير ذلك من كلامه وحكمه. ومن شعره في الحكم مما يناسب هذا المعنى الأخير قوله:

سابقْ إلى مالكَ ورّاثَه * ما المرءُ في الدنيا بلبّاثِ

كم صامتٍ يخنقُ أكياسَه * قد صاح في ميزانِ ميراثِ

وله أيضًا:

ياذا الغِنَى والسطوةِ القاهرَهْ * والدولةِ الناهيةِ الآمرَهْ

ويا شياطين بني آدم * ويا عَبيدَ الشهوةِ الفاجرَهْ

انتَظِروا الدنيا فقد أقربَتْ * وعن قليلٍ تَلِدُ الآخرَه

وله أيضًا:

ابْكِ يا نفسُ وهاتي * تَوْبَةً قبلَ المماتِ

قبلَ أن يفجَعَنا الدهـ * ـرُ ببَيْنٍ وشَتاتِ

لا تخُونيني إذا مـ * ـتُّ وقامَتْ بي نُعاتي

إنَّما الوافي بعَهْدي * مَنْ وَفَى بعدَ وَفاتي

قال الصولي: نظر ابن المعتز في حياة أبيه الخليفة إلى جارية فأعجبته، فمرض من حبها، فدخل أبوه عليه عائداً، فقال له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

أيُّها العاذِلُونَ لا تَعْذِلُوني * وانْظُروا حُسْنَ وجْهِها تَعْذُروني

وانْظُروا هل تَرَوْنَ أحسنَ منها * إنْ رأيتُم شَبِيهَها فاعْذِلُوني

قال: ففحص أبوه عن القضية واستعلم خبر الجارية، ثم بعث إلى سيدها فاشتراها بسبعة آلاف دينار،

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 331)، و«المنتظم» (13/ 84)، و«السير» (13/ 577).

وبعثها إليه. وقد ذكرنا أن فى ربيع الأول من هذه السنة اجتمع القواد والأعيان والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز هذا، ولقب بالمرتضى أو المنتصف بالله، فما مكث في الخلافة إلا يوماً أو بعض يوم، ثم غالب المقتدر وقتل عامة من خرج عليه واعتقله فى دار السلطان ووكل به يونس الخادم، فقتل فى أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه، ويقال: إنه أنشد فى آخر يوم من حياته:

يا نفسُ صبْرًا لعلَّ الخيرَ عُقْباكِ * خانَتْك مِن بعدِ طولِ الأمْنِ دُنْياكِ
مرَّتْ بنا سحَرًا طيْرٌ فقلتُ لها * طُوباكِ يا لَيْتَني إيَّاكِ طُوباكِ
إن كان قصْدُكِ شرقًا فالسَّلامُ على * شاطي الصراةِ ابلغي إنْ كان مَسْراكِ
مِن مُوثَقٍ بالمنَايَا لا فكاكَ لهُ * يبْكِي الدِّماءَ على إلْفٍ لهُ باكِي
فرُبَّ آمِنَةٍ جاءَتْ مَنِيَّتُها * ورُبَّ مُفْلِتَةٍ مِنْ بينِ أشْراكِ
أظنُّهُ آخِرَ الأيامِ مِن عمُري * وأوْشكَ اليومَ أنْ يبْكِي لِيَ الباكِي

ولما قدم ليقتل أنشأ يقول:

فقُلْ للشامِتينَ بنا رُوَيدًا * أمامَكمُ المَصائِبُ والخُطوبُ
هوَ الدهْرَ الذي لابُدَّ مِن أن * يكونَ إليكمُ منهُ ذُنوبُ

ثم كان ظهور قتله لليلتين خلتا من ربيع الآخر من هذه السنة. وقد ذكر له القاضي ابن خلكان مصنفات كثيرة، منها «طبقات الشعراء» وكتاب «أشعار الملوك» وكتاب «الآداب» وكتاب «البديع»، وكتاب فى الغناء وغير ذلك. وذكر أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه يوماً وليلة، ثم تمزق شمله واختفى فى بيت ابن الجصاص الجوهرى، ثم ظهر عليه فقتل، وصودر ابن الجصاص بألفى ألف دينار، وبقى معه سبعمائة ألف دينار. قيل: وكان أسمر اللون مسنون الوجه يخضب بالسواد، عاش خمسين سنة، وذكر شيئًا من كلامه وأشعاره رحمه الله.

محمد بن الحسين بن حبيب: أبو حصين الوادعى القاضى، صاحب المسند، من أهل الكوفة، قدم بغداد وحدث بها عن أحمد بن يونس اليربوعى ويحيى بن عبد الحميد، وجندل بن والق، وعنه ابن صاعد والنجاد والمحاملى. قال الدارقطنى: كان ثقة، توفى بالكوفة في هذه السنة.[1]

محمد بن داود بن الجراح: أبو عبد الله الكاتب، عم الوزير عليّ بن عيسى، كان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء، له مصنفات فى ذلك روى عن عمر بن شبة وغيره، كانت وفاته فى ربيع الأول منها عن ثلاث وخمسين سنة[2]، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

فيها: غزا القاسم بن سيما الصائفة، وفادى مؤنس الخادم الأسارى الذين بأيدى الروم[3]، وحكى ابن الجوزى عن ثابت بن سنان: أنه رأى فى أيام المقتدر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين،

---

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 229)، و«المنتظم» (13/ 90)، و«السير» (13/ 569).
(2) «تاريخ بغداد» (5/ 255)، و«المنتظم» (13/ 91)، و«الوفيات» (3/ 7).
(3) «الطبرى» (10/ 143)، و«المنتظم» (13/ 93).

وإنما كفاها ملصقان بكتفيها، لكن لا تعمل بهما شيئاً، وإنما كانت تعمل برجليها ما تعمله النساء بأيديهن من الغزل ومشط الرأس وغير ذلك.

وتأخرت الأمطار عن بغداد في هذه السنة، وارتفعت الأسعار بها، وجاءت الأخبار بأن مكة شرفها الله تعالى جاءها سيل عظيم بحيث إن أركان البيت غرقت من السيول، وإن زمزم فاضت، ولم ير ذلك قبل هذه السنة.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وممن توفى فيها من الأعيان: محمد بن داود بن عليّ: أبو بكر الفقيه ابن الفقيه، الظاهرى ابن الظاهري، كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً، وهو مصنف كتاب «الزهرة» اشتغل على أبيه وتبعه فى مذهبه وما كان يسلكه ويختاره من الطريق ويرتضيه، وكان أبوه يحبه ويقربه ويدنيه. قال رويم بن محمد: كنا يوماً عند داود إذ دخل ابنه محمد باكيًا فقال: ما لك؟ فقال: إن الصبيان يلقبوننى عصفور الشوك. فضحك أبوه فاشتد غضب ولده وقال: أنت أضر عليَّ منهم، فضمه أبوه إليه، وقال: لا إله إلا الله، ما الألقاب إلا من السماء ما أنت يا بنى إلا عصفور الشوك. ولما توفى أبوه أجلس ابنه محمد هذا فى مكانه فى الحلقة، فاستصغره الناس عن ذلك، فسأله سائل يوماً عن حد السُكر فقال: إذا عزبت عنه الهموم وباح بسره المكتوم. فاستحسن ذلك منه، وعظم فى أعين الناس.[1] قال ابن الجوزى فى «المنتظم»: وقد ابتلى بحب صبى اسمه محمد بن جامع، ويقال: محمد بن زخرف، فاستعمل العفاف والدين فى حبه، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته فى ذلك.[2]

قلت: فدخل فى الحديث المروى عن ابن عباس موقوفًا عليه ومرفوعًا عنه: من عشق فكتم فعف فمات مات شهيداً.[3]

وقد قيل عنه: إنه كان يبيح العشق بشرط العفاف.[4] وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشق منذ كان فى الكتَّاب، وأنه صنف كتاب «الزهرة» فى ذلك من صغره، وربما وقف أبوه داود على بعض ذلك، وكان يتناظر هو وأبو العباس ابن سريج كثيراً بحضرة القاضى أبى عمر محمد بن يوسف، فيتعجب الناس من مناظرتهما وحسنها. وقد قال له ابن سريج يوماً فى مناظرته: أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا. فقال له: تعيرنى بكتاب الزهرة وأنت لا تحسن تستتم قراءته، وهو كتاب جمعناه هزلاً فاجمع أنت مثله جداً.[5] وقال القاضى أبو عمر محمد بن يوسف: كنت يوماً أنا وأبو بكر ابن داود راكبين فإذا جارية تغنى بشىء من شعره:

أشْكُو عليلَ فُؤادٍ أنت مُتْلِفُهُ * شكْوَى عَليلٍ إلى إلْفٍ يُعَلّلُهُ
سُقْمِي تزيدُ على الأيامِ كثْرَتُهُ * وأنتَ في عُظْمِ ما ألْقَى تُقَلّلُهُ
اللهُ حرَّمَ قتْلِي في الهوَى أسَفًا * وأنتَ يا قاتِلي ظُلْمًا تُحَلّلُهُ

---

(1) «تاريخ بغداد» (5/ 256)، و«المنتظم» (13/ 98).
(2) «المنتظم» (13/ 99). (3) موضوع: وقد تقدم.
(4) الإباحة حدّ شرعى لا يثبت إلا بدليل، وليس هناك دليل صحيح يصح به هذا الاستحسان وهذه الإباحة، بل أدلة الشرع على خلافه، فليس هذا الاجتهاد منه مقبولاً، والله أعلم.
(5) «المنتظم» (13/ 100).

فقال أبو بكر محمد بن داود: كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقلت: هيهات سارت به الركبان. كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله تعالى فى رمضان من هذه السنة، وجلس ابن سريج لعزاه، وقال: ما آسى إلا على التراب الذى أكل لسان محمد بن داود رحمه الله.(1)

محمد بن عثمان بن أبى شيبة: أبو جعفر، حدَّث عن يحيى بن معين وعلى ابن المدينى وخلق، وعنه ابن صاعد والخلدى والباغندى وغيرهم، وله كتاب فى التاريخ وغيره من المصنفات، وقد وثقه صالح بن محمد جزرة وغيره، وكذبه عبد الله ابن الإمام أحمد فقال: هو كذاب بيِّن الأمر. وتعجب ممن يروى عنه، وكانت وفاته فى ربيع الأول من هذه السنة.(2)

محمد بن طاهر: ابن عبد الله بن الحسين بن مصعب من بيت الإمارة والحشمة، باشر نيابة العراق مدة ثم خراسان، ثم ظفر به يعقوب بن الليث فى سنة ثمان وخمسين فأسره، وبقى معه يطوف به في الآفاق أربع سنين، ثم نجا فى بعض الوقعات بنفسه، ولم يزل مقيماً ببغداد إلى أن توفى فى هذه السنة.(3)

موسى بن إسحاق: ابن موسى بن عبد الله، أبو بكر الأنصارى الخطمى، مولده سنة عشر ومائتين، سمع أباه وأحمد بن حنبل وعلى بن الجعد وغيرهم، وحدث عنه الناس وهو شاب وقرؤوا عليه القرآن، وكان ينتحل مذهب الشافعى، وولى قضاء الرى والأهواز، وكان ثقة فاضلاً نبيلاً عفيفًا فصيحًا كثير الحديث. توفى فى المحرم من هذه السنة.(4)

يوسف بن يعقوب: ابن إسماعيل بن حماد بن زيد، والد القاضى أبى عمر محمد بن يوسف قاتل الحلاج، وكان يوسف بن يعقوب هذا من أكابر القضاة وأعيان العلماء، ولد سنة ثمان ومائتين، وسمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق وهدبة ومسدداً وغيرهم، وكان ثقة، وقد ولى قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقى من بغداد، وكان ثقة نزهًا عفيفًا شديد الحرمة، جاءه يوماً بعض خدم الخليفة المعتضد، فرفع فى المجلس، فأمره حاجب القاضى أن يساوى خصمه، فامتنع إدلالاً بجاهه عنده، فنهره القاضي، وقال: ائتونى بدلال النخس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بثمنه إلى الخليفة، وجاء حاجب القاضى فأخذه بيده، وأجلسه مع خصمه، فلما انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين يديه وأخبره بما قال القاضي فقال: والله لو باعك لأجزت بيعه ولما استرجعتك أبداً، فليس خصوصيتك عندى تزيل مرتبة الحكم، فإنه عمود السلطان وقوام الأديان، كانت وفاته فى رمضان من هذه السنة.(5)

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

فيها: قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم، فدخل بغداد ومعه الأسارى والعلوج، بأيديهم أعلام عليها صلبان من ذهب وخلق من الأسارى.(6)

---

(1) «المنتظم» (13/ 101).

(2) «تاريخ بغداد» (3/ 42)، و«المنتظم» (13/ 102)، و«تذكرة الحفاظ» (2/ 661)، و«السير» (14/ 21).

(3) «تاريخ بغداد» (5/ 377)، و«المنتظم» (13/ 102).

(4) «تاريخ بغداد» (13/ 52)، و«المنتظم» (13/ 103)، و«السير» (13/ 579).

(5) «تاريخ بغداد» (14/ 310)، و«المنتظم» (13/ 103)، و«التذكرة» (2/ 660)، و«السير» (14/ 85).

(6) «الطبرى» (10/ 144)، و«المنتظم» (13/ 105).

وفيها: قدمت هدايا من نائب خراسان أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني، من ذلك مائة وعشرون غلاماً بمراكبهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه، وخمسون بازيًا وخمسون جملاً تحمل من مرتفع الثياب وخمسون رطلاً من مسك وغير ذلك.

وفيها: فُلج القاضى عبد الله بن عليّ بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب، فقلد مكانه على الجانب الشرقى والكرخ ابنه محمد.

وفى شعبان منها: أخذ رجلان يقال لأحدهما: أبو كثيرة والآخر يعرف: بالشمرى، فذكرا أنهما من أصحاب رجل يقال له: محمد بن بشر، وأنه يدعى الربوبية.

وفيها: وردت الأخبار بأن الروم قصدت اللاذقية.

وفيها: وردت الأخبار بأن ريحاً صفراء هبت بحديثة الموصل، فمات من حرها بشر كثير.

وفيها: حج بالناس الفضل الهاشمى.

وفيها توفى من الأعيان: ابن الراوندى الزنديق: أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين، المعروف بابن الراوندي، أحد مشاهير الزنادقة الملحدين، عليه اللعنة من رب العالمين، كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، فيقال: إنه حرف في التوراة، كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه، وصنف كتاباً فى الرد على القرآن سماه «الدامغ». وكتاباً فى الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه «الزمرد»، وله «كتاب التاج» فى معنى ذلك، وله كتاب «الفريد»، وكتاب «إمامة المفضول»[1]. وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة، منهم الشيخ أبو عليّ محمد بن عبد الوهاب الجبائى شيخ المعتزلة فى زمانه، وقد أجاد فى ذلك. وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبى عليّ، قال الشيخ أبو عليّ الجبائي: قرأت كتاب الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندى، فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء. قال: وقد وضع كتاباً فى قدم العالم، ونفى الصانع، وتصحيح مذهب الدهرية، والرد على أهل التوحيد، ووضع كتاباً فى الرد على محمد رسول الله ﷺ فى سبعة عشر موضعًا من كتابه، ونسبه إلى الكذب وطعن على القرآن، ووضع كتاباً لليهود والنصارى، وفضل دينهم على المسلمين، يحتج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ إلى غير ذلك من الكتب التى تبين خروجه عن الإسلام. نقله ابن الجوزى عنه. وقد أورد ابن الجوزى فى «منتظمه» طرفاً من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات والشريعة، ورد عليه فى ذلك، وهو أقل وأخس وأذل من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وخذلانه وتمويهه وترويجه وطغيانه.[2] وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر، منها ما هو صحيح عنه، ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله وعلى طريقه ومسلكه فى الكفر والتستر بالمسخرة، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: 65، 66).

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحبًا لابن الراوندى قبحهما الله، فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن إلى أن مات. وأما ابن الراوندى فهرب ولجأ إلى ابن لاوى اليهودى، وصنف له فى مدة مقامه عنده كتابه الذى سماه «الدامغ للقرآن» فلم يلبث بعده إلا أياماً يسيرة حتى مات لعنه الله. ويقال: إنه أخذ وصلب.[3] قال أبو الوفاء ابن عقيل: ورأيت فى كتاب محقق أنه عاش ستاً

(1) «المنتظم» (13/ 108)، و«الوفيات» (1/ 94)، و«السير» (14/ 59).
(2) «المنتظم» (13/ 111). (3) «المنتظم» (13/ 117).

وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل فى المخازى لعنه الله وقبحه ولا رحم عظامه. وقد ذكره القاضي ابن خلكان فى «الوفيات» ودلس عليه ولم يجرحه بشىء، ولا كأن الكلب أكل له عجيناً، على عادته فى العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم. وأرخ وفاته فى سنة خمس وأربعين ومائتين، وقد وهم وهماً فاحشاً، والصحيح أنه توفى فى هذه السنة كما أرخه ابن الجوزى وغيره.(1)

الجنيد شيخ الصوفية -رحمه الله-: الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخزاز، ويقال: القواريرى، أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها. وسمع الحديث من الحسن بن عرفة. وتفقه بأبى ثور إبراهيم بن خالد الكلبى، وكان يفتى بحضرته وعمره عشرون سنة، وقد ذكرناه فى «طبقات الشافعية»، واشتهر بصحبة الحارث بن أسد المحاسبى، وخاله سرى السقطى، ولازم التعبد، وتكلم على طريقة التصوف. وكان ورده فى كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة. ومكث أربعين سنة لا يأوى إلى فراش، وكان مع ذلك يعرف سائر فنون العلم، رحمه الله.(2) ولما حضرته الوفاة جعل يتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك؟ فقال: ما أحد أحوج إلى ذلك منى الآن، وهذا أوان طى صحيفتى.(3)

قال القاضي ابن خلكان: أخذ الفقه عن أبى ثور صاحب الشافعي، ويقال: كان يتفقه على مذهب سفيان الثورى، وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه.(4) قال: وسئل الجنيد: عن العارف؟ فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت. وكان يقول: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى مذهبنا وطريقتنا. ورأى بعضهم معه سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تتخذ سبحة؟ فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه.(5) وقال له خاله السرى السقطي: تكلم على الناس. فلم ير نفسه لذلك موضعًا. فرأى فى المنام رسول الله ﷺ وهو يقول له: تكلم على الناس. فغدا على خاله، فقال له خاله: لم تصدقنا حتى قيل لك قال: فتكلم على الناس، فجاءه يوماً شاب نصرانى فى صورة مسلم، فقال له: يا أبا القاسم ما معنى قول النبى ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»(6)؟ قال: فأطرقت، ثم رفعت رأسي إليه، فقلت له: أسلم فقد آن وقت إسلامك. قال: فأسلم الغلام.(7) وقال الجنيد: ما انتفعت بشىء كانتفاعي بأبيات سمعتها من جارية تغنى بها فى غرفة، وهى تقول:

إذا قلتُ: أهْدَى الهَجْرُ لي حُلَلَ البِلَى * تقُولينَ: لولا الهجْرُ لم يَطِبِ الحُبُّ

وإن قلتُ: هذا القلبُ أحرَقَه الجوَى * تقولي بنيرانِ الجوى شَرُفَ القلبُ

وإن قلتُ: ما أذنَبْتُ قلتِ مُجيبَةً: * حياتُكَ ذنبٌ لا يُقاسُ به ذَنْبُ

قال: فصعقت وصحت، فخرج صاحب الدار، فقال: ياسيدى ما لك؟ قلت: مما سمعت. فقال: هى هبة منى إليك. فقلت: قد قبلتها وهى حرة لوجه الله، ثم زوّجتها لرجل فأولدها ولداً صالحاً، حج على قدميه ثلاثين حجة.

---

(1) «الوفيات» (1/ 94).

(2) «تاريخ بغداد» (7/ 241)، و«المنتظم» (13/ 118)، و«الوفيات» (1/ 373)، و«السير» (14/ 66).

(3) «تاريخ بغداد» (7/ 248)، و«المنتظم» (13/ 119).

(4، 5) «الوفيات» (1/ 373). (6) «الترمذى» (3127) وهو ضعيف جدًا.

(7) «الوفيات» (1/ 373-374).

سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور: أبو عثمان الواعظ ولد بالري، ونشأ بها، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها، وقد دخل بغداد. ويقال: إنه كان مجاب الدعوة. قال الخطيب: أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الله بن محمد الشعراني يقول: سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.[1] وكان أبو عثمان ينشد:

أسـاتُ ولم أُحسنْ وجِئتُكَ هارِبًا * وأينَ لعبدٍ مِن مَواليهِ مَهرَبُ؟
يُؤَمِّلُ غُفرانًا، فإنْ خابَ ظنُّه * فما أحدٌ مِنه على الأرضِ أخيَبُ

وروى الخطيب عنه أنه سئل: أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالرى وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حباً أذهب نومى وقرارى، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك لما تزوجتنى. فقلت: ألك والد؟ قالت: نعم. فأحضرته فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها إذا هى عوراء عرجاء مشوهة الخلق فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لى، وكان أهل بيتى يلوموننى على تزويجى بها، فكنت أزيدها براً وإكراماً، وربما احتبستنى عندها ومنعتنى من الحضور إلى بعض المجالس، وكأنى فى بعض أوقاتى على الجمر وأنا لا أبدى لها من ذلك شيئًا. فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندى من حفظى عليها ما كان فى قلبها من جهتى.[2]

سمنون بن حمزة: ويقال ابن عبد الله، أحد مشايخ الصوفية، كان ورده فى كل يوم وليلة خمسمائة ركعة، وسمى نفسه سمنوناً الكذاب لدعواه في قوله:

فليسَ لي في سِواكَ حَظٌّ * فكيفَما شئتَ فامتحِنّي

فابتلى بعسار البول فكان يدور على المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب. وله كلام متين فى المحبة، ووسوس فى آخر عمره، وله كلام فى المحبة مستقيم.

صافى الحرمي: كان من أكابر أمراء الدولة العباسية، ورؤوس الدولة المقتدرية، أوصى فى مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شىء، فلما توفى حمل غلامه القاسم إلى الوزير مائة ألف دينار وسبعمائة وعشرين منطقة من ذهب مكللة، فاستمر غلامه على إمرته ومنزلته.

إسحاق بن حُنين بن إسحاق أبو يعقوب العبادى، نسبة إلى قبائل الحيرة، الطبيب ابن الطبيب، له ولأبيه مصنفات كثيرة فى هذا الفن، وكان أبوه يعرِّب كلام أرسطاطاليس وغيره من حكماء اليونان توفى في هذه السنة.

الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا: أبو عبد الله الشيعى، الذى أقام الدعوة للمهدى، وهو عبيد الله ابن ميمون الذى يزعم أنه فاطمى، وقد زعم غير واحد من أهل التاريخ أنه كان يهودياً صباغاً بسلمية، والمقصود الآن: أن أبا عبد الله الشيعى هذا دخل بلاد إفريقية وحده لا مال معه ولا رجال، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يد أبى مضر زيادة الله، آخر ملوك بنى الأغلب على بلاد إفريقية، واستدعى حينئذ مخدومه المهدى من بلاد الشرق، فقدم فلم يخلص إليه إلا بعد شدائد طوال، وحبس فى أثناء الطريق، فاستنقذه الشيعى، وسلمه المملكة، فندمه أخوه أحمد، وقال له: ماذا صنعت؟ وهلا كنت استبددت

(1،2) «تاريخ بغداد» (9/ 101).

بالأمر دون هذا؟ فندم وشرع يعمل الحيلة فى المهدى، فاستشعر المهدى بذلك فدس إليهما من قتلهما فى هذه السنة بمدينة رقادة من بلاد القيروان، من إقليم إفريقية. هذا ملخص ما ذكره ابن خلكان.(1)

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

قال ابن الجوزى: وفيها: ظهرت ثلاثة كواكب مذنبة، أحدها فى رمضان، واثنان فى ذى القعدة تبقى أياماً ثم تضمحل.(2)

وفيها: وقع طاعون بأرض فارس مات بسببه سبعة آلاف إنسان.

وفيها: غضب الخليفة على الوزير عليّ بن محمد بن الفرات، وعزله عن الوزارة، وأمر بنهب داره فنهبت أقبح نهب، واستوزر أبا على محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان، وكان قد التزم لأم ولد المقتدر بمائة ألف دينار حتى سعت فى ولايته.

وفيها: وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها، من ذلك خمسمائة ألف دينار من الديار المصرية استخرجت من كنز وجد هناك من غير موانع كما يدعيه كثير من جهلة بني آدم حيلة ومكراً وخديعة ليأكلوا أموال الأغشام والجهلة الطغام من قليلي العقول والأحلام، وقد وجد فى هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة أشبار وعرضه شبر، وذكر أنه من قوم عاد فالله أعلم. وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبنًا. ومن ذلك بساط أرسله ابن أبى الساج فى جملة هداياه، طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً، عمل فى عشر سنين لا قيمة له، وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد السامانى من بلاد خراسان كثيرة جداً.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي، أمير الحجيج من مدة طويلة.

وفيها توفى من الأعيان: **أحمد بن نصر بن إبراهيم:** أبو عمرو الخفاف الحافظ، كان يذاكر بمائة ألف حديث، سمع إسحاق بن راهويه وطبقته، وكان كثير الصيام سرده نيفاً وثلاثين سنة، وكان كثير الصدقة، سأله سائل فأعطاه درهمين، فحمد الله، فجعلها خمسة، فحمد الله فجعلها عشرة، ثم ما زال يزيده ويحمد السائل الله حتى جعلها مائة. فقال: جعل الله عليك واقية باقية. فقال للسائل: والله لو لزمت الحمد لأزيدنك ولو إلى عشرة آلاف درهم.(3)

البهلول بن إسحاق بن البهلول: ابن حسان بن سنان، أبو محمد التنوخى، سمع إسماعيل بن أبى أويس، وسعيد بن منصور ومصعباً الزبيرى وغيرهم، وعنه جماعة آخرهم أبو بكر الإسماعيلى الجرجانى الحافظ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً بليغاً فصيحاً فى خطبه. توفى فيها عن خمس وتسعين سنة، رحمه الله آمين.(4)

الحسين بن عبد الله بن أحمد: أبو عليّ الخرقى صاحب «المختصر فى الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، كان خليفة للمروذى. توفى يوم عيد الفطر ودفن عند قبر الإمام أحمد بن حنبل.(5)

---

(1) راجع «الوفيات» (2/ 192)، و«السير» (14/ 58).
(2) «المنتظم» (13/ 124)، و«الطبرى» (10/ 145).
(3) «الجرح» (2/ 79)، و«المنتظم» (13/ 124)، و«السير» (13/ 560).
(4) «تاريخ بغداد» (7/ 109)، و«المنتظم» (13/ 125)، و«السير» (13/ 535).
(5) «تاريخ بغداد» (8/ 59)، و«المنتظم» (13/ 126)، و«السير» (13/ 563).

محمد بن إسماعيل: أبو عبد الله المغربى، حج على قدميه سبعاً وتسعين حجة، وكان يمشى فى الليل المظلم حافياً كما يمشى الرجل فى ضوء النهار، وكان المشاة يأتمون به فيرشدهم إلى الطريق، وقال: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة، وله كلام مليح نافع، ولما مات أوصى أن يدفن إلى جانب شيخه عليّ بن رزين، فهما على جبل الطور.(1)

محمد بن أبى بكر ابن أبى خيثمة: أبو عبد الله الحافظ ابن الحافظ كان أبوه يستعين به فى جمع التاريخ، وكان فَهِمًا حاذقاً حافظاً، توفى فى ذى القعدة منها.(2)

محمد بن أحمد بن كيسان: النحوى أحد حفاظه والمكثرين منه، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً. قال ابن مجاهد: كان ابن كيسان أنحى من الشيخين المبرّد وثعلب.(3)

محمد بن يحيى: أبو سعيد، سكن دمشق، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهرى، وأحمد بن منيع، وابن أبى شيبة وغيرهم، روى عنه أبو بكر النقاش وغيره، وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بحامل كفنه، وذلك ما ذكره الخطيب قال: بلغنى أنه توفى فغسل وكفن وصلى عليه ودفن، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره. فلما حلّ عنه كفنه استوى جالساً، وفر النباش هاربًا من الفزع، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفنه معه، وخرج من القبر وقصد منزله فوجد أهله يبكون عليه، فدق عليهم الباب فقالوا: من هذا؟ فقال: أنا فلان. فقالوا: يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا. فقال: افتحوا والله أنا فلان. فعرفوا صوته، فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً، وأبدل الله حزنهم سروراً، ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش. وكأنه قد أصابته سكتة، ولم يكن قد مات حقيقةً فقدر الله بحوله وقوته أن بعث هذا النباش ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته، فعاش بعد ذلك عدة سنين، ثم كانت وفاته فى هذه السنة.(4)

فاطمة القهرمانة: غضب عليها المقتدر مرة فصادرها، وكان فى جملة ما أخذ منها مائتا ألف دينار، ثم غرقت فى طيارة لها فى هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية

فيها: كثر ماء دجلة وتراكمت الأمطار ببغداد، وتناثرت نجوم كثيرة فى ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة.(5)

وفيها: كثرت الأمراض ببغداد والأسقام والآلام، وكلبت الكلاب حتى الذئاب بالبادية. وكانت تقصد الناس والبهائم بالنهار فمن عضته أهلكته.

وفيها: انحسر جبل بالدينور يعرف بالتل فخرج من تحته ماء عظيم غرّق عدة من القرى.

وفيها: سقطت شرذمة من جبل لبنان إلى البحر.

وفيها: حملت بغلة ووضعت مهرة.

---

(1) «الحلية» (10/ 335)، و«المنتظم» (13/ 128).

(2) «تاريخ بغداد» (1/ 303)، و«المنتظم» (13/ 246)، و«السير» (11/ 494).

(3) «تاريخ بغداد» (1/ 335)، و«المنتظم» (13/ 130)، و«السير» (16/ 329).

(4) «تاريخ بغداد» (3/ 423)، و«المنتظم» (13/ 130).

(5) «الطبرى» (10/ 146)، و«المنتظم» (13/ 132).

وفيها: صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حى أربعة أيام، يومين فى الجانب الشرقى ويومين فى الجانب الغربى، وذلك فى ربيع الأول منها.

وحج بالناس أمير الحجيج المتقدم ذكره فى السنين قبلها وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمى العباسى أثابه الله وتقبل منه.

وفيها توفى من الأعيان: الأحوص بن المفضل بن غسان بن المفضل: ابن معاوية بن عمرو بن خالد ابن غلاب، أبو أمية الغلابى القاضى بالبصرة وغيرها، روى عن أبيه التاريخ، استتر عنده مرة ابن الفرات، فلما أعيد إلى الوزارة ولاه قضاء البصرة والأهواز وواسط. وكان عفيفاً نزهًا، فلما نكب ابن الفرات قبض عليه نائب البصرة فأودعه السجن فلم يزل به حتى مات فيه. قال ابن الجوزى: ولا نعلم قاضياً مات فى السجن سواه.(1)

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ابن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخزاعى، ولى إمرة بغداد. وحدث عن الزبير بن بكار وعنه الصولى والطبرانى، وكان أديباً فاضلاً شاعرًا، ومن شعره:

حقُّ التَّنائي بينَ أهلِ الهَوى * تكاتُبٌ يُسْخِنُ عينَ النَّوَى
وفي التَّداني لا انْقَضى عُمْرُهُ * تزاوُرٌ يَشْفِى غَلِيلَ الجَوَى

وقد اتفق له مرة أن جارية له مرضت فاشتهت ثلجاً، وكان حظية عنده جدًا، فلم يوجد إلا عند رجل، فساومه الوكيل على رطل منه فامتنع من بيعه إلا كل رطل بالعراقى بخمسة آلاف درهم، وذلك لعلم صاحب الثلج بحاجتهم إليه، فرجع الوكيل ليشاوره فقال: ويحك اشتره ولو بما عساه أن يكون، فرجع فقال له صاحب الثلج: لا أبيعه إلا بعشرة آلاف. فاشتراه بعشرة آلاف ثم اشتهت الجارية ثلجاً أيضًا، وذلك لموافقته لها فرجع فاشترى منه رطلاً آخر بعشرة آلاف. ثم آخر بعشرة آلاف وبقى عند صاحب الثلج رطلان فنطقت نفسه إلى أكل رطل منه ليقول: أكلت رطلاً من الثلج بعشرة آلاف، فأكله وبقى عنده رطل آخر فجاءه الوكيل فامتنع أن يبيع الرطل إلا بثلاثين ألفاً فاشتراه منه فشفيت الجارية وتصدقت بمال جزيل فاستدعى سيدها صاحب الثلج فأعطاه من تلك الصدقة مالاً جزيلاً جدًا فصار من أغنى الناس بعد ذلك وأكثرهم مالاً، واستخدمه ابن طاهر عنده، والله أعلم.

وممن توفى فى حدود الثلاثمائة تقريباً:

الصنوبرى الشاعر: وهو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار أبو بكر الضبى الصنوبرى الحلبي. قال الحافظ ابن عساكر: كان شاعراً محسناً. وقد حكى عن عليّ بن سليمان الأخفش، ثم ذكر أشياء من لطائف أشعاره، فمن ذلك قوله:

لا النومُ أدري به ولا الأرَقُ * يدري بهذَيْن مَن به رَمَقُ
إنَّ دُموعي من طولِ ما اسْتَبَقَتْ * كَلَّتْ فما تسْتطيعُ تَسْتَبِقُ
ولي مليكٌ لم تبدُ صورَتُه * مذْ كان إلا صَلَّتْ له الحدَقُ
نويتُ تقْبيلَ نارِ وجْنَتِه * وخِفْتُ أدْنُو منها فأحْتَرِقُ

---

(1) «تاريخ بغداد» (7/ 50)، و«المنتظم» (13/ 133)، و«السير» (14/ 92).

وله أيضاً:

شمسٌ غدا يشربُ شمساً غدَتْ * وحدُها في النورِ مِنْ حدِّهِ
تغيبُ في فيه ولكنها * من بعدِ ذا تطلعُ في خدِّهِ

وقد روى الحافظ البيهقى عن شيخه الحاكم عن أبى الفضل نصر بن محمد الطوسى، قال: أنشدنا أبو بكر الصنوبرى، فقال:

هدَمَ الشيبُ ما بناهُ الشبابُ * والغواني وما عُضِبْنَ غضابُ
قلَبَ الآبنوسَ عاجاً فللأعـ * ـين منه وللقلوبِ انقلابُ
وضلالٌ في الرأي أن يُشنأ البا * زي علي حُسنِهِ ويُهوَى الغرابُ

وله أيضاً وقد أورده ابن عساكر فى ابن له فطم فجعل يبكى على ثديه:

منعوهُ أحبَّ شيءٍ إليهِ * مِن جميعِ الورَى ومن والديْهِ
منعوهُ غذاءَهُ ولقد كا * ن مُباحاً لهُ وبينَ يديْهِ
عجباً منه ذا على صغرِ السِّـ * ـنِّ هوى فاهتدى الفراقُ إليهِ

إبراهيم بن أحمد بن محمد: ابن المولد، أبو إسحاق الصوفى الواعظ الرقى أحد مشايخها، روى الحديث وصحب أبا عبد الله ابن الجلاء الدمشقى، والجنيد وغير واحد. وروى عنه تمام بن محمد وأبو عبد الرحمن السلمى. وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله:

لكَ منى على البعادِ نصيبُ * لم ينلْهُ على الدنوِّ حبيبُ
وعلى الطرفِ من سواكَ حجابٌ * وعلى القلبِ من هواكَ رقيبُ
زينَ في ناظري هواكَ وقلبي * والهوَى فيه زائغٌ ومشوبُ
كيفَ يُغني قُربُ الطبيبِ عليلاً * أنتَ أسقمتهُ وأنتَ الطبيبُ

وقوله:

الصمتُ أمنٌ من كلِّ نازلةٍ * مَن نالهُ نالَ أفضلَ القسَمِ
ما نزلتْ بالرجالِ نازلةٌ * أعظمُ ضُراً من لفظةٍ بفمِ
عثرةُ هذا اللسانِ مُهلكةٌ * ليستْ لديْنا كعثرةِ القدمِ
احفظْ لساناً يُلقيكَ في تلفٍ * فربَّ قولٍ أذلَّ ذا كرمِ

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة من الهجرة النبوية

فيها: غزا الحسين بن حمدان الصائفة، ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم، وقتل أمماً لا يحصون كثرة.(١)

وفيها: عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن وزارته، وقلدها علي بن عيسى، وكان من خيار الوزراء وأقصدهم للعدل والإحسان واتباع الحق.

(١) «الطبرى» (١٠/ ١٤٧)، و«المنتظم» (١٣/ ١٤١).

وفيها: كثرت الأمراض الدموية ببغداد فى تموز وآب، فمات من ذلك خلق كثير وجم غفير من أهلها.

وفيها: وصلت هدايا صاحب عمان، وفيها ببغة بيضاء، وغزال أسود.

وفى شعبان منها: ركب المقتدر إلى باب الشماسية على الخيل، ثم انحدر إلى داره فى دجلة، وكانت أول ركبة ركبها جهرة للعامة.

وفيها: استأذن الوزير عليّ بن عيسى المقتدر بالله فى مكاتبة رأس القرامطة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى، فأذن له، فكتب إليه كتاباً طويلاً، يدعوه فيه إلى السمع والطاعة، ويوبخه على ما يتعاطاه أصحابه من ترك الصلوات والزكوات، وارتكاب المنكرات، وإنكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويحمده، واستهزائهم بالدين واسترقاقهم الحرائر، ثم توعده بالحرب وتهدده بالقتل، فلما سار بالكتاب نحوه قُتل أبو سعيد قبل أن يصله قتله بعض خدمه، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد فغلبه على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد، فلما قرأ كتاب الوزير إليهم أجابه بما حاصله: إن هذا الذى تنسب إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنع علينا، وإذا كان الخليفة ينسبنا إلى الكفر بالله، فكيف يدعونا إلى السمع والطاعة له؟

وفيها: جيء بالحسين بن منصور الحلاج إلى بغداد، وهو مشهور على جمل وغلام له راكب جملاً آخر، ينادى عليه: هذا أحد دعاة القرامطة فعرفوه، ثم حبس ثم أحضر إلى مجلس الوزير فناظره، فإذا هو لا يقرأ القرآن، ولا يعرف من الحديث ولا الفقه ولا اللغة ولا الأخبار ولا الشعر شيئًا. وكان الذى نقم عليه: أنه وجدت له رقاع يدعو فيها الناس إلى الضلالة والجهالة بأنواع من الرموز، يقول فى مكاتباته كثيراً: تبارك ذو النور الشعشعانى. فقال له الوزير عليّ بن عيسى: تعلمك الطهور والفروض أجدى عليك من رسائل لا تدرى ما تقول فيها، وما أحوجك إلى الأدب. ثم أمر به فصلب حياً صلب الاشتهار لا القتل، ثم أنزل فأجلس فى دار الخلافة، فجعل يظهر لهم أنه على السنة، وأنه زاهد، حتى اغتر به كثير من الخدام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة والطغام، حتى صاروا يتبركون به ويتمسحون بثيابه. وسيأتى ما صار إليه أمره حتى قتل بإجماع الفقهاء.(1)

ووقع فى هذه السنة فى آخرها: ببغداد وباء شديد جداً مات بسببه بشر كثير، ولا سيما بالحربية غلقت عامة دورها. **وحج بالناس فيها** الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن هانئ بن خالد الشافعى: جمع العلم والزهد، من تلاميذه أبو بكر الإسماعيلى.

جعفر بن محمد: ابن الحسن بن المستفاض أبو بكر الفريابى، قاضى الدينور، طاف البلاد فى طلب العلم، وسمع الكثير من المشايخ الكثيرين، مثل قتيبة وأبى كريب وعليّ ابن المدينى، وعنه أبو الحسين ابن المنادى والنجاد وأبو بكر الشافعى وخلق، واستوطن بغداد، وكان ثقة حافظاً حجة، وكان عدة من يحضر مجلسه نحواً من ثلاثين ألفاً، والمستملون عنه فوق الثلاثمائة، وأصحاب المحابر نحواً من عشرة آلاف. وكانت وفاته فى المحرم من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته بخمس سنين، وكان يأتيه فيقف عنده. ثم لم يُقْضَ له الدفن فيه بل دفن في مكان آخر، رحمه الله حيث كان.(2)

(1) انظر «المنتظم» (13/ 144).

(2) «تاريخ بغداد» (7/ 199)، و«المنتظم» (13/ 145)، و«السير» (14/ 96).

أبو سعيد الجنابى القرمطى: وهو الحسن بن بهرام قبحه الله، وهو رأس القرامطة، والذى يعول عليه فى بلاد البحرين وما والاها.(1)

على بن أحمد الراسبى: كان يلى بلاد واسط إلى شهرزور وغيرها، وقد خلف من الأموال شيئاً كثيراً، فمن ذلك ألف ألف دينار، ومن آنية الذهب والفضة نحو مائة ألف دينار، ومن الخز ألف ثوب، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس.(2)

محمد بن عبد الله: ابن عليّ بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب يعرف بالأحنف، كان قد ولى قضاء مدينة المنصور نيابة عن أبيه حين فلج، فمات فى جمادى الأولى من هذه السنة. وتوفى أبوه فى رجب منها، بينهما ثلاثة وسبعون يوماً، ودفنا فى موضع واحد رحمهم الله تعالى.(3)

أبو بكر أحمد بن هارون البردعى الحافظ، **وابن ناجية.**

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة

فيها: ورد كتاب مؤنس الخادم بأنه قد أوقع بالروم بأساً شديداً، وأنه قد أسر منهم مائة وخمسين بطريقًا ففرح المسلمون بذلك.(4)

وفيها: ختن الخليفة المقتدر خمسة من أولاده، فغرم على هذا الختان ستمائة ألف دينار، من ذلك خمسة آلاف نثاراً ومائة ألف درهم، وقد ختن قبلهم ومعهم خلقاً من الأولاد اليتامى، وأحسن إليهم بالمال والكساوى، وهذا صنيع حسن، رحمه الله.

وفيها: صادر المقتدر أبا على ابن الجصاص بستة عشر ألف ألف دينار، غير الآنية والثياب الثمينة.

وفيها: أرسل الخليفة المقتدر أولاده إلى المكتب، وكان يوماً مشهوداً.

وفيها: بنى الوزير المارستان بالحربية من بغداد، وأنفق عليه أموالاً جزيلة جدًا جزاه الله خيراً.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمى. وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريق على الراجعين من الحجيج، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة وقتلوا منهم خلقاً وأسروا أكثر من مائتى امرأة حرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وممن توفى فيها من الأعيان: بشر بن نصر بن منصور: أبو القاسم الفقيه الشافعى، من أهل مصر يعرف بغلام عرْق، وعرق خادم من خدام السلطان كان يلى البريد، فقدم معه بهذا الرجل مصر فأقام بها حتى كانت وفاته فيها.(5)

بدعة: جارية عريب المغنية، بذل لسيدتها فيها مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رغب فيها فعرضت ذلك عليها فكرهت مفارقة سيدتها، فأعتقتها سيدتها فى يومها ذلك، وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة، وقد تركت من العين والأملاك ما لم يملكه رجل.

(1) «الأنساب» (2/ 89)، و«الوافى» (11/ 410).
(2) «المنتظم» (13/ 147).
(3) «تاريخ بغداد» (5/ 435)، و«الوافى» (3/ 345).
(4) «الطبرى» (10/ 149)، و«المنتظم» (13/ 150).
(5) «تاريخ بغداد» (7/ 88)، و«المنتظم» (13/ 152).

القاضى أبو زرعة: محمد بن عثمان الشافعى قاضى مصر ثم دمشق، وهو أول من حكم بمذهب الشافعى بالشام، وأشاعه به، وقد كان أهل الشام على مذهب الأوزاعى من حين مات إلى هذه السنة. وثبت على مذهب الأوزاعى بقايا كثيرون لم يفارقوه، وكان ثقة عدلاً من سادات القضاة، وكان أصله من أهل الكتاب اليهود، ثم أسلم وصار إلى ما صار إليه. وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعية».(1)

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

فيها: وقف المقتدر بالله أموالاً جزيلة وضياعاً على الحرمين الشريفين، واستدعى بالقضاة والأعيان، وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك. (2)

وفيها: قدم إليه بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا قد عدوا على الحجيج في تلك السنة فلم تتمالك العامة أن عدت عليهم فقتلوهم، فأخذ بعضهم، فعوقب لكونه افتات على السلطان.

وفيها: وقع حريق شديد فى سوق النجارين ببغداد فاحترق السوق بكماله.

وفى ذى الحجة من هذه السنة: مرض المقتدر بالله ثلاثة عشر يوماً، ولم يمرض فى مدة خلافته مع طولها إلا هذه المرضة.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمى، ولما خاف الوزير على الحجاج من شأن القرامطة كتب إليهم رسالة ليشغلهم بها عن أمر الحج، فاتهمه بعض الكتاب بمراسلته القرامطة، فلما انكشف أمره وما قصده حظى عند الناس بذلك جداً.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: النسائى: أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائى صاحب السنن، الإمام فى عصره والمقدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره، رحل إلى الآفاق، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة قد ذكرناهم فى كتابنا «التكميل» ولله الحمد والمنة وترجمناه أيضاً هنالك، وروى عنه خلق كثير وجم غفير، وقد جمع السنن الكبير وانتخب منه ما هو أقل حجماً منه بمرات. وقد وقع لنا سماع كل منهما. وقد أبان فى تصنيفه عن حفظ وإتقان وصدق وإيمان وتوفيق وعلم وعرفان. قال الحاكم عن الدارقطنى: أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، وكان يسمى كتابه الصحيح. وقال أبو على الحافظ: للنسائى شرطًا فى الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج، وكان من أئمة المسلمين. وقال أيضاً: هو الإمام فى الحديث بلا مدافعة. وقال أبو الحسين محمد بن مظفر الحافظ سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والإمامة، ويصفون من اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والاجتهاد. وقال غيره: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكانت له أربع زوجات وسريتان، وكان كثير الجماع، حسن الوجه مشرق اللون. قالوا: وكان يقسم للإماء كما يقسم للحرائر.

وقال الدارقطنى: كان أبو بكر ابن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن أحد سوى النسائى. وقال: رضيت به حجة فيما بينى وبين الله عز وجل. وقال ابن يونس: كان النسائى إماماً فى الحديث ثقة ثبتاً حافظاً، وكان خروجه من مصر فى سنة ثنتين وثلاثمائة. وقال ابن عدى: سمعت منصوراً الفقيه

(1) «السير» (14/ 231)، و«الوافى» (4/ 82)، و«طبقات الشافعية» (3/ 196).
(2) «المنتظم» (13/ 154).

وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى، يقولان: أبو عبد الرحمن النسائى إمام من أئمة المسلمين، وكذلك أثنى عليه غير واحد من الأئمة وشهدوا له بالفضل والتقدم فى هذا الشأن والحفظ والمعرفة. وقد ولى الحكم بمدينة حمص. سمعته من شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزى رحمة الله عليه عن رواية الطبرانى فى «معجمه الأوسط» حيث قال: حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص. وذكروا أنه كان له من النساء أربع نسوة، وكان في غاية الحسن، وجهه كأنه قنديل، وكان يأكل فى كل يوم ديكًا ويشرب عليه نقيع الزبيب الحلال، وقد قيل عنه: إنه كان ينسب إليه شىء من التشيع. قالوا: ودخل إلى دمشق فسأله أهلها أن يحدثهم بشىء من فضائل معاوية فقال: أما يكفى معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل؟ فقاموا إليه فجعلوا يطعنون فى حضْنيه حتى أخرج من المسجد الجامع، فسار من عندهم فقصد مكة فمات بها فى هذه السنة، وقبره بها. هكذَا حَكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهانى عن مشايخه.

وقال الدارقطنى: كان أفقه مشايخ مصر فى عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه، فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه فى الجامع، فقال: أخرجونى إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل، فتوفى بمكة مقتولاً شهيداً. قال الحاكم: مع ما رُزق النسائي من الفضائل رزق الشهادة فى آخر عمره، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة. قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغنى ابن نقطة فى تقييده: نقلت من خط أبى عامر محمد بن سعدون العبدرى الحافظ: مات أبو عبد الرحمن النسائى بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن ببيت المقدس.[1] وحكى ابن خلكان في «الوفيات» أنه توفى فى شعبان من هذه السنة، وأنه إنما صنف الخصائص فى فضل عليّ وأهل البيت، لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها فى سنة ثنتين وثلاثمائة عندهم نفرة من عليّ وسألوه عن معاوية فقال ما قال، فدفعوا فى حضْنيه فمات. وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوى: إنه توفى بفلسطين فى صفر من هذه السنة، وكَانَ مولد النسائي فى سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين تقريباً عن قوله رحمه الله، فكان عمره ثمانياً وثمانين سنة.

الحسن بن سفيان: ابن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء، أبو العباس الشيبانى النسوى، محدث خراسان، والذي كان يضرب آباط الإبل إليه فى معرفة الحديث والفقه. رحل إلى الآفاق وتفقه على أبى ثور، وكان يفتى بمذهبه، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل، وكانت إليه الرحلة بخراسان.

ومن غريب ما اتفق له: أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر فى رحلتهم لطلب الحديث، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت، واضطرهم الحال إلى تجشم السؤال، وأنفت أنفسهم من ذلك وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع، والحاجة تضطرهم إلى تعاطى ذلك، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان، فقام عنهم فاختلى فى زاوية المسجد الذى هم فيه فصلى ركعتين أطال فيهما واستغاث بالله عز وجل، وسأله بأسمائه العظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الهيئة مليح الوجه، فقال: أين الحسن بن سفيان؟ فقلت: أنا. فقال: الأمير طولون يقرأ عليكم السلام، ويعتذر إليكم فى تقصيره عنكم،

---

(1) انظر «المنتظم» (13/ 154)، و«الوفيات» (1/ 77)، و«تهذيب الكمال» (1/ 328)، و«السير» (14/ 125)، و«تذكرة الحفاظ» (2/ 689).

وهذه مائة دينار لكل واحد منكم. فقلنا له: ما الحامل له على هذا؟ فقال: إنه أحب أن يختلى اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس فى الهواء بيده رمح فدخل عليه المنزل ووضع عقب الرمح فى خاصرته فوكزه، وقال: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع فى المسجد الفلانى. فقال له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان خازن الجنة. فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألماً شديداً، فبعث بالنفقة فى الحال إليكم. ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المسجد ووقفه على الواردين عليه من أهل الحديث، جزاه الله خيراً.

وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشأن وفرسانه وحفاظه، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن خزيمة وغيره، فقرؤوا عليه شيئاً من الحديث وجعلوا يقلبون الأسانيد ليستعلموا ما عنده من العلم، فما قلبوا شيئاً إلا ردّهم فيه إلى الصواب، وعمره إذ ذاك تسعون سنة، وهو فى هذا السن حافظ ضابط لا يشذ عنه شيء من حديثه. ومن فوائده: العبسى كوفى، والعيشى بصرى، والعنسى مصرى.(1)

رويم بن أحمد: ويقال: ابن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد، أبو الحسن، ويقال: أبو الحسين، ويقال: أبو محمد، أحد أئمة الصوفية، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، وكان متفقهاً على مذهب داود بن عليّ الظاهرى، قال بعضهم: كان رويم يكتم حب الدنيا أربعين سنة، ومعناه أنه تصوف أربعين سنة، ثم لما ولى إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد جعله وكيلاً فى بابه، فترك التصوف ولبس الخز والقصب والدبيقي وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدور.(2)

زهير بن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل: روى عن أبيه، وعنه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، قال الدارقطني: كان ثقة، مات وهو شاب.(3)

أبو على الجبائى شيخ المعتزلة، وهو محمد بن عبد الوهاب شيخ الطائفة المعتزلة فى زمانه، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعرى ثم رجع عنه، وللجبائى تفسير حافل مطول، له فيه اختيارات غريبة فى التفسير، وقد رد عليه الشيخ أبو الحسن الأشعرى فيه، وقال: كأن القرآن نزل بلغة أهل جباء. كان مولد الشيخ أبي علي فى سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات فى هذه السنة.(4)

ابن بسام الشاعر: أبو الحسين على بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامى الشاعر المطبق للهجاء، فلم يترك أحداً حتى هجاه حتى هجاه أباه وأمه أمامة بنت حمدون النديم. وقد أورد له ابن خلكان أشياء كثيرة من شعره، فمن ذلك قوله فى تخريب المتوكل قبر الحسين بن على وأمره بأن يزرع ويمحى رسمه، وكان شديد التحامل على عليّ وولده. فلما وقع ما ذكرناه وكان ذلك سنة ست وثلاثين ومائتين. قال ابن بسام هذا فى ذلك:

تاللَّه إنْ كانت أُمَيَّةُ قد أتَتْ	*	**قَتْلَ ابنِ بِنْتِ نَبِيِّها مظْلُوما**
فلقد أتاهُ بنُو أبيه بمثْلِهِ	*	**هذا لَعَمْرُكَ قَبْرُه مهْدُوما**
أسِفُوا على أن لا يكُونُوا شارَكُوا	*	**في قَتْلِه فتَتَبَّعُوهُ رَمِيما**

(1) راجع «الثقات» لابن حبان (8/ 171)، و«المنتظم» (13/ 157)، و«السير» (14/ 157)، و«التذكرة» (2/ 703).
(2) انظر «الحلية» (10/ 296)، و«تاريخ بغداد» (8/ 430)، و«المنتظم» (13/ 162)، و«السير» (14/ 234).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 486)، و«المنتظم» (13/ 163).
(4) «المنتظم» (13/ 164)، و«الوفيات» (4/ 267)، و«السير» (14/ 183)، و«الملل والنحل» (1/ 118).

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة

فيها: عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا الحسن عليّ بن عيسى بن الجراح، وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القهرمانة نفرة شديدة، فسأل الوزير أن يُعفى من الوزارة، فعزل ولم يتعرض لشيء من أملاكه.(1) وطلب أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين، وخلع عليه الخليفة يوم التروية سبع خلع، وأطلق له ثلاثمائة ألف درهم، وعشرة تخوت ثياب، ومن الخيل والبغال والجمال شيء كثير، وأقطع الدار التى بالمخرم فسكنها، فعمل فيها ضيافة تلك الليلة فسقى فيها أربعين ألف رطل من الثلج.

وفى الصيف من هذه السنة: اشتهر ببغداد أن حيواناً عجيبًا يقال له: الزبزب، يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأسرّة ويعدو على النائم فربما قطع يد الرجل وثدى المرأة وهو نائم. فجعل الناس يضربون على أسطحتهم بالنحاس من الهواوين والطسوت وغير ذلك ينفرونه عنهم، حتى كانت بغداد ترتج من شرقها وغربها، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من السعف وغير ذلك، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة فكثر النقوب وأخذ الأموال، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك، ففعل فسكن أمر الناس ورجعوا إلى أنفسهم واستراح الناس من ذلك.

وقلد ثابت بن سنان الطبيب المؤرخ أمر المارستانات ببغداد فى هذه السنة، وكانت خمسة.

ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قتلوا فى سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم فى رقاع مربوطة بآذانهم، وأجسادهم طرية كما هى.

وممن توفى فيها من الأعيان: محمد بن أحمد: ابن الهيثم بن صالح بن عبد الله بن الحصين بن علقمة بن لبيد بن نعيم بن عطارد بن حاجب بن زرارة، أبو الحسن التميمى الملقب فروجة، قدم بغداد وحدث بها، وكان ثقة حافظًا.(2)

يوسف بن الحسين بن عليّ: أبو يعقوب الرازى، سمع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون المصري، وروى عنه أبو بكر النجاد. روى الخطيب بسنده إليه أنه بلغه أن ذا النون يحفظ اسم الله الأعظم فقصده ليعلمه إياه، قال: فلما وردت عليه استهان بى وكان لى لحية طويلة ومعى ركوة طويلة. فجاء رجل يوماً فناظر ذا النون فأسكت ذا النون، فناظرت أنا الرجل فأسكته، فقام ذو النون فجلس بين يدى وهو شيخ وأنا شاب، واعتذر إليَّ. فخدمته سنة ثم سألته أن يعلمنى الاسم الأعظم، فلم يبعد منى ووعدنى، فمكثت بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إليَّ طبقاً عليه مكبة مشدوداً بمنديل، وقال لى: اذهب بهذا إلى صاحبنا فلان. قال: فجعلت أفكر فى الطريق ما هذا الذى قد أرسلنى به؟ فلما وصلت الجسر فتحته فإذا فيه فأرة فقفزت وذهبت، فاغتظت غيظاً شديداً، وقلت: ذو النون يسخر بى، فرجعت إليه وأنا حنق، فقال لى: ويحك إنما اختبرتك، فإذا لم تكن أميناً على فأرة فأن لا تكون أميناً على الاسم الأعظم بطريق الأولى، اذهب عنى فلا أراك بعدها.(3) وقد رُئى أبو الحسين الرازى هذا فى المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى بقولى عند الموت: اللهم إنى نصحت للناس قولاً وخنت نفسى فعلاً، فهب لي خيانة فعلى لنصح قولى.(4)

---

(1) «المنتظم» (13/ 166). (2) «تاريخ بغداد» (1/ 370)، و«المنتظم» (13/ 170).

(3) «تاريخ بغداد» (14/ 316-317)، و«المنتظم» (13/ 171).

(4) «تاريخ بغداد» (14/ 319)، و«المنتظم» (13/ 172).

يموت بن المزرّع بن يموت: أبو بكر العبدى من عبد القيس، وهو ثورى، كان ابن أخت الجاحظ. قدم بغداد وحدّث بها عن أبى عثمان المازنى وأبى حاتم السجستانى، وأبى الفضل الرياشى، وكان صاحب أخبار وآداب ومُلَح، وقد كان غيّر اسمه بمحمد، فلم يغلب عليه إلا الأول، وكان إذا ذهب يعود مريضاً فدق الباب فقيل: من؟ فيقول: ابن المزرع ولا يذكر اسمه لئلا يتفاءل أهل المريض بسماع ذلك.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة

فيها: قدم رسول ملك الروم فى طلب المفاداة والهدنة، وهو شاب حدث السن ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً، فلما ورد بغداد شاهد أمراً هائلاً جداً، وذلك أن الخليفة المقتدر بالله أمر بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء، فركب الجيش بكماله يومئذ وكان مائة ألف وستين ألفاً، ما بين فارس وراجل، فى الأسلحة التامة، وغلمان الخليفة سبعة آلاف، أربعة آلاف بيض، وثلاثة آلاف سود، وهم فى غاية الملابس والعدد، والحجبة يومئذ سبعمائة حاجب، وأما الطيارات التى بدجلة والزبازب والسميريات فشيء كثير مزينة، فحين دخل الرسول دار الخلافة شاهد أمراً أدهشه، ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يبهر الأبصار. وحين اجتاز بالحاجب ظن أنه الخليفة فقيل له: هذا الحاجب الكبير، فمر بالوزير فى أبهته فظنه الخليفة فقيل له: هذا الوزير. وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها، كان فيها من الستور يومئذ ثمانية وثلاثون ألف ستر، منها اثنا عشر ألف ستر وخمسمائة مذهبة، وقد بسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط. وفيها من الوحوش قطعان متآنسة بالناس، بحيث تأكل من بين أيديهم ومائة سبع مع السباعة. ثم أدخل إلى دار الشجرة، وهى عبارة عن بركة فيها ماء صاف، وفى وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصناً أكثرها من ذهب، وفيها الشماريخ والأوراق الملونة، عليها طيور مصبوغة من الذهب والفضة واللآلئ، وهى تصوت بأنواع الأصوات من الماء المسلط عليها، والشجرة بكمالها تتمايل كما تتمايل الأشجار بحركات عجيبة تدهش من يراها. ثم أدخل إلى مكان يسمونه الفردوس، فيه من أنواع المفارش والآلات ما لا يحد ولا يوصف كثرة وحسناً. وفى دهاليزه ثمانية عشر ألف جوشن مذهبة. فما زال كلما مر على مكان أدهشه وأخذ ببصره حتى انتهى إلى الخليفة المقتدر بالله، وهو جالس على سرير من آبنوس، قد فرش بالدبيقي المطرز، وعن يمين السرير تسعة عقود معلقة، وعن يساره تسعة أخرى من أفخر الجواهر، يعلو ضوؤها على ضوء النهار، فأوقف الرسول والذي معه بين يدى الخليفة على نحو من مائة ذراع، والوزير على بن محمد بن الفرات واقف بين يدى الخليفة، والترجمان دون الوزير، فجعل الخليفة يخاطب الوزير والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما، ثم خلع عليهما وأطلق لهما خمسين سقرقاً فى كل سقرق خمسة آلاف درهم، وأخرجا من بين يديه وطيف بهما فى بقية دار الخلافة، وعلى حافات دجلة الفيلة والزرافات والسباع والفهود وغير ذلك، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث فى هذه السنة.

وحج بالناس فيها الفضل الهاشمى.(1)

وممن توفى فيها من الأعيان: محمد بن أحمد: أبو موسى النحوى الكوفى المعروف بالحامض، صحب ثعلبًا أربعين سنة وخلفه فى حلقته، وصنف «غريب الحديث»، و«خلق الإنسان، والوحوش والنبات»، وكان ديناً صالحاً، روى عنه أبو عمر الزاهد. توفى ببغداد فى ذى الحجة منها، ودفن بباب التبن.

---

(1) راجع «المنتظم» (13/ 174-175).

عبد الله بن شيرويه الحافظ، **وعمران** بن مجاشع، **وأبو خليفة الفضل** بن الحباب.

وقاسم بن زكريا: ابن يحيى المطرز المقرئ أحد الثقات الأثبات، سمع أبا كريب، وسويد بن سعيد، وعنه الخلدى وابن الجعابى، توفى ببغداد في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة

فى أول يوم من المحرم وهو مستهل هذه السنة: فُتح المارستان الذى بنته السيدة أم المقتدر وجلس فيه سنان بن ثابت الطبيب ورتبت الأطباء والخدم والقومة، وكانت نفقته فى كل شهر ستمائة دينار، وأشار سنان بن ثابت على الخليفة ببناء مارستان، فقبل منه وبُنى وسمى المقتدرى.

وفيها: وردت الأخبار عن أمراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون فى بلاد الروم.

وفيها: شغب العامة وأرجفوا بموت المقتدر، فركب فى الجحافل حتى بلغ الثريا ورجع من باب العامة ووقف طويلاً ليراه الناس، ثم ركب إلى الشماسية وانحدر إلى دار الخلافة فى دجلة فسكنت الفتن.

وفيها: قلد المقتدر حامد بن العباس الوزارة وخلع عليه، وخرج من عنده وخلفه أربعمائة غلام لنفسه، ثم تبين عجزه فأخرج على بن عيسى وجعله معه لينفذ الأمور وينظر معه فى الأعمال، وكان أبو على ابن مقلة ممن يكتب أيضاً بحضرة حامد بن العباس الوزير، ثم صارت المنزلة كلها لعليّ بن عيسى واستقل بالوزارة فى السنة الآتية.(1)

وفيها: أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانة لها تعرف بثمل أن تجلس في التربة التى بنتها بالرصافة فى كل يوم جمعة، وأن تنظر فى المظالم التى ترفع إليها فى القصص، وحضر فى مجلسها القضاة والفقهاء.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمى.

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن أحمد بن الحارث: أبو القاسم الكلابى الشافعى، سمع الحارث بن مسكين وغيره، وكان رجلاً صالحاً ثقة، على مذهب الشافعى، وكان يحب الخلوة والانقباض، توفى فى شعبان منها.

أحمد بن الحسن الصوفى: أحد مشايخ الحديث المكثرين المعمرين.(2)

أحمد بن عمر بن سريج: أبو العباس القاضى بشيراز، وله نحو أربعمائة مصنف، وكان أحد أئمة الشافعية، وكان يلقب بالباز الأشهب، وكان قد أخذ الفقه عن أبى قاسم الأنماطى وعن أصحاب الشافعى، كالمزنى وغيره، وعنه انتشر مذهب الشافعى فى الآفاق، وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعية» بما فيه مقنع. توفى فى جمادى الأولى منها عن سبع وخمسين سنة وستة أشهر رحمه الله. قال ابن خلكان: توفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر، وقبره يزار.(3)

أحمد بن يحيى: أبو عبد الله الجلاء بغدادى، سكن الشام وصحب أبا تراب النخشبى، وذا النون المصرى، روى أبو نعيم بسنده عنه قال: قلت لأبوى وأنا شاب: إنى أحب أن تهبانى لله عز وجل. فقالا: قد وهبناك لله. فغبت عنهما مدة طويلة، ثم رجعت إلى بلدنا عشاء فى ليلة مطيرة، فانتهيت إلى الباب فدققته

---

(1) «المنتظم» (13/ 178). (2) «المنتظم» (13/ 181).

(3) «تاريخ بغداد» (4/ 82)، و«المنتظم» (13/ 182)، و«السير» (14/ 152).

فقالا: من هذا؟ فقلت: أنا ولدكما فلان. فقالا: إنه قد كان لنا ولد ووهبناه لله عز وجل، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا. ولم يفتحا لي الباب. (1)

الحسين بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل: ابن حماد بن زيد القاضي أبو يعلى، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، كان إليه ولاية القضاء بالأردن. (2)

عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد: أبو محمد الجواليقي القاضي، المعروف بعبدان، الأهوازي، ولد سنة ست عشرة ومائتين، كان أحد الحفاظ الأثبات، يحفظ مائة ألف حديث، جمع المشايخ والأبواب، روى عن هدبة وكامل بن طلحة وغيرهم، وعنه ابن صاعد والمحاملي وغيرهما. (3)

محمد بن بابشاذ: أبو عبيد الله البصري، سكن بغداد وحدّث بها عن عبيد الله بن معاذ العنبري وبشر بن معاذ العقدي وغيرهما، وفي حديثه غرائب ومناكير. توفي في شوال من هذه السنة. (4)

محمد بن الحسين بن شهريار: أبو بكر القطان، البلخي الأصل، روى عن الفلاس وبشر بن معاذ. وعنه أبو بكر الشافعي وابن الجعابي. كذبه ابن ناجية. وقال الدارقطني: ليس به بأس. (5)

محمد بن خلف: ابن حيان بن صدقة بن زياد، أبو بكر الضبي القاضي، المعروف بوكيع(6)، كان عالماً فاضلاً عارفاً بأيام الناس، فقيهاً قارئاً نحوياً، له مصنفات منها: كتاب «العدد»، ولي القضاء بالأهواز. وحدَّث عن الحسن بن عرفة والزبير بن بكار وغيرهما، وعنه أحمد بن كامل وأبو عليّ الصواف وغيرهما. ومن شعره قوله:

إذا ما غدَتْ طلاَّبةُ العلمِ تَبْتَغِي * منَ العلمِ يوماً ما يُخَلِّدُ في الكُتْبِ
غدَوْتُ بتَشْمِيرٍ وجِدٍّ عليهِمُ * ومِحْبَرَتِي أُذْنِي ودفتَرُها قلبي

منصور بن إسماعيل بن عمر: أبو الحسن الفقيه، أحد أئمة الشافعية، وله مصنفات في المذهب، وله الشعر الحسن. قال ابن الجوزي: ويظهر في شعره التشيع، وكان جندياً كفّ بصره وسكن الرملة، ثم قدم مصر حتى كانت وفاته بها.

أبو نصر المحب: أحد مشايخ الصوفية، كان له كرم وسخاء ومروءة، ومر بسائل سأل وهو يقول: شفيعي إليكم رسول الله ﷺ ، فشق أبو نصر إزاره وأعطاه نصفه، ثم مشى خطوتين ثم رجع إليه فأعطاه النصف الآخر، وقال: هذا نذالة. (7)

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في صفر منها: وقع حريق بالكرخ في الباقلانيين، هلك فيه خلق كثير من الناس.

---

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 287)، و«الوفيات» (1/ 66)، و«السير» (14/ 201)، و«الحلية» (10/ 314).
(2) «المنتظم» (13/ 184)، و«تاريخ بغداد» (8/ 147).
(3) «تاريخ بغداد» (9/ 379)، و«المنتظم» (13/ 184)، و«السير» (14/ 168).
(4) «تاريخ بغداد» (2/ 105)، و«المنتظم» (13/ 185)، و«ميزان الاعتدال» (3/ 488).
(5) «تاريخ بغداد» (2/ 232)، و«المنتظم» (13/ 186).
(6) «تاريخ بغداد» (5/ 236)، و«المنتظم» (13/ 186)، و«السير» (14/ 237).
(7) «تاريخ بغداد» (14/ 420)، و«المنتظم» (13/ 187).

وفى ربيع الآخر منها: دخل بأسارى من الكرخ نحو من مائة وخمسين أسيراً، أنقذهم الأمير بدر الحمامي.

وفى ذى القعدة: انقضّ كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع، وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم. ذكره ابن الجوزى.

وفيها: دخلت القرامطة إلى البصرة فأكثروا فيها الفساد.

وفيها: عزل حامد بن العباس عن الوزارة، وأعيد إليها أبو الحسن ابن الفرات المرة الثالثة.

وفيها: كسرت العامة أبواب السجون فأخرجوا من كان بها، فأدركت الشرطة الذين أُخرجوا من السجن فلم يَفُتهم أحد منهم، بل ردوا كلهم إلى السجون.

وحج بالناس في هذه السنة أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة.(1)

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن عليّ بن المثنى: أبو يعلى الموصلى، صاحب المسند المشهور، سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته، وكان حافظاً خيراً حسن التصنيف ثقة عدلاً فيما يرويه، ضابطاً لما يحدث به.(2)

إسحاق بن عبد الله: ابن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة، أبو يعقوب البزاز الكوفى، رحل إلى الشام ومصر، وكتب الكثير وصنف المسند، واستوطن بغداد، وكان من الثقات، روى عنه ابن المظفر الحافظ، وكانت وفاته في شوال منها.(3)

جعفر بن محمد بن موسى: أبو محمد الأعرج النيسابوري الحافظ قدم بغداد وروى عنه الطبرانى والأزدى وغيرهما من الحفاظ، وكان ثقة حافظاً عارفًا. توفى بحلب فى هذه السنة.(4)

زكريا بن يحيى الساجي: الفقيه المحدث شيخ أبى الحسن الأشعرى فى السُّنَّة والحديث.

على بن سهل بن الأزهر: أبو الحسن الأصبهانى، كان أولاً مترفًا، ثم كان زاهدًا عابدًا، يبقى الأيام لا يأكل شيئًا، وكان يقول: ألهانى الشوق عن الطعام والشراب. وكان يقول: أنا لا أموت بما يموتون بالأعلال والأسقام، إنما هو دعاء وإجابة، أدعى فأجيب، فكان كما قال، بينما هو جالس فى جماعة إذ قال: لبيك ووقع ميتاً.(5)

ومحمد بن هارون الروياني صاحب المسند. **وابن ذريح العكبرى. والهيثم** بن خلف.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة

غلت الأسعار فى هذه السنة ببغداد، فاضطربت العامة وقصدوا دار حامد بن العباس الذى ضمن قرايا من الخليفة فغلت الأسعار بسبب ذلك، وعدوا فى ذلك اليوم وكان يوم الجمعة على الخطيب، فمنعوه الخطبة وكسروا المنابر ودكك الشرط وحرقوا جسوراً كثيرة، وأمر الخليفة بقتال العامة ثم نقض الضمان الذى كان حامد بن العباس ضمنه فانحطت الأسعار، وبيع الكر بناقص خمسة دنانير، فطابت أنفس العامة بذلك وسكنوا.

(1) «المنتظم» (13/ 189)، و«الكامل» (8/ 121).
(2) «الثقات» (8/ 55)، و«السير» (14/ 174)، و«التذكرة» (2/ 707).
(3) «تاريخ بغداد» (6/ 388)، و«المنتظم» (13/ 191).
(4) «تاريخ بغداد» (7/ 203)، و«المنتظم» (13/ 191)، و«السير» (14/ 265).
(5) «أحبار أصبهان» (2/ 142)، و«تاريخ الإسلام» (حوادث ووفيات 301-320هـ) (ص 214).

وفى تموز من هذه السنة: وقع برد شديد جداً حتى نزل الناس من الأسطحة وتدثروا باللحف والأكسية، ووقع فى شتاء هذه السنة ثلج عظيم، وكان فيها برد شديد جداً بحيث أضر ذلك ببعض النخيل.

وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو القهرمانة.(1)

وممن توفى فيها من الأعيان: **إبراهيم بن محمد بن سفيان:** الفقيه راوى «صحيح مسلم» عنه.(2)

أحمد بن الصلت: ابن المغلس أبو العباس الحمانى أحد الوضاعين للأحاديث، روى عن خاله جبارة ابن المغلس وأبى نعيم ومسلم بن إبراهيم، وأبى بكر ابن أبى شيبة، وأبى عبيد القاسم بن سلام وغيرهم: أحاديث كلها وضعها هو فى مناقب أبى حنيفة وغير ذلك. وحكى عن يحيى بن معين وعلى ابن المدينى وبشر بن الحارث أخباراً كلها كذب. قال أبو الفرج ابن الجوزى: قال لى محمد بن أبى الفوارس: كان أحمد بن الصلت يضع الحديث.(3)

وإسحاق بن أحمد الخزاعى. **والمفضل** الجندى. **وعبد الله** بن محمد بن وهب الدينورى.

وعبد الله بن ثابت بن يعقوب: أبو عبد الله المقرئ النحوى التوزى، سكن بغداد، وروى عن عمر بن شبة، وعنه أبو عمرو ابن السماك. ومن شعره:

إذا لم تكُنْ حافظًا واعيًا * فعِلْمُكَ في البيتِ لا ينفَعُ
وتحْضُرُ بالجهْلِ في مجْلسٍ * وعِلْمُكَ في الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ
ومَنْ يَكُ في دهْرِه هكذا * يكُنْ دهْرَهُ القهْقَرَى يرجعُ

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فيها: وقع حريق كثير فى نواحى بغداد بسبب زنديق قتل فألقى من كان من جهته الحريق فى أماكن كثيرة، فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس.

وفى جمادى الأولى منها: قلد المقتدر بالله مؤنسًا الخادم بلاد مصر والشام ولقبه المظفر. وكتب بذلك فى المراسلات إلى الآفاق.

وفى ذى القعدة: أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله إلى دار الوزير عيسى بن عليّ لمناظرة الحنابلة فى أشياء نقموها عليه، فلم يحضروا ولا واحد منهم.

وقدم الوزير حامد بن العباس للخليفة بستاناً بناه وسماه الناعورة، قيمته مائة ألف دينار، وفرش مساكنه بأنواع المفارش المفتخرة.(4)

وفيها: كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج، ولنذكر شيئاً من ترجمته وسيرته، وكيفية قتله على وجه الإيجاز وبيان المقصود بطريق الإنصاف والعدل.

---

(1) «المنتظم» (13/ 194).
(2) «السير» (14/ 311)، و«الوافى» (6/ 128).
(3) «تاريخ بغداد» (4/ 207) (5/ 33)، و«ميزان الاعتدال» (1/ 105)، و«اللسان» (1/ 188-269)، و«المنتظم» (13/ 195)، و«الضعفاء» لابن الجوزى (1/ 86)، و«المجروحين» (1/ 153).
(4) «المنتظم» (13/ 199)، و«الكامل» (8/ 129).

وهذه نبذة من سيرته وأحواله وكشف سريرته وأقواله

الحسين بن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث، ويقال: أبو عبد الله، كان جده مجوسياً اسمه محمى من أهل فارس نشأ بواسط، ويقال: بتستر، ودخل بغداد وتردد إلى مكة مرارًا للحج، وجاور بها سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه ويجاهدها، فلا يجلس إلا تحت السماء فى وسط المسجد في البرد والحر، ولا يأكل إلا بعض قرص ويشرب قليلاً من الماء معه وذلك وقت الفطور مدة سنة كاملة. ويجلس على صخرة في قبالة الحرم فى جبل أبى قبيس، وقد صحب جماعة من سادات مشايخ الصوفية، كالجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكى، وأبى الحسين النورى. قال الخطيب البغدادى: والصوفية مختلفون فيه، فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم، وأبى أن يعده فيهم، وقبله من متقدميهم أبو العباس ابن عطاء البغدادى، ومحمد بن خفيف الشيرازى، وإبراهيم بن محمد النصراباذى النيسابورى، وصححوا له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم ربانى.(1)

وقال أبو عبد الرحمن السلمى -واسمه محمد بن الحسين-: سمعت إبراهيم بن محمد النصراباذى وعوتب فى شىء حكى عن الحلاج فى الروح، فقال لمن عاتبه: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج. قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلى يقول: كنت أنا والحسين ابن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روى عن الشبلى من وجه آخر أنه قال، وقد رأى الحلاج مصلوبًا: ألم ننهك عن العالمين؟(2) قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة فى فعله، وإلى الزندقة فى عقده. قال: وله إلى الآن أصحاب ينسبون إليه ويغلون فيه. وقد كان الحلاج حسن العبارة حلو المنطق، وله شعر على طريقة التصوف.(3)

قلت: لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين فى أمره، فأما الفقهاء فقد حكى عن غير واحد من الأئمة: إجماعهم على قتله، وأنه كان كافراً ممخرقاً مموهاً مشعبذاً، وكذلك قول أكثر الصوفية منهم. ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه، وغرَّهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه، وقد كان فى ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يكن له علم يسلك به في عبادته، فدخل عليه الداخل بسبب ذلك، كما قال بعض السلف: من عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وعن سفيان بن عيينة أنه قال: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج باب الحلول والاتحاد، فصار من أهل الانحلال والإلحاد.

وقد ورد من غير وجه: أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان، وهو فى ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله عز وجل. وصح أنه دخل إلى الهند ليتعلم السحر، وقال: أدعو به إلى الله عز وجل وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ويكاتبه أهل تركستان بالمقيت. ويكاتبه أهل خراسان بالمميز، وأهل فارس بأبى عبد الله الزاهد. وأهل خوزستان بأبى عبد الله الزاهد حلاج الأسرار. وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له: المصطلم، وأهل البصرة يقولون له: المحير، ويقال: إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 112)، و«الوفيات» (2/ 140)، و«السير» (14/ 313).
(2) «تاريخ بغداد» (8/ 121).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 112).

كان يكاشفهم عن ما في ضمائرهم، وقيل: لأنه قال لحلاج: اذهب لي في حاجة كذا وكذا. فقال: إني مشغول. فقال: اذهب فأنا أسد عنك، فذهب ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه، يقال: إنه أشار بالمرود فامتاز الحب عن القطن، وفي صحة هذا نظر، وقيل: لأن أباه كان حلاجاً. ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها: شعره، فمن ذلك قوله:

جُـبلتْ رُوحُكَ في رُوحِي كـمـا * يُجْـبَلُ العَنْبـرُ بالمسكِ الفَـتِقْ

فـإذا مـسَّكَ شيءٌ مـسَّنِي * فـإذا أنتَ أنا لا نفْـتَـرِقْ

وقوله أيضًا:

مُـزجتْ رُوحُكَ في رُوحِي كـمـا * تُمْـزَجُ الخَـمْـرةُ بالمـاءِ الزُّلالْ

فـإذا مـسَّكَ شيءٌ مـسَّنِي * فـإذا أنتَ أنا في كلِّ حـالْ

وله أيضًا:

قـد تحـقَّـقْـتُكَ في سِـرِّ * ي فـخـاطـبكَ لسـاني

فـاجـتـمـعْنا لمَـعـانٍ * وافـتـرقنا لمَـعـانِ

إنْ يكُنْ غـيَّـبَكَ التـعْـ * ـظيمُ عن لحظِ العَـيـانِ

فلقـد صـيَّـركَ الوجـ * ـدُ منَ الأحـشـاءِ دانِ

وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاج:

أُريـدُكَ لا أُريـدُكَ للـثَّـوابِ * ولكنِّي أُريدُكَ للعِـقـابِ

وكلُّ مـآربي قـد نِلتُ منهـا * سِـوى مَلْذُوذِ وجْـدِي بالعَـذابِ

فقال ابن عطاء: هذا مما يتزايد به عذاب الشغف وهيام الكلف، واحتراق الأسف، فإذا صفا ووفا علا إلى مشرب عذب وهطل من الحق دائم سكب.(1)

وقد أنشد لأبي عبد الله بن خفيف قول الحلاج:

سُـبْـحـانَ مَن أظهَـرَ ناسُـوتَه * سِـرَّ سَنَا لاهُوتِه الثَّـاقبِ

ثـم بَدا فـي خـلْـقِـهِ ظاهِـرًا * في صـورةِ الآكلِ والشَّـاربِ

حـتى لقَـدْ عـايَنهُ خلْـقُـهُ * كلَحْظَةِ الحـاجِبِ بالحـاجِبِ

فقال ابن خفيف: على من يقول هذا لعنة الله؟ فقيل له: إن هذا من شعر الحسين بن منصور. فقال: ربما يكون مقولاً عليه. ومما ينسب إليه من الشعر قوله:

أرسلتَ تسألُ عنِّي كيفَ كنتُ وما * لاقَـيتُ بعـدَكَ من همٍّ ومن حَـزَنِ

لا كنتُ إنْ كنتُ أدْرِي كـيفَ كنتُ ولا * لا كُنتُ إنْ كُنتُ أدْرِي كيفَ لم أكنِ

قال القاضي ابن خلكان: ويروى لسمنون لا للحلاج.(2)

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 115-116).

(2) «الوفيات» (2/ 144).

ومن شعره أيضًا قوله:

متى سهرتْ عيْني لغيركَ أو بكَت * فلا أُعْطيَتْ ما أمَّلَتْ وتمَنَّتِ
وإنْ أضْمَرتْ نَفْسى سواكَ فلا رَعَتْ * رياضَ المُنَى من وَجْنَتَيْكَ وجُنَّتِ

ومن شعره أيضًا:

دُنْيا تُغالطُني كأنّـ * ـي لسْتُ أعرفُ حالَها
حظَر المليكُ حَرامَها * وأنا احْتَميْتُ حَلالَها
فوجَدْتُها مُحْتاجةً * فوهبْتُ لذَّتَها لها

وقد كان الحلاج يتلّون فى ملابسه، فتارة يلبس لباس الصوفية، وتارة يتجرد فى ملابس زرية، وتارة في لباس الأجناد ويعاشر أبناء الدنيا. وقد رآه بعضهم فى لباس رث وبيده ركوة وعكاز وهو سائح فقال له: ما هذه الحالة يا حلاج؟ فأنشأ يقول:

لئنْ أمسَيْتُ في ثوبَيْ عديم * لقد بليَا على حُرٍّ كريم
فلا يغْرُرْكَ أنْ أبصَرْتَ حالاً * مُغَيَّرةً عن الحالِ القديم
فلي نفسٌ ستَتْلَفُ أوْ سترْقَى * لعَمْرُكَ بي إلى أمرٍ جسيم

ومن مستجاد كلامه: قوله وقد سأله رجل أن يوصيه بشىء ينفعه: عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك عن الحق. وقال له رجل: عظنى. فقال: كن مع الحق بحكم ما أوجب.(1) وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال: علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع كلمات: حب الجليل وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

قلت: وقد أصيب الحلاج فى المقامين الأخيرين، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة، بل تحول منها إلى الاعوجاج والبدعة، نسأل الله العافية.(2)

قال أبو عبد الرحمن السلمى حكى عن عمرو بن عثمان المكى أنه قال: كنت أماشى الحلاج فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى، فقال: يمكننى أن أقول مثل هذا، ففارقته. قال الخطيب: وحدثنى مسعود بن ناصر أنبأنا ابن باكويه الشيرازى سمعت أبا زرعة الطبرى يقول: الناس فيه -يعنى حسين بن منصور- بين قبول ورد. ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازى يقول: سمعت عمرو بن عثمان يلعنه، ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدى. فقلت له: أيش الذى وجد الشيخ عليه؟ قال: قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكننى أن أؤلف مثله وأتكلم به. قال أبو زرعة الطبرى: وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول: زوجت ابنتى من الحسين بن منصور لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لى بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر.(3)

قلت: كان تزويجه بها بمكة، وهى أم الحسين بنت أبى يعقوب الأقطع فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريقه الخطيب.(4) وقد ذكر أبو القاسم القشيرى فى كتاب «الرسالة»

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 114).
(2) «تاريخ بغداد» (8/ 114-115).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 121).
(4) «تاريخ بغداد» (8/ 112-114).

فى باب (حفظ قلوب المشايخ): أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً فى أوراق فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن. قال: فدعا عليه فلم يفلح بعدها. وأنكر على أبى يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته. وكتب إلى الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه، فشرد الحلاج فى البلاد فعاث يميناً وشمالاً، وجعل يظهر للناس أنه يدعو إلى الله عز وجل ويستعين بأنواع من الحيل، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين، فقتله بسيف الشرع الذى لا يقع إلا بين كتفى زنديق، والله أكرم من أن يسلطه على صديق. كيف وقد تهجم على القرآن العظيم، وأراد معارضته فى البلد الحرام الكريم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: 25). ولا إلحاد أعظم من هذا. وقد أشبه فى حاله هذا كفار قريش فى معاندتهم، الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: 31).

ذكر أشياء من حيل الحلاج

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج أنفذ رجلاً بين يديه إلى بعض بلاد الجبل، فأقام بتلك البلدة يظهر لهم الصلاح والنسك ويقرأ القرآن، فأقام مدة على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد عمي، فمكث حينًا على ذلك، ثم أظهر أنه قد زَمِن، وكان أولاً يقاد إلى المسجد ثم صار يحمل، فمكث سنة كذلك، ثم قال لهم: إني رأيت رسول الله ﷺ، وهو يقول: سيرد إلى هذه البلدة رجل صالح، يكون شفاؤك على يديه. فما كان عن قريب حتى كان الوقت الذي واعده فيه الحلاج، ودخل الحلاج البلدة مختفيًا وعليه ثياب صوف بيض، فلزم سارية من المسجد يتعبد فيها، لا يلتفت إلى أحد، فابتدر الناس إلى ذلك المتعامي المتزامن، فقيل له: قدم رجلٌ صالحٌ، فهلم إليه. فحملوه حتى وضعوه بينَ يديه، فكلمه، فعرفه، فقال له: يا عبد الله، إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول لي كذا وكذا، فعسى أن يكون أنت إياه. فرفع يديه ودعا الله عز وجل، والناس حضورٌ متكاثرون ينظرون ماذا يكون من أمره، ففتح الرجل عينيه، وقام قائمًا على قدميه، فضج الناس، وعظموا الحلاج تعظيمًا زائدًا، وليس ذلك بحق، فأقام عندهم مدةً ثم خرج من بين أظهرهم، وبقى ذلك الرجل عندهم عدة شهور، ثم قال: إن من نعمة الله عليَّ أن ردَّ علي بصري، وشفاني، وينبغي أن أجاهد في سبيله بثغر طرسوس. فعزم على ذلك فجمعوا له من بينهم مالاً جزيلاً، ألوفًا من الذهب والفضة، ثم ودعهم وودَّعوه، فذهب إلى الحلاج، فاقتسما ذلك المال.(1)

وروى عن بعضهم، قال: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال، فأحببت أن أختبره، فجئته فسلمت عليه، فقال لي: تشهَ عليَّ الساعة شيئًا. فقلت: أشتهي سمكًا طريًا. فدخل منزله فغاب ساعةً، ثم خرج ومعه سمكة تضطرب، ورجلاه عليهما الطين، فقال: دعوت الله، فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه، فخضت الأهواز، وهذا الطين منها. فقلت: إن شئت أدخلتني منزلك لأكشف أمرك، فإن ظهرت على شيء وإلا آمنت بك. فقال: ادخل. فدخلت فلم أجد في البيت منفذًا إلي غيره، فتحيرت في أمره ثم نظرت؛ فإذا تأزيرٌ، فكشفته فإذا من ورائه باب فدخلت، فخرجت منه إلى بستان هائل، فيه من سائر الثمار الجديدة والمعتقة، قد أحسن إبقاؤها، وإذا أشياء كثيرة معدة للأكل، وإذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير كبار، فدخلتها فأخرجت منها واحدةً، فنال رجليَّ من الطين كما نال رجليه، وجئت إلى الباب، فقلت له: افتح،

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 122-123).

فقد آمنت بك. فلمَّا خرجت ورآني على مثل حاله جرى ورائي ليقتلني، فضربته بالسمكة في وجهه، وقلت: يا عدوَّ الله أتعبتني في هذا اليوم. ولـمَّا خلصت منه لقيني بعد ذلك فضاحكني، وقال: لا تُفْش هذا لأحد أبعث إليك من يقتلك على فراشك[1]. قال: فلم أحدث به أحدًا حتى صلب. وقد قال يومًا لرجل: آمن بي حتي أبعث لك بعصفورة تأخذ من ذرقها وزن حبة فتضعه على كذا وكذا رطلاً من نحاس فيصير ذهبًا. فقال له الرجل: آمن بي أنتَ حتى أبعث إليك بفيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه السماء، وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدي عينيك. قال: فبهت وسكت.[2]

ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من المخاريق وغيرها من الأحوال الشيطانية، وأكثر ما كان يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل. فاستدعى يوماً برئيس من الرافضة فدعاه إلى الإيمان به، فقال له الرجل: إنى رجل أحب النساء، وإنى أصلع الرأس، وقد شبت، فإن أنت أذهبت عنى هذا وهذا، آمنت أنك الإمام المعصوم، وإن شئت قلت إنك نبى، وإن شئت قلت إنك أنت الله. قال: فبهت الحلاج ولم يحر إليه جواباً.[3]

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى: كان الحلاج متلوناً كثير التلون تارة يلبس المسوح، وتارة يلبس الدراعة، وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبهم: إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو غير ذلك[4]، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القدرة، فسئل الشيخ أبو على الجبائى عن ذلك فقال: إن هذا كله مما ينال بالحيلة، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له، ثم سلوه أن يخرج لكم جوزتين من شوك. فلما بلغ الحلاج كلام أبي عليّ الجبائي فيه تحول من الأهواز.[5]

قال الخطيب: أنبأنا إبراهيم بن مخلد أنبأنا إسماعيل بن علي الخطبي فى «تاريخه» قال: وظهر أمر رجل يعرف بالحلاج يقال له: الحسين بن منصور، وكان فى حبس السلطان بسعاية وقعت به، وذلك فى وزارة عليّ بن عيسى الأولى، وذكر عنه ضروب من الزندقة، ووضع الحيل على تضليل الناس، من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه عليّ بن عيسى عند قبضه عليه وانتهى خبره إلى السلطان -يعنى المقتدر بالله- فلم يقر بما رمى به من ذلك فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية فى رحبة الجسر، فى كل يوم غدوة، وينادى عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به ثم يحبس. فأقام فى الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس، حتى حبس بأخرة فى دار السلطان، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموّه عليهم واستمالهم بضروب من حيله، حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه ويرفهونه، ثم راسل جماعة من الكتاب وغيرهم ببغداد وغيرها، فاستجابوا له وترقى به الأمر حتى ذكر أنه ادعى الربوبية، وسعى بجماعة من أصحابه إلى السلطان، فقبض عليهم ووجد عند بعضهم كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بلسانه بذلك، وانتشر خبره وتكلم الناس فى قتله. فأمر أمير المؤمنين بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمره أن يكشفه بحضرة القضاة ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى فى ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره ووقف على ما ذكر له عنه، فأمر بقتله وإحراقه بالنار. فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، وقطعت

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 123-124).
(2) «تاريخ بغداد» (8/ 126).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 124-125).
(4) «المنتظم» (13/ 201-202).
(5) «المنتظم» (13/ 203).

يداه ورجلاه، وضربت عنقه، وأحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه.(1)

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى: سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ، يقول: قال أبو القاسم الرازى، قال أبو بكر ابن ممشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة، فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار، ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتاباً للحلاج، عنوانه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان) فبعث به إلى بغداد، فسئل الحلاج عن ذلك فأقر أنه كتبه، فقالوا له: كنت تدعى النبوة، فصرت تدعى الألوهية والربوبية؟ فقال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة؟ فقيل له: معك على هذا أحد؟ قال: نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريري وأبو بكر الشبلى. فسئل الجريري عن ذلك فقال: من يقول بهذا كافر. وسئل الشبلى عن ذلك فقال: من يقول بهذا يمنع. وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال بقول الحلاج فى ذلك. فعوقب حتى كان سبب هلاكه.(2)

ثم روى أبو عبد الرحمن السلمى عن محمد بن عبد الله الرازى: أن الوزير حامد بن العباس لما حضر الحلاج سأله عن اعتقاده فأقر به فكتبه، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد، فأنكروا ذلك، وقيل للوزير: إن أبا العباس ابن عطاء يقول بهذا. فطلبه إلى منزله وجاء فجلس فى صدر المجلس، وسأله عن ذلك فقال: من لا يقول بهذا فهو بلا اعتقاد. فقال له الوزير: ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد؟ فقال: ما لك ولهذا، عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم، فما لك ولكلام هؤلاء السادة. فأمر الوزير بضرب شدقيه ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه، فما زال يفعل ذلك به حتى سال الدم من منخريه، وأمر بسجنه. فقيل له: أيها الوزير إن العامة تتشوش بهذا. فحمل إلى منزله، فقال ابن عطاء: اللهم اقتله أخبث قتلة واقطع يديه ورجليه. فمات ابن عطاء بعد سبعة أيام، وقتل الوزير بعد ذلك شر قتلة، وقطعت يداه ورجلاه وأحرقت داره. وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه.(3)

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهرى حين أحضر الحلاج فى المرة الأولى قبل وفاة أبي بكر وسئل عنه فقال: إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقًا وما جاء به حقًا، فما يقوله الحلاج باطل. وكان شديداً عليه.(4) وقال أبو بكر الصولى: قد رأيت الحلاج وخاطبته فرأيته جاهلاً يتعاقل، وغبياً يتبالغ، وفاجراً يتعبد.(5) ولما صلب فى أول مرة ونودى عليه أربعة أيام سمعه بعضهم وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة يقول: ما أنا بالحلاج، ولكن ألقى على شبهه وغاب، فلما أدنى إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته وهو يقول: يا معين الضنا عليّ أعنى على الضنا. وقال بعضهم: سمعته وهو مصلوب يقول: إلهى أصبحت فى دار الرغائب، أنظر إلى العجائب، إلهى إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف بمن يؤذى فيك.(6)

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 126-127).
(2) «تاريخ بغداد» (8/ 127-128).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 128).
(4) «تاريخ بغداد» (8/ 129).
(5) «المنتظم» (13/ 202).
(6) «تاريخ بغداد» (8/ 130)، و«السير» (14/ 348)، ولقد أطال الحافظ ابن كثير من ذكر حيله، وبسط فى ترجمته ولا أراه يستحق هذا الذكر، ولا كرامة.

ذكر صفة مقتل الحلاج

قال الخطيب البغدادى وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد فصحب الصوفية وانتسب إليهم، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس، فبلغه أن الحلاج قد أضل خلقاً من الحشم والحجاب فى دار السلطان، ومن غلمان نصر القشورى الحاجب، وزعم لهم أنه يحيى الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما يختاره ويشتهيه. وقال: إنه قد أحيا عدة من الطير. وذكر لعليّ بن عيسى: أن رجلاً يقال له: محمد بن عليّ القنائى الكاتب، يعبد الحلاج ويدعو الناس إلى ذلك، فطلبه وكبس منزله فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد فى منزله أشياء بخط الحلاج مكتتبة بماء الذهب فى ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود. ووجد عنده سفطاً فيه من رجيع الحلاج وبوله وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده. فطلب الوزير من الخليفة المقتدر أن يتكلم فى أمر الحلاج ففوض أمره إليه، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاج فتهددهم، فاعترفوا له أنه قد صح عندهم أنه إله، وأنه يحيي الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاجَ بذلك، فجحد وكذبهم. وقال: أعوذ بالله أن أدعى الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله وأكثر الصوم والصلاة وفعل الخير، ولا أعرف غير ذلك. وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد، ويكثر أن يقول: سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسى، فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وكانت عليه مدرعة سوداء وفى رجليه ثلاثة عشر قيداً، وهي واصلة إلى ركبتيه، وكان مع ذلك يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة.[1] وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه فى حجرة من دار نصر القشورى الحاجب، مأذوناً لمن يدخل إليه، وكان يسمى نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسى، وكان نصر الحاجب قد افتتن به، وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله، وكذلك وقع لوالدته السيدة أم المقتدر فزالت علتها. فنفق سوقه وحظى فى دار السلطان، فلما انتشر الكلام فيه سلِّم إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه فى قيود كثيرة فى رجليه، وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته، وأنه ساحر ممخرق.

ورجع رجلان صالحان ممن كان اتبعه، أحدهما أبو عليّ هارون بن عبد العزيز الأوراجي، والآخر يقال له: الدباس، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو إليه الناس من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئًا كثيرًا، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة. من ذلك: أنه أراد أن يغشاها وهى نائمة فانتبهت، فقال: قومى إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها. وأمرتها ابنته بالسجود له فقالت: أو يسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم إله فى السماء وإله فى الأرض. ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك ما أحبت، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة.[2] ولما كان معتقلاً فى دار حامد بن العباس دخل عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه، فذعر ذلك الغلام، وألقى ما كان فى يده من ذلك الطبق والطعام، ورجع محمومًا فمرض عدة أيام.

ولما كان آخر مجلس أحضر القاضى أبو عمر محمد بن يوسف، وجيء بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه، وفيه: من أراد الحج ولم يتيسر له، فليبنِ فى داره بيتاً لا يناله شيء من النجاسة، ولا

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 132-133)، و«السير» (14/ 336).
(2) «تاريخ بغداد» (8/ 135).

يمكن أحداً من دخوله، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة، ثم يفعل في داره ما يفعل الحجيج بمكة. ثم يستدعى بثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً، ويعطى كل واحد منهم سبعة دراهم -أو قال: ثلاثة دراهم- فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج. وإن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا، أجزأه ذلك عن صيام رمضان. ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره، أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء بمقابر قريش عشرة أيام يصلى ويدعو ويصوم، ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري. فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا. فأقبل الوزير حامد بن العباس على القاضي أبي عمر فقال له: قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأنفذها الوزير إلى المقتدر، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمى ودمى حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ، واعتقادى الإسلام، ومذهبى السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة ابن الجراح، ولى كتب فى السنة موجودة في الوراقين، فالله الله في دمي. فلا يلتفتون إلى شيء مما يقول. وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الأمر. ورد الحلاج إلى محبسه، وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول: إن أمر الحلاج قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان، وقد افتتن كثير من الناس به. فجاء الجواب: بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، فليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا ضربت عنقه. ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة، فسلمه إليه وبعث معه طائفة من غلمانه، يوصلونه معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يستنقذ من أيديهم. وذلك بعد عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة من هذه السنة، وركب على بغل عليه إكاف وحوله جماعة من السُّيَّاسة على مثل شكله، فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة، فذكر أنه بات يصلى في هذه الليلة ويدعو دعاء كثيراً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول: قال أبو الحديد -يعنى المصري-: لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل فصلى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ومد يده نحو القبلة، فتكلم بكلام جائز الحفظ، فكان مما حفظت أن قال: نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدى ما شئت من شأنك ومشيئتك. وأنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة، ثم أوعزت إليَّ شاهدك لأني في ذاتك الهُوِىّ كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجَزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي عند القول من برياتي، إني احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت سافيات الذاريات. ولججت في الجاريات، وإن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي، لأعظم من الراسيات[1]. ثم أنشأ يقول:

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 129-130).

أنْعَى إليْكَ نفُوسًا طاحَ شاهِدُها * فيما ورا الحَيْثِ أوْ في شاهِدِ القِدَمِ
أنْعَى إليكَ قلُوبًا طالَمَا هطَلَتْ * سَحائِبُ الوَحْيِ فيها أبْحُرُ الحِكَمِ
أنْعَى إليكَ لِسانَ الحقِّ منكَ ومَن * أودَى وتَذْكارُه في الوهمِ كالعدمِ
أنْعَى إليكَ بَيانًا تَستكِينُ لهُ * أقْوالُ كلِّ فَصيحٍ مِقْوَلٍ فَهِمِ
أنْعَى إليكَ إشاراتِ العقُولِ معًا * لم يَبْقَ منهنَّ إلا دارِسُ العَلَمِ
أنْعَى وحبِّكَ أخْلاقًا لطائفَةٍ * كانتْ مَطايَاهُمُ مِن مَكْمَدِ الكظَمِ
مضَى الجميعُ فلا عَيْنٌ ولا أثَرٌ * مُضِيَّ عادٍ وفِقْدانَ الأُلَى إرَمَ
وخلَّفُوا معْشَرًا يحْذُونَ لِبْسَتَهمْ * أعْمَى مِنَ البَهْمِ بلْ أعْمَى مِنَ النَّعَمِ

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذى بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد:

طلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بكلِّ أرضٍ * فلمْ أرَ لي بأرضٍ مُسْتَقَرَا
أطَعْتُ مَطامِعي فاسْتَعْبَدتْنِي * ولو أنِّي قنَعْتُ لَعِشْتُ حُرًا(1)

وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب عليه، والمشهور ما ذكرنا(2)، ثم مشى وهو يتبختر فى مشيته، وفى رجليه ثلاثة عشر قيداً وجعل ينشد ويتمايل:

نَدِيمِي غيرُ مَنْسُوبٍ * إلى شيءٍ مِنَ الحَيْفِ
سقَانِي مثلَ ما يشْرَ * بُ فعلَ الضيفِ بالضيفِ
فلمَّا دارَتِ الكأسُ * دعَا بالنِّطْعِ والسَّيْفِ
كذا مَن يشْرَبُ الرَّاحَ * مع التِّنِّينِ في الصيفِ

ثم قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ (الشورى: 18). ثم ما نطق بعد ذلك حتى فُعل به ما فُعل. قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو فى ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال: إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد(3). وقال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه.(4) وقال السلمى: سمعت أبا بكر البجلي يقول: سمعت أبا الفاتك البغدادى وكان صاحب الحلاج، قال: رأيت فى النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأنى واقف بين يدى ربى عز وجل أقول: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت.(5) ومنهم من قال: بل جزع عند ذلك جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً، فالله أعلم.

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 130)، و«المنتظم» (13/ 206).
(2) «الوفيات» (8/ 131-132).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 131-140)، و«السير» (14/ 341-342).
(4) «تاريخ بغداد» (8/ 132)، و«السير» (14/ 342).
(5) «تاريخ بغداد» (8/ 132)، و«السير» (14/ 351).

وقال الخطيب: ثنا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: قال لنا أبو عمر ابن حيويه: لما أخرج الحسين الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم حتى رأيته فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً. ثم قتل.(1) وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: ادعُ بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية. فقال له: قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل. ثم قطعت يداه ورجلاه وحُزّ رأسه وأحرقت جثته وألقي برمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد أربعين يوماً.(2) وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان، فقال: لعلك من هؤلاء البقر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول! إني لست به، وإنما ألقي شبهي على رجل، ففعل به ما رأيتم. فكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج. وقال بعض علماء ذلك الزمان: إن كان هذا الرأي صادقًا فلعل دابةً -يعني من الشياطين- تبدى على صورته ليضل به الناس، كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.(3)

قال الخطيب: واتفق أن دجلة زادت في هذا العام زيادةً كثيرةً، فقالوا: إنما زادت لأن رماد الحلاج خالطها. ونودي ببغداد ألا يشتري أحد من كتب الحلاج شيئًا ولا يبيعه. وكان قتل الحلاج في يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة من سنة تسع وثلاثمائة ببغداد.(4) وذكره القاضي ابن خلكان في «الوفيات» وحكى اختلاف الناس فيه، ونقل عن الغزالي في «مشكاة الأنوار» أنه كان يتأول كلامه ويحمله على ما يليق، ثم نقل عن إمام الحرمين أنه كان يذمه، ويقول: إنه اتفق هو والجنابي وابن المقفع على إفساد عقائد الناس، وتفرقوا في البلاد، فكان الجنابي في هجر والبحرين، وابن المقفع ببلاد الترك، ودخل الحلاج العراقي، فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل.

قال القاضي ابن خلكان: وهذا لا ينتظم؛ فإنَّ ابن المقفع كان قبل الحلاج بدهر، فإنه كان في أيام السفاح والمنصور، ومات سنة خمس وأربعين ومائة أو قبلها، ولعل إمام الحرمين أراد ابن المقنع الخراساني الذي ادعى الربوبية، وأدنى القمر، واسمه عطاءٌ، وقد قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج، وإذا أردنا أن نصحح كلام إمام الحرمين ونذكر ثلاثة قد اجتمعوا في وقت على ما ذكر، فيكون أراد بذلك الحلاج، وابن الشلمغاني -يعني أبا جعفر محمد بن عليٍّ- والقرمطي الجنابي، وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الذي قتل الحُجّاج، وأخذ الحجر وردم زمزم بالقتلى ونهب أستار الكعبة، كما سيأتي ذلك مبسوطًا، ذكره القاضي ملخصًا ههنا.(5)

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان: أبو العباس ابن عطاء، أحد أئمة الصوفية، هو أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي، حدث عن يوسف بن موسى القطان، والفضل بن زياد وغيرهما. وكان يقرأ في

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 131).

(2) «تاريخ بغداد» (8/ 140-141).

(3) «تاريخ بغداد» (8/ 141)، و«الوفيات» (2/ 145)، و«السير» (14/ 341).

(4) «تاريخ بغداد» (8/ 141).

(5) «الوفيات» (2/ 146-156)، وسامح الله الحافظ ابن كثير، فلم يترجم للإمام مسلم، أو الترمذي، أو الأعلام الذين يستحقون الإطالة في ذكر شيء من تراجمهم بمثل ما أطال في ذكر وترجمة الحلاج.

كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان يقرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وكانت له ختمة يتدبر فيها معاني القرآن، يتلوها من سبع عشرة سنة ومات ولم يختمها، وهذا الرجل كان قد اشتبه عليه أمر الحلاج وأظهر موافقته، فعاقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب على شدقيه، وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه حتى سال الدم من منخريه، ومات بعد سبعة أيام من ذلك، وكان قد دعا على الوزير بأن تقطع يداه ورجلاه ويقتل شرَّ قتلة. فما مات الوزير إلا كذلك.(1)

وأبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطبيب الحرانيُّ، **وأبو محمد عبد الله** بن حمدون النديم.

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة

فيها: أطلق يوسف بن أبي الساج من الضيق، وكان معتقلاً، ورُدّت إليه أمواله وأعيد إلى عمله وأضيف إليه بلدان أخرى، ووظف عليه في كل سنة خمسمائة ألف دينار يحملها إلى الحضرة، فبعث حينئذ إلى مؤنس الخادم يطلب منه أبا بكر ابن الأدمي القارئ، وكان قد قرأ بين يديه حين اعتقل وأشهر في سنة إحدى وسبعين ومائتين ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:102). فخاف القارئ سطوته واستعفى من مؤنس الخادم، فقال له مؤنس: اذهب وأنا شريكك في الجائزة. فلما دخل عليه قرأ بين يديه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف:54). فقال: بل أحب أن تقرأ ذلك العشر الذي قرأته عند إشهاري ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾. فإن ذلك كان سبب توبتي إلى الله عز وجل، وكان ذلك على يديك. ثم أمر له بمال جزيل وأحسن إليه.(2)

وفيها: مرض عليّ بن عيسى الوزير فجاءه هارون بن المقتدر ليعوده، فبسط له الطريق، فلما اقترب من داره تحامل وخرج إليه فبلغه سلام الخليفة، وجاء مؤنس الخادم معه، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عزم على عيادته فاستعفى من مؤنس الخادم، وركب على جهد عظيم حتى سلم على الخليفة حتى لا يكلفه الركوب إليه.

وفي هذه السنة: قبض على القهرمانة أم موسى ومن ينتسب إليها، فكان حاصل ما حمل إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار.

وفي يوم الخميس لعشر بقين من ربيع الآخر: ولي المقتدر منصب القضاء أبا الحسين عمر بن الحسين ابن علي الشيباني المعروف بابن الأشناني -وكان من حفاظ الحديث وفقهاء الناس- ولكنه عزل بعد ثلاثة أيام، وكان قبل ذلك محتسباً ببغداد.

وفيها: عزل محمد بن عبد الصمد عن شرطة بغداد ووليها نازوك وخلع عليه.

وفي جمادى الآخرة: ظهر كوكب له ذنب طوله ذراعان، وذلك في برج السنبلة.

وفي هذه السنة في شعبان منها: وصلت هدايا نائب مصر وهو الحسين بن الماذرائي، وفيها بغلة معها فلوها، وغلام يصل لسانه إلى طرف أنفه.

وفي هذه الشهر: قرئت الكتب على المنابر بما كان من الفتوح ببلاد الروم.

وفي هذه السنة: ورد الخبر بأنه انشق بأرض واسط فلوع من الأرض سبعة عشر موضعاً أكبرها طوله ألف ذراع، وأقلها مائتا ذراع، وأنه غرق من أمهات القرى ألف وثلاثمائة قرية.

---

(1) «تاريخ بغداد» (5/ 26)، و«المنتظم» (13/ 220).
(2) «المنتظم» (13/ 208)، و«الكامل» (8/ 136).

وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي.

وممن توفي فيها من الأعيان: **أبو بشر الدولابي:** محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد أبو بشر الدولابي، مولى الأنصار، ويعرف بالوراق، أحد أئمة حفاظ الحديث، وله تصانيف حسنة في التاريخ وغير ذلك، وروى عن جماعة كثيرة. قال ابن يونس: وكان يضعف، وتوفي وهو قاصد إلى الحج بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة.(1)

أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري، مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان أسمر أعين مليح الجسم مديد القامة فصيح اللسان، روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث، وله التاريخ الحافل، والتفسير الكامل، وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع. ومن ذلك «تهذيب الآثار» لكن لم يتمه. وقد روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة.(2) قال الحافظ أبو بكر الخطيب: استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، وكان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إليه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في الأحكام، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله. وكتاب سماه «تهذيب الآثار» لم أر سواه في معناه، إلا أنه لم يتمه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيارات، وتفرد بمسائل حفظت عنه.(3)

قال الخطيب: وبلغني عن الشيخ أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفراييني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً، أو كلامًا هذا معناه. وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه طالع التفسير لابن جرير في سنين من أوله إلى آخره، ثم قال: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة.(4) وقال لرجل رحل إلى بغداد ليكتب الحديث عن المشايخ ولم يتفق له سماع من ابن جرير؛ لأن الحنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد، فقال: لو كتبت عنه لكان خيراً لك من كل من كتبت عنه.

قلت: وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وحسن القراءة على أحسن الصفات، وكان من كبار الصالحين، وهو أحد المحدثين الذين اجتمعوا بمصر في أيام الأمير طولون، وهم محمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني، ومحمد بن جرير هذا.(5) وقد ذكرنا ذلك في ترجمة محمد بن نصر المروزي، وكان الذي قام يصلي محمد بن إسحاق بن خزيمة، وقيل: محمد بن نصر، فرزقهم الله ببركة صلاته. وقد أراد الخليفة المقتدر بالله في بعض الأحيان أن يكتب كتاب وقف تكون شروطه متفقاً عليها بين الفقهاء، فقيل له: لا يقدر على استحضار هذا إلا محمد بن جرير، وطلب منه ذلك فكتبها، فاستدعاه الخليفة إليه. وقال له: سل حاجتك. فقال: لا حاجة لي. فقال: لابد أن تسألني شيئاً. فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة

(1) «المنتظم» (13/ 213)، و«الوفيات» (4/ 352)، و«السير» (14/ 309)، و«التذكرة» (2/ 759).
(2-4) «تاريخ بغداد» (2/ 163). (5) «تاريخ بغداد» (2/ 164).

حتى يمنعوا السؤّال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع. فأمر الخليفة بذلك. وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركها له أبوه بطبرستان. ومن شعره:

إذا أعسَرْتُ لم يَعلمْ رَفِيقي * وأسْتغْني فيَسْتغْني صَديقي
حَيائي حافظٌ لي ماءَ وَجْهي * ورِفْقي في مُطالبَتي رَفيقي
ولو أنّي سَمَحْتُ ببَذْلِ وَجْهي * لكُنتُ إلى الغنى سَهْلَ الطريقِ

ومن شعره أيضاً:

خُلُقانِ لا أرْضَى طريقَهما * بَطَرُ الغنَى ومَذلّةُ الفَقْرِ
فإذا غَنيتَ فلا تَكنْ بَطِراً * وإذا افتقَرْتَ فَتِهْ على الدَّهْرِ

وقد كانت وفاته وقت المغرب من عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلاثمائة. وقد جاوز الثمانين سنة بخمس أو ست سنين، وفى شعر رأسه ولحيته سواد كثير، ودفن فى داره لأن بعض الرعاع من عوام الحنابلة منعوا من دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من هذا ومن ذاك أيضًا. بل كان أحد أئمة الإسلام في العلم بكتاب الله وسنة رسوله، وإنما تقلدوا ذلك عن أبى بكر محمد بن داود، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم ويرميه بالرفض. ولما توفى اجتمع الناس من سائر البلد وصلوا عليه بداره ودفن بها، ومكث الناس يترددون إلى قبره شهوراً يصلون عليه رحمه الله، **قلت**: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم فى مجلدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير. ونسب إليه أنه يقول بجواز مسح القدمين فى الوضوء، وأنه لا يوجب الغسل، وقد اشتهر عنه هذا. فمن العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان أحدهما شيعى وإليه ينسب ذلك، وينزهون أبا جعفر هذا من هذه الصفات. والذى عول عليه كلامه فى التفسير أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح، فلم يفهم كثير من الناس مراده جيدًا، فنقلوا عنه أنه يوجب الجمع بين الغسل والمسح والله أعلم. وقد رثاه جماعة من أهل العلم، منهم ابن الأعرابى حيث يقول:

حَدَثٌ مُفظِعٌ وخَطْبٌ جَليلٌ * دقّ عن مثلِهِ اصْطِبارُ الصَّبُورِ
قامَ ناعي العُلومِ أجْمع لمّا * قامَ ناعي محمدِ بنِ جريرِ
فهوَتْ أنجمٌ لها زاهراتٌ * مؤذِنَاتٌ رُسُومُها بالدُّثُورِ
وتغشَّى ضياءَها النَّيِّرَ الإشـ * ـراقِ ثوبُ الدُّجُنَّةِ الدَّيْجُورِ
وغدا رَوضُها الأنيقُ هَشِيمًا * ثم عادتْ سُهولُها كالوُعُورِ
يا أبا جعفرٍ مضَيْتَ حَمِيدًا * غيرَ وانٍ في الجِدِّ والتَّشْمِيرِ
بينَ أجْرٍ على اجْتِهادِكَ موفُو * رٍ وسعْيٍ إلى التُّقَى مشْكُورِ
مُسْتَحِقًا به الخُلودَ لدى جنـ * ـةِ عدْنٍ في غِبْطَةٍ وسُرورِ

ولأبى بكر ابن دريد رحمه الله فيه مرثاة طويلة طنانة، أوردها الخطيب البغدادى بتمامها[1]. والله سبحانه أعلم.

---

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 167).

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

فيها: دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابى أمير القرامطة فى ألف وسبعمائة فارس إلى البصرة ليلاً، نصب السلالم الشعر فى سورها، فدخلها قومه وفتحوا أبوابها وقتلوا من لقوه من أهلها، وهرب أكثر الناس فألقوا أنفسهم فى الماء فغرق كثير منهم، ومكث بها سبعة عشر يوماً يقتل ويأسر من شاء من نسائها وذراريها، ويغنم ما يختاره من أموال أهلها. ثم عاد إلى بلده هجر، وذلك لما بعث إليه الخليفة جنداً من قبله فرّ وترك البلد يبابًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.(1)

وفي هذه السنة: عزل المقتدر عن الوزارة حامد بن العباس وعلى بن عيسى ورد إلى الوزارة أبا الحسن ابن الفرات الولاية الثالثة، وسلم إليه حامد بن العباس وعلى بن عيسى، فأما حامد فإن المحسن ابن الوزير ضمنه من المقتدر بخمسمائة ألف دينار، وتسلمه فعاقبه بأنواع العقوبات، وأخذ منه أموالاً جزيلة لا تحصى كثرة، ثم أرسل به مع موكلين عليه إلى واسط ليحتاطوا على أمواله هناك وحواصله، وأمرهم أن يسقوه سماً فى الطريق فسقوه ذلك فى بيض مشوى كان قد طلبه منهم، فمات فى رمضان من هذه السنة. وأما عليّ بن عيسى فإنه صودر بثلاثمائة ألف دينار وصودر قوم آخرون من كُتّابه، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء مع ما كان صودرت به القهرمانة من الذهب شيئًا كثيرًا جدًا آلاف ألف من الدنانير، وغير ذلك. وأشار الوزير ابن الفرات على الخليفة المقتدر بالله أن يبعد عنه مؤنسًا الخادم ويأمره بالذهاب إلى الشام، وكان قد قدم من بلاد الروم، وقد فتح شيئاً كثيراً من بلدانهم، وغنم مغانم كثيرة جدًا، فسأل أن ينظر إلى سلخ رمضان، وكان قد أعلم الخليفة بما كان يعتمده ابن الوزير من تعذيب الناس ومصادرتهم بالأموال، فأجاب الخليفة الوزير إلى إبعاد مؤنس فأخرجه إلى الشام.

وفيها: كثر الجراد وأفسد كثيراً من الغلات.

وفى رمضان منها: أمر برد بقية المواريث إلى ذوى الأرحام.

وفيها في النصف من رمضان: أحرق على باب العامة صورة ماني وأربعة أعدال من كتب الزنادقة، فسقط منها ذهب كثير كانت محلاة به.

وفيها: اتخذ أبو الحسن ابن الفرات الوزير مارستانًا فى درب الفضل، ينفق عليه من ماله فى كل شهر مائتى دينار.

وممن توفى فيها من الأعيان: **الخلال أحمد بن محمد بن هارون**: أبو بكر الخلال، صاحب كتاب الجامع لعلوم الإمام أحمد، ولم يصنف فى مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب، وقد سمع الحديث من الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر وغيرهما. وكانت وفاته يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضيا من ربيع الأول منها.(2)

أبو محمد الجريري: أحد أئمة الصوفية أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريرى أحد كبار الصوفية، صحب سرياً السقطى، وكان الجنيد يكرمه ويحترمه. ولما حضرت الجنيد الوفاة أوصى أن يجالس

---

(1) «المنتظم» (13/ 218-220)، و«الكامل» (8/ 139-145).

(2) «تاريخ بغداد» (5/ 112)، و«المنتظم» (13/ 220)، و«السير» (14/ 297).

الجريرى، وقد اشتبه على الجريرى هذا شأن الحلاج فكان ممن أجمل القول فيه، على أن الجريرى هذا مذكور بالصلاح والديانة وحسن الأدب مع الله عز وجل.(1)

الزجاج: صاحب «معانى القرآن» إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد، وله المصنفات الحسنة، منها كتاب «معانى القرآن» وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، وقد كان في أول أمره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرّد، فكان يعطى المبرّد كل يوم درهماً، ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات المبرد. وقد كان الزجاج مؤدباً للقاسم بن عبيد الله، فلما ولى الوزارة كان الناس يأتونه بالرقاع ليقدمها إلى الوزير، فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار. وكانت وفاته فى جمادى الأولى من هذه السنة. وعنه أخذ أبو عليّ الفارسى النحوى، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى، نسب إليه لأخذه عنه، وهو صاحب كتاب «الجمل فى النحو».

بدر مولى المعتضد: وهو بدر الحمامى، ويقال له: بدر الكبير، كان فى آخر وقت على نيابة فارس، وولى من بعده ولده محمد.

حامد بن العباس: استوزره المقتدر فى سنة ست وثلاثمائة، وكان كثير المال والغلمان، كثير النفقات كريمًا سخيًا، كثير المروءة وله حكايات تدل على بذله وإعطائه الأموال الجزيلة، ومع هذا كان يجمع شيئًا كثيرًا، وجد له فى مطمورة ألوف من الذهب، كان في كل يوم إذا دخلها إليها ألقى فيها ألف دينار، فلما امتلأت طمها، فلما صودر دل عليها فاستخرج منها مال جزيل جدًا. ومن أكبر مناقبه أنه كان من أكبر السعاة فى الحسين بن منصور الحلاج حتى قتل كما ذكرنا هذا. ثم كانت وفاة الوزير حامد بن العباس فى رمضان من هذه السنة مسمومًا.

وفيها توفى: عمر بن محمد بن بجير البجيرى صاحب الصحيح.

ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى، مولى مجشر بن مزاحم، الإمام أبو بكر ابن خزيمة الملقب بإمام الأئمة، كان من أوعية العلم وبحوره، وممن طاف البلدان ورحل إلى الآفاق فى طلب العلم وسماع الحديث، وكتب الكثير، وصنف وجمع، وله كتاب «الصحيح» من أنفع الكتب وأجلها، وهو من المجتهدين فى دين الإسلام، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى «طبقات الشافعية» عنه أنه قال: ما قلدت أحداً منذ بلغت ست عشرة سنة، وقد ذكرنا ترجمته مطولة فى كتابنا «طبقات الشافعية» بما فيه كفاية. وهو الذي قام يصلي حين وقعت القرعة عليه ليسترزق الله في صلاته حين أرمل هو ومحمد بن نصر ومحمد بن جرير ومحمد بن هارون الروياني، وقد أوردها ابن الجوزي من طريقين في ترجمته، وذلك ببلد مصر في دولة أحمد بن طولون، فرزقهم الله على يديه، وقد ذكرنا نحو ذلك فى ترجمة الحسن بن سفيان.

وفيها توفى: محمد بن زكريا الطبيب صاحب المصنف الكبير فى الطب.

ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة

فى المحرم منها: اعترض القرمطى أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى لعنه الله ولعن معه أباه للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام، قد أدوا فرض الله عليهم، فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعاً عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم، فقتل منهم خلقاً كثيرًا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وأسر من نسائهم

(1) «الحلية» (10/ 347)، و«تاريخ بغداد» (4/ 430)، و«المنتظم» (13/ 221).

وأبنائهم ما اختاره، واصطفى من أموالهم ما أراد، فكان مبلغ ما أخذ من الأموال ما يقاوم ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك، وترك بقية الناس بعد ما أخذ جمالهم وزادهم وأموالهم ونساءهم على بعد الديار في البرية بلا زاد ولا ماء ولا محمل. وقد حاجف عن الناس نائب الكوفة أبو الهيجاء عبد الله ابن حمدان فقهره وأسره. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان عدة من مع القرمطى ثمانمائة مقاتل، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة قصمه الله.(1) ولما انتهى خبرهم إلى بغداد قام نساؤهم وأهاليهم فى النياحة ونشرن شعورهن ولطمن وجوههن، وانضاف إليهن نساء الذين نكبوا على يدي الوزير ابن الفرات، فكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك فى غاية الفظاعة والشناعة، ولما سأل الخليفة عن الخبر ذكر له أن هذه نسوة الحجيج ومعهن نساء الذين صادرهم ابن الفرات، وجاءت على يد الحاجب نصر القشورى المشورة على الوزير وقال: يا أمير المؤمنين إنما استولى هذا القرمطى بسبب إبعادك المظفر مؤنسًا الخادم، فطمع هؤلاء فى الأطراف، وما أشار عليك بإبعاده إلا ابن الفرات. فبعث الخليفة المقتدر إلى الوزير ابن الفرات يقول له: إن الناس يتكلمون فيك لنصحك إياى. وأرسل يطيب قلبه، فركب هو وولده إلى الخليفة فدخلا عليه فأكرمهما وطيب قلوبهما، وخرجا من عنده فناله أذى كثير من نصر الحاجب وغيره من كبار الأمراء، وجلس الوزير فى دسته فحكم بين الناس على عادته، وبات ليلته تلك مفكراً فى أمره، وأصبح كذلك وهو ينشد:

فأصْبَحَ لا يَدْرِي وإن كان حازمًا * أَقُدَّامَه خيرٌ له أمْ وَرَاءَه

ثم جاءه فى ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة المقتدر، فدخلا عليه داره إلى بين حرمه وأخرجوه مكشوفاً رأسه وهو فى غاية المذلة، والإهانة، فأركبوه فى حراقة إلى الجانب الآخر. وفهم الناس ذلك فرجموا ابن الفرات بالآجر، وتعطلت الجوامع وسخمت العامة المحاريب، ولم يصلِّ الناس الجمعة فيها، وأخذ خطه بألفى ألف دينار، وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار، وسلما إلى نازوك أمير الشرطة، فاعتقلا حيناً وخلص منهما الأموال، فلما قدم مؤنس الخادم سلم إليه الوزير ابن الفرات فأهانه غاية الإهانة بالضرب والتقريع له ولولده المحسن المجرم الذى ليس بمحسن، ثم قتلا بعد ذلك فكانت وزارته هذه الثالثة عشرة أشهر وأيامًا. واستوزر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى ابن خاقان، وذلك فى تاسع ربيع الأول من هذه السنة.

وكان الخليفة قد أرسل إلى مؤنس الخادم ليحضر، فدخل بغداد في تجمل عظيم، وسلم إليه ابن الفرات كما ذكرنا، فعاقبه، وشفع إلى الخاقاني فى أن يرسل إلى عليّ بن عيسى، وكان قد صار إلى صنعاء من اليمن مطروداً فعاد إلى مكة وبعث إليه الوزير أن ينظر فى أمر الشام ومصر، وأمر الخليفة مؤنسًا الخادم بالمسير إلى ناحية الكوفة لأجل القرامطة، وأنفق على خروجه إلى هنالك ألف ألف دينار، وأطلق القرمطى من كان أسره من الحجيج، وكانوا ألفى رجل وخمسمائة امرأة، وأطلق أبا الهيجاء نائب الكوفة معهم أيضاً. وكتب إلى الخليفة يسأل منه البصرة والأهواز فلم يجب إلى ذلك، وركب المظفر مؤنس الخادم فى جحافل إلى بلاد الكوفة فسكن أمرها، ثم انحدر إلى واسط خوفًا عليها من القرامطة، واستناب على الكوفة ياقوت الخادم، فتمهدت الأمور وانصلحت.

وفى هذه السنة: ظهر رجل بين الكوفة وبغداد فادعى أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن

(1) «المنتظم» (13/ 238-240)، و«الكامل» (8/ 146-157).

على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وصدقه على ذلك طائفة من الأعراب والطغام، والتفوا عليه وقويت شوكته فى شوال، فأرسل إليه الوزير جيشاً فقاتلوه فهزموه وقتلوا خلقاً من أصحابه، وتفرق بقيتهم. وهذا المدعى المذكور هو رئيس الإسماعيلية وأولهم. وظفر نازوك نائب الشرطة بثلاثة من أصحاب الحلاج: وهم حيدرة، والشعرانى، وابن منصور، فطالبهم بالرجوع فلم يرجعوا، فضرب أعناقهم وصلبهم فى الجانب الشرقى.

ولم يحج فى هذه السنة أحد من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة، لعنهم الله.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: إبراهيم بن حمش: أبو إسحاق الواعظ الزاهد النيسابوري، كان يعظ الناس، فكان من جملة كلامه الحسن قوله: يضحك القضاء من الحذر، ويضحك الأجل من الأمل، ويضحك التقدير من التدبير، وتضحك القسمة من الجهد والعناء.

على بن محمد بن الفرات: أبو الحسن الوزير، ولاه المقتدر الوزارة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم عزله هذه السنة، وقتله، وكان ذا مال جزيل جداً، ملك عشرة آلاف ألف دينار، وكان يدخله من ضياعه في كل سنة ألفا ألف دينار، وكان ينفق على خمسة آلاف من العلماء والعباد، ويجري عليهم الأرزاق فى كل شهر أثابه الله، وكان فيه كفاية ونهضة ومعرفة بالوزارة والحساب، يقال: إنه نظر يوماً فى ألف كتاب ووقع على ألف رقعة، فتعجب من حضره من ذلك، وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة فى ولاياته، غير المرة الثالثة فإنه ظلم وغشم وصادر الناس عن أموالهم، فأخذه الله، أخذ عزيز مقتدر. وقد كان فيه كرم وسعة فى النفقة، ذكر عنده ذات ليلة أهل الحديث والصوفية وأهل الأدب والشعراء والفقهاء، فأطلق من ماله لكل طائفة عشرين ألفاً.[1] وكتب رجل على لسانه إلى نائب مصر كتاباً فيه الوصية به إليه، فلما وقف عليه المكتوب إليه استراب به، وقال: ما هذا خطه. وأرسل به إلى الوزير، فلما وقف عليه الوزير عرف أنه كذب وزور، واستشار الحاضرين عنده في الذي زور عليه، فقال بعضهم: ينبغي أن تقطع يده. وقال غيره: يقطع إبهامه. وقال الآخر: يضرب ضرباً عنيفاً. فقال الوزير: أوَ خير من ذلك كله؟ فأخذ الكتاب وكتب عليه: نعم هذا خطى وهو من أخص أصحابى، فلا تترك شيئاً مما تقدر عليه من الإحسان إلا وصلته به. فلما عاد الكتاب أحسن نائب مصر إلى ذلك الرجل، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار. واستدعى ابن الفرات يوماً ببعض الكتّاب فقال له: ويحك إن نيتى فيك سيئة، وإنى فى كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك مالك، فرأيت فى المنام من ليال، أني قد أمرت بالقبض عليك، فجعلت تمتنع منى، فأمرت جندى أن تقاتل، فجعلوا كلما ضربوك بشىء منّ سهام أو غيرها من السلاح تتقى الضرب برغيف فى يدك، فلا يصل إليك بسببه شىء، فأعلمنى ما قصة هذا الرغيف. فقال: أيها الوزير إن أمى منذ كنت صغيراً كانت تضع في كل ليلة تحت وسادتى رغيفاً، ثم تصبح فتتصدق به عنى، ولم يزل ذلك دأبها حتى ماتت. ففعلته بعدها، فأنا في كل ليلة أبيت تحت وسادتى رغيفاً ثم أصبح فأتصدق به. فعجب الوزير من ذلك، وقال: والله لا ينالك منى سوء أبداً، ولقد حسنت نيتى فيك، وأحببتك. وقد أطال ابن خلكان ترجمته وذكر بعض ما أوردناه.[2]

محمد بن محمد بن سليمان: ابن الحارث بن عبد الرحمن، أبو بكر الأزدى الواسطى المعروف

(1) «المنتظم» (13/ 241)، و«الوفيات» (3/ 421)، و«السير» (14/ 474).
(2) «الوفيات» (3/ 421-429).

بالباغندى، سمع محمد بن عبد الله بن نمير، وابن أبى شيبة وشيبان بن فروخ، وعلى ابن المدينى، وخلقاً من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد، ورحل إلى الأمصار البعيدة، وعنى بهذا الشأن واشتغل فيه فأفرط، حتى قيل: إنه كان ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدها فى الصلاة وهو لا يشعر، فيسبح به حتى يتذكر أنه فى الصلاة، وكان يقول: أنا أجيب فى ثلاثمائة ألف مسألة من الحديث. وقد رأى رسول الله ﷺ فى منامه فقال له: يا رسول الله أيما أثبت فى الحديث منصور أو الأعمش؟ فقال له: منصور منصور. وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الدارقطنى: هو كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث.(1)

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

قال ابن الجوزى: لليلة بقيت من المحرم: انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد.(2)

وفى صفر: بلغ الخليفة المقتدر بالله أن جماعة من الرافضة يجتمعون فى مسجد براثا فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى ولاية محمد بن إسماعيل الذى ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدّعون أنه المهدى، ويتبرؤون من المقتدر وممن يتبعه. فأمر بالاحتياط عليهم واستفتى العلماء في المسجد المذكور فأفتوا بأنه مسجد ضرار، يهدم كما هدم مسجد الضرار، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح ونودى عليهم. وأمر الخليفة بهدم المسجد المذكور فهدمه نازوك، وأمر الوزير الخاقانى فجعل مكانه مقبرة فدفن فيه جماعة من الموتى. وخرج الناس للحج فى ذى القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى القرمطى لعنهما الله، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم، ولم يمكنهم الحج عامهم هذا ويقال: إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم. وقد قاتله جند الخليفة، فلم يفد ذلك فيه شيئًا لتمرده وشدة بأس من معه، وانزعج أهل بغداد من ذلك، وترحل أهل الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى خوفاً من القرامطة، ودخل القرمطى إلى الكوفة فأقام بها ستة أيام يأخذ من أموالها ما يحتاج إليه. قال ابن الجوزى: وكثر الرطب فى هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة، وعمل منه تمر وحمل إلى البصرة.(3) وعزل المقتدر وزيره الخاقانى عن الوزارة بعد سنة وستة أشهر ويومين، وولى مكانه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب الخصيبى، لأجل مال بذله من جهة زوجة المحسن بن الفرات، وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار، فأقر الخصيبى عليّ بن عيسىً على الإشراف على ديار مصر وبلاد الشام، وهو مقيم بمكة يسير إليها فى بعض الأوقات فيعمل ما ينبغى عمله ثم يرجع إلى مكة شرفها الله سبحانه وتعالى.

ذكر من توفى فيها من الأعيان: عليّ بن عبد الحميد: ابن عبد الله بن سليمان، أبو الحسن الغضائرى، سمع القواريرى وعباساً العنبرى، وكان من العباد الثقات. قال: جئت يومًا إلى السرى السقطى فدققت عليه بابه، فخرج إليّ ووضع يده على عضادتى الباب، وهو يقول: اللهم اشغل من شغلنى عنك بك. قال: فنالتنى بركة هذه الدعوة فحججت على قدمىّ من حلب إلى مكة أربعين حجة ذاهباً وآيبًا.

أبو العباس السراج: الحافظ محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفى مولاهم، أبو العباس السراج، أحد الأئمة الثقات الحفاظ، مولده سنة ثمان عشرة ومائتين، سمع قتيبة وإسحاق بن راهويه وخلقاً

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 209)، و«المنتظم» (13/ 244)، و«السير» (14/ 383).
(2) «المنتظم» (13/ 247). (3) «المنتظم» (13/ 249).

كثيراً من أهل خراسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز، وقد حدث عنه البخارى ومسلم، وهما أكبر منه وأقدم ميلاداً ووفاة. وله مصنفات كثيرة نافعة جداً، وكان يعد من مجابى الدعوة. وقد رأى فى منامه كأنه يرقى فى سلم فصعد فيه تسعاً وتسعين درجة، فما أولها على أحد إلا قال له: تعيش تسعاً وتسعين سنة، فكان كذلك. وقد ولد له ابنه أبو عمرو وعمره ثلاث وثمانون سنة. قال الحاكم: فسمعت أبا عمرو يقول: فكنت إذا دخلت المسجد على أبى والناس عنده يقول لهم: هذا عملته فى ليلة ولى من العمر ثلاث وثمانون سنة.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

كتب ملك الروم، وهو الدمستق لعنه الله، إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج وإلا قاتلهم فأبوا عليه فركب إليهم فى أول هذه السنة، فعاث فى الأرض فساداً، ودخل ملطية فقتل من أهلها كثيرًا وأسر وأقام بها ستة عشر يومًا، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه.[1] ووقع ببغداد حريق فى مكانين، مات بسببه خلق كثير، واحترق بأحدهما ألف دار ودكان، وجاءت الكتب بموت الدمستق ملك النصارى لعنه الله فقرئت الكتب على المنابر بذلك. وجاءت الكتب من مكة أن أهلها فى غاية الانزعاج بسبب اقتراب القرمطي إليهم وقصده إياهم، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحى.

وهبت ريح عظيمة بنصيبين اقتلعت الأشجار وهدمت البيوت.

قال ابن الجوزى: وفى يوم الأحد لثمان مضين من شوال منها -وهو سابع كانون الأول- سقط ببغداد ثلج عظيم جدًا وحصل بسببه برد شديد، بحيث أتلف كثيراً من النخيل والأشجار، وجمدت الأدهان حتى الأشربة، وماء الورد والخل والخلجان الكبار، ودجلة.[2] وعقد بعض مشايخ الحديث مجلس التحديث على متن دجلة من فوق الجمد، وكتب عنه الحديث هنالك، ثم انكسر البرد بمطر وقع، فأزال ذلك كله، ولله الحمد.

وقدم الحُجّاج من خراسان إلى بغداد فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة قد قصدوا مكة، فرجعوا ولم يتهيأ الحج فى هذه السنة من ناحية العراق بالكلية.

وفى ذى القعدة: عزل الخليفة وزيره أبا العباس الخصيبى بعد سنة وشهرين، وأمر بالقبض عليه وحبسه، وذلك لإهماله أمر الوزارة والنظر فى المصالح، لاشتغاله بالخمر فى كل ليلة فيصبح مخموراً لا عقل له، وقد وكل الأمور إلى نوابه فخانوا وعملوا مصالحهم. وولى مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى نيابة عن عليّ بن عيسى، حتى يقدم، ثم أرسل فى طلب عليّ بن عيسى وهو في دمشق، فقدم بغداد فى أبهة عظيمة، فنظر فى المصالح العامة والخاصة، ورد الأمور إلى السداد والاستقامة وتمهدت القواعد. واستدعى بالخصيبى فتهدده ولامه وناقشه على ما كان يعتمده ويفعله فى خاصة نفسه، وفى الأمور العامة، وذلك بحضرة القضاة والأعيان، ثم رده إلى السجن.

وفيها: أخذ نصر بن أحمد السامانى الملقب بالسعيد بلاد الرى وسكنها إلى سنة ست عشرة.

وفيها: غزت الصائفة من بلاد طرسوس بلاد الروم فغنموا وسلموا. ولم يحج ركب العراق خوفاً من القرامطة، لعنهم الله.

(1) «المنتظم» (13/ 255)، و«الكامل» (8/ 162-167).
(2) «المنتظم» (13/ 255).

وممن توفى فيها من الأعيان: سعيد النوبى: صاحب باب النوبى من دار الخلافة ببغداد، توفى فى صفر من هذه السنة، وأقيم أخوه مكانه فى حفظ هذا الباب الذى صار ينسب بعده إليه.

ومحمد بن محمد الباهلى. **ومحمد** بن عمر بن لبابة القرطبى.

ونصر بن القاسم: الفرائضى الحنفى أبو الليث، سمع القواريرى وكان ثقة عالـمًا بالفرائض على مذهب أبى حنيفة، مقرئًا جليلاً.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة

فى صفر منها: كان قدوم عليّ بن عيسى الوزير من دمشق إلى بغداد، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق، فمنهم من لقيه إلى الأنبار، ومنهم من دون ذلك. وحين دخل إلى الخليفة المقتدر خاطبه الخليفة فأحسن مخاطبته ثم انصرف إلى منزله، فبعث وراءه بالفرش والقماش وعشرين ألف دينار، واستدعاه من الغد فخلع عليه، فأنشد وهو فى الخلعة:

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبِها * فكيفما انْقَلَبَت يومًا به انْقَلَبُوا

يُعَظِّمون أخا الدنيا فإن وَثَبَتْ * يومًا عليه بما لا يُشْتَهَى وَثَبُوا

وجاءت الكتب بأن الروم دخلوا سميساط وأخذوا جميع ما فيها، ونصبوا فيها خيمة الملك، وضربوا الناقوس فى الجامع بها، فأمر الخليفة مؤنسًا الخادم بالتجهيز للمسير إليهم، وخلع عليه خلعة سنية. ثم جاءت الكتب بأن المسلمين وثبوا على الروم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا غنائم كثيرة جداً ولله الحمد.(1)

ولما تجهز مؤنس للمسير جاءه بعض الخدم فأعلمه بأن الخليفة يريد أن يقبض عليه إذا دخل لوداعه، وقد حفرت له زبية فى دار الخلافة مغطاة ليتردى فيها، فأحجم عن الذهاب وجاءت الأمراء إليه من كل جانب ليكونوا معه على الخليفة، فبعث إليه المقتدر رقعة بخطه يحلف له فيها أن هذا الأمر الذى بلغه ليس بصحيح. فطابت نفسه وركب إلى دار الخلافة فى غلمان قلائل، فلما دخل على الخليفة خاطبه مخاطبة عظيمة، وحلف له أنه طيب القلب عليه، وله عنده الصفاء الذى يعرفه. وخرج من بين يديه معظماً مكرماً، وركب أبو العباس ابن المقتدر والوزير على بن عيسى ونصر الحاجب فى خدمته لتوديعه، وكبار الأمراء بين يديه مثل الحجبة، وكان خروجه يوماً مشهوداً قاصداً بلاد الثغور لقتال الروم.

وفى جمادى الأولى: قبض على رجل خناق قد قتل خلقاً من النساء، لأنه ادعى أنه يعرف العطف والتنجيم، فقصده النساء لذلك، فإذا انفرد بالمرأة قام إليها فخنقها بوتر وأعانته امرأته على ذلك ثم حفر لها فى داره فدفنها، فإذا امتلأت تلك الدار انتقل عنها إلى غيرها. ولما ظهر عليه وجد فى داره سبع عشرة امرأة قد خنقهن، ثم تتبعت الدور التى سكنها فوجدوا شيئاً كثيراً قد قتل من النساء، فضرب ألف سوط ثم صلب حيًا حتى مات قبحه الله.

وفي هذه السنة: كان ظهور الديلم ببلاد الرى، فكان فيهم ملك غلب على أمرهم يقال له: مرداويج، يجلس على سرير من ذهب وبين يديه سرير من فضة، ويقول: أنا سليمان بن داود. وقد سار فى أهل الرى وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً، فكان يقتل النساء والصبيان فى المهود، ويأخذ أموال الناس، وهو فى غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عز وجل، فقتله الأتراك وأراح الله المسلمين من شره، ولله الحمد والمنة.

(1) «المنتظم» (13/ 260-265)، و«الكامل» (8/ 169-180).

وفي هذه السنة: كانت وقعة عظيمة بين يوسف بن أبى الساج وبين أبى طاهر القرمطى عند الكوفة، سبقه إليها أبو طاهر فحال بينه وبينها، فكتب إليه يوسف بن أبى الساج: اسمع وأطع، وإلا فاستعد للقتال يوم السبت تاسع شوال من هذه السنة، فقال: هلم. فلما تراءى الجمعان استقل يوسف بن أبى الساج وكان معه عشرون ألفاً، جيش القرمطى وكان معه ألف فارس وخمسمائة راجل. فقال: وما قيمة هؤلاء الكلاب؟ وأمر الكاتب أن يكتب بالفتح قبل اللقاء إلى الخليفة، فلما اقتتلوا ثبتت القرامطة ثباتاً عظيماً، ونزل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله فحرَّض أصحابه، وحمل بهم حملة صادقة، فهزموا جند الخليفة، وأسروا يوسف بن أبى الساج، وقتلوا خلقاً كثيراً من جند الخليفة، واستحوذ على الكوفة، وجاءت الأخبار بذلك إلى بغداد. وشاع بين الناس أن القرمطي يريد أن يقصد بغداد ليأخذها، فانزعج المسلمون لذلك وظنوا صدقه، فاجتمع الوزير بالخليفة وقال: يا أمير المؤمنين إن الأموال إنما تدخر لتكون عوناً على قتال أعداء الله، وإن هذا الأمر لم يقع بعد زمن الصحابة أفظع منه، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس، وفتك فى المسلمين مرة بعد مرة، وإن بيت المال ليس فيه شىء، فاتق الله يا أمير المؤمنين، وخاطب السيدة -يعنى أمه- فإن كان عندها مال قد ادخرته لشدة، فهذا وقته. فدخلَ على أمه فكانت هى التى ابتدأته بذلك، وبذلت له خمسمائة ألف دينار، وكان فى بيت المال مثلها، فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها فى تنفيذ الجيوش نحو القرامطة، فجهز الوزير جيشاً أربعين ألفًا مع أمير يقال له: يلبق فأخذوا عليه الطرقات، وكان يريد دخول بغداد، ثم التقوا معه فلم يلبث جيش الخليفة أن انهزم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان يوسف بن أبى الساج معهم مقيداً فى خيمة فجعل ينظر إلى محل الوقعة، فلما رجع القرمطى قال: أردت أن تهرب؟ ثم أمر به فضربت عنقه. ورجع القرمطى من ناحية بغداد إلى الأنبار، ثم انصرف إلى هيت فأكثر أهل بغداد الصدقة، وكذلك الخليفة وأمه والوزير؛ شكراً لله عز وجل على صرفه عنهم هذا الخبيث، ولله الحمد والمنة.

وفي هذه السنة: بعث المهدى المدعى أنه فاطمى الذي ظهر ببلاد المغرب ولده أبا القاسم فى جيش، فانهزم جيشه وقتل من أصحابه خلق كثير.

واختطت في هذه السنة المدينة المحمدية.

وفيها: حاصر عبد الرحمن بن الداخل الأموى مدينة طليطلة، وكانوا مسلمين، لكنهم نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه ففتحها قهراً وقتل خلقاً من أهلها.

وممن توفى فيها من الأعيان: ابن الجصاص الجوهرى: الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى، أبو عبد الله البغدادى، كان ذا مال عظيم وثروة متسعة جدًا، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون، كان قد جعله جوهرياً له يتسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر، فاكتسب بسبب ذلك أموالاً جزيلة جداً. قال ابن الجصاص: كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القهرمانة وبيدها عقد فيه مائة حبة من الجوهر، تساوى كل واحدة ألف دينار. فقالت: أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم. فإن هذا نافر على ما يريدونه. فأخذته منها وذهبت به إلى المنزل، وحصلت جواهر أصغر منها تساوى أقل من عشر قيمة تلك الجواهر بكثير، فدفعتها إليها وفزت أنا بذلك الذى جاءت به. فكانت قيمته مائتى ألف دينار. وقد اتفق أنه صودر فى زمان المقتدر مصادرة عظيمة، أخذ منه فيها ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار،

وبقى معه من الأموال شيء كثير جداً. قال بعضهم: دخلت عليه وهو يتردد في منزله كأنه مجنون، فقلت له: ما لك؟ فقال: ويحك، أخذ مني كذا وكذا فأنا أحس أن روحي ستخرج، فعذرته ثم أخذت في تسليته، فقلت له: إن دارك وبساتينك وضياعك الباقية بك تساوي سبعمائة ألف دينار، وأصدقني كم بقي عندك من الجواهر والمتاع؟ فإذا هو يساوي ثلاثمائة ألف دينار. فقلت له: إن هذا أمر لا يشاركك فيه أحد من التجار ببغداد، مع ما لك من الوجاهة عند الدولة والناس. قال: فسرى عنه وتسلى عما كان عليه وأكل، وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئًا، ولما خلص من مصادرة المقتدر بشفاعة أمه السيدة فيه حكى عن نفسه قال: نظرت في دار الخلافة إلى مائة خيشة، فيها متاع رث مما حمل إليّ من مصر، وهو عندهم بدار مضيعة، وكان لي في كل حمل ألف دينار موضوعة فيه من مصر لا يشعر بها أحد، فاستوهبت ذلك من أم المقتدر فكلمت في ذلك ولدها، فأطلقه لي فتسلمته فإذا الذهب لم ينقص منه شيء.[1] وقد كان مع ذلك مغفلاً شديد التغفل في كلامه وأفعاله، وقد ذكر عنه أشياء تدل على ذلك، وقيل: إنه إنما كان يفعل ذلك ليظهر أنه مغفل، وقيل: إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدعابة، والله تعالى أعلم.

وفيها توفي: عبد الله بن محمد القزويني.

وعلى بن سليمان بن الفضل: أبو الحسن الأخفش، روى عن المبرّد وثعلب واليزيدي وغيرهم، وعنه المرزباني والمعافى وغيرهما. وكان ثقة في نقله فقيراً في ذات يده، توصل إلى أبي عليّ ابن مقلة حتى كلّم فيه الوزير عليّ بن عيسى في أن يُرتب له شيء فلم يجبه إلى ذلك، وضاق به الحال حتى كان يأكل اللفت النيئ فمات فجأة من كثرة أكله وذلك في شعبان من هذه السنة. وهذا هو الأخفش الصغير، والأوسط هو سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، وأما الأكبر فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، من أهل هجر، وهو شيخ سيبويه وأبي عبيدة وغيرهما.

وأبو بكر محمد بن السري: السراج النحوي صاحب الأصول في النحو. قاله ابن الأثير.

ومحمد بن المسيب الأرغياني.

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة

فيها: عاث القرمطي لعنه الله -وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي- في الأرض فساداً، حاصر الرحبة فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقًا كثيراً، وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان فأمنهم، وبعث سرايا إلى ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقاً أيضًا، حتى صاروا إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه، وقرر على الأعراب إتاوة يحملونها إلى هجر في كل سنة، عن كل رأس ديناران. وعاث في نواحي الموصل وسنجار وتلك الديار وقتل وسلب ونهب. فقصده مؤنس الخادم فلم يتواجها، ثم رجع إلى بلده فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة، ودعا إلى المهدي الذي ببلاد المغرب باني المهدية. وتفاقم أمره وكثر أتباعه وصاروا يكبسون القرية من أرض السواد، فيقتلون أهلها وينهبون أموالها، ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يقدر على ذلك وعصمها الله منه. ولما رأى الوزير عليّ بن عيسى ما يفعل هذا الهجري القرمطي ببلاد الإسلام، والخليفة وجيشه ضعفاء عن مقاومته استعفى من الوزارة، وعزل نفسه عنها، فسعى فيها أبو على ابن مقلة الكاتب المشهور، فوليها بسفارة نصر الحاجب وأبي عبد الله البريدي بالباء الموحدة من البريد،

(1) «المنتظم» (13/ 267-268).

ويقال: اليزيدى، لخدمة جده يزيد بن منصور الحميري. ثم جهز الخليفة جيشاً كثيفاً مع مؤنس الخادم، فاقتتلوا مع القرامطة، فقتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرافهم، ودخلوا مع مؤنس الخادم إلى بغداد والأسارى بين يديه وأعلام من أعلامهم بيض منكسة مكتوب عليها: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:5). ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، وطابت أنفس أهل بغداد، وانكسر شر القرامطة الذين كانوا قد نشأوا وكثروا وأظهروا رؤوسهم بأرض العراق، ونهبوا كثيراً من القرى، وفوضوا أمرهم إلى رجل يقال له: حريث بن مسعود لا أسعده الله، ودعوا إلى المهدى الذى ظهر ببلاد المغرب وبنى المهدية جد الخلفاء الفاطميين، وهم أدعياء فيما ذكروا لهم من النسب، كما نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء. كما سيأتى تفصيله وبيانه فى موضعه.(1)

وفيها: وقعت وحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر، وسبب ذلك: أن نازوك أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن غريب -وهو ابن خال المقتدر- فانتصر هارون على نازوك، وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء. فبلغ ذلك مؤنسًا الخادم وهو بالرقة فأسرع الأوبة إلى بغداد، واجتمع بالخليفة فتصالحا، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة فقويت الوحشة بينهما، وانضم إلى مؤنس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك. وهذا كله من ضعف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن وانتشارها.

وفيها: كان مقتل الحسن بن القاسم الداعى العلوى صاحب الرى على يد صاحب الديلم وسلطانهم مرداويج المجرم قبحه الله.

وممن توفى فيها من الأعيان: **بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد**: أبو الحسن الزاهد، ويعرف بالحمال، روى الحديث عن الحسن بن عرفة، وكان يضرب بزهده المثل، وكانت له كرامات كثيرة، ومنزلة كبيرة عند الناس، وكان لا يقبل من السلطان شيئاً، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات وأمره بالمعروف، فأمر به فألقى بين يدى الأسد، فكان الأسد يشمه ويحجم عنه، فأمر برفعه من بين يديه وعظمه الناس جداً، وقد سأله بعض الناس كيف كان حالك وأنت بين يدى الأسد؟ فقال: لم يكن عليّ بأس، قد كنت أفكر فى سؤر السباع أهو طاهر أم نجس؟ قالوا: وجاءه رجل فقال له: إن لى على رجل مائة دينار، وقد ذهبت الوثيقة، وأنا أخشى أن ينكر الرجل، فأسألك الدعاء. فقال له: إنى رجل قد كبرت، وأنا أحب الحلواء، فاذهب فاشتر لى منها رطلاً وأتنى به حتى أدعو لك. فذهب الرجل فاشترى ثم جاء ففتح الورقة التى فيها الحلواء، فإذا هى حجته بالمائة دينار. فقال له الشيخ: أهذه حجتك؟ قال: نعم. قال: خذها وخذ الحلواء فأطعمها صبيانك. ولما توفى خرج أهل مصر فى جنازته تعظيماً لشأنه وإكراماً له.

ومحمد بن خريم، **ومحمد** بن عقيل البلخى. **وأبو بكر** ابن أبى داود السجستانى الحافظ ابن الحافظ رحمهما الله.

وأبو عوانة: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني، صاحب الصحيح المخرج على «صحيح مسلم»، وقد كان من الحفاظ المكثرين، والأئمة المشهورين.

ونصر الحاجب: للخليفة المقتدر وكان من خيار الأمراء، ديناً عاقلاً، أنفق من ماله فى حرب القرامطة مائة ألف دينار، وخرج بنفسه محتسباً فمات فى أثناء الطريق فى هذه السنة.

(1) انظر «المنتظم» (13/ 272-273)، و«الكامل» (8/ 181-199).

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

فيها: كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد بالله أخي المقتدر بالله.

فى المحرم من هذه السنة: اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والخليفة، فالتف الأمراء على مؤنس الخادم، وتفاقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر بالله وتولية محمد بن المعتضد، فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها، ولقبوه القاهر بالله. وذلك ليلة السبت للنصف من المحرم من هذه السنة وقلد أبو على ابن مقلة وزارته، ونهبت دار المقتدر، وأخذوا منها شيئاً كثيراً، ووجد لأم المقتدر ستمائة ألف دينار -قد دفنتها فى قبر بتربتها- فحملت إلى بيت المال، وأخرج المقتدر وأمه وخالته وخواص جواريه من دار الخلافة، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة، وهرب من كان بها من الحجبة والخدم منها. وولى نازوك الحجوبة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة، وألزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتاباً بالخلع من الخلافة، وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء، وسلم الكتاب إلى القاضى أبى عمر محمد بن يوسف، فقال لولده أبي الحسين: احتفظ بهذا الكتاب، فلا يرينه أحد من خلق الله. فلما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه، فشكره على ذلك جداً وولاه قضاء القضاة. ولما كان يوم الأحد السادس عشر من المحرم جلس القاهر بالله فى منصب الخلافة، وجلس بين يديه الوزير أبو على ابن مقلة، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة عوضاً عن المقتدر، وأطلق عليّ بن عيسى من السجن، وزاد فى أقطاع جماعة من الأمراء الذين قاموا بنصره، منهم أبو الهيجاء ابن حمدان.(1)

فلما كان يوم الاثنين جاء الجند فطلبوا أرزاقهم وشغبوا، وسارعوا إلى نازوك فقتلوه، وكان مخموراً، ثم صلبوه. وهرب الوزير ابن مقلة، والحجبة ونادوا: يا مقتدر يا منصور، ولم يكن مؤنس يومئذ حاضراً، وجاءت الجنود إلى بابه يطالبونه بالمقتدر، فأغلق بابه وحاجف دونه خدمه. فلما رأى مؤنس أنه لابد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج، فخاف أن يكون حيلة عليه، ثم تجاسر فخرج فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فسأل عن أخيه القاهر وأبى الهيجاء ابن حمدان ليكتب لهما أماناً، فما كان عن قريب حتى جاءه خادم ومعه رأس أبى الهيجاء قد احتزه وأخرجه من بين كتفيه، وجاء المقتدر بالله فجلس في الدست، واستدعى بالقاهر فأجلسه بين يديه واستدناه إليه، وقبّل بين عينيه، وقال: يا أخى أنت لا ذنب لك، وقد علمت أنك قُهرت، والقاهر يقول: الله الله، نفسى نفسي يا أمير المؤمنين. فقال: وحق رسول الله ﷺ لا جرى عليك منى سوء أبداً. وعاد ابن مقلة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول ببغداد، واستقر المقتدر في الخلافة كما كان، وحمل رأس نازوك وأبى الهيجاء ابن حمدان، فنودى عليهما: هذا جزاء من عصى مولاه. وهرب أبو السرايا ابن حمدان إلى الموصل، وكان ابن نفيس من أشد الناس على المقتدر، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متنكراً فدخل الموصل، ثم صار إلى إرمينية، ثم لحق بمدينة القسطنطينية فتنصر مع أهلها لعنه الله وإياهم، وأما مؤنس فإنه لم يكن فى الباطن على المقتدر، وإنما وافق جماعة الأمراء مكرهاً، ولهذا لما أودع المقتدر فى داره لم ينله منه سوء، بل كان يطيب قلبه، ولو شاء لقتله لـمّا طُلب من داره. فلهذا لما عاد إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات بها عنده، لثقته به. وقرر أبا عليّ ابن مقلة على الوزارة، وولى محمد بن يوسف أبا عمر قضاء القضاة، وجعل محمداً أخاه -وهو القاهر بالله- عند والدته بصفة محتبس عندها، فكانت تحسن إليه غاية الإحسان، وتشترى له السرارى وتكرمه غاية الإكرام.

---

(1) انظر «المنتظم» (13/ 279-281)، و«الكامل» (8/ 200-207).

ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم
وما كان منهم إلى الحجيج لعن الله القرامطة

فيها: خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين، وتوافت الركوب هناك من كل جانب، فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله في المسجد الحرام في الشهر الحرام ثم في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول:

أنا بالله وبالله أنا * يَخْلُقُ الخلقَ وأُفْنِيهم أنا

فكان الناس يفرون فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف، فلما قضى طوافه أخذته السيوف، فلما وجب أنشد وهو كذلك:

ترى المُحبِّين صَرْعَى في ديارِهِمُ * كفتيةِ الكهفِ لا يَدْرُون كم لَبِثوا

ثم أمر القرمطي لعنه الله أن تدفن القتلى ببئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في أماكنهم وحتى في المسجد الحرام، ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة، ولم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصلَّ عليهم لأنهم شهداء في نفس الأمر بل من خيار الشهداء. وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فأراد أن يقتلعه، فسقط على أم رأسه فمات لعنه الله، وصار إلى أمه الهاوية، فانكف اللعين عند ذلك عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضرب الحجر بمثقل في يده وقال: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود -شرفه الله، وكرمه، وعظمه- وأخذوه معهم حين راحوا إلى بلادهم، فكان عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه، كما سنذكره في موضعه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما رجع القرمطي إلى بلاده تبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده، وسأله وتشفع إليه في أن يرد الحجر ليوضع في مكانه، وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يفعل -لعنه الله-، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل وجنده، واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وأموال الحجيج. وقد ألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازيه على ذلك الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد.

وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كانوا كفاراً زنادقة، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنين ببلاد إفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بالمهدي، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وقد كان صباغاً بسلمية يهوديًا، فادعى أنه أسلم ثم سار منها إلى بلاد إفريقية، فادّعى أنه شريف فاطمي، فصدقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة، وصارت له دولة، فملك مدينة سجلماسة، ثم ابتنى مدينة وسماها المهدية، وكان قرار ملكه بها، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه، ويترامون عليه. ويقال: إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له.

وذكر ابن الأثير: أن المهدي هذا كتب إلى أبي طاهر القرمطي يلومه على فعله بمكة حيث سلط الناس على الكلام في عرضهم، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح، وأمره

برد ما أخذ منها، وعوده إليها. فكتب إليه بالسمع والطاعة، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك.(1) وقد أسر بعض أهل الحديث فى أيدى القرامطة، فمكث فى أيديهم مدة، ثم فرج الله عنه، وكان يحكى أن الذى أسره كان يستخدمه فى أشق الخدمة وأشدها، وكان يعربد عليه إذا سكر. فقال لى ذات ليلة وهو سكران: ما تقول فى محمدكم؟ فقلت: لا أدرى. فقال: كان رجلاً سائسًا. ثم قال: ما تقول فى أبى بكر؟ فقلت: لا أدرى. فقال: كان ضعيفاً مهيناً، وكان عمر فظاً غليظاً، وكان عثمان جاهلاً أحمق، وكان عليّ ممخرقاً أليس كان عنده أحد يعلمه ما ادعى أنه فى صدره من العلم، أما كان يمكنه أن يعلم هذا كلمة وهذا كلمة؟ ثم قال: هذا كله مخرقة. فلما كان الغد قال لي: لا تخبر بهذا الذى قلته لك أحداً. رواه ابن الجوزى فى «منتظمه».(2)

وروى عن بعضهم أنه قال: كنت فى المسجد الحرام يوم اقتلع الحجر الأسود إذ دخل رجل وهو سكران راكب على فرسه، فصفر لها حتى بالت في المسجد الحرام فى مكان الطواف، ثم حمل على رجل كان إلى جانبى فقتله، ثم نادى بأعلى صوته: يا حمير أليس قلتم فى بيتكم هذا: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران:97). فأين الأمن؟ قال: فقلت له: أتسمع جوابًا؟ قال: نعم. قلت: إنما أراد الله: فأمنوه. قال: فثنى رأس فرسه وانصرف.(3) وقد سأل بعضهم ههنا سؤالاً. فقال: قد أحلَّ الله عز وجل بأصحاب الفيل – وكانوا نصارى وهؤلاء شر منهم– ما ذكره فى كتابه العزيز حيث يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (سورة الفيل)، ومعلوم أن القرامطة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن عبدة الأصنام، فهلاّ عوجلوا بالعقوبة، كما عوجل أصحاب الفيل؟ وقد أجيب عن ذلك: بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت الحرام، ولما يراد به من التشريف والتعظيم بإرسال النبى الكريم ﷺ ، من البلد الذى كان هذا البيت فيه، ليعلم شرف هذا الرسول الكريم الذي هو خاتم الأنبياء، فلما أراد هؤلاء إهانة هذه البقعة التى يراد تشريفها عما قريب أهلكهم الله سريعاً عاجلاً غير آجل، كما ذكر في كتابه. وأما هؤلاء فكان من أمرهم ما كان بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء من أكبر الملحدين الكافرين، بما تبين من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أخرهم الرب جل جلاله ليوم تشخص فيه الأبصار، والله سبحانه وتعالى يمهل ويملى ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، كما قال رسول الله ﷺ : **«إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»**، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (4) (هود:102)، وقال رسول الله ﷺ : **«لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»**(5). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم:42). وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝١٩٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران:196، 197). وقال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (لقمان:24). وقال: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (يونس:70).

وفيها: وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبى بكر المروزي الحنبلى، وبين طائفة من العامة اختلفوا فى

---

(1) «الكامل» (8/ 208).

(2) «المنتظم» (13/ 282-283).

(3) «المنتظم» (13/ 281-282).

(4) رواه البخارى (4686)، ومسلم (2583).

(5) سبق تخريجه.

تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:79). فقالت الحنابلة: يجلسه معه على العرش. وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى. فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد ثبت فى «صحيح البخارى» أن المراد بذلك: مقام الشفاعة العظمى، يشفع عند الله عز وجل في أن يأتي لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام الذى يرغب إليه فيه الخلق كلهم، حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ويغبطه به الأولون والآخرون.(1)

وفيها: وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش، وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا، وجرت بينهم شرور ثم سكنت. (2)

وفيها: وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بنى سامان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بالسعيد، وخرج فى شعبان خارجىّ بالموصل، وخرج آخر بالبوازيج، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم.

وفيها: التقى مفلح الساجى وملك الروم الدمستق، فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، ولله الحمد.

وفيها: هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رملاً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز، فامتلأت منه البيوت.(3)

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن الحسن بن الفرج بن شقير: أبو بكر النحوى، كان عالماً بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف.

أحمد بن مهدى بن رستم: العابد الزاهد، أنفق فى طلب العلم ثلاثمائة ألف درهم، ومكث أربعين سنة لا يأوى إلى فراش. وقد روى الحافظ أبو نعيم بسنده عنه: أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له: إنى قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي، وأنَّ هذا الحمل منك فاسترنى سترك الله ولا تفضحني. فسكت عنها، فلما وضعت جاءنى أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنئوننى بالولد، فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئاً حلواً وجعلت أرسل إليها مع إمام المسجد كل شهر دينارين صفة نفقة الولد، وأقول: أقرئها منى السلام، فإنه قد سبق منى ما فرق بينى وبينها. فمكثت كذلك سنتين، ثم مات المولود فجاؤونى يعزوننى فيه، فأظهرت التغمم والحزن عليه، ثم جاءتنى المرأة بالدنانير التى كنت أرسل بها إليها، قد جعلتها عندها، فقالت لى: سترك الله وجزاك خيراً، وهذه الدنانير التى كنت ترسل بها. فقلت: يا هذه إنى إنما كنت أرسل بها صلة للولد فخذيها، فافعلى بها ما شئت.(4)

بدر بن الهيثم: ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر، أبو القاسم اللخمي القاضى الكوفى. نزل بغداد وحدّث بها عن أبى كريب وغيره، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة، وكان ثقة نبيلاً، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة. وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة بالكوفة.

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز: ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوى، ويعرف بابن بنت أحمد بن منيع، ولد سنة ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة ومائتين، ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام

(1) البخارى (1475) (4718) (6565).
(2) «الكامل» (8/ 212-213).
(3) انظرها جميعًا فى «الكامل» (8/ 214-215).
(4) ابن الجوزى فى «المنتظم» (13/ 284) من طريق أبى نعيم.

ولم يسمع منه، وسمع من أحمد بن حنبل، وعلى ابن المدينى، ويحيى بن معين، وعلى بن الجعد، وخلف ابن هشام البزار، وخلق، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه منه موسى بن هارون الحافظ فرماه فى دجلة، وقال: أتريد أن تجمع بين الثلاثة؟ وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخًا، وكان ثقة حافظاً ضابطًا، روى عنه الحفاظ وله مصنفات. قال موسى بن هارون الحافظ: كان ابن منيع ثقة صدوقاً، فقيل له: إن ههنا ناساً يتكلمون فيه. فقال: يحسدونه، ابن منيع لا يقول إلا الحق.(1) وقال ابن أبى حاتم وغيره: يدخل فى الصحيح. وقال الدارقطنى: كان البغوى قل ما يتكلم على الحديث، فإذا تكلم كان كلامه كالمسمار فى الساج.(2) وقد ذكره ابن عدى فى «كامله» فتكلم فيه، وقال: حدّث بأشياء أنكرت عليه. وكان معه طرف من معرفة الحديث والتصانيف.(3) وقد انتدب ابن الجوزى للرد على ابن عدى فى هذا الكلام(4)، وذكر أنه توفى ليلة عيد الفطر منها، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهوراً، وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والأسنان، يطأ الإماء. وكانت وفاته ببغداد ودفن بمقبرة باب التبن، رحمه الله وأكرم مثواه.

محمد بن أبى الحسين ابن محمد بن عمار: الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروى، يعرف بابن أبى سعد، قدم بغداد وحدّث بها عن محمد بن عبد الله الأنصارى. وحدّث عنه ابن المظفر الحافظ، وكان من الثقات الأثبات الحفاظ المتقنين، له مناقشات على بضعة وثلاثين حديثاً من «صحيح مسلم». قتلته القرامطة يوم التروية بمكة فى هذه السنة فى جملة من قتلوا، رحمه الله وأكرم مثواه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه.

الكعبى المتكلم: هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى الكعبى، نسبة إلى بنى كعب، وهو أحد مشايخ المعتزلة، وتنسب إليه الطائفة الكعبية منهم. قال القاضي ابن خلكان: كان من كبار المتكلمين، وله اختيارات فى علم الكلام. من ذلك: أنه كان يزعم أن أفعال الله تعالى تقع بلا اختيار منه ولا مشيئة. هكذا أورده عنه وقد خالف الكعبى نص القرآن فى غير ما موضع. قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص:68). وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام:112). وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (السجدة:13). ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:16). إلى غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة بصريح العقل والنقل.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

فيها: عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا على ابن مقلة، فكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مخلد، وجعل عليّ بن عيسى ناظراً معه.(5)

وفى جمادى الأولى منها: أحرقت دار أبى عليّ ابن مقلة، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار، فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد ورصاص وغير ذلك، وصادره الخليفة بمائتى ألف دينار.

وفيها: طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا بدار الخلافة عن بغداد، وذلك أنه لما ردوا المقتدر إلى الخلافة شرعوا ينفسون بكلام كثير عليه، يقولون: من أعان ظالـمًا سلط عليه، ومن أصعد الحمار إلى السطح يقدر

(1) رواه الخطيب فى «تاريخه» (10/ 115)، وابن الجوزى فى «المنتظم» (13/ 287).
(2) «تاريخ بغداد» (10/ 116).
(3) «الكامل» (4/ 1578).
(4) «المنتظم» (12/ 288-289).
(5) «المنتظم» (13/ 291-298)، و«الكامل» (8/ 216-223).

ينزله. فأمر بإخراجهم عن بغداد، ومن أقام منهم عوقب. فأحرقت دور كثيرة من قراباتهم، واحترق بعض نسائهم وأولادهم، فخرجوا منها فى غاية الإهانة، فنزلوا واسطًا وتغلبوا عليها وأخرجوا عاملها منها، فركب إليهم مؤنس الخادم فأوقع بهم بأساً شديداً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فلم تقم لهم بعد ذلك راية.

وفى ربيع الأول منها: عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل، وولى عليها عميه سعيداً ونصراً ابني حمدان. وولاه ديار ربيعة: نصيبين وسنجار والخابور ورأس العين، ومعها ميافارقين وأرزن، ضمن ذلك من الخليفة بمال يحمله فى كل سنة.

وفى جمادى الأولى: خرج رجل ببلاد البوازيج يقال له: صالح بن محمود، فاجتمع عليه جماعة من بنى مالك، ثم سار إلى سنجار فحاصرها فدخلها وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها، وخطب بها خطبة ووعظ فيها وذكر وحذر، فكان فى جملة ما قال: نتولى الشيخين، ونتبرأ من الخبيثين، ولا نرى المسح على الخفين. ثم سار فعاث فى الأرض فساداً. فانتدب له نصر بن حمدان فقاتله فأسر صالح بن محمود ومعه ابنان له. فحمل إلى بغداد فدخلها وقد اشتهر شهرة فظيعة. وخرج آخر ببلاد الموصل فاتبعه ألف رجل، فحاصر أهل نصيبين فخرجوا إليه فاقتتلوا معه، فقتل منهم مائة وأسر ألفاً، ثم باعهم نفوسهم وصادر أهلها بأربعمائة ألف درهم، فانتدب ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فظفر به فأسره وصيره إلى بغداد أيضًا، ولله الحمد.

وفيها: خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش، وأعطاه نيابة فارس وكرمان وسجستان ومكران، وخلع على ابنه أبى العباس الراضى، وجعله نائب بلاد المغرب ومصر والشام، ويكون مؤنس الخادم يسد عنه أمورها.

وحج بالناس في هذه السنة عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمى. وخرج الحجيج بخفارة وبذرقة حتى سلموا فى الذهاب والإياب من القرامطة، ولله الحمد.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن إسحاق: ابن البهلول بن حسان بن أبى سنان، أبو جعفر التنوخى القاضى الحنفى، العدل الثقة، الرضى، وكان فقيهاً ثقة نبيلاً، سمع الحديث الكثير، وروى عن أبى كريب حديثاً واحداً، وكان عالماً بالنحو، فصيح العبارة، جيد الشعر، محموداً فى الأحكام. اتفق أن السيدة أم المقتدر وقفت وقفاً وجعل الحاكم هذا عنده نسخة به فى سلة الحكم، ثم أرادت أن تنقض ذلك الوقف فطلبت الحاكم وأن يحضر معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه، فلما حضر من وراء الستارة فهم المقصود فقال لها: لا يمكن هذا، لأنى خازن المسلمين، فإما أن تعزلونى عن القضاء وتولوا على هذا غيرى، وإما أن تتركوا هذا الذى تريدونه، فلا سبيل إليه وأنا حاكم. فشكته إلى ولدها المقتدر فشفع عنده المقتدر في ذلك، فذكر له صورة الحال. فرجع إلى أمه فقال لها: إن هذا الرجل ممن يرغب فيه، ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به. فرضيت عنه وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك. فقال: من قدم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرهم. وقد كانت وفاته فى هذه السنة، وقد جاوز الثمانين.

يحيى بن محمد بن صاعد: أبو محمد مولى أبى جعفر المنصور، رحل فى طلب الحديث، وكتب وسمع وحفظ، وكان من كبار الحفاظ، وشيوخ الرواية، وكتب عنه جماعة من الأكابر، وله تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه. وكانت وفاته بالكوفة في هذه السنة وله تسعون سنة.

الحسن بن عليّ بن أحمد بن بشار بن زياد: المعروف بابن العلاف الضرير النهروانى، الشاعر المشهور،

وكان أحد سمار الخليفة المعتضد بالله، وله مرثاة طنانة فى هرٍّ له، قتله جيرانه لأكله أفراخ الحمام من أبراجهم. وفيها: آداب ورقة، ويقال: إنه أراد بها رثاء ابن المعتز لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المقتدر بالله حين قتله. وأولها:

يا هِرُّ فارقْتَنا ولم تَعُدِ * وكنتَ عندي بمنزلِ الولدِ

وهى خمسة وستون بيتاً.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

فى المحرم من هذه السنة: دخل الحجيج بغداد، وقد خرج مؤنس الخادم إلى الحج في هذه السنة فى جيش كثيف، خوفاً من القرامطة، ففرح المسلمون بذلك وزينت بغداد يومئذ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم، وقد بلغ مؤنساً فى أثناء الطريق أن القرامطة أمامه، فعدل بالناس عن جادة الطريق، فأخذ بهم فى شعاب وأودية فتاهوا هنالك أياماً، فشاهد الناس هنالك عجائب وغرائب رأوا عظاماً فى غاية الضخامة، وشاهدوا ناساً قد مسخوا حجارة. ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور قد مسخت حجراً، والتنور قد صار حجراً. وحمل مؤنس من ذلك شيئاً كثيراً إلى الحضرة ليصدق ما يخبر به من ذلك. ذكره ابن الجوزى فى «منتظمه»(1). فيقال: إنهم من قوم عاد أو من ثمود، فالله أعلم.

وفيها: عزل المقتدر سليمان بن الحسن الوزير بعد سنة وشهرين وتسعة أيام، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضاً.

وفيها: وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم، بسبب أن الخليفة ولى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت، وكان أميراً على الشرطة أيضًا، فقال مؤنس: إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدول وهذا لا يصلح لها. ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً، وانصلح الحال بينهما. ثم تجددت الوحشة بينهما فى ذى الحجة من هذه السنة، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره.

وفي هذه السنة: أوقع ثمل متولى طرسوس بالروم وقعة عظيمة جدًا، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر نحواً من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئاً كثيراً جداً، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك. وكتب ابن الديرانى الأرمنى إلى الروم يحضهم على الدخول إلى بلاد الإسلام ووعدهم منه النصر والإعانة، فدخلوا فى جحافل كثيرة جداً، وانضاف إليهم الأرمن فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبى الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان، واتبعه خلق كثير من المطوعة، فقصد أولاً بلد ابن الديرانى فقتل من الأرمن نحواً من مائة ألف، وأسر خلقاً كثيراً، وغنم أموالاً جزيلة جدًا. وتحصن ابن الديرانى بقلعة له هنالك، وجاءت الروم فوصلوا إلى سميساط فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون بسعيد بن حمدان نائب الموصل، فسار إليهم مسرعاً، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه أجلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم، ومعهم ابن نفيس المتنصر، وقد كان من أهل بغداد قبل ذلك كما ذكرناه قبل. وركب ابن حمدان فى آثار الروم فدخل بلادهم، فقتل خلقاً كثيراً منهم وغنم أشياء كثيرة.

قال ابن الأثير: فى هذه السنة في شوال جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع فى أسواقها أربعة عشر شبراً،

---

(1) «المنتظم» (13/ 299).

وغرق بسببه أربعمائة دار، وخلق لا يعلمهم إلا الله، حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعاً، لا يعرف هذا من هذا.(1)

قال: وفيها: هاجت بالموصل ريح فيها حمرة ثم اسودّت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه، وظنّ الناس أن القيامة قد قامت، ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم.(2)

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكى: قاضى ثغور الشام، يعرف بابن الصابونى، وكان ثقة نبيلاً، قدم بغداد وحدّث بها.

على بن الحسين بن حرب بن عيسى: أبو عبيد ابن حربويه، القاضي بمصر، تولى القضاء بمصر مدة طويلة جداً، وكان ثقة عالـمًا جليلاً من خيار القضاة وأعدلهم، وكان يتفقه على مذهب أبى ثور، وقد ذكرناه فى «طبقات الشافعية» بما فيه مقنع وكفاية، وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه فى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ورجع إلى بغداد فأقام بها حتى مات بها فى هذه السنة، فى صفر، وصلى عليه أبو سعيد الإصطخرى، ودفن بداره. قال الدارقطنى: حدث عنه أبو عبد الرحمن النسائى فى «الصحيح»، ولعله مات قبله بعشرين سنة. وذكر من جلالته وفضله رحمه الله.(3)

محمد بن الفضل بن العباس: أبو عبد الله البلخى الزاهد، حُكى عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخطُ فيها خطوة لغير الله، ولا نظر فى شىء فاستحسنه حياء من الله عز وجل، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يُمْلِ على ملكيه قبيحاً.

محمد بن سعد أبو الحسين الوراق: صاحب أبى عثمان النيسابورى، وكان فقيهًا يتكلم على المعاملات. ومن جيد كلامه قوله: من غض بصره عن محرّم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدى بها سامعوه، ومن غض بصره عن شبهة نوّر الله قلبه بنور يهتدى به إلى طريق مرضاته.

يحيى بن عبد الله بن موسى: أبو زكريا الفارسى، كتب بمصر عن الربيع بن سليمان، وكان ثقة صدوقًا حسن الصلاة عدلاً عند الحكام.

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة

فيها: كان مقتل الخليفة المقتدر بالله، وكان سبب ذلك: أن مؤنسًا الخادم خرج من بغداد فى المحرم من هذه السنة مغاضباً الخليفة فى مماليكه وحشمه، متوجهاً نحو الموصل، وردّ من أثناء الطريق مولاه بشرى إلى المقتدر ليستعلم له، وبعث معه رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين. فلما وصل أمره الوزير الحسين بن القاسم -وكان من أكبر أعداء مؤنس- بأن يؤديها إليه فامتنع من أدائها إلا إلى الخليفة، فأحضره بين يديه فأمره بأن يقولها للوزير فامتنع، وقال: ما أمرنى صاحبى بهذا، فشتمه الوزير وشتم صاحبه، وأمر بضربه ومصادرته بثلاثمائة ألف دينار، وأخذ خطه بها، وأمر بنهب داره، ثم أمر الوزير بالقبض على أقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه. فحصل من ذلك مال عظيم، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر، ولقبه عميد الدولة، وضرب اسمه على الدراهم والدنانير، وتمكن من الأمور جدًا، فعزل وولى، وقطع ووصل، وفرح بنفسه حيناً قليلاً. وأرسل إلى هارون بن غريب فى الحال، وإلى محمد بن ياقوت يستحضرهما إلى الحضرة عوضًا عن

(1، 2) ابن الأثير فى «الكامل» (8/ 235-236).
(3) «تاريخ بغداد» (11/ 397).

مؤنس، فصمم المظفر مؤنس فى مسيره إلى الموصل، وجعل يقول لأمراء الأعراب: إن الخليفة قد ولانى الموصل وديار ربيعة. فالتف عليه خلق كثير، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة، وله إليهم قبل ذلك أياد سابغة.(1) وقد كتب الوزير إلى آل حمدان -وهم ولاة الموصل وتلك النواحى- يأمرهم بمحاربة مؤنس الخادم فركبوا إليه فى ثلاثين ألفاً، وواجههم مؤنس فى ثمانمائة من مماليكه وخدمه، فهزمهم ولم يقتل منهم سوى رجل واحد، يقال له: داود، كان من أشجعهم، وقد كان مؤنس ربّاه وهو صغير. ودخل مؤنس الموصل فقصدته العساكر من كل جانب يدخلون فى طاعته، لإحسانه إليهم قبل ذلك، من أهل بغداد والشام ومصر ومن الأعراب، حتى صار فى جحافل من الجنود.

وأما الوزير الحسين بن القاسم فإنه ظهرت خيانته وعجزه فعزله المقتدر فى ربيع الآخر، وولى مكانه الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، فكان آخر وزراء المقتدر. وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر، ثم ركب فى الجيوش فى شوال قاصداً بغداد ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد وإنصافهم، فسار -وقد بعث بين يديه الطلائع- حتى جاء فنزل بباب الشماسية من بغداد، وقابله عنده ابن ياقوت وهارون بن غريب عن كره منه. وأشير على الخليفة أن يستدين من والدته ما ينفق فى الأجناد، فقال: لم يبقَ عندها شىء، وعزم الخليفة على الهرب إلى واسط، وأن يترك بغداد لمؤنس حتى يتراجع أمر الناس ثم يعود إليها، فرده عن ذلك ابن ياقوت وأشار عليه بمواجهة مؤنس وأصحابه، فإنهم متى ما رأوه كروا كلهم إليه وتركوا مؤنساً. فركب وهو كاره وبين يديه الفقهاء ومعهم المصاحف المنشرة، وعليه البرد والناس حوله، فوقف على تل عال بعيد من المعركة ونودى فى جيشه: من جاء برأس فله خمسة دنانير، ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير. ثم بعث إليه أمراؤه يعزمون عليه أن يتقدم فامتنع من التقدم إلى محله المعركة، ثم ألحوا عليه فجاء بعد تمنع شديد، فما وصل إليهم حتى انهزموا وفروا راجعين، ولم يلتفتوا إليه ولا عطفوا عليه، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس عليّ بن يلبق، فلما رآه ترجّل وقبّل الأرض بين يديه، وقال: لعن الله من أشار عليك بالخروج فى هذا اليوم. ثم وكل به قوماً من المغاربة البربر، فلما تركهم وإياه شهروا عليه السلاح، فقال لهم: ويلكم أنا الخليفة. فقالوا: قد عرفناك يا سفلة، إنما أنت خليفة إبليس، تنادى فى جيشك من جاء برأس فله خمسة دنانير ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير؟ وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض، وذبحه آخر وتركوا جثته، وقد سلبوه كل شىء كان عليه، حتى سراويله، وبقى مكشوف العورة مجدلاً على الأرض، حتى جاء رجل فغطى عورته بحشيش ثم دفنه فى موضعه وعفا أثره، وأخذت المغاربة رأس المقتدر على خشبة قد رفعوها وهم يلعنونه، فلما انتهوا به إلى مؤنس -ولم يكن حاضراً الوقعة- فحين نظر إلى رأس المقتدر لطم رأسه ووجهه، وقال: ويلكم، لم آمركم بهذا، لعنكم الله، قتلتموه والله لنقتلن كلنا. ثم ركب ووقف عند دار الخلافة حتى لا تنهب، وهرب عبد الواحد بن المقتدر وهارون بن غريب وابنا رائق إلى المدائن، وكان صنيع مؤنس هذا سبباً لطمع أصحاب الأطراف فى الخلفاء، وضعف أمر الخلافة جداً، مع ما كان المقتدر يعتمده من التبذير والتفريط فى الأموال، وطاعة النساء، وعزل الوزراء، حتى قيل: إن جملة ما صرفه فى الوجوه الفاسدة والتبذير ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار.

---

(1) «المنتظم» (13/ 305)، و«الكامل» (8/ 237).

وهذه ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين

هو جعفر أمير المؤمنين المقتدر بالله بن المعتضد بالله أحمد بن أبى أحمد الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يكنى أبا الفضل العباسى، مولده فى ليلة الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومائتين، وأمه أم ولد اسمها شغب، لقبت فى خلافة ولدها بالسيدة. بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفى يوم الأحد لأربع عشرة مضت من ذى القعدة، سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام. ولهذا أراد الجند خلعه فى ربيع الأول من سنة ست وتسعين محتجين بصغره وعدم بلوغه، وتولية عبد الله بن المعتز، فلم يتم ذلك، وانتقض الأمر فى ذلك اليوم كما ذكرنا. ثم لما كان شهر الله المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة، أحضره مؤنس واجتمع الأمراء والقواد وألزموه بخلع نفسه، وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة ولقبوه القاهر، فلم يتم ذلك سوى يومين، ثم رجع المقتدر إلى الخلافة كما ذكرنا. وقد كان المقتدر بالله ربعة من الرجال حسن الوجه والعينين، بعيد ما بين المنكبين، حسن الشعر، مدور الوجه، مشرباً بحمرة، حسن الخلق، قد شاب رأسه وعارضاه، وقد كان كريمًا جوادًا ممدحًا له عقل جيد، وفهم وافر، وذهن صحيح. وقد كان كثير التحجب والتوسع فى النفقات، وزاد فى رسوم الخلافة وأمور الرياسة، وما زاد شىء إلا نقص. كان فى داره أحد عشر ألف خادم خصى، غير الصقالبة والروم والسودان، وكان له دار يقال لها: دار الشجرة فيها من الأثاث والأمتعة شىء كثير جداً، كما ذكرنا ذلك فى سنة خمس وثلاثمائة، حين قدم رسول ملك الروم. وقد ركب المقتدر يوماً فى حراقة، وجعل يستعجل الطعام فأبطأوا به فقال لملاح حراقته: ويلك أعندك شىء نأكله؟ قال: نعم، فأتاه بشىء من لحم الجدى وخبز حسن وملوحات وغير ذلك. فأعجبه ثم استدعاه فقال: هل عندك شىء من الحلواء، فإنى لا أحس بالشبع حتى آكل شيئاً من الحلواء. فقال: يا أمير المؤمنين إنما حلاوتنا التمر والكسب. فقال: هذا شىء لا أطيقه. ثم جىء بطعامه فأكل منه وأوتى بالحلواء فأكل وأطعم الملاحين، وأمر بترتيب حلاوة تعمل في كل يوم تكون فى الحراقة بنحو مائتي درهم، إذا اتفق ركوبه فيها يأكل منها، فكان الملاح يأخذ ذلك فى كل يوم مدة سنين متعددة، ولم يتفق ركوب المقتدر فيها مرة أخرى.

وقد أراد بعض خواصه أن يطهر ولده فعمل أشياء هائلة ثم طلب من أم الخليفة أن يعار القرية التى عملت فى طهور المقتدر من فضة ليراها الناس فى هذا المهم، فتلطفت أم المقتدر عنده حتى أطلقها له بالكلية، وكانت صفة قرية من القرى كلها من فضة، بيوتها وأهاليها وأبقارها وأغنامها وجمالها، وخيولها وزروعها، وثمارها وأنهارها، وما يتبع ذلك مما يكون فى القرى، الجميع من فضة مصوَّر. وأمر بنقل سماطه إلى دار هذا الرجل، وأن لا يكلف شىء من المطاعم سوى سمك طرى، فاشترى الرجل بثلاثمائة دينار سمكاً، وكان جملة ما أنفق الرجل على سماط المقتدر يومئذ ألفًا وخمسمائة دينار، وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف، وكان كثير التنفلّ بالصلاة والصيام والعبادة، ولكنه كان مؤثراً لشهواته، مطيعاً لخطياته كثير التلون والولاية والعزل. وما زال ذلك دأبه حتى كان هلاكه على يدى مؤنس الخادم كما ذكرنا، فقتل عند باب الشماسية لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة -أعنى سنة عشرين وثلاثمائة- وله

من العمر ثمان وثلاثون سنة وشهر وخمسة أيام، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً، فكان أكثر مدة ممن تقدمه من الخلفاء.(1)

خلافة القاهر

لما قتل المقتدر بالله -كما ذكرنا- عزم مؤنس الخادم على تولية أبى العباس ابن المقتدر بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر، فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء، فقال له أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختى: بعد التعب والكد نبايع لخليفة له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن؟ ثم أحضر محمد بن المعتضد -وهو أخو المقتدر- فبايعه القضاة والأمراء والوزراء، ولقبوه القاهر بالله، وذلك فى سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة سنة عشرين وثلاثمائة، واستوزر له أبو على ابن مقلة، ثم أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم أبو العباس ابن الخصيب. وشرع القاهر فى مصادرة أصحاب المقتدر وتتبع أولاده، واستدعى بأم المقتدر وهى مريضة بالاستسقاء، وقد تزايد بها الوجع من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتله، وكيف بقى مكشوف العورة. فبقيت أياماً لا تأكل شيئاً، ثم وعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيرًا من الخبز والملح، ومع هذا كله استدعى بها القاهر فقررها على أموالها فذكرت له ما يكون للنساء من الحلى والمصاغ والثياب، ولم تقرّ بشىء من الأموال والجواهر، وقالت له: لو كان عندى من هذا شىء ما سلمت ولدى. فأمر بضربها وعلقت برجليها ومسها بعذاب شديد من العقوبة، وأشهدت على نفسها ببيع أملاكها، فأخذه الجند مما يحاسبون به من أرزاقهم. وأرادها على بيع أوقافها فامتنعت من ذلك وأبت أشد الإباء. واستدعى القاهر بجماعة من أولاد المقتدر منهم أبو العباس الراضي وهارون والعباس وعليّ والفضل وإبراهيم، فأمر بمصادرتهم وحبسهم، وسلمهم إلى حاجبه على بن يلبق، وتمكن الوزير أبو على ابن مقلة فعزل وولى، وأخذ وأعطى أياماً، ومنع بني البريدى من أعمالهم.(2)

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن عمير بن جوصاء أبو الحسن الدمشقى: أحد المحدثين الحفاظ، والرواة الأيقاظ.

إبراهيم بن محمد بن عليّ بن بطحاء بن عليّ بن مقلة: أبو إسحاق التميمى، المحتسب ببغداد، روى عن عباس الدورى وعلى بن حرب وغيرهما، وكان ثقة فاضلاً. مرَّ يوماً على باب القاضى أبى عمر محمد بن يوسف، والخصوم عكوف على بابه والشمس قد ارتفعت عليهم، فبعث حاجبه إليه يقول له: إما أن تخرج فتفصل بينهم، وإما أن تبعث فتعتذر إليهم إن كان لك عذر حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت.

أبو عليّ ابن خيران: الفقيه الشافعى، أحد أئمة المذهب، هو الحسين بن صالح بن خيران أبو عليّ الفقيه الكبير الورع البارع. عرض عليه منصب القضاء فلم يقبل، فختم الوزير على بن عيسى على بابه فبقى كذلك ستة عشر يوماً، ولم يجد أهله ماء إلا من بيوت الجيران، وهو مع ذلك كله يتمنع عليه وعليهم، ولم يل لهم شيئًا. فقال الوزير: إنما أردنا أن نعلم الناس أن ببلدنا وفى مملكتنا من عرض عليه قضاء القضاة شرقًا وغربًا فلم يقبل. وقد كانت وفاته فى ذى الحجة من هذه السنة، وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعية» بما فيه كفاية، رحمه الله.

---

(1) راجع «تاريخ بغداد» (7/ 213)، و«المنتظم» (13/ 63)، و«السير» (15/ 43).
(2) «المنتظم» (13/ 305-306)، و«الكامل» (8/ 244).

عبد الملك بن محمد بن عدى: الفقيه الاسترابادى، أحد أئمة المسلمين والحفاظ المحدثين، وقد ذكرناه أيضًا فى «طبقات الشافعية».

القاضى أبو عمر المالكى: محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد، أبو عمر: القاضى ببغداد ومعاملاتها فى سائر البلاد، كان من أئمة الإسلام علماً ومعرفة، وفصاحة وبلاغة، وعقلاً ورياسة، بحيث كان يضرب بعقله وحلمه المثل. وقد روى الكثير عن المشايخ، وحدث عنه الدارقطنى وغيره من الحفاظ، وحمل الناس عنه علماً كثيراً من الفقه والحديث، وقد جمع له قضاء القضاة فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة. وجمع مسنداً حافلاً، وكان إذا جلس للتحديث جلس أبو القاسم البغوى عن يمينه وهو قريب من سن أبيه، وعن يساره ابن صاعد، وبين يديه أبو بكر النيسابورى، وسائر الحفاظ حول سريره من كل جانب. قالوا: ولم ينتقد عليه حكم من أحكامه أخطأ فيه.

قلت: وكان من أعظم صواب أحكامه قتله الحسين بن منصور الحلاج قبحه الله وأخزاه وذلك فى سنة تسع وثلاثمائة كما تقدم. وقد كان جميل الأخلاق، حسن المعاشرة، اجتمع يومًا عنده أصحابه فجىء بثوب فاخر ليشتريه بنحو من خمسين ديناراً، فاستحسنه الحاضرون، فاستدعى بالقلانسى، وأمره أن يقطع ذلك الثوب قلانس بعدد الحاضرين. وله مناقب ومحاسن رحمه الله تعالى.

وكانت وفاته فى رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة، وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لى بدعوة الرجل الصالح إبراهيم الحربى، رحمهما الله.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

فى صفر منها: أحضر الخليفة رجلاً كان يقطع الطريق بدجلة فضرب بين يديه ألف سوط، ثم ضربت عنقه وقطعت أيدى أصحابه وأرجلهم.

وفيها: أمر القاهر بالله بإبطال الخمور والمغانى والقيان، وأمر ببيع الجوارى المغنيات في سوق النخس، على أنهن سواذج. قال ابن الأثير: وإنما فعل القاهر ذلك لأنه كان محباً للغناء فأراد أن يشتري الجواري المغنيات بأرخص الأثمان، نعوذ بالله من هذه الأخلاق.(1)

وفيها: أشاعت العامة بينهم بأن الحاجب على بن يلبق يريد أن يلعن معاوية على المنابر، فلما بلغ ذلك الحاجب بعث إلى رئيس الحنابلة أبى محمد البربهاري الواعظ ليقابله على ذلك، فهرب واختفى، فأمر بجماعة من أصحابه فحدروا إلى البصرة.

وفيها: عظم الخليفة وزيره أبا على ابن مقلة وخاطبه بالاحترام والإكرام. ثم إن الوزير ومؤنساً الخادم وعلى بن يلبق وجماعة من الأمراء اشتوروا فيما بينهم على خلع القاهر بالله وتولية أبى أحمد ابن المكتفى، وبايعوه فيما بينهم سراً، وضيقوا على القاهر بالله فى رزقه، ومن يجتمع به. وأرادوا القبض عليه سريعاً. فبلغ ذلك الخليفة على يدي طريف السبكري فسعى فى القبض عليهم، فوقع فى مخالبه الأمير الكبير المظفر مؤنس الخادم. وأمر بحبسه قبل أن يراه والاحتياط على دوره وأملاكه -وكانت فيه عجلة وجرأة وهوج وخرق شديد- وجعل فى منزلته إمرة الأمراء ورياسة الجيش طريفاً السبكري، وقد كان أحد الأمراء

(1) «المنتظم» (13/ 316-318)، و«الكامل» (8/ 248-274).

عند مؤنس الخادم قبل ذلك. وقبض على يلبق، واختفى ولده عليّ بن يلبق، وكذا هرب الوزير أبو عليّ ابن مقلة فاستوزر بدله أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فى مستهل شعبان، وخلع عليه وأمر بتحريق دار أبي عليّ ابن مقلة، ووقع النهب ببغداد، وهاجت الفتنة، وأمر القاهر بأن يجعل أبو أحمد ابن المكتفى بين حائطين ويسد عليه بالآجر والكلس، وهو حى فمات. وأرسل إلي المختفين فنادى: إن من أخفاهم خربت داره. فوقع بعلى بن يلبق فقتله ذبح بين يديه كما تذبح الشاة، فأخذ رأسه فى طست ودخل القاهر بنفسه على أبيه يلبق، فوضع الرأس بين يديه، فلما رآه بكى وأخذ يقبله ويترشفه، فأمر بذبحه أيضاً فذبح، ثم أخذ الرأسين فى طستين فدخل بهما على مؤنس الخادم، فلما رآهما تشهد ولعن قاتلهما، فقال القاهر عند ذلك: جروا برجل الكلب، فأخذ فذبح أيضاً وأخذ رأسه فوضع فى طست وطيف بالرؤوس فى بغداد. ونودى عليهم: هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى فى الدولة فساداً. ثم أعيدت الرؤوس إلى خزائن السلاح.

وفى ذى القعدة: قبض القاهر على الوزير أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وسجنه، وكان مريضاً بالقولنج، فبقى ثمانية عشر يوماً ومات، فكانت وزارته ثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً، واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبى، ثم قبض على طريف السبكري وسجنه. فلم يزل السبكري فيه حتى خلع القاهر.

وفيها: جاء الخبر بموت تكين الخاصة بديار مصر، وأن ابنه محمداً قد قام بالأمر بعده فيها، وسارت الخلع إليه من القاهر بالله تنفيذاً لولايته واستقرارها.

ذكر ابتداء أمر بني بويه وظهور دولتهم في هذه السنة

وهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة أبو الحسن على، وركن الدولة أبو على الحسن، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد، أولاد أبى شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهى بن شيرزيل الأصغر بن شيركنده بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفنه بن سستان شاه بن سيس بن فيروز بن شروزيل بن سسناذر بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك بن سابور ذى الأكتاف الفارسى. كذا نسبهم الأمير أبو نصر ابن ماكولا فى كتابه. وإنما قيل لهم: الديالمة، لأنهم جاوروا الديلم، وكانوا بين أظهرهم مدة، وقد كان أبوهم أبو شجاع بويه فقيراً مدقعاً، يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب على رؤوسهم، فماتت امرأته وخلفت له هؤلاء الأولاد الثلاثة، فحزن عليها، فبينما هو ذات يوم عند بعض أصحابه وهو شهريار بن رستم الديلمى، إذ مرّ منجم فاستدعاه فقال له: إنى رأيت مناماً غريبًا، رأيت كأنى أبول فخرج من ذكرى نار عظيمة حتى كادت تبلغ عنان السماء، ثم انفرقت ثلاث شعب ثم انتشرت كل شعبة إلى شعب كثيرة، فأضاءت الدنيا بتلك النار، ورأيت البلاد والعباد قد خضعت لهذه النار. فقال له: المنجم هذا منام عظيم لا أفسره لك إلا بمال جزيل. فقال: والله لا شىء عندى أعطيك، ولا أملك غير فرسى هذه. فقال: هذا يدل على أنه يملك من صلبك ثلاثة ملوك، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة. فقال له: ويحك أتسخر بى؟ وأمر بنيه فصفعوه ثم أعطاه عشرة دراهم. فقال لهم المنجم: اذكروا هذا إذا قدمت عليكم وأنتم ملوك وخرج وتركهم.

وهذا من أعجب الأشياء، وذلك أن هؤلاء الإخوة الثلاثة كانوا عند ملك يقال له: ماكان بن كالي، فى بلاد طبرستان، فتسلط عليه مرداويج فضعف أمر ماكان، فشاوروه فى مفارقته حتى يكون من أمره خير، فخرجوا عنه ومعهم جماعة من الأمراء، فصاروا إلى مرداويج فأكرمهم واستعملهم على الأعمال فى

البلدان. فأعطى عماد الدولة على بن بويه نيابة الكرج، فأحسن فيها السيرة والتف عليه الناس وأحبوه، فحسده مرداويج وبعث إليه يعزله عنها، ويستدعيه إليه فامتنع من القدوم عليه، وصار إلى أصبهان فحاربه نائبها فقهره عماد الدولة، واستولى عليها. وإنما كان معه تسعمائة فارس، فرَّد بها عشرة آلاف، وعظم فى أعين الناس. فلما بلغ ذلك مرداويج قلق منه، وأرسل إليه جيشاً فأخرجوه من أصبهان، وقصد أرجان فأخذها من نائبها وحصل له من الأموال شىء كثير جداً، ثم أخذ بلداناً كثيرة، واشتهر أمره وبَعُد صيته وحسنت سيرته. واجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير، وقد آل بهم الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدى الخلفاء العباسيين، لهم القطع والوصل، والولاية والعزل، وإليهم تجبى الأموال، ويرجع إليهم فى سائر الأمور والأحوال، على ما سنذكر ذلك مبسوطًا، والله المستعان والمحمود على كل حال.(1)

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك: أبو جعفر الطحاوى، نسبة إلى طحا، وهي قرية بصعيد مصر، الفقيه الحنفى صاحب المصنفات المفيدة، والفوائد، وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة. وهو ابن أخت المزنى، رحمهما الله. وكانت وفاته فى مستهل ذى القعدة من هذه السنة عن اثنتين وثمانين سنة. وذكر أبو سعد السمعانى: أنه ولد فى سنة تسع وعشرين ومائتين، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين(2)، والله أعلم. وذكر ابن خلكان فى «الوفيات»: أن سبب انتقاله إلى مذهب أبى حنيفة ورجوعه عن مذهب خاله المزنى، أن خاله قال له يوماً: والله لا يجيء منك شيء. فغضب واشتغل على أبى جعفر ابن أبى عمران الحنفى، حتى برع وفاق أهل زمانه، وصنف كتبًا كثيرة منها: «أحكام القرآن»، و«اختلاف العلماء»، و«معانى الآثار»، و«التاريخ الكبير». وله فى الشروط كتاب، وكان بارعاً فيها. وقد كتب للقاضى أبى عبيد الله محمد بن عبدة وعدله القاضى أبو عبيد ابن حربويه، وكان يقول: رحم الله المزنى، لو كان حياً لكفّر عن يمينه(3)، وكانت وفاته فى مستهل ذى القعدة. ودفن بالقرافة، وقبره مشهور بها رحمه الله تعالى. وترجمه ابن عساكر وذكر: أنه قدم دمشق سنة ثمان وستين ومائتين، وأخذ الفقه عن قاضيها أبى خازم رحمه الله.

أحمد بن محمد بن موسى بن النضر بن حكيم بن عليّ بن زربى: أبو بكر ابن أبي حامد، صاحب بيت المال. سمع عباسًا الدوري وخلقًا، وعنه الدارقطني وغيره، وكان ثقةً صدوقًا، جوادًا ممدحًا، اتفق في أيامه أن رجلاً من أهل العلم كانت له جارية يحبها حبًا شديدًا، فركبته ديونٌ كثيرةٌ اقتضى الحال أن باع تلك الجارية في الدين، فلما قبض ثمنها ندم ندامةً عظيمةً جدًا، وبقي متحيرًا في أمره، فباعها الذي كانت عنده، فبلغ سيدها أن الجارية قد اشتراها ابن أبي حامد صاحب بيت المال، فتشفع إليه ببعض أصحابه في أن يردها إليه بثمنها، فلما قال له ذلك لم يكن عنده شعور بها، وذلك أن امرأته كانت اشترتها له، ولم تعلمه بعد بأمرها حتى تحل من استبرائها، وكان ذلك اليوم آخره، فلبّسوها الحلي والمصاغ، وصنعوها له، وحين شفع عنده في أمرها بُهت؛ لعدم علمه بها، ثم دخل يستكشف خبرها من منزله، فإذا بها قد هيئت له وزخرفت، ففرح فرحًا شديدًا إذ وجدها، من أجل ذلك الرجل، فأخرجها معه وهو يظهر السرور، فقال لسيدها: هذه جاريتك؟ فلما رآها اضطرب كلامه، واختلط في عقله مما رأى من حسن منظرها وهيئتها،

(1) راجع «الكامل» (8/ 264-272).
(2) «الأنساب» (4/ 53).
(3) «الوفيات» (1/ 71).

وقال: نعم. قال: خذها، بارك الله لك فيها. ففرح الفتى فرحًا شديدًا، وقال: يا سيدي، تأمر من يحمل معي المال؟ فقال: لا حاجة لي به، وأنت في حل منه، فإني أخشى إن لم يبقَ معك شيء أن تبيعها ثانيةً ممن لا يردها عليك، فقال: يا سيدي، فهذا الحليُ والمصاغُ الذي عليها؟ فقال: هذا شيء وهبناه لها لا نعود فيه أبدًا، فاشتد فرح الفتى، وأخذها معه، فلما ودع ابن أبي حامد قال للجارية: أيما كان أحب إليك؛ نحن أو سيدك هذا؟ فقالت: أما أنتم فأغنيتموني، فجزاكم الله خيرًا، وأما سيدي هذا فلو أني ملكت منه ما ملك مني لم أبعه بالأموال الجزيلة، فاستحسن الحاضرون ذلك من قولها مع صغر سنها.(1)

شغب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة: كان دخل أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار، وكانت تتصدق بأكثر ذلك على الحجيج في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم، وتسهيل الطرقات والموارد. وكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام خلافة ولدها، فلما قتل كانت مريضة فزادها مرضًا إلى مرضها، ولما استقرَّ أمر القاهر في الخلافة -وهو ابن زوجها المعتضد وأخو ابنها، وقد كانت حضنته حين توفيت أمه، وخلصته من ابنها لما كان مؤنس قد بايعه ولم يتم ذلك- عاقبها القاهر عقوبةً عظيمةً جدًا، حتي كان يعلقها برجلها ورأسها منكوس، فربما بالت فينحدر على وجهها، ليقررها على الأموال التي في يدها، فلم يجد لها شيئًا سوى ثيابها ومصاغها وحليها في صناديق لها، قيمتها مائة ألف وثلاثون ألف دينار، وجميع ما كان يدخلها تتصدق به، ووقفت شيئًا كثيرًا، ولكن كان لها أملاك أمر ببيعها، وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها، فامتنع الشهود من أداء الشهادة حتى يحلوها، فرفع الستر بإذن الخليفة، فقالوا لها: أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر؟ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت: نعم. وكتبوا حليتها؛ عجوز، سمراء اللون، دقيقة الجبين. وبكى الشهود وتفكروا في تقلب الزمان، وتنقل الحدثان. وكانت وفاتها في جمادى الأولى من هذه السنة، ودفنت بالرصافة، رحمها الله.(2)

عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وهو أبو هاشم ابن أبى عليٍّ الجبائى، المتكلم ابن المتكلم، المعتزلى ابن المعتزلى، وإليه تنسب البهشمية من المعتزلة، وله مصنفات فى الاعتزال كما لأبيه من قبله، مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، وتوفى فى شعبان من هذه السنة.

قال القاضي ابن خلكان: وكان له ابن يقال له: أبو على. دخل يومًا على الصاحب ابن عباد فأكرمه واحترمه، وسأله عن شيء، فقال: لا أعرف: نصف العلم. فقال: صدقت، وسبقك أبوك إلى النصف الآخر!(3)

محمد بن الحسن بن دُريد بن عتاهية أبو بكر ابن دريد الأزدى اللغوى النحوى: الشاعر صاحب المقصورة، ولد بالبصرة فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتنقل فى البلاد لطلب العلم والأدب، وكان أبوه من ذوى اليسار، وقدم بغداد وقد أسن، فأقام بها إلى أن توفي. روى عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى، وأبى حاتم، والرياشى. وعنه أبو سعيد السيرافى، وأبو بكر ابن شاذان، وأبو عبيد الله المرزباني وغيرهم. ويقال: كان أعلم الشعراء وأشعر العلماء. وقد كان متهتكًا فى الشراب، قال أبو منصور الأزهرى: دخلت عليه فوجدته سكران، فلم أعد إليه.

(1) «تاريخ بغداد» (5/ 91)، و«المنتظم» (13/ 318).
(2) «المنتظم» (13/ 321).
(3) «الوفيات» (3/ 183).

وسئل عنه الدارقطني فقال: تكلموا فيه. وقال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى، وقد جاوز التسعين وقارب المائة. وكانت وفاته في يوم الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من شعبان.(1)

وفي هذا اليوم كانت وفاة أبي هاشم ابن أبي عليٍّ، فصلى عليهما معًا، ودفنا في مقبرة الخيزرانية، وقال الناس: مات اليوم علم اللغة، وعلم الكلام. وكان ذلك يومًا مطيرًا. ومن مصنفات ابن دريد: «الجمهرة» في اللغة، في نحو عشر مجلدات، وكتاب «المطر»، والمقصورة، والقصيدة الأخرى في المقصور والممدود، وغير ذلك، سامحه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة

فيها: قصد ملك الروم ملطية في خمسين ألفاً، فحاصرها ثم أعطاهم الأمان حتى تمكن منهم، فقتل خلقاً كثيراً وأسر ما لا يحصون كثرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.(2)

وفيها: وردت الأخبار بأن مرداويج قد تسلم أصبهان، وانتزعها من علي بن بويه، وأن عليًّ بن بويه توجه إلى أرجان فأخذها، وقد أرسل ابن بويه إلى الحضرة الخليفية بالطاعة والمعونة، وإن أمكن أن يقبل العتبة الشريفة ويحضر بين يدي الخليفة إن رسم، أو يذهب إلى شيراز فيكون مع ياقوت. ثم اتفق الحال بعد ذلك أن صار إلى شيراز، وأخذها من نائبها ياقوت بعد قتال عظيم ظفر فيه ابن بويه بياقوت وأصحابه، فقتل منهم خلقًا، وأسر جماعة، فلما تمكن أطلقهم، وأحسن إليهم، وخلع عليهم، وعدل في الناس.

وكانت معه أموال كثيرةٌ قد استفادها من أصبهان، وقبلها من الكرج ومن همذان وغيرها. إلا أنه كان كريمًا جوادًا معطاءً للجيوش الذين قد التفوا عليه، ثم إنه أملق في بعض الأحيان وهو بشيراز، وطالبه الجند بأرزاقهم، وخاف أن ينحل نظام أمره، فاستلقى يومًا على قفاه مفكرًا في أمره، وإذا حية قد خرجت من سقف المكان الذي هو فيه، ودخلت في آخر، فأمر بنزع تلك السقوف، فوجد هنالك مكانًا فيه من الذهب شيء كثير جدًا نحو من خمسمائة ألف دينار، فأنفق في جيشه ما أراد، وبقي عنده شيء كثير.

وركب ذات يوم يتفرج في خراب البلد، وينظر إلى أبنية الأوائل، ويتعظ بمن كان قبله، فانخسفت الأرض من تحت قائمة جواده، فأمر فحفر هنالك فوجد من الأموال شيئًا كثيرًا أيضًا. واستعمل عند رجل خياط قماشًا ليلبسه، فاستبطأه فأمر بإحضاره، فلما وقف بين يديه تهدده، وكان الرجل أصمَّ لا يسمع جيدًا، فقال: والله ما لابن ياقوت عندي سوى اثني عشر صندوقًا، لا أدري ما فيها. فأمر بإحضارها فإذا فيها أموال عظيمة تقارب ثلاثمائة ألف دينار.

واطلع على ودائع كانت ليعقوب وعمرو ابني الليث، فيها من الأموال ما لا يحد ولا يوصف كثرةً، فقوى أمره، وعظم سلطانه جدًا، وهذا كلهُ من الأمور المقدرة لما يريده الله بهم من السعادة الدنيوية. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص:68) . و ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (الروم:4). وكتب إلى الراضي ووزيره أبي علي ابن مقلة يطلب أن يقاطع على ما قِبَله من البلاد على ألف ألف في كل سنة، فأجابه الراضي إلى ذلك، وبعث إليه بالخلع واللواء وأبهة الملك.

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 192).

(2) «المنتظم» (13/ 334-342)، و«الكامل» (8/ 275).

وفيها: قتل القاهر بالله أميرين كبيرين؛ وهما إسحاق بن إسماعيل النوبختي، وهو الذي كان قد أشار على الأمراء بخلافة القاهر، وأبو السرايا ابن حمدان أصغر ولد أبيه، وكان في نفس القاهر منهما؛ بسبب أنهما زايداه مرَّةً من قبل أن يلي الخلافة في جاريتين مغنيتين، فاستدعاهما إلى المسامرة فتطيبا وحضرا، فأمر بإلقائهما في بئر هنالك، فتضرعا إليه فلم يرحمهما، بل ألقيا فيها، وطيِّنها عليهما.

ذكر خلع القاهر وسمل عينيه

وكان سبب ذلك أن الوزير أبا عليٍّ ابن مقلة كان قد هرب من القاهر حين قبض على مؤنس الخادم، واختفى في داره، وكان يراسل الجندَ ويكاتبهم ويغريهم بالقاهر، ويخوفهم سطوته وإقدامه وسرعة بطشه، وأخبرهم أن القاهر قد أعدَّ لأكابر الأمراء أماكن يسجنهم فيها، فهيجهم ذلك وأشبهم على القبض على القاهر، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته في هذه الساعة، وركبوا مع الأمير المعروف بسيما، وقصدوا دار الخلافة فأحاطوا بها، ثم هجموا على القاهر من سائر أبوابها، فخرج الوزير الخصيبي مستترًا في زي امرأة، وانهزم القاهر وهو مخمورٌ، فاختفى في سطح حمام، فظهروا عليه فقبضوه وحبسوه في مكان طريفً السبكري، وأخرجوا طريفًا، واضطربت بغداد ونهبتْ، وذلك يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى من هذه السنة، ثم أحضروه فسملوا عينيه حتى سالتا على خديه، وارتكب منه أمر عظيمٌ لم يسمع بمثله في الإسلام، ثم أرسلوه، فكان تارةً يحبسُ، وتارة يخلى سبيله، وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وافتقر حتى قام يومًا بجامع المنصور، فسأل فأعطاه رجل خمسمائة درهم، ويقال: إنهَّ إنما أراد بهذا الصنيع التشنيع على المستكفي بالله. فالله أعلم. وستأتي ترجمته إذا ذكرنا وفاته.(1)

خلافة الراضي بالله أبي العباس محمد بن المقتدر بالله

لما خلعت الجند القاهر، وسملوه أحضروا أبا العباس محمد بن المقتدر بالله، فبايعوه على الخلافة، ولقبوه الراضي بالله، وكان أبو بكر الصولي قد أشار بأن يلقب بالمرضى بالله، فلم يقبل وعدل إلى هذا اللقب، وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى من هذه السنة -أعني سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة- وجاءوا بالقاهر وهو أعمى قد سملت عيناه، فأوقف بين يديه، فسلم عليه بالخلافة، وسلمها إليه، فقام الراضي بأعبائها، وكان من خيار الخلفاء على ما سنذكره، وأمر بإحضار أبي عليٍّ ابن مقلة، فولاه الوزارة، وجعل عليٍّ بن عيسى ناظرًا عليه، وأطلق كل من كان في حبس القاهر، واستدعى عيسى طبيب القاهر، فصادره بمائتي ألف دينار، وتسلم منه الوديعة التي كان القاهر أودعها عنده، وكانت جملةً مستكثرة من الذهب والفضة والنفائس.(2)

وفي هذه السنة: عظم أمرُ مرداويج بأصبهان، وتحدث الناس أنه يريد قصد بغداد، وأنه ممالئ لصاحب البحرين، وقد اتفقا على رد الدولة من العرب إلى العجم، وأساء السيرة في رعيته، لاسيما في خواصه من الأتراك، فتمالئوا على قتله فقتلوه، قبحه الله، وكان القائم بأعباء ذلك أخص مماليكه وأحظاهم عنده، وهو بجكم، بيَّض الله وجهه، وهذا الأمير هو الذي استنقذ الحجر الأسود من أيدي القرامطة، وافتداه منهم بخمسين ألف دينار، بذلها لهم حتى ردوه إلى مكة كما سيأتي. ولما قتل مرداويج بن زيار الديلمي عظم أمر علي بن بويه، وارتفع قدره بين الناس، وعلا شأنه في الملوك، وسيأتي ما آل إليه حاله.

(1) «المنتظم» (13/ 334-335)، و«الكامل» (8/ 279).
(2) «المنتظم» (13/ 335)، و«الكامل» (8/ 282-284).

ولما خُلع القاهر وولي الراضي، طمع هارون بن غريب في الخلافة؛ لكونه ابن خال المقتدر، وكان نائبًا على ماه الكوفة الدينور وماسبذان، فدعا إلى ذلك واتبعه خلق من الجند والأمراء، وجبى الأموال، واستفحل أمره، وقويت شوكته، وقصد بغداد، فخرج إليه محمد بن ياقوت رأس الحجبة في جميع جيش بغداد، فاقتتلوا هنالك، فخرج في بعض الأيام هارون بن غريب يتقصد لعله يعمل حيلة في أسر محمد بن ياقوت، فتقنطر به فرسه، فسقط في نهر، فضربه غلام له حتى قتله، وأخذ رأسه، وجاء به إلى محمد بن ياقوت، فانهزم أصحاب هارون، ورجع محمد بن ياقوت، فدخل بغداد ورأس هارون بن غريب يحمل بين يديه على رمح، ففرح الناس بذلك، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها: ظهر رجل ببغداد يعرف بأبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، ويقال له: ابنُ أبي العزاقر. فذكر عنه أنه يدعي ما كان يدعيه الحلاج من الإلهية، وكان قد مسك في دولة المقتدر عند حامد بن العباس، واتهم بأنه يقول بالتناسخ فأنكر ذلك. ولما كانت هذه المرة أحضره الراضي، وادعى عليه بما ذكر عنه، فأنكر، ثم أقر بأشياء، فأفتى قوم أن دمه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة، فضرب ثمانين سوطًا، ثم ضربت عنقه وصلب، وألحق بالحلاج قبحهما الله، وقتل معه صاحبه ابن أبي عون، لعنه الله، وكان هذا اللعين من جملة طائفة قد اتبعوه وصدقوه فيما يزعمه من الكفر، لعنهم الله.

وقد بسط ابن الأثير في «كامله» مذهب هؤلاء الكفرة بسطًا جيدًا، وشبه مذهبهم بمذهب النصيرية، لعنهم الله أجمعين. وادعى رجل ببلاد الشاش النبوة، وأظهر مخاريق وأشياء كثيرة من الحيل، فجاءته الجيوش فقاتلوه، فقتلوه، وانطفأ خبره واضمحل أمره.

وفاة المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين فيما زعموا

وفيها: مات أبو محمد عبيد الله، المدعي أنه علوي -الملقب بالمهدي- باني المهدية بمدينته المهدية، عن ثلاث وستين سنة، وكانت ولايته، منذ دخل رقادة وادعى الإمامة، أربعًا وعشرين سنة وشهرًا وعشرين يومًا، وهو أول الخلفاء الفاطميين.

وقد كان شهمًا شجاعًا، ظفر بجماعة ممن خالفه وناوأه وقاتله وعاداه، وقد قام بأمر الخلافة من بعده ولده أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله. وحين توفي أبوه كتم موته سنةً حتى دبر ما أراده من الأمور، ثم أظهر ذلك، وعزاه الناس فيه. وقد كان شهمًا شجاعًا كأبيه، فتح البلاد، وأرسل السرايا إلى بلاد الروم، ورام أخذ الديار المصرية، فلم يتفق له ذلك، وإنما جرى ذلك على يدي ابن ابنه المعز الفاطمي الذي بنى القاهرة المعزية، كما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

قال القاضي ابن خلكان في «الوفيات»: وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافًا كثيرًا جدًا؛ فقال صاحب «تاريخ القيروان»: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقال غيره: هو عبيد الله بن التقي، وهو الحسين بن الوفي أحمد بن الرضي عبد الله، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم: المستورون. لخوفهم من خلفاء بني العباس، والرضي عبد الله هذا هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وقيل غير ذلك في نسبه.(1)

قال القاضي ابن خلكان: والمحققون ينكرون دعواه في النسب.(2)

(1، 2) «الوفيات» (3/ 117).

قلت: قد كتب غير واحد من الأئمة، منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني والقاضي الباقلاني، والقدوري، أن هولاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه، وأن والد عبيد الله هذا كان يهوديًا صباغًا بسلمية، وقيل: كان اسمه سعيدًا، وإنما لقب بعبيد الله. وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وسمي القداح؛ لأنه كان كحالاً يقدح العيون، وكان الذي وطأ له الأمر بتلك البلاد أبو عبد الله الشيعي كما قدمنا ذلك، ثم استدعاه فلما قدم من بلاد المشرق وقع في يده صاحب سجلماسة فسجنه، فلم يزل الشيعي حتي استنقذه وسلم إليه الأمر، ثم ندم الشيعي وهم بقتله، ففطن عبيد الله له فقتله وقتل معه أخاه. ويقال: إن الشيعي لما دخل السجن وجد صاحب سجلماسة قد قتله، ووجد في السجن رجلاً مجهولاً، فأخرجه للناس وقال: هذا هو المهدي. ورَوَّج به الأمر، فهؤلاء من سلالته. حكاه القاضي ابن خلكان.

وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومائتين. وقيل: قبلها. وقيل: بعدها. بسلمية. وقيل: بالكوفة. وأول ما دعي له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، بعد رجوعه من سجلماسة، وكان ظهوره بها في ذي الحجة من السنة الماضية، سنة ست وتسعين، وزالت دولة بني العباس من تلك الناحية من هذا الحين إلى أن هلك العاضد في سنة سبع وستين وخمسمائة.

وكانت وفاته بالمهدية -التي بناها في أيامه- ليلة الثلاثاء للنصف من ربيع الأول من هذه السنة، وقد جاوز الستين على المشهور، وإلى الله عاقبة الأمور، وسيفصل بين الآمر والمأمور، يوم البعث والنشور.

وممن توفي فيها من الأعيان: أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: قاضي مصر. حدّث عن أبيه بكتبه المشهورة، وتوفي وهو على قضاء الديار المصرية فى ربيع الأول من هذه السنة.

محمد بن أحمد بن القاسم أبو على الروذبارى: وقيل: اسمه أحمد بن محمد، ويقال: الحسن بن همام، والصحيح الأول. أصله من بغداد وسكن مصر، وكان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة، وصحب الجنيد وسمع الحديث وحفظ منه كثيراً، وتفقه بإبراهيم الحربى، وأخذ النحو عن ثعلب، وكان كثير الصدقة والبر للفقراء، وكان إذا أعطى الفقير شيئًا جعله فى كفه، ثم يتناوله الفقير، يريد أن لا تكون يد الفقير تحت يده.

ومن شعره:

ولو مضَى الكلُّ مني لم يَكُنْ عَجَبًا ❊ وإنما عَجَبي في البَعْضِ كيف بقِي
أَدْرِكْ بقيـــةَ رُوحٍ منك قــد تلِفَت ❊ قـبلَ الفـراقِ فـهـذا آخِـرُ الرَّمَــقِ

محمد بن إسماعيل المعروف: بخير النساج أبو الحسن الصوفى: من كبار المشايخ ذوى الأحوال الصالحة، والكرامات المشهورة. أدرك سرياً السقطى وغيره من مشايخ القوم، وعاش مائة وعشرين سنة. ولما حضرته الوفاة نظر إلى زاوية البيت، فقال: قف رحمك الله، فإنك عبد مأمور وأنا عبد مأمور، وما أمرتَ به لا يفوت وما أمرتُ به يفوت. ثم قام فتوضأ وصلى وتمدد فمات رحمه الله. وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: استرحنا من دنياكم الوضرة.(1)

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

فيها: أحضر ابن شنبوذ المقرئ فأنكر جماعة من الفقهاء والقراء عليه حروفاً انفرد بها، فاعترف

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 48)، و«المنتظم» (13/ 345).

ببعضها وأنكر بعضها، فاستتيب من ذلك واستكتب بخطه بالرجوع عما نُقم عليه، وضرب سبع درر بإشارة الوزير أبى على ابن مقلة، ونفى إلى البصرة أو غيرها. فدعا على الوزير أن تقطع يده، ويشتت شمله، فكان ذلك عما قريب.(1)

وفيها فى جمادى الآخرة: نادى بدر الخرشني صاحب الشرطة فى الجانبين من بغداد: أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبى محمد البربهارى الواعظ الحنبلى. وحبس منهم جماعة، واستتر البربهارى فلم يظهر مدة.

قال ابن الجوزى فى «المنتظم»: وفى شهر أيار: تكاثفت الغيوم واشتد الحر جداً، فلما كان آخر يوم منه -وهو الخامس والعشرون من جمادى الآخرة من هذه السنة- هبت ريح شديدة جداً، وأظلمت واسودت إلى بعد العصر، ثم خفت ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة. (2)

وفيها: استبطأ الأجناد أرزاقهم فقصدوا دار الوزير أبى على ابن مقلة فنقبوها وأخذوا ما فيها. ووقع حريق عظيم فى طريق البزازين، فاحترق بسببه للناس شيء كثير، فعوض عليهم الراضى بالله بعض ما كان ذهب لهم.

وفى رمضان: اجتمع جماعة من الأمراء على بيعة جعفر بن المكتفى، وظهر الوزير على أمرهم فحبس جعفراً ونهبت داره، وحبس جماعة ممن كان بايعه، وانطفأت ناره. وخرج الحُجّاج فى خفارة الأمير لؤلؤ، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجناني لعنه الله فقتل أكثرهم، ورجع من انهزم منهم إلى بغداد، وبطل الحج فى هذه السنة من طريق العراق وكان قتله لهم في ليلة الأربعاء لثنتي عشرة خلت من ذي القعدة.

قال ابن الجوزى: وفي هذه السنة بعينها: تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والكوفة على صفة لم ير مثلها، ولا ما يقاربها، قال: وغلا السعر فى هذه السنة حتى بيع الكر من الحنطة بمائة وعشرين ديناراً.(3)

وفيها: على الصحيح كان مقتل مرداويج بن زيار الديلمى، وكان قبحه الله سيء السيرة والسريرة، يزعم أن روح سليمان بن داود حلت فيه، وله سرير من ذهب يجلس عليه والأتراك بين يديه، ويزعم أنهم الجن الذين سخروا لسليمان بن داود. وكان يسيء المعاملة لهم، ويحتقرهم غاية الاحتقار، فما زال ذلك دأبه حتى أمكنهم الله منه فقتلوه فى حمام، وكان الذى مالأ على قتله غلامه بجكم التركى جزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً. وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده فلما قتل أطلق من السجن والقيد، فذهب إلى أخيه عماد الدولة، وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه، والتفت طائفة أخرى من الأتراك على بجكم فسار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة له فى ذلك، ثم صرفوا إلى البصرة فكانوا بها.(4) وأما الديلم فإنهم بعثوا إلى أخى مرداويج وهو وشمكير، فلما قدم عليهم تلقوه إلى أثناء الطريق حفاة مشاة فملكوه عليهم لئلا يذهب ملكهم، فانتدب إلى محاربته السعيد نصر بن أحمد السامانى نائب خراسان، وما والاها من تلك البلاد والأقاليم، فانتزع منه بلداناً هائلة.

وفيها: بعث القائم بأمر الله الفاطمى جيشاً من إفريقية فى البحر إلى ناحية الفرنج ففتحوا مدينة جنوه، وغنموا غنائم كثيرة وثروة. ورجعوا سالمين غانمين.

وفيها: بعث عماد الدولة بن بويه أخاه ركن الدولة إلى أصبهان فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل، واتسعت مملكة عماد الدولة، وقويت شوكته وعظمت منزلته.

---

(1) «المنتظم» (13/ 348-350). (2) «المنتظم» (13/ 349).
(3) «المنتظم» (13/ 350). (4) «الكامل» (8/ 298-304).

وفيها: كان غلاء شديد بخراسان، وفناء كثير، بحيث كان يهمهم أمر دفن الموتى.

وفيها: قتل ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان نائب الموصل عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان لأنه أراد أن ينتزعها منه، فبعث إليه الخليفة وزيره أبا عليّ ابن مقلة فى جيوش، فهرب منه ناصر الدولة، فلما طال مقام ابن مقلة بالموصل رجع إلى بغداد، فاستقرت يد ناصر الدولة على الموصل. وبعث إلى الخليفة يسأل أن يضمن تلك الناحية، فأجيب إلى ذلك، واستمر الحال على ما كان. وخرج الحجيج فلقيهم القرمطى في القادسية فقاتلوه فظفر بهم، فسألوه الأمان فأمنهم على أن يرجعوا إلى بغداد، فرجعوا. وتعطل عليهم الحج عامهم ذلك.

وممن توفى فيها من الأعيان: نفطويه النحوى: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى أبو عبد الله العتكى المعروف بنفطويه النحوى. له مصنفات فيه، وقد سمع الحديث وروى عن المشايخ، وحدَّث عنه الثقات من الناس، وكان صدوقاً، وله أشعار حسنة. وروى الخطيب عن نفطويه: أنه مر يومًا على بقال، فقال له: أيها الشيخ كيف الطريق إلى درب الرءاسين - يعنى درب الرواسين- فالتفت البقال إلى جاره، فقال له: قبح الله غلامى أبطأ عليَّ بالسلق، ولو كان عندى لصفعت هذا بجرزة منه. فانصرف عنه نفطويه ولم يرد عليه. توفى نفطويه فى صفر من هذه السنة عن ثلاث وثمانين سنة، وصلى عليه البربهارى رئيس الحنابلة، ودفن بمقابر باب الكوفة. ومما أنشده له أبو عليّ القالى فى «الأمالى»:

قلْبي أرقُّ عليك مِن خَدَّيْكا * وقُواي أوْهَى مِن قُوَى جَفْنَيْكا
لِمَ لا تَرقُّ لِمن يُعَذِّبُ نَفْسَه * ظُلْمًا ويَعْطِفُه هَواه عليكا

قال ابن خلكان: وفى نفطويه يقول أبو عبد الله محمد بن زيد بن على بن الحسين الواسطى المتكلم المشهور، صاحب «الإمامة»، و«إعجاز القرآن» وغير ذلك:

مَن سَرَّه أن لا يَرَى فاسِقًا * فلْيَجْتَهِدْ أن لا يَرَى نِفْطَوَيْهْ
أحْرَقَه اللهُ بنِصْفِ اسمِه * وصَيَّر الباقي صُراخًا عليهْ

قال الثعالبى: إنما سمى نفطويه لدمامته وأدمته. وقال ابن خالويه: لا يعرف من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه.

عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله أبو عبد الله الهاشمى العباسى: حدّث عن سيار بن نصر الحلبى وغيره، وعنه الدارقطنى وغيره، وكان ثقة فاضلاً فقيهاً شافعياً.

عبد الملك بن محمد بن عدى: أبو نعيم الإستراباذى المحدث الفقيه الشافعى أيضاً، توفى عن ثلاث وثمانين سنة.

على بن الفضل: ابن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البلخى، كان من الجوالين فى طلب الحديث، وكان ثقة حافظاً، سمع أبا حاتم الرازى وغيره. وعنه الدارقطنى وغيره.

محمد بن أحمد بن أسد: أبو بكر الحافظ، ويعرف: بابن البستبنان، سمع الزبير بن بكار وغيره، وعنه الدارقطنى وغيره، جاوز الثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

فيها: جاءت الجند فأحدقوا بدار الخلافة، وقالوا: ليخرج إلينا الخليفة الراضي بنفسه فيُصَلِّ بالناس. فخرج فصلى بهم، وخطبهم. وقبض الغلمان على الوزير أبي عليّ ابن مقلة، وسألوا من الخليفة أن يستوزر غيره، فرد الخيرة إليهم فاختاروا عليّ بن عيسى فلم يقبل، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره، وأحرقت دار ابن مقلة، وسُلِّم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى فضرب ضرباً عنيفاً، وأخذ خطه بألف ألف دينار. ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى فعزل بعد خمسين يوماً، وقلد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي، فصادر عليّ بن عيسى بمائة ألف دينار، وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر ونصف، وقلد سليمان بن الحسن، ثم عزل بأبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، ولكن في السنة الآتية. وأحرقت داره كما أحرقت دار ابن مقلة في اليوم الذي أحرقت تلك فيه، بينهما سنة واحدة. وهذا كله من تخبيط الأتراك والغلمان. ولما أحرقت دار ابن مقلة في هذه السنة، كتب بعض الناس على بعض جدرانها:

أحْسَنْتَ ظَنَّكَ بالأيام إذ حَسُنَتْ * ولم تَخَفْ سُوءَ ما يَأتي به القَدَرُ
وسالَمَتْكَ الليالي فاغْتَرَرْتَ بها * وعندَ صَفْوِ الليالي يَحْدُثُ الكَدَرُ

وضعف أمر الخلافة جداً، وبعث الراضي إلى محمد بن رائق -وكان بواسط- يستدعيه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد، وأمر الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر، وأنفذ إليه بالخلع. فقدم ابن رائق إلى بغداد على ذلك كله، ومعه الأمير بجكم التركي غلام مرداويج، وهو الذي ساعد على قتله وأراح المسلمين منه. واستحوذ ابن رائق على أمر العراق بكماله، ونقل أموال بيت المال إلى داره، ولم يبقَ للوزير تصرف في شيء بالكلية، ووهى أمر الخلافة جداً، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبقَ للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها. ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء، ولا كلمة تطاع، وإنما يحمل إليه ابن رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها. وهكذا صار أمر من جاء بعده من أمراء الأمراء، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق هذا، وأمر خوزستان في يدي أبي عبد الله البريدي، وقد غلب ياقوت في هذه السنة على ما كان بيده من مملكة تستر وغيرها، واستحوذ على حواصله وأمواله. وأمر فارس إلى عماد الدولة أبي الحسن عليّ بن بويه، والري وأصبهان والجبل بيد أخيه ركن الدولة بن بويه ينازعه في ذلك وشمكير أخو مرداويج، وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع. وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان. ومصر والشام في يد محمد بن طغج. وبلاد إفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي المدعي أنه فاطمي، وقد تلقب: بأمير المؤمنين. والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد، الملقب: بالناصر الأموي. وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني. وطبرستان وجرجان في يد الديلم. والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي لعنه الله.(1)

وفيها: وقع ببغداد غلاء عظيم، وفناء كثير، بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام، ومات من أهل البلد خلقٌ كثير، وأكثر ذلك كان في الضعفاء، وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بأمرهم،

(1) راجع «المنتظم» (13/ 356-357)، و«الكامل» (8/ 314-328).

ويحمل على الجنازة الواحدة الاثنان من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة. ومات من أصبهان نحو مائتي ألف إنسان.

ووقع فيها حريق بعمان احترق فيه من السودان ألف، ومن البيضان خلقٌ كثير، وكان من جملة ما احترق فيه أربعمائة حمل كافور. وعزل الخليفة أحمد بن كيغلغ عن نيابة الشام، وأضاف ذلك إلى ابن طغج نائب الديار المصرية.

وفيها: ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه بأصبهان.

وممن توفى فيها من الأعيان: ابن مجاهد المقرئ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ: أحد الأئمة في هذا الشأن. حدث عن خلق كثير، وروى عنه الدارقطنى وغيره، وكان ثقة مأموناً، سكن الجانب الشرقى من بغداد، وكان ثعلب يقولُ: ما بقى فى عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه. وكانت وفاته يوم الأربعاء، وأخرج يوم الخميس لعشر بقين من شعبان من هذه السنة. وقد رآه بعضهم فى المنام وهو يقرأ فقال له: أما مت؟ فقال: بلى، ولكن كنت أدعو الله عقب كل ختمة أن أكون ممن يقرأ فى قبره، فأنا ممن يقرأ فى قبره.(1) رحمه الله.

جحظة الشاعر البرمكى: أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى أبو الحسن النديم المعروف: بجحظة، الشاعر الماهر الأديب الأخبارى، ذو الفنون فى العلوم والنوادر الحاضرة، وكان جيد الغناء. ومن شعره:

قد نادت الدنيا على نفسها * لو كان في العالم مَن يسمَعُ
كَمْ واثقٍ في العُمر وارَيْتُه * وجامعٍ بدَّدْتُ ما يَجْمَعُ

وكتب له بعض الملوك رقعة على صيرفى بمال أطلقه له فلم يتحصل منها على شيء، وتعذر عليه قبضها، فكتب إلى الملك يذكر له صورة الحال:

إذا كانتْ صِلاتُكمُ رِقاعًا * تُخَطَّطُ بالأناملِ والأكُفِّ
ولم تُجْدِ الرِّقاعُ عليَّ نفعًا * فها خطِّي خذُوه بألفِ ألفِ

ومن شعره يهجو صديقاً له ويذمه على شدة بخله وحرصه:

لنا صاحبٌ من أبْرَعِ الناس في البُخْلِ * وأفضلِهم فيه وليس بذي فَضْلِ
دعاني كما يَدْعُو الصديقُ صَديقَه * فجئتُ كما يأتي إلى مثلِه مِثْلي
فلما جلَسْنا للغداءِ رأيْتُه * يَرَى أنما من بعضِ أعْضائه أكْلي
ويَغْتاظُ أحيانًا ويَشْتِمُ عبدَه * وأَعلَمُ أن الغَيْظَ والشَّتْمَ مِن أجْلي
أمُدُّ يدي سِرًا لآكُلَ لُقْمةً * فيَلْحَظُني شَزْرًا فأعْبَثُ بالبقْلِ
إلى أن جنت كَفِّي لحِيْني جناية * وذلك أنَّ الجُوعَ أعْدَمَني عَقْلي
فأهْوَت يَميني نحوَ رِجْلِ دَجاجةٍ * فَجرَّتْ كما جرَّت يدي رِجْلَها رِجلي

(1) «تاريخ بغداد» (5/ 144)، و«المنتظم» (13/ 357).

ومن قوى شعره وجيده قوله:

رحَلْتُم فكم مِن أَنَّةٍ بعـدَ حَنَّةٍ * مُـبَـيِّـنَـةٍ للناسِ حُـزْني عليكمُ
وقد كنتُ أعتَقْتُ الجُفونَ مِن البُكا * فـقـد ردَّها في الرِّقِّ شَـوْقي إليكمُ

ومما أورده له القاضي ابن خلكان من الشعر الرائق قوله:

فـقلتُ لهـا بخِلْتِ عليَّ يَقْظَى * فـجُـودي في المَنام لمُـسْـتَـهـام
فـقـالتْ لي وصِـرْتَ تَنامُ أيضـاً * وتَـطْـمَـعُ أن أزُورَك فـي الـمـنـام

قال: وإنما لقبه بجحظة عبد الله بن المعتز، وذلك لسوء منظره كما قال فيه بعض من هجاه:

نُبِّئْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعيرُ جُحُوظَهُ * مِن فِـيـلِ شِطْرَنْجٍ ومِن سَـرَطـانِ
وارَحْـمـتـا لمُنادمِيه تحمَّلوا * أَلَـمَ العُـيـونِ لِـلـذةِ الآذانِ

قال ابن خلكان: وكانت وفاته في سنة ست وعشرين، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط وحمل إلى بغداد. قال الخطيب: وكان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين.

ابن المغلس الفقيه الظاهرى: عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس، أبو الحسن، الفقيه الظاهري المشهور، له المصنفات المفيدة فى مذهبه، أخذ الفقه عن أبى بكر ابن داود، وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعليّ بن داود القنطرى، وأبى قلابة الرقاشي، وآخرين. وكان فقيهاً، ثقة، فاضلاً، وهو الذى نشر علم داود فى تلك البلاد، توفى بالسكتة.

أبو بكر ابن زياد: النيسابورى عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون، أبو بكر الفقيه الشافعى النيسابورى، مولى أبان بن عثمان، رحل إلى العراق والشام ومصر، وسكن بغداد. وحدث عن محمد بن يحيى الذهلى، وعباس الدورى، وخلق. وعنه الدارقطنى وغير واحد من الحفاظ.[1] قال الدارقطنى: لم نر فى مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون، وكان أفقه المشايخ، جالس المزنى والربيع[2]، وقال أبو عبد الله ابن بطة: كنا نحضر مجلس ابن زياد، وكان يحزر من يحضره من أصحاب المحابر ثلاثين ألفًا.[3]

وقال الخطيب: أخبرنا أبو سعد المالينى، أنا يوسف بن عمر بن مسرور، سمعت أبا بكر ابن زياد النيسابورى يقول: أعرف من قام الليل أربعين سنة لم ينم إلا جاثياً، ويتقوت كل يوم خمس حبات، ويصلى صلاة الغداة بطهارة العشاء، ثم يقول: أنا هو، هذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن إيش أقول لمن زوجنى؟! ثم قال فى إثر هذا: ما أراد إلا الخير. توفى فى هذه السنة عن ست وثمانين سنة.[4]

عفان بن سليمان بن أيوب أبو الحسن التاجر: أقام بمصر، وأوقف بها أوقافاً دارّة على أهل الحديث، وعلى سلالة العشرة ﷺ. وكان تاجراً موسعاً عليه، مقبول الشهادة عند الحكام، توفى فى شعبان من هذه السنة.

أبو الحسن الأشعرى: عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن موسى بن بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري قدم بغداد، وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجى،

(1، 2) «تاريخ بغداد» (10/ 120-121)، و«المنتظم» (13/ 363).
(3) «المنتظم» (13/ 363-364).
(4) «تاريخ بغداد» (10/ 122).

وتفقه بابن سريج.[1] وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعية». وقد ذكر القاضي ابن خلكان في «الوفيات»: أنه كان يجلس فى حلقة الشيخ أبى إسحاق المروزى، وقد كان معتزليًا قبل ذلك فتاب منه بالبصرة فوق المنبر، ثم أظهر فضائحهم وقبائحهم، وذكر له من التصانيف: «الموجز» وغيره.

وحُكى عن ابن حزم: أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً. وذكر أن مغله فى كل سنة كان سبعة عشر درهمًا، وأنه كان من أكثر الناس دعابة، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين. وقيل: سنة ستين ومائتين، ومات فى هذه السنة. وقيل: فى سنة ثلاثين، وقيل: فى سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة، فالله أعلم.

محمد بن الفضل بن عبد الله أبو ذر التميمى: كان رئيس جرجان، سمع الكثير، وتفقه بمذهب الشافعي، وكانت داره مجمع العلماء، وله إفضال كثير على طلبة العلم من أهل زمانه.

هارون بن المقتدر: أخو الخليفة الراضى، توفى فى ربيع الأول منها، فحزن عليه أخوه الراضى، وأمر بنفى بختيشوع بن يحيى المتطبب إلى الأنبار، لأنه اتهم فى علاجه، ثم شفعت فيه أم الراضى فرده.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

فى المحرم منها: خرج الخليفة الراضى وأمير الأمراء محمد بن رائق من بغداد، قاصدين واسطًا لقتال أبى عبد الله البريدى نائب الأهواز، الذى قد تجبر بها ومنع الخراج، فلما سار ابن رائق إلى واسط خرج عليه الحجرية وقاتلوه، فسلط عليهم بجكم فطحنهم، ورجع فَلّهم إلى بغداد، فتلقاهم لؤلؤ أمير الشرطة فاحتاط على أكثرهم ونهبت دورهم، ولم يبقَ لهم رأس يرتفع، وقطعت أرزاقهم من بيت المال بالكلية.[2] وبعث الخليفة وابن رائق إلى أبى عبد الله البريدى يتهددانه، فأجاب إلى حمل كل سنة ثلاثمائة ألف وستين ألف دينار يقوم بحمل كل شهر على حدته، وإلى أن يجهز جيشًا إلى قتال عضد الدولة بن بويه. فلما رجع الخليفة إلى بغداد لم يحمل شيئاً، ولم يبعث أحداً. ثم بعث ابن رائق بجكم وبدرًا الخرشني لقتال البريدى، فجرت بينهم حروب وخطوب، وأمور يطول ذكرها. ثم لجأ البريدى إلى عماد الدولة واستجار به، واستحوذ بجكم على بلاد الأهواز، وجعل إليه ابن رائق خراجها، وكان بجكم هذا شجاعاً فاتكًا.

وفى ربيع الأول: خلع الخليفة على بجكم وعقد له الإمارة ببغداد، وولاه نيابة المشرق إلى خراسان.

وفيها توفى من الأعيان: أبو حامد ابن الشرقى: أحمد بن محمد بن الحسن أبو حامد ابن الشرقى، مولده سنة أربعين ومائتين، وكان حافظاً كبير القدر، كثير الحفظ، كثير الحج. رحل إلى الأمصار وجاب الأقطار، وسمع من الكبار. نظر إليه ابن خزيمة يوماً فقال: حياة أبى حامد تحجز بين الناس وبين الكذب على رسول الله ﷺ.[3]

عبد الله بن محمد بن سفيان: أبو الحسن الخزاز النحوى، حدّث عن المبرد وثعلب، وكان ثقة. له مصنفات فى علوم القرآن غزيرة الفوائد.

محمد بن إسحاق بن يحيى: أبو الطيب النحوى، ابن الوشاء، له مصنفات مليحة فى الأخبار، وقد حدّث عن الحارث بن أبى أسامة والمبرد وثعلب، وغيرهم.

(1) «تاريخ بغداد» (11/ 346)، و«الوفيات» (3/ 284)، و«السير» (15/ 85).
(2) «المنتظم» (13/ 366-367)، و«الكامل» (8/ 329-339).
(3) «تاريخ بغداد» (4/ 426)، و«المنتظم» (13/ 367).

محمد بن أحمد بن هارون: أبو بكر العسكرى، الفقيه على مذهب أبى ثور، روى عن الحسن بن عرفة، وعباس الدورى، وعنه الدارقطنى والآجرى، وغيرهما.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة

فيها: ورد كتاب من ملك الروم إلى الراضى مكتوب بالرومية، والتفسير بالعربية، فأما الرومي فبالذهب والعربى بالفضة، وحاصله طلب الهدنة بينه وبينه، ووجه مع الكتاب بهدايا وألطاف كثيرة فاخرة، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وفودى من المسلمين ستة آلاف أسير، ما بين ذكر وأنثى على نهر البدندون.(١)

وفيها: ارتحل الوزير أبو الفتح ابن الفرات من بغداد إلى الشام، وترك الوزارة، فوليها أبو على ابن مقلة، وكانت ولايته ضعيفه جداً، ليس له من الأمر شيء مع ابن رائق، وطلب من ابن رائق أن يفرغ له عن أملاكه فجعل يماطله، فكتب إلى بجكم يطمعه فى بغداد، وأن يكون عوضاً عن ابن رائق. وكتب ابن مقلة أيضاً إلى الخليفة يطلب منه أن يسلم إليه ابن رائق وابن مقاتل، ويضمنهم بألفى ألف دينار، فبلغ ذلك ابن رائق فأخذه فقطع يده، وقال: هذا أفسد فى الأرض. ثم جعل يُحسِّن للخليفة أن يستوزره، وأن قطع يده لا يمنعه من الكتابة، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة فيكتب بها. ثم بلغ ابن رائق أنه قد كتب إلى بجكم بما تقدم، وأنه يدعو عليه. فأخذه فقطع لسانه وسجنه فى مكان ضيق، وليس عنده من يخدمه، فكان يستقى الماء بنفسه، يتناول الحبل من البئر بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه، ولقى شدة وعناء، ومات فى محبسه هذا وحيداً، فدفن هناك. ثم سأل أهله نقله فدفن فى داره، ثم نقل منها إلى غيرها، فاتفق له أشياء غريبة منها: أنه وزر ثلاث مرات، وعزل ثلاث مرات، وولى لثلاثة من الخلفاء، ودفن ثلاث مرات، وسافر في عمره ثلاث سفرات، مرتين منفياً ومرة في وزارته إلى الموصل كما تقدم.

وفيها: دخل بجكم بغداد، فقلده الراضى إمرة الأمراء مكان ابن رائق، وقد كان بجكم هذا من غلمان أبى على العارض وزير ماكان بن كالى الديلمى، فاستوهبه ماكان من الوزير فوهبه له، ثم فارق ماكان ولحق بمرداويج، وكان فى جملة من قتله فى الحمام كما تقدم. وسكن بجكم بدار مؤنس الخادم، وعظم أمره جداً وانفصل ابن رائق وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً.

وفيها: بعث عماد الدولة بن بويه أخاه معز الدولة، فأخذ بلاد الأهواز لأبى عبد الله البريدى، وانتزعها من يد بجكم وأعادها إليه.

وفيها: استولى لشكرى أحد أمراء وشمكير الديلمى على بلاد أذربيجان، وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكردى، أحد أصحاب ابن أبى الساج بعد قتال طويل.

وفيها: اضطرب أمر القرامطة جداً وقتل بعضهم بعضاً، وانكفوا بسبب قلتهم عن التعرض للفساد فى الأرض، ولزموا بلدهم هجر، لا يرومون منه انتقالاً إلى غيره، ولله الحمد والمنة.

وفيها: توفى أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسى، كان أبوه من أصحاب مالك، وهذا الرجل هو أول من أدخل فقه مالك إلى الأندلس، وقد عرض عليه القضاء بها فلم يقبل.

---

(١) «المنتظم» (١٣/ ٣٧٣-٣٧٦)، و«الكامل» (٨/ ٣٤٠-٣٥٢).

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

فى المحرم منها: خرج الراضى بالله أمير المؤمنين من بغداد إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان نائبها، وبين يديه بجكم أمير الأمراء، وقاضى القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وقد استخلف على بغداد ولده القاضى أبا نصر يوسف بن عمر، عن أمر الخليفة له بذلك. وكان عالمًا فاضلاً، ولما انتهى بجكم إلى الموصل والجزيرة واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فهزم بجكم الحسن بن حمدان، وقرر الخليفة أمر الموصل والجزيرة.(1) وأما محمد بن رائق فإنه اغتنم غيبة الخليفة عن بغداد واستجاش بألف من القرامطة وجاء فدخل بهم بغداد، فأكثر فيها الفساد، غير أنه لم يتعرض لدار الخلافة، ثم بعث إلى الخليفة يطلب منه المصالحة والعفو عما جنى، فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه قاضى القضاة أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وترحل ابن رائق عن بغداد ودخلها الخليفة فى جمادى الأولى من هذه السنة ففرح المسلمون بذلك.

ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر آذار وذلك فى جمادى الأولى مطر عظيم، وبرد كبار، كل واحدة نحو الأوقيتين، واستمر فسقط بسببه دور كثيرة من بغداد. وظهر جراد كثير فى هذه السنة.

وكان الحج من جهة درب العراق قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى هذه السنة. فشفع الشريف أبو عليّ عمر بن يحيى العلوى عند القرامطة، وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه، فى أن يمكنوا الحجيج من الحج، وأن يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير، وعلى المحمل سبعة دنانير، فخرج الناس للحج فى هذه السنة على هذا الشرط، فكان من جملة من خرج الشيخ أبو على ابن أبى هريرة أحد أئمة الشافعية، فلما اجتاز بهم طالبوه بالخفارة فثنى رأس راحلته ورجع، وقال: ما رجعت شحًا، ولكن سقط عنى وجوب الحج بطلب هذه الخفارة.

وفي هذه السنة: وقعت فتنة بالأندلس، وذلك أن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس الملقب بالناصر لدين الله، قتل وزيره أحمد فغضب له أخوه أمية بن إسحاق -وكان نائباً على مدينة شنترين- فارتد ودخل بلاد النصارى واجتمع بملكهم ردمير ودله على عورات المسلمين، فسار إليهم فى جيش كثيف من الجلالقة فخرج إليه الأموي فأوقع به بأساً شديداً، وقتل من الجلالقة خلقاً كثيراً، ثم كر الفرنج على المسلمين فقتلوا منهم خلقاً كثيراً قريباً ممن قتلوا منهم، ثم والى المسلمون الغارات على بلاد الجلالقة فقتلوا منهم أمماً لا يحصون كثرة، ثم ندم أمية بن إسحاق على ما صنع، وطلب الأمان من عبد الرحمن فبعث إليه بالأمان، فلما قدم عليه قبله واحترمه.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: الحسن بن القاسم بن دحيم أبو عليّ الدمشقى: من أبناء المحدثين، وكان أخبارياً له فى ذلك مصنفات، وقد حدّث عن العباس بن الوليد البيروتى وغيره. وكانت وفاته بمصر فى محرم هذه السنة وقد أناف على الثمانين سنة.

الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو على الكوكبى: الكاتب، صاحب الأخبار والآداب، روى عن أحمد بن أبى خيثمة وأبى العيناء وابن أبى الدنيا. وروى عنه الدارقطنى وغيره.

---

(1) «المنتظم» (13/ 377)، و«الكامل» (8/ 353).

عثمان بن الخطاب بن عبد الله أبو عمرو البلوى، المغربى الأشج، ويعرف بأبى الدنيا: قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلاثمائة، وزعم أنه ولد أول خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه، ببلاد المغرب، وأنه وفد هو وأبوه إلى عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه، فأصابهم فى الطريق عطش شديد فذهب يرتاد لأبيه ماء فرأى عيناً فشرب منها واغتسل، ثم جاء لأبيه ليسقيه فمات أبوه. وقدم هو على عليّ بن أبى طالب فأراد أن يقبل ركبته فصدمه الركاب فشج رأسه، فكان يعرف بالأشج. وصدقه فى هذا الزعم طائفة من الناس، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن عليّ، ممن صدقه فى ذلك الحافظ محمد بن أحمد المفيد، ورواها عنه، ولكن كان المفيد متهم بالتشيع، فسمح له في ذلك لانتسابه إلى عليّ. وأما جمهور المحدثين قديماً وحديثاً فكذبوه فى ذلك، وردوا عليه كذبه، ونصوا على أن النسخة التى رواها موضوعة، منهم الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى، وأشياخنا الذين أدركناهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، والجهبذ أبو الحجاج المزى، والحافظ مؤرخ الإسلام أبو عبد الله الذهبى، وقد حررت ذلك فى كتابى «التكميل» ولله الحمد والمنة. قال المفيد: بلغنى أن الأشج هذا مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وهو راجع إلى بلده.(1)

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل أبو بكر الخرائطى: صاحب المصنفات، أصله من أهل «سر من رأى» وسكن الشام وحدث بها عن الحسن بن عرفة وغيره.

وممن توفى فيها: الحافظ الكبير، ابن الحافظ الكبير، أبو محمد **عبد الرحمن بن أبى حاتم** محمد بن إدريس الرازى، صاحب كتاب «الجرح والتعديل»، وهو من أجل الكتب المصنفة فى هذا الشأن، وله التفسير الحافل الذى اشتمل على النقل الكامل، الذى يربي فيه على تفسير ابن جرير وغيره من المفسرين، وله كتاب «العلل» المصنفة المرتبة على أبواب الفقه وغير ذلك من المصنفات النافعة. وكان من العبادة والزهادة والورع والحفظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانب كبير رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.(2) وقد صلى مرة فلما سلم قال له رجل من بعض من صلى معه: لقد أطلت علينا، وقد سبحت فى سجودى سبعين مرة. فقال عبد الرحمن: لكنى والله ما سبحت إلا ثلاث مرات. وتهدم سور بعض بلاد الثغور، فتكلم عبد الرحمن بن أبى حاتم يومًا على الناس وحثهم على عمارته. فقال: من يعمره وأضمن له على الله الجنة؟ فقام رجل من التجار، فقال: اكتب لى بخطك هذا الضمان وهذه ألف دينار لعمارته. فكتب له رقعة بذلك، وعمَّر ذلك السور ثم اتفق موت ذلك الرجل التاجر عما قريب، فلما حضر الناس جنازته طارت من كفنه رقعة، وهى التى كان كتبها ابن أبى حاتم وإذا فى ظهرها مكتوب: قد أمضينا لك هذا الضمان ولا تَعُد إلى ذلك.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

قال ابن الجوزى فى «منتظمه»: فى غرة المحرم منها: ظهرت فى الجو حمرة شديدة من ناحية الشمال والمغرب. وفيها أعمدة بيض عظيمة كثيرة العدد.(3)

وفيها: وصل الخبر بأن ركن الدولة أبا على الحسن بن بويه الديلمي وصل إلى واسط، فركب الخليفة وبجكم لقتاله فانصرف راجعًا، ورجعا إلى بغداد.

(1) «المنتظم» (13/ 381).
(2) «السير» (13/ 263)، و«تاريخ الإسلام» (حوادث 321-330هـ) (ص 206).
(3) «المنتظم» (13/ 382)، و«الكامل» (8/ 359).

وفي هذه السنة: ملك ركن الدولة بن بويه مدينة أصبهان، أخذها من وشمكير أخي مرداويج، لقلة جيشه في ذلك الحين.

وفي شعبان: زادت دجلة زيادة عظيمة وانتشرت في الجانب الغربي، وسقطت دور كثيرة، وانبثق بثق من نواحي الأنبار فغرق قرى كثيرة، وهلك بسببه حيوانات وسباع كثيرة في البرية.

وفيها: تزوج بجكم بسارة بنت أبي عبد الله البريدي. وهو محمد بن أحمد بن يعقوب الوزير يومئذ ببغداد، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن، وضمن البريدي بلاد واسط وأعمالها بستمائة ألف دينار.

وفيها: توفي قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وتولى مكانه ولده أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، وخلع عليه الراضي يوم الخميس لخمس بقين من شعبان منها. ولما خرج أبو عبد الله البريدي إلى واسط كتب إلى بجكم يحثه على الخروج إلى بلاد الجبل ليفتحها، ويساعده هو على أخذ الأهواز من يد عماد الدولة بن بويه، وإنما كان مقصوده أن يستغيبه عن بغداد ليأخذها. فلما انفصل بجكم بالجنود بلغه ما يؤمله أبو عبد الله البريدي من المكيدة، فرجع سريعاً إلى بغداد، وركب في جيش كثيف إليه، وأخذ الطرق من كل جانب، لئلا يشعر به إلا وهو عنده على حافة السفينة. فاتفق أنه كان راكباً في زورق وعنده كاتب له إذ سقطت حمامة على جانب السفينة في ذنبها كتاب، فأخذه بجكم فقرأه فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب إلى بعض أصحاب البريدي يعلمهم بخبر بجكم. فقال له: ويحك أهذا خطك؟ قال: نعم! ولم يقدر على الإنكار، فأمر بقتله فقتل وألقى في دجلة. وحين أحس البريدي بقدوم بجكم هرب إلى البصرة ولم يقم بها أيضًا. فاستولى بجكم على بلاد واسط، وتسلط الديلم على جيشه الذين خلفهم بالجبل، ففروا سراعاً إلى بغداد.

وفي هذه السنة: استولى محمد بن رائق على بلاد الشام فدخل حمص أولاً فأخذها، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الإخشيدي المعروف ببدير من جهة الإخشيد محمد بن طغج، فأخرجه ابن رائق منها قهراً واستولى عليها. ثم ركب في جيش إلى الرملة فأخذها، ثم قصد عريش مصر ليدخلها فلقيه محمد بن طغج فاقتتلا هناك فهزمه ابن رائق، واشتغل أصحابه بالنهب ونزلوا في خيام المصريين، فكر عليهم المصريون فقتلوهم قتلاً عظيماً، وهرب محمد بن رائق في سبعين رجلاً من أصحابه، فدخل دمشق في أسوأ حالة وشرها، وصير إليه محمد بن طغج أخاه نصر بن طغج في جيش فاقتتلوا عند اللجون في رابع ذي الحجة، فهزم المصريون وقتل أخو الإخشيد فيمن قتل، فغسله محمد بن رائق وكفنه وبعث به إلى أخيه بمصر، وأرسل معه ولده وكتب إليه يحلف له أنه ما أراد قتله، وهذا ولدي فاقتد منه. فأكرم الإخشيد ولد محمد بن رائق، واصطلحا على أن تكون الرملة وما بعدها إلى ديار مصر للإخشيد، ويحمل إليه الإخشيد في كل سنة مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار، وما بعد الرملة يكون لمحمد بن رائق.

وممن توفي في هذه السنة: جعفر المرتعش أبو محمد: أحد مشايخ الصوفية، كذا ذكره الخطيب.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: اسمه عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابوري، كان من ذوي الأموال فتخلى عنها وصحب الجنيد وأبا حفص وأبا عثمان، وأقام ببغداد حتى صار شيخ الصوفية، فكان يقال: عجائب بغداد ثلاث: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص. سمعت أبا الفرج الصائغ يقول: قال المرتعش: من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه الرضوان فقد جعل لنفسه ولفعله خطراً،

ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان. وقيل للمرتعش: إن فلاناً يمشى على الماء. فقال: إن مخالفة الهوى أعظم من المشى على الماء. ولما حضرته الوفاة وهو بمسجد الشونيزية حسبوا ما عليه من الدَّين فإذا عليه سبعة عشر درهماً، فقال: بيعوا خريقاتي هذه واقضوا بها دينى، وأرجو أن يرزقنى الله كفنًا. وقد سألت الله ثلاثاً، سألته أن يميتنى وأنا فقير، وأن يجعل وفاتى فى هذا المسجد فإنى صحبت فيه أقواماً، وأن يجعل عندى من آنس به وأحبه. ثم غمض عينيه ومات.

أبو سعيد الإصطخرى الحسن بن أحمد: ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار، أبو سعيد الإصطخرى، أحد أئمة الشافعية، كان زاهدًا ورعًا ناسكاً عابدًا، ولى القضاء بقم، ثم حسبة بغداد، فكان يدور بها ويصلى على بغلته، وهو سائر بين الأزقة، وكان متقللاً جداً. وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعية» بما فيه كفاية، وله كتاب «القضاء» لم يصنف مثله فى بابه، توفى وقد قارب التسعين رحمه الله تعالى.

علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير: أحد مشايخ الصوفية، أصله من بغداد، وصحب الجنيد وسهلاً التسترى، وجاور بمكة حتى توفى بها فى هذه السنة، وقال يحكى عن نفسه: وردت بئراً فى أرض تبوك فلما دنوت منها زلقت فسقطت فى البئر، وليس أحد يرانى. فلما كنت فى أسفله إذا فيه مصطبة فعلوتها وقلت: إن مت لا أفسد على الناس الماء، وسكنت نفسى وطابت للموت، فبينا أنا كذلك إذا أفعى قد تدلت عليّ فلفت عليّ ذنبها ثم رفعتنى حتى أخرجتنى إلى وجه الأرض، وانسابت فلم أدر أين ذهبت، ولا من أين جاءت. وفى مشايخ الصوفية آخر يقال له: أبو جعفر المزين الكبير، جاور بمكة ومات بها أيضاً، وكان من العباد. روى الخطيب عن عليّ بن أبى على عن إبراهيم بن محمد الطبرى عن جعفر الخلدى، قال: ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير فقلت له: زودنى. فقال لى: إذا فقدت شيئاً فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بينى وبين كذا، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء. قال: فجئت إلى الكتانى فودعته وسألته أن يزودنى، فأعطانى خاتماً على فصه نقش فقال: إذا اغتممت فانظر إلى هذا الفص يزل غمك. قال: فكنت لا أدعو بذلك الدعاء إلا استجيب لى، ولا أنظر إلى ذلك الفص إلا زال عني ما أجده، فبينا أنا ذات يوم فى سميرية إذ هبت ريح شديدة، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه فلم أدر كيف ذهب، فجعلت أدعو بذلك الدعاء يومى كله، فلما رجعت إلى المنزل فتشت المتاع الذى فى المنزل، فإذا الخاتم فى بعض ثيابى التى كانت بالمنزل.(1)

صاحب كتاب العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه: ابن حبيب بن حدير بن سالم أبو عمر القرطبى، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى. كان من الفضلاء المكثرين، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين، وكتابه «العقد» يدل على فضائل جمة، وعلوم كثيرة مهمة، ولكنه يدل كثير من كلامه على تشيع فيه، وميل إلى الحط على بنى أمية. وهذا عجيب منه، لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم.(2) قال القاضي ابن خلكان: وله ديوان شعر حسن، ثم أورد منه أشعاراً فى التغزل فى المردان والنسوان أيضاً. وكان مولده فى رمضان سنة ست وأربعين ومائتين، وتوفى بقرطبة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة.(3)

(1) ابن الجوزى (13/ 388-389).
(2) «الوفيات» (1/ 110)، و«السير» (15/ 283).
(3) «الوفيات» (1/ 110).

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب: ابن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو الحسين الأزدي، الفقيه المالكي القاضي ابن القاضي، ناب عن أبيه وعمره عشرون سنة، وكان حافظاً للقرآن والحديث والفقه على مذهب مالك، والفرائض والحساب واللغة، والنحو والشعر. وصنف مسنداً ورزق قوة الفهم وجودة القريحة، وشرف الأخلاق، وله الشعر الرائق الحسن، وكان مشكور السيرة في القضاء، عدلاً ثقة إماماً.(1)

قال الخطيب: أخبرنا أبو الطيب الطبري سمعت المعافى بن زكريا الجريري يقول: كنا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسين فجئنا يوماً ننتظره على العادة فجلسنا عند بابه، وإذا أعرابي جالس كأن له حاجة إذ وقع غراب على نخلة في الدار، فصرخ ثم طار. فقال الأعرابي: هذا الغراب يقول إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام. قال: فزبرناه فقام وانصرف، ثم خرج الإذن من القاضي إلينا أن هلمَّ فادخلوا، فدخلنا فإذا به متغير اللون مغتم، فقلنا: ما الخبر؟ فقال: إني رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول:

مَنازلَ آلِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ * على أهْليكِ والنِّعَمِ السَّلامُ

وقد ضاق لذلك صدري. قال: فدعونا له وانصرفنا. فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم دفن.(2)

وقد كانت وفاته ليوم الخميس لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وصلى عليه ابنه أبو نصر وولي بعده القضاء. قال الصولي: بلغ القاضي أبو الحسين من العلم مبلغاً عظيماً مع حداثة السن، وحين توفي كان الراضي يبكي عليه بحضرتنا ويقول: كنت أضيق بالشيء ذرعاً فيوسعه عليَّ، ثم يقول: والله لا بقيت بعده.

ابن شنبوذ المقرئ: محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، أبو الحسن المقرئ، المعروف بابن شنبوذ. روى عن أبي مسلم الكجي، وبشر بن موسى وخلق، وكان يختار حروفاً أنكرها أهل زمانه عليه، وصنف أبو بكر ابن الأنباري كتاباً في الرد عليه، وقد ذكرنا فيما تقدم كيف أنه عقد له مجلس في دار الوزير أبي عليّ محمد بن عليّ بن مقلة، وأنه ضرب حتى رجع عن كثير من القراءات الشاذة التي أنكرها القراء من أهل عصره عليه. وكانت وفاته في صفر منها، وقد دعا ابن شنبوذ على ابن مقلة حين أمر بضربه فلم يفلح ابن مقلة بعدها.(3)

ابن مقلة الوزير أحد الكتاب المشاهير: محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله أبو علي المعروف بابن مقلة الوزير، وقد كان في أول عمره ضعيف الحال، ثم آل به الحال إلى أن ولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء وهم: المقتدر، والقاهر، والراضي. وعزل ثلاث مرات وقطعت يده ولسانه في آخر عمره، وحبس فكان يستقي الماء بيده اليسرى وأسنانه، وكان مع ذلك يكتب بيده اليمنى بعد قطعها، كما كان يكتب بها وهي صحيحة. وقد كان خطه من أقوى الخطوط، كما هو مشهور عنه، وقد بنى له داراً في زمن وزارته فجمع عند بنائها خلقاً من المنجمين، فاتفقوا على أن تبنى في الوقت الفلاني، فأسس جدرانها بين العشائين كما أشاروا. فما لبث بعد استتمامها إلا يسيراً حتى خربت وصارت كوماً، كما ذكرنا ذلك، وذكرنا ما كتبوا على جدرانها. وقد كان له بستان كبير جداً، فيه عدة أجربة -أي: فدادين- وعليه جميعه شبكة من إبريسم، وفيه من

(1) «تاريخ بغداد» (11/ 229)، و«المنتظم» (13/ 389).
(2) «تاريخ بغداد» (11/ 232).
(3) «تاريخ بغداد» (1/ 280)، و«المنتظم» (3/ 392)، و«السير» (15/ 264).

الطيور من القماري والهزار والببغ والبلابل والطواويس والقبج شيء كثير، وفى أرضه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والإبل شيء كثير أيضاً. ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهاء إلى الهلاك والفناء. وقد أنشد فيه بعض الشعراء حين بنى داره:

قلْ لابنِ مُقْلةَ مَهْلاً لا تَكُنْ عَجِلاً * واصْبِرْ فإنك في أضْغاثِ أحلامِ

تَبْني بأنقاضِ دُورِ الناس مُجْتَهِداً * داراً ستُنقَضُ أيضاً بعدَ أيامِ

ما زلْتَ تَخْتارُ سَعْدَ المُشْتَرِيْ لها * فلم تُوَقَّ بهِ مِن نَحْسِ بَهْرامِ

إن القُرانَ وبطليموسَ ما اجتَمَعا * في حالِ نَقْضٍ ولا في حالِ إبْرامِ

فعزل ابن مقلة عن وزارته وخربت داره وأتلفت أشجاره وقطعت يده، ثم قطع لسانه وأغرم بألف ألف دينار، ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة، فكان يستقى الماء لنفسه من بئر عميق، فكان يمد الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه. وقاسى جهدًا جهيدًا بعد ما ذاق عيشاً رغيداً. ومن شعره حين قطعت يده:

ما سئِمْتُ الحَياةَ لكنْ تَوَثَّقْـ * ـتُ بأيْمانِهمْ فبانَتْ يَميني

بِعْتُ ديني لهم بدُنْيايَ حتى * حرَموني دُنْياهمُ بعدَ ديني

ولقد حُطْتُ ما استَطَعْتُ بجَهْدي * حِفْظَ أرواحِهم فما حفِظوني

ليس بعدَ اليَمينِ لَذَّةُ عيشٍ * يا حَياتي بانَتْ يَميني فبِيني

وكان يبكي على يده كثيراً ويقول: بعدما خدمت بها ثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن مرتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص، ثم ينشد:

إذا ماتَ بعضُك فابْكِ بعضًا * فإن البعضَ مِن بعضٍ قريبُ

وقد مات رحمه الله فى محبسه هذا ودفن فى دار السلطان، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحول فأجيب فنبشوه ودفنه ولده عنده فى داره. ثم سألت زوجته المعروفة بالدينارية أن يدفن فى دارها فنبش ودفن عندها. فهذه ثلاث مرات أيضًا، مات رحمه الله وله من العمر ست وخمسون سنة.

أبو بكر ابن الأنبارى: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر الأنبارى، صاحب كتاب «الوقف والابتداء»، وغير ذلك من المصنفات. وكان من بحور العلم فى اللغة والعربية وغير ذلك. سمع الكديمى وإسماعيل القاضى وثعلباً وغيرهم، وكان ثقة صدوقاً أديباً، ديناً فاضلاً من أهل السنة. من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً له وكانت له من المحافيظ مجلدات عظيمة كثيرة، أحمال أجمال، وكان لا يأكل إلا التقالي ولا يشرب ماء إلا قريب العصر، مراعاة لحفظه، ويقال: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً، وحفظ تعبير الرؤيا فى ليلة، وكان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة، وكانت وفاته ليلة عيد النحر من هذه السنة.(١)

أم عيسى بنت إبراهيم الحربى: كانت عالمة فاضلة، تفتى فى الفقه. توفيت فى رجب منها، ودفنت إلى جانب أبيها رحمهما الله تعالى.

(١) «تاريخ بغداد» (٣/ ١٨٤)، و«المنتظم» (١٣/ ٣٩٩).

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

فى المنتصف من ربيع الأول منها: كانت وفاة الخليفة الراضى بالله أمير المؤمنين أبى العباس أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبي أحمد بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون ألرشيد بن المهدي بن المنصور العباسى، استخلف بعد عمه القاهر لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. وأمه أم ولد رومية تسمى ظلوم، كان مولده فى رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، فكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وعمره يوم مات إحدى وثلاثون سنة وعشرة أشهر.[1] وكان أسمر رقيق السمرة دري اللون أسود الشعر، سبطه قصير القامة، نحيف الجسم، فى وجهه طول، وفى مقدم لحيته تمام وفى شعرها رقة. هكذا وصفه مَنْ شاهده.

قال الخطيب البغدادى: كان للراضى فضائل كثيرة، وختم الخلفاء فى أمور عدة: فمنها أنه كان آخر خليفة له شعر مدوَّن، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه وأموره كل ذلك يجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء.[2] وقال غيره: كان فصيحاً بليغاً كريماً جواداً ممدحاً، ومن جيد كلامه الذى سمعه منه محمد بن يحيى الصولى: لله أقوام هم مفاتيح الخير، وأقوام مفاتيح الشر، فمن أراد الله به خيراً قصد به أهل الخير، وجعله الوسيلة إلينا فنقضى حاجته فهو الشريك فى الثواب والشكر، ومن أراد الله به شراً عدل به إلى غيرنا، فهو الشريك فى الوزر والإثم، والله المستعان على كل حال. ومن ألطف الاعتذارات ما كتب به الراضى إلى أخيه المتقى، وهما فى المكتب -وكان المتقى قد اعتدى على الراضى، والراضى هو الكبير منهما- فكتب إليه الراضي: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا معترف لك بالعبودية فرضاً، وأنت معترف لى بالأخوة فضلاً، والعبد يذنب والمولى يعفو. وقد قال الشاعر:

يا ذا الذي يَغْضَبُ من غيرِ شَيْ * اعْتِبْ فعُتْباك حَبيبٌ إليّ
أنت على أنك لي ظالمٌ * أعَزُّ خَلْقِ اللّهِ طُرًا عليّ

قال: فجاء إليه أخوه المتقى فأكب عليه يقبل يديه وتعانقا واصطلحا.

ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابن الأثير فى «الكامل»:

يَصْفَرُّ وَجْهي إذا تأمَّلَه * طَرْفي ويَحْمَرُّ وجهُه خَجَلاَ
حتى كأنَّ الذي بوَجْنَتِه * من دم جسمي إليه قد نُقِلا

قال: ومما رثا به أباه المقتدر:

ولو أن حيًا كان قبرًا لميتٍ * لَصَيَّرتُ أحْشائي لأعْظُمِه قبرَا
ولو أن عُمري كان طَوْعَ مَشيئتي * وساعدَني المَقْدورُ قاسَمْتُه العُمرَا
بنَفْسي ثرًى ضاجَعْتَ في تُرْبِه البِلَى * لقد ضمَّ منك الغيْثَ والليْثَ والبدْرَا

---

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 142)، و«المنتظم» (13/ 335).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 143).

ومما أنشده له ابن الجوزى فى «المنتظم»:

لا تَعْذِلي كَرَمي على الإسْرافِ * رِبْحُ المَحامِدِ مَتْجَرُ الأشْرافِ
أَجري كآبائي الخلائفِ سابقًا * وأَشِيدُ ما قد أسَّسَتْ أسْلافي
إني مِن القومِ الذين أكُفُّهمْ * مُعْتادةُ الإخلافِ والإتْلافِ

ومن شعره الذى رواه الخطيب من طريق أبى بكر محمد بن يحيى الصولى النديم عنه قوله:

كلُّ صَفْوٍ إلى كَدَرْ * كلُّ أمْنٍ إلى حَذَرْ
ومَصيرُ الشبابِ للـ * ـموتِ فيهِ أو الكِبَرْ
درَّ دَرُّ المَشِيبِ مِن * واعظٍ يُنْذِرُ البَشَرْ
أيُّها الآمِلُ الذي * تاهَ في لُجَّةِ الغَرَرْ
أين مَن كان قبلَنا * درَس العينُ والأثَرْ
سيَرُدُّ المُعارَ مَن * عمرُه كلُّه خَطَرْ
ربِّ إني ذَخَرْتُ عنـ * ـدَك أرْجُوك مُدَّخَرْ
إنني مُؤْمِنٌ بما * بيَّنَ الوَحْيُ في السُّوَرْ
واعْتِرافي بتركِ نَفْـ * ـعي وإيثاري الضَّرَرْ
ربِّ فاغْفِرْ لي الخَطيـ * ـئةَ يا خيرَ مَن غفَرْ

وقد كانت وفاته بعلة الاستسقاء في ليلة السادس عشر من ربيع الأول من هذه السنة، وكان قد أرسل إلى بجكم وهو بواسط؛ ليعهد إلى ولده الأصغر أبي الفضل، فلم يتفق له ذلك، وبايع الناس أخاه المتقي لله إبراهيم بن المقتدر. وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

ذكر خلافة المتقي أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

لما مات أخوه الراضي اجتمع القضاة والأعيان بدار بجكم، واشتوروا فيمن يولون عليهم، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي لله إبراهيم هذا، فأحضروه إلى دار الخلافة، وأرادوا بيعته، فصلى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض لم يصعد إلى الكرسي بعد، ثم صعد إلى السرير، وبايعه الناس، وكان ذلك يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول من هذه السنة، أعني سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فلم يغير على أحد شيئًا، ولا غدر بأحد، حتى ولا على سريته لم يغيرها، ولم يتسر عليها.

وكان كما سُمِّي المتقي لله؛ كثير الصلاة والصيام والتعبد، وقال: لا أريد أحدًا من الجلساء، حسبي المصحف نديمي، لا أريد نديمًا غيره. فقعد عنه الجلساء والندماء والتفوا على بجكم، وكان يجالسهم فيحادثونه ويتناشدون عنده الأشعار، فكان لا يفهم كثير شيء مما يقولون؛ لعجمته، وكان في جملتهم سنان بن ثابت الصابئ المتطبب، وكان بجكم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه، فكان سنان يهذب من أخلاقه ويسكن جأشه، ويروض نفسه حتى يسكن عن بعض ما كان يتعاطاه من سفك الدماء، وكان المتقي لله حسن الوجه، معتدل الخلق، قصير الأنف، أبيض مشربًا حمرةً، وفي شعره شقرةٌ وجعودةٌ، كث اللحية، أشهل العينين، أبيَّ النفس، لم يشرب النبيذ قط، فالتقى فيه الاسم والفعل. ولله الحمد.

ولما استقر المتقي في الخلافة أنفذ الرسُل والخلع إلى بجكم وهو بواسط، ونفذت المكاتبات إلى الآفاق بولاية المتقي لله.

وفي هذه السنة: تحارب أبو عبد الله البريدى وبجكم بناحية الأهواز، فقُتل بجكم فى الحرب واستظهر البريدى عليه وقوى أمره، فاحتاط الخليفة على حواصل بجكم، فكان فى جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار، ومائتا ألف دينار. وكانت أيام بجكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام.(1) ثم إن البريدى حدثته نفسه ببغداد، فأنفق الخليفة أموالاً جزيلة فى الجند ليمنعوه من ذلك، وركب بنفسه، فخرج إلى أثناء الطريق ليمنعه من ذلك، فخالفه البريدى ودخل بغداد فى ثانى رمضان، ونزل بالشفيع، فلما تحقق المتقى ذلك بعث إليه يهنئه وأرسل إليه بالأطعمة، وخوطب بالوزير ولم يخاطب بإمرة الأمراء. فأرسل البريدى يطلب من الخليفة خمسمائة ألف دينار، فامتنع الخليفة من ذلك فبعث يتهدده ويتوعده ويذكره ما حل بالمعتز والمستعين والمهتدى. واختلفت الرسل بينهما، ثم كان آخر ذلك أن بعث إليه الخليفة بذلك قهراً، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدى ببغداد حتى خرج البريدى منها إلى واسط، وذلك أنه ثارت عليه الديالمة والتفوا على كبيرهم كورتكين، وراموا حريق دار البريدى، حين قبض المال من الخليفة ولم يعطهم شيئًا. وكانت البجكمية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضاً وهم والديالم قد صاروا حزبين. فانهزم البريدى من بغداد يوم سلخ رمضان، فاستولى كورتكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقى فقلده إمرة الأمراء، وخلع عليه، واستدعى المتقى لله على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن ففوض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك تكينك غلام بجكم وغرقه.

ثم تظلمت العامة من الديلم، أنهم يأخذون منهم دورهم، فشكوا ذلك إلى كورتكين فلم يشكهم، فمنعت العامة الخطباء أن يصلوا فى الجوامع، واقتتل الديلم والعامة، فقتل من الفريقين خلق كثير وجم غفير. وكان الخليفة قد كتب إلى أبى بكر محمد بن رائق صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم والبريدى، فركب إلى بغداد فى العشرين من رمضان ومعه جيش عظيم، وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خلق كثير. وحين وصل إلى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان، فتراسلا ثم اصطلحا، وحمل ابن حمدان إلى ابن رائق مائة ألف دينار، فلما اقترب ابن رائق من بغداد خرج كورتكين فى جيشه ليقاتله، فدخل ابن رائق بغداد من غربيها ورجع كورتكين بجيشه من شرقيها، ثم تصافوا ببغداد للقتال فساعدت العامة ابن رائق على كورتكين فانهزم الديلم، وقتل منهم خلق كثير، وهرب كورتكين فاختفى، واستقر أمر ابن رائق على بغداد وخلع عليه الخليفة وركب هو وإياه فى دجلة، وظفر ابن رائق بكورتكين فأودعه السجن الذى فى دار الخلافة.

قال ابن الجوزى: وفى يوم الجمعة الثاني عشر من جمادى الأولى: حضر الناس لصلاة الجمعة بجامع براثا، وقد كان المقتدر أحرق هذا المسجد لأنه كبس فوجد فيه جماعة من الشيعة يجتمعون فيه للسب والشتم، فلم يزل خراباً حتى عمره بجكم فى أيام الراضى، ثم أمر المتقى بوضع منبر فيه كان عليه اسم الرشيد وصلى الناس فيه هذه الجمعة. قال: فلم يزل تقام فيه إلى ما بعد سنة خمسين وأربعمائة.(2)

قال ابن الجوزي: وفى جمادى الآخرة فى ليلة سابعه: كانت ليلة برد ورعد وبرق، فسقطت القبة

---

(1) «الكامل» (8/ 371-377). (2) «المنتظم» (14/ 4، 5).

الخضراء من قصر المنصور، وقد كانت هذه القبة تاج بغداد، وعَلَم البلد، ومأثرة من مآثر بنى العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم، وكان بين بنائها وسقوطها مائة وسبع وثمانون سنة.(1)

وقال ابن الجوزي: وخرج التشرينان والكانونان من هذه السنة ولم تمطر بغداد فيها شيئًا سوى مطرة واحدة لم يسل منها ميزاب، فغلت الأسعار ببغداد حتى بيع الكر بمائة وثلاثين دينارًا. ووقع الفناء فى الناس حتى كان الجماعة يدفنون فى القبر الواحد، من غير غسل ولا صلاة، وبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار، واشترى بالدرهم ما كان يساوى الدينار، ورأت امرأة رسول الله ﷺ فى منامها وهو يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء، فأمر الخليفة بامتثال ذلك فصلى الناس واستسقوا فجاءت الأمطار فزادت الفرات شيئاً لم ير مثله، وغرقت العباسية، ودخل الماء شوارع ببغداد، فسقطت القنطرة العتيقة والجديدة، وقطعت الأكراد على قافلة من خراسان الطريق، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف دينار، وكان أكثر ذلك من أموال بجكم التركى.(2) وخرج الناس للحج في هذه السنة ثم رجعوا من أثناء الطريق بسبب رجل من العلويين قد ظهر بالمدينة النبوية، ودعا إلى نفسه وخرج عن الطاعة.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن إبراهيم بن نومرد: الفقيه، أحد أصحاب ابن سريج. خرج من الحمام فسقط عليه فمات من فوره، رحمه الله.

بجكم التركى: الذي تولى إمرة الأمراء ببغداد، قبل بنى بويه. وكان عاقلاً يفهم بالعربية ولا يتكلم بها. يقول: أخاف أن أخطئ والخطأ من الرئيس قبيح. وكان مع ذلك يحب العلم وأهله، وكان كثير الأموال والصدقات، ابتدأ بعمل مارستان ببغداد فلم يتم، فجدده عضد الدولة بن بويه، وكان يقول: العدل أربح للسلطان فى الدنيا والآخرة. وكان يدفن أموالاً كثيرة فى الصحاري، فلما مات لم يدر أين هى، وكان ندماء الراضى قد انحدروا إلى بجكم وهو بواسط، وكان قد ضمنها بثمانمائة ألف دينار، فكانوا يسامرونه كالخليفة، فكان لا يفهم أكثر ما يقولون، وراض له مزاجه الطبيب سنان بن ثابت الصابئ حتى لان خلقه وحسنت سيرته، وقلت سطوته، ولكن لم يعمر إلا قليلاً بعد ذلك. ودخل عليه مرة رجل فوعظه فأبكاه فأمر له بألف درهم، فلحقه بها الغلام فقال بجكم لجلسائه: ما أظنه يقبلها ولا يريدها، وما يصنع هذا بالدنيا؟ هذا محرق بالعبادة، فرجع الغلام وليس معه شيء، فقال: قبلها؟ قال: نعم! فقال بجكم: كلنا صيادون، ولكن الشباك تختلف. وكانت وفاته لسبع بقين من رجب من هذه السنة. وسبب موته أنه خرج يتصيد فلقى طائفة من الأكراد فاستهان بهم فقاتلوه فضربه رجل منهم فقتله. وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام. وخلف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفى ألف دينار، أخذها المتقى لله كلها.

أبو محمد البربهارى: الواعظ، الحسن بن عليّ بن خلف، أبو محمد البربهاري، العالم الزاهد الفقيه الحنبلى الواعظ، صاحب المروذي وسهلاً التسترى، وتنزه عن ميراث أبيه -وكان سبعين ألفًا- لأمر كرهه. وكان شديداً على أهل البدع والمعاصى، وكان كبير القدر عند الخاصة والعامة، وقد عطس يومًا وهو يعظ الناس فشمته الحاضرون، ثم شمته من سمعهم حتى شمته أهل بغداد، فانتهت الضجة إلى دار الخلافة، فغار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة، فطلب فاستتر عند أخت توزون شهراً، ثم أخذه

(1) «المنتظم» (14/ 5، 6).

(2) «المنتظم» (14/ 6، 7).

القيام فمات عندها، فأمرت خادمها أن يصلي عليه فصلى عليه فامتلأت الدار رجالاً عليهم ثياب بيض. فدفنته عندها ثم أوصت أن تدفن عنده. وكان عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة رحمه الله تعالى.(1)

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول أبو بكر الأزرق: لأنه كان أزرق العينين التنوخي الكاتب، سمع جده والزبير بن بكار، والحسن بن عرفة وغيرهم، وكان خشن العيش كثير الصدقة. يقال: إنه تصدق بمائة ألف دينار، وكان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر. روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ. وكان ثقة عدلاً. توفي في ذي الحجة من هذه السنة عن اثنتين وتسعين سنة رحمه الله تعالى.(2)

ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في المحرم منها: ظهر كوكب بذنب رأسه إلى الغرب وذنبه إلى الشرق، وكان عظيماً جداً، وذنبه منتشر، وبقي ثلاثة عشر يوماً إلى أن اضمحل.(3)

قال: وفي نصف ربيع الأول: بلغ الكر من الحنطة مائتي دينار وعشرة دنانير، ومن الشعير مائة وعشرين ديناراً، ثم بلغ كر الحنطة ثلاثمائة وستة عشر ديناراً، وأكل الضعفاء الميتة، ودام الغلاء وكثر الموت، وتقطعت السبل، وشغل الناس بالمرض والفقر، وترك دفن الموتى، وشغل الناس عن الملاهي واللعب. قال: ثم جاء مطر كأفواه القرب، وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعاً وثلثًا.

وذكر ابن الأثير في «كامله»: أن محمد بن رائق الذي هو أمير الأمراء ببغداد حينئذ وقعت بينه وبين أبي عبد الله البريدي الذي بواسط وحشة، بسبب منع البريدي الخراج الذي عنده، فركب إليه ابن رائق ليتسلم ما عنده من المال، فوقعت مصالحة ورجع ابن رائق، فطالبه الجند بأرزاقهم وضاق عليه حاله وتحيز جماعة من الأتراك إلى البريدي، فضعف جانب ابن رائق فكاتب البريدي بالوزارة ببغداد، ثم قطع اسم الوزارة عنه، فاشتد حنق البريدي، وعزم على أخذ بغداد، فبعث أخاه أبا الحسين في جيش، فتحصن ابن رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصب فيها المجانيق والعرادات وعلى دجلة أيضًا. فاضطربت بغداد ونهب الناس بعضهم بعضاً ليلاً ونهاراً، وجاء أبو الحسين أخو أبي عبد الله البريدي بمن معه، فقاتلهم الناس في البر وفي دجلة، وتفاقم الحال واشتد الخطب جداً، مع الغلاء والوباء والفناء. فإنا لله وإنا إليه راجعون.(4) ثم إن الخليفة وابن رائق انهزما في جمادى الآخرة ومع الخليفة ابنه أبو منصور في عشرين فارساً، فقصدوا نحو الموصل واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة، فقتل أصحاب البريدي من وجدوا بدار الخلافة من الحاشية، ونهبوها حتى وصل النهب إلى الحريم، ولم يتعرضوا للقاهر وهو إذ ذاك مكفوف، وأخرجوا كورتكين من الحبس فبعثه أبو الحسين إلى أخيه أبي عبد الله البريدي، فكان آخر العهد به، ونهبوا بغداد جهاراً علانية، ونزل أبو الحسين بدار مؤنس التي كان يسكنها ابن رائق، وكانوا يكبسون الدور ويأخذون ما فيها من الأموال، فكثر الجور وغلت الأسعار جداً، وضرب أبو الحسين المكس على الحنطة والشعير، وذاق أهل بغداد لباس الجوع والخوف. وكان مع أبي الحسين في الجيش طائفة كثيرة من القرامطة، فأفسدوا في

---

(1) «المنتظم» (14/ 14)، و«السير» (15/ 90).
(2) «تاريخ بغداد» (14/ 321)، و«المنتظم» (14/ 18)، و«السير» (15/ 289).
(3) «المنتظم» (14/ 19-20)، و«الكامل» (8/ 379-392).
(4) «الكامل» (8/ 379-380).

البلد فساداً عظيماً، فوقعت بينهم وبين الأتراك حروب طويلة شديدة، فغلبتهم الترك وأخرجوهم من بغداد، ووقعت الحرب بين العامة والديلم أيضاً.

وفى شعبان من هذه السنة: اشتد الحال أيضاً، ونهبت المساكن وكبس أهلها ليلاً ونهاراً، وخرجت الجند من أصحاب البريدى فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات، وجرى ظلم لم يسمع بمثله فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال ابن الأثير: وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم تنقل وتبقى بعدهم على وجه الدهر، فربما تركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله عز وجل.(1) وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة ابن حمدان نائب الموصل يستمده ويستجيش به على البريدى، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة علياً فى جيش كثيف، فلما كان بتكريت إذا الخليفة وابن رائق قد هربا فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه، وقدم سيف الدولة للخليفة المتقي لله خدمة عظيمة في مسيره هذا. ولما وصلوا إلى الموصل خرج عنها ناصر الدولة فنزل شرقيها، وأرسل التحف والضيافات، ولم يجئ خوفاً من الغائلة من جهة ابن رائق نائب العراق وصاحب الشام، فأرسل الخليفة ولده أبا منصور ومعه ابن رائق للسلام على ناصر الدولة، فأمر أن ينثر الذهب والفضة على رأس ولد الخليفة، وجلسا عنده ساعة، ثم قاما ليرجعا، فركب ابن الخليفة وأراد ابن رائق أن يركب معه، فقال له ناصر الدولة: اجلس اليوم عندى حتى نفكر فيما نصنع فى أمرنا هذا، فاعتذر إليه بابن الخليفة واستراب الأمر، فقبض ابن حمدان بكمه فجبذه ابن رائق منه فانقطع كمه، وركب سريعاً فسقط عن فرسه، فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل، وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من رجب من هذه السنة.

فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة يومئذ، وجعله أمير الأمراء، وخلع على أخيه أبى الحسن عليّ ولقبه سيف الدولة يومئذ أيضاً، ولما قتل ابن رائق وبلغ خبر قتله إلى صاحب مصر الإخشيد محمد بن طغج، ركب إلى دمشق فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق ولم ينتطح فيها عنزان. ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق أكثر الأتراك أبا الحسين البريدى لسوء سيرته، وخبث سريرته قبحه الله، وقصدوا الخليفة وابن حمدان في الموصل فقوى بهم ناصر الدولة، وركب هو والخليفة المتقي لله إلى بغداد، فلما اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين البريدى ودخل الخليفة المتقى لله إلى بغداد ومعه بنو حمدان فى جيوش كثيرة، وذلك فى شوال من هذه السنة، ففرح به المسلمون فرحاً شديداً. وبعث إلى أهله، وقد كان أخرجهم إلى سامراء فردهم، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بعد ما كانوا قد رحلوا عنها، ورد الخليفة أبا إسحاق القراريطى إلى الوزارة وولى توزون شرطة جانبى بغداد، وبعث ناصر الدولة أخاه سيف الدولة فى جيش وراء أبى الحسين البريدي فلقيه عند المدائن فاقتتلوا قتالاً شديداً فى أيام نحسات، ثم كان آخر الأمر أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه بواسط، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه فنزل المدائن قوة لأخيه. وقد انهزم سيف الدولة مرة من أبي الحسين فرده أخوه وزاده جيشاً آخر حتى كسر البريدى، وأسر جماعة من أعيان أصحابه، وقتل منهم خلق كثير وجم غفير. ثم أرسل أخاه سيف الدولة إلى واسط لقتال أبى عبد الله البريدى، فانهزم منه البريدى وأخوه إلى البصرة وتسلم سيف الدولة واسطاً، وسيأتى ما كان من خبره مع البريدي فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى. وأما ناصر الدولة فإنه عاد إلى بغداد فدخلها فى ثالث عشر ذى الحجة وبين يديه الأسارى على الجمال، ففرح الناس واطمأنوا ونظر فى المصالح العامة وأصلح معيار

(1) «الكامل» (8/ 382).

الدينار. وذلك أنه وجده قد غيِّر عما كان عليه، فضرب دنانير سماها الإبريزية، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر درهمًا، وإنما كان يباع التي قبلها بعشرة. وعزل الخليفة بدراً الخرشنى عن الحجابة وولاها سلامة الطولونى، وجعل بدراً على طريق الفرات، فسار إلى الإخشيد فأكرمه واستنابه على دمشق فمات بها.

وفيها: وصلت الروم إلى قريب حلب فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: دخل الثملى من طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم، وأسر من بطارقتهم المشهورين فيهم خلقًا كثيرًا، ولله الحمد والمنة.

وممن توفى فيها من الأعيان: إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهرجورى: أحد مشايخ الصوفية، صحب الجنيد بن محمد وغيره من أئمة القوم، وجاور بمكة حتى مات بها. ومن كلامه الحسن قوله: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان: أبو عبد الله الضبى القاضى المحاملى الفقيه الشافعى، المحدث، سمع الكثير وأدرك خلقاً من أصحاب ابن عيينة نحواً من سبعين رجلاً. وروى عن جماعة من الأئمة، وعنه الدارقطنى وخلق، وكان يحضر مجلسه نحو من عشرة آلاف. وكان صدوقاً ديناً فقيهاً محدثاً، ولى قضاء الكوفة ستين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها، ثم استعفى من ذلك كله ولزم منزله، واقتصر على إسماع الحديث. وكانت وفاته فى ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة، رحمه الله. وقد تناظر هو وبعض الشيعة بحضرة بعض الأكابر فجعل الشيعى يذكر مواقف عليّ يوم بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين وشجاعته. ثم قال للمحاملى: أتعرفها؟ قال: نعم، ولكن أتعرف أين كان الصديق يوم بدر؟ كان مع رسول الله ﷺ فى العريش بمنزلة الرئيس الذى يحامى عنه كما يحامى عن رسول الله ﷺ، وعلى رضي الله عنه في مقام المبارزة، ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يهزم الجيش بسببه. فأفحم الشيعى. وقال له المحاملى: وقد قدمه الذين رووا لنا الصلاة والزكاة بعد رسول الله ﷺ حيث لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة تمنعه وتحاجف عنه، وإنما قدموه لعلمهم أنه خيرهم. فأفحم أيضًا.(1)

على بن محمد بن سهل أبو الحسن الصائغ: أحد العباد الزهاد أصحاب الكرامات. روى عن ممشاد الدينورى: أنه شاهد أبا الحسن الصائغ يصلى فى الصحراء فى شدة الحر، ونسر قد نشر جناحه يظله من الحر.

قال ابن الأثير: وفيها توفى على بن إسماعيل الأشعرى: المتكلم صاحب المذهب المشهور، وكان مولده سنة ستين ومائتين، وهو من ولد أبى موسى الأشعرى.(2)

قلت: والصحيح أن الأشعرى توفى سنة أربع وعشرين كما تقدم.

قال: وفيها توفى محمد بن يوسف بن النضر الهروى الفقيه الشافعى: وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين، وأخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعى.

قلت: وقد توفى فيها **أبو حامد** ابن بلال. **وزكريا** بن أحمد البلخى. **وعبد الغافر** بن سلامة الحافظ. **ومحمد** بن رائق الأمير.

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 21-22)، و«المنتظم» (14/ 21-22).
(2) «الكامل» (8/ 392).

والشيخ أبو صالح مفلح الحنبلي: واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي من دمشق، وكانت له كرامات وأحوال ومقامات، وهذه ترجمة أبي صالح الدمشقي الذي ينسب إليه المسجد ظاهر باب شرقي بدمشق: مفلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد، صحب الشيخ أبا بكر محمد بن سيد حمدويه الدمشقي، وتأدب به، وروى عنه الموحد بن إسحاق بن البرى، وأبو الحسن على بن القجة قيّم المسجد، وأبو بكر محمد بن داود الدينورى الدقي. روى الحافظ ابن عساكر من طريق الدقي عن الشيخ أبي صالح. قال: كنت أطوف بجبل اللكام أطلب الزهاد، فمررت برجل وهو جالس على صخرة مطرقًا فقلت له: ما تصنع ههنا؟ فقال: أنظر وأرعى. فقلت له: لا أرى بين يديك إلا الحجارة. فقال: أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي، وبحق الذي أظهرك عليَّ إلا جزت عني. فقلت له: كلمني بشيء أنتفع به حتى أمضي. فقال لي: من لزم الباب أثبت في الخدم، ومن أكثر ذكر الذنوب أكثر الندم، ومن استغنى بالله أمن العدم. ثم تركني ومضى.(1) وعن الشيخ أبي صالح قال: مكثت ستة أو سبعة أيام لم آكل ولم أشرب، ولحقني عطش عظيم، فجئت النهر الذي وراء المسجد فجلست أنظر إلى الماء، فتذكرت قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود:7). فذهب عني العطش فمكثت تمام العشرة أيام.(2)

وعنه قال: مكثت مرة أربعين يوماً لم أشرب ماء فلقيني الشيخ أبو بكر محمد بن سيد حمدويه، فأخذ بيدي وأدخلني منزله، وجاءني بماء وقال لي: اشرب. فشربت، فأخذ فضلتي وذهب إلى امرأته وقال لها: اشربي فضل رجل قد مكث أربعين يوماً لم يشرب الماء. قال أبو صالح: ولم يكن اطلع على ذلك مني أحد إلا الله عز وجل.(3) ومن كلام أبي صالح: الدنيا حرام على القلوب حلال على النفوس، لأن كل شيء يحل لك أن تنظر إليه بعين رأسك فيحرم عليك أن تنظر إليه بعين قلبك. وكان يقول: البدن لباس القلب، والقلب لباس الفؤاد، والفؤاد لباس الضمير، والضمير لباس السر، والسر لباس المعرفة.(4) ولأبي صالح مناقب كثيرة رحمه الله، وقد كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة: دخل سيف الدولة إلى واسط وقد انهزم عنها أبو عبد الله البريدي وأخوه أبو الحسين، ثم اختلف الترك على سيف الدولة ومالوا إلى توزون، وهمَّ بالقبض على سيف الدولة، فهرب منهم قاصدًا إلى بغداد، وبلغ أخاه ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بأمير الأمراء ببغداد الخبر، فخرج من بغداد إلى الموصل، فنهبت دارُه ببغداد، وكانت إمارة ناصر الدولة على بغداد ثلاثة عشر شهرًا وخمسة أيام، وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها، فنزل بباب حرب، وطلب من الخليفة المتقي لله أن يمده بمال يتقوى به على حرب توزون، فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم، ففرقها في أصحابه. وحين سمع بقدوم توزون خرج من بغداد، ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان، فخلع عليه الخليفة، وجعله أمير الأمراء، واستقر أمره ببغداد، وعند ذلك رجع أبو عبد الله البريدي إلى واسط، وأخرج من كان بها من أصحاب توزون، وكان في أسر توزون غلام لسيف الدولة يقال له: ثمال. فأرسله إلى مولاه، فحسن موقع ذلك عند آل حمدان.(5)

(1-4) «تاريخ دمشق» (63/ 71).
(5) «المنتظم» (14/ 26-28)، و«الكامل» (8/ 394-405).

وفيها: كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا، سقط منها عمارات كثيرة، وهلك بسببها خلق كثير.

قال ابن الجوزي: وكان ببغداد فى أيلول وتشرين حر شديد يأخذ بالأنفاس.

وفى صفر: ورد الخبر بورود الروم إلى أرزن وميافارقين وأنهم سبوا وأحرقوا.

وفى ربيع الآخر من هذه السنة: عُقد عَقْد أبي منصور إسحاق ابن الخليفة المتقى عقده على علوية بنت ناصر الدولة بن محمد بن حمدان، على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم، وولى العقد على الجارية أبو عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى، ولم يحضر ناصر الدولة، وضرب ناصر الدولة سكة زاد في الكتابة عليها عبد آل محمد. (1)

قال ابن الجوزي: وفي آذار من هذه السنة غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع الوباء فى الناس، ووافى من الجراد شيء كثير جداً، حتى بيع منه كل خمسين رطلاً بدرهم، فارتفق الناس به فى الغلاء.(2)

وفيها: ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه منديلاً بكنيسة الرها، كان المسيح قد مسح وجهه به فصارت صورة وجهه فيه، ويعد المسلمين أنه إذا أرسل إليه يبعث من أسارى المسلمين خلقاً كثيراً. فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم فى ذلك، فمن قائل: نحن أحق بعيسى منهم، وفى بعثه إليهم غضاضة على المسلمين ووهن. فقال عليّ بن عيسى الوزير: يا أمير المؤمنين إنقاذ أسارى المسلمين من أيدى الكفار خير وأنفع للناس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة. فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص الأسارى من أيديهم.

قال الصولي: ووصل الخبر بأن القرمطى ولد له مولود فأهدى إليه أبو عبد الله البريدى هدايا عظيمة، منها مهد من ذهب مرصع بالجوهر. وكثر الرفض ببغداد فنودى بها: من ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة.(3) وبعث الخليفة إلى عماد الدولة بن بويه خلعاً فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان.

وفيها: كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى صاحب خراسان وما وراء النهر، وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهراً، واتخذ فى داره بيتاً سماه بيت العبادة، فكان يلبس ثياباً نظافاً ويمشى إليه حافياً ويصلى فيه، ويتضرع ويكثر الصلاة. وكان يجتنب المنكرات والآثام إلى أن مات رحمه الله، فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر السامانى، ولقب بالأمير الحميد. فقتل محمد بن أحمد النسفى، وكان قد طعن فيه عنده وصلبه.(4)

وممن توفى فيها من الأعيان: سنان بن ثابت بن قرة الصابئ أبو سعيد المتطبب: أسلم على يد القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا أحد من أهل بيته، وقد كان مقدماً فى الطب وفى علوم كثيرة. وكانت وفاته فى ذى القعدة من هذه السنة بعلة الذرب فلم تغنِ عنه صناعته شيئاً، حين جاءه الموت. وما أحسن ما قال بعض الشعراء فى هذا المعنى:

قلْ للذي صنَع الدواءَ بكَفِّه * أتَرُدُّ مَقْدوراً عليك قد جرى

مات المُداوَى والمُداوِي والذي * صنَع الدواءَ بكفِّه ومَن اشْتَرَى

(1، 2) «المنتظم» (14/ 26-27).

(3) «المنتظم» (14/ 27).

(4) «الكامل» (8/ 401-403).

أبو الحسن الأشعري: ذكر ابن الجوزى فى «المنتظم» وفاة الأشعرى في هذه السنة وتكلم فيه، وحط عليه كما جرت عادة الحنابلة يتكلمون فى الأشعرية قديماً وحديثاً. وذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين، وأنه توفى فى هذه السنة، وأنه صحب الجبائى أربعين سنة ثم رجع عنه، وأنه توفى ببغداد ودفن بمشرعة الروايا.

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة بن الصلت: السدوسى مولاهم أبو بكر، سمع جده وعباساً الدورى وغيرهما، وعنه أبو عمر ابن مهدى، وكان ثقة. وروى الخطيب أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالع مولده المنجمون فحسبوا عمره، وقالوا: إنه يعيش كذا وكذا. فأرصد له أبوه حبًا فيه عن كل يوم من عمره دينار، ثم أرصد له حبًا آخر كذلك، ثم آخر كذلك، فكان يعدل كل يوم بثلاثة دنانير. ومع هذا ما أفاده شيئاً، بل افتقر حتى صار يستعطى من الناس، وكان يحضر مجلس السماع عليه بلا إزار، يتصدق عليه أهل المجلس بشىء يقوم بأوده. والسعيد من أسعده الله.(1)

محمد بن مخلد بن حفص أبو عمر الدورى العطار: كان يسكن الدور -وهى محلة بطرف بغداد- سمع الحسن بن عرفة والزبير بن بكار ومسلم بن الحجاج وغيرهم، وعنه الدارقطنى وجماعة من الحفاظ وكان ثقة فهماً واسع الرواية مشكور الديانة مشهوراً بالعبادة. وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد استكمل سبعاً وتسعين سنة وثمانية أشهر وأحداً وعشرين يومًا.(2)

المجنون البغدادى: روى ابن الجوزى من طريق أبى بكر الشبلى قال: رأيت مجنونًا عند جامع الرصافة، وهو عريان وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله. فقلت له: ما لك ألا تستتر وتدخل الجامع وتصلى؟ فأنشأ يقول:

يَقُـولُون زُرْنا واقْضِ واجبَ حَـقِّنا * وقد أَسقَطَت حالي حُقوقَهمُ عني

إذا هم رأوْا حـالي ولم يَأنَفـوا لهـا * ولم يأنَفـوا منهـا أَنِفْـتُ لهمْ مني(3)

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة

فيها: خرج المتقى لله من بغداد إلى الموصل مغاضبًا لتوزون أمير الأمراء وكان إذ ذاك بواسط، وقد زوج ابنته من أبى عبد الله البريدى، وصارا يداً واحدة على الخليفة، وأرسل ابن شيرزاد فى ثلاثمائة إلى بغداد فأفسد فيها وقطع ووصل، واستقل بالأمور من غير مراجعة المتقى لله. فغضب المتقى وخرج منها مغاضباً بأهله وأولاده ووزيره ومن اتبعه من الأمراء وأعيان أهل بغداد، قاصدًا بنى حمدان، فتلقاه سيف الدولة إلى تكريت، ثم جاءه ناصر الدولة وهو بتكريت أيضًا، وحين خرج المتقى من بغداد أكثر ابن شيرزاد الفساد، وظلم أهلها وصادرهم، وأرسل يعلم توزون، فأقبل مسرعاً نحو تكريت فتواقع هو وسيف الدولة، فهزم توزون سيف الدولة، وأخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة، ثم كر إليه سيف الدولة فهزمه توزون أيضًا. وانهزم الخليفة المتقى وناصر الدولة وسيف الدولة من الموصل إلى نصيبين، وجاء توزون فدخل الموصل وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه، فأرسل الخليفة يقول: لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بنى حمدان. فاصطلحوا، وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف، ورجع توزون إلى

(1) «تاريخ بغداد» (1/ 373)، و«المنتظم» (14/ 30).
(2) «تاريخ بغداد» (3/ 301)، و«المنتظم» (14/ 32).
(3) «المنتظم» (14/ 33).

بغداد، وأقام الخليفة عند بنى حمدان.(1) وفى غيبة توزون عن واسط أقبل إليها معز الدولة بن بويه فى خلق من الديلم كثيرين، فانحدر توزون مسرعًا إلى واسط فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً، فكان آخر الأمر أن انهزم معز الدولة ونهبت حواصله، وقتل من جيشه خلق كثير، وأسر جماعة من أشراف أصحابه. ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصرع، فشغل بنفسه فرجع إلى بغداد.

وفيها: قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف، وكان سبب ذلك: أن أبا عبد الله قل ما فى يده من الأموال، فكان يستقرض من أخيه أبى يوسف فيقرضه القليل، ثم يشنع عليه ويذم تصرفه فمال الجند إلى أبى يوسف وأعرضوا عن أبي عبد الله، فخشى أبو عبد الله أن يبايعوه ويتركوه فأرسل إليه طائفة من غلمانه فقتلوه غيلة، ثم انتقل إلى داره وأخذ جميع حواصله وأمواله، فكان قيمة ما استحوذ عليه من الأموال يقارب ثلاثة آلاف ألف دينار. ولم يمتع بعده إلا ثمانية أشهر مرض فيها مرضاً شديداً بالحمى الحادة، حتى كانت وفاته فى شوال من هذه السنة، فقام بالأمر بعده أخوه أبو الحسين قبحه الله، فأساء السيرة فى أصحابه، فثاروا به فلجأ إلى القرامطة فاستجار بهم، فقام بالأمر من بعده أبو القاسم ابن أبى عبد الله البريدى فى بلاد واسط والبصرة وتلك النواحى من الأهواز وغيرها. وأما الخليفة المتقى لله فإنه لما أقام عند آل حمدان بالموصل ظهر له منهم تضجر، وأنهم يرغبون فى مفارقته. فكتب إلى توزون فى الصلح، فاجتمع توزون مع القضاة والأعيان ببغداد وقرؤوا كتاب الخليفة وقابله بالسمع والطاعة، وحلف له ووضع خطه بالإقرار له، ولمن معه بالإكرام والاحترام والخضوع، فكان من الخليفة ودخوله إلى بغداد ما سيأتى فى السنة الآتية.

وفي هذه السنة: أقبلت طائفة من الروس فى البحر إلى نواحى أذربيجان فقصدوا بردعة فحاصروها، فلما ظفروا بأهلها قتلوهم عن آخرهم، وغنموا أموالهم وسبوا من استحسنوا من نسائهم، ثم مالوا إلى مراغة فوجدوا فيها ثماراً كثيرة، فأكلوا منها فأصابهم وباء شديد فمات أكثرهم، فكان إذا مات أحدهم دفنوا معه سلاحه وماله، فيأخذه المسلمون وأقبل إليهم المرزبان بن محمد فقاتلهم فقتل منهم خلقًا كثيرًا أيضًا، مع ما أصابهم من الوباء الشديد، وطهر الله تلك البلاد منهم.

وفى ربيع الأول من هذه السنة: جاء الدمستق ملك الروم إلى رأس العين فى ثمانين ألفاً، فدخلها ونهب ما فيها وقتل أهلها وسبى منهم نحواً من خمسة عشر ألفاً، وأقام بها ثلاثة أيام، فقصدته الأعراب من كل وجه فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى انجلى عنها.

وفى جمادى الأولى منها: غلت الأسعار ببغداد جداً، وكثرت الأمطار جدًا حتى تهدم البناء، ومات كثير من الناس تحت الهدم، وتعطلت كثير من الحمامات والمساجد من قلة الناس، ونقصت قيمة العقار حتى كان يباع بالدرهم ما كان يساوى الدينار، وخلت أكثر الدور. فكان الملاك يعطون من يسكنها أجرة ليحفظها عليهم من الداخلين إليها لتخريبها. وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل، حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول، وكثرت الفتن من كل جهة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وفى رمضان من هذه السنة: كانت وفاة أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن الجنابى الهَجْرى القرمطى، رئيس القرامطة، لعنه الله، وهذا هو الذى قتل الحجيج حول الكعبة وفيها، وسلبها ستورها

(1) «المنتظم» (14/ 34-35)، و«الكامل» (8/ 406-417).

وبابها وحليتها، واقتلع الحجر الأسود من ركنها، وحمله إلى بلده هجر، وهو في هذه المدة كلها عنده من سنة سبع عشرة كما ذكرنا، ولم يرده إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي. ولما مات أبو طاهر هذا قام بالأمر من بعده في القرامطة إخوته الثلاثة، وهم: أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف، بنو أبي سعيد الجنابي لعنهم الله، وكان أبو العباس ضعيف البدن مقبلاً على قراءة الكتب، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللهو واللعب، ومع هذا كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضًا، قبحهم الله أجمعين.

وفى شوال منها: توفى أبو عبد الله البريدى كما ذكرنا فاستراح المسلمون من هذا وهذا.

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو العباس ابن عقدة الحافظ: أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن أبو العباس الكوفى، المعروف بابن عقدة، لقب أبوه بذلك من أجل تعقيده فى التصريف والنحو، وكان عقدة ورعًا ناسكًا، وكان أبو العباس ابن عقدة من الحفاظ الكبار، سمع الحديث الكثير ورحل فسمع من خلائق من المشايخ، وسمع منه الطبراني والدارقطني وابن الجعابي وابن عدى وابن المظفر وابن شاهين.[1] قال الدارقطني: أجمع أهل الكوفة أنه لم ير من زمن ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة أحفظ منه[2]، ويقال: إنه كان يحفظ نحواً من ستمائة ألف حديث، منها ثلاثمائة ألف فى فضائل أهل البيت، بما فيها من الصحاح والضعاف، وكانت كتبه ستمائة حمل جمل، وكان ينسب مع هذا كله إلى التشيع.[3] قال الدارقطني: كان رجل سوء. ونسبه ابن عدى إلى أنه كان يسوي النسخ لأشياخ ويأمرهم بروايتها.[4] وقال الخطيب: حدثنى على بن محمد بن نصر قال: سمعت حمزة بن يوسف، سمعت أبا عمر ابن حيويه يقول: كان ابن عقدة يجلس فى جامع براثا يملى مثالب الصحابة -أو قال الشيخين- فتركت حديثه لا أحدث عنه بشيء.[5]

قلت: وقد حررت الكلام فيه بما فيه كفاية في كتابي «التكميل» ولله الحمد والمنة، وكانت وفاته فى ذى القعدة منها.

أحمد بن عامر بن بشر بن حامد أبو حامد المروروذى: نسبة إلى مرو الروذ، والروذ النهر، الفقيه الشافعي تلميذ الشيخ أبى إسحاق المروزي نسبة إلى مرو الشاهجان، وهى أعظم من تلك. شرح «مختصر المزنى»، وله كتاب «الجامع فى المذهب» وصنف فى أصول الفقه، وكان إماماً لا يشق غباره، توفى فى هذه السنة، رحمه الله تعالى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

فيها: رجع الخليفة المتقى إلى بغداد وخُلع من الخلافة وسملت عيناه، كان المتقي -وهو مقيم بالموصل- قد أرسل إلى الإخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية فأقبل إليه وقدم عليه فى

(1) «الكامل فى الضعفاء» لابن عدى (1/ 208)، و«تاريخ بغداد» (5/ 14)، و«الضعفاء» لابن الجوزى (1/ 85)، و«السير» (15/ 340).
(2) «تاريخ بغداد» (5/ 16)، و«المنتظم» (14/ 36).
(3) «تاريخ بغداد» (5/ 16).
(4) «الكامل» (1/ 208-209).
(5) «تاريخ بغداد» (5/ 22).

المنتصف من المحرم من هذه السنة، وخضع للخليفة غاية الخضوع، وكان يقوم بين يديه كما يقوم الغلمان، ويمشى والخليفة راكب، ثم عرض عليه أن يسير معه إلى الديار المصرية أو يقيم ببلاد الشام، فأبى عليه ذلك فأشار عليه بالمقام بمكانه الذي هو فيه، ولا يذهب إلى توزون ببغداد، وحذره من توزون ومكره وخديعته، فلم يقبل، وكذلك أشار على الوزير أبي حسين ابن مقلة فلم يسمع. فأهدى ابن طغج للخليفة هدايا كثيرة فاخرة، وكذلك إلى الأمراء والكبراء والوزير، ثم كر راجعًا إلى بلاده، وقد اجتاز بحلب فانحاز عنها صاحبها أبو عبد الله ابن سعيد بن حمدان. وكان ابن مقاتل بها، فأرسله إلى الديار المصرية نائباً عنه حتى يعود إليها.(1) وأما الخليفة فإنه ركب من الرقة في دجلة إلى بغداد، وأرسل إلى توزون فاستوثق منه ما كان حلف من الأيمان فأكدها وقررها، فلما اقترب منها خرج إليه توزون ومعه العساكر، فلما رأى الخليفة قبَّل الأرض بين يديه، وأظهر له أنه قد وفى له بما كان حلف عليه وأنزله في مضربه، ثم جاء فاحتاط على من معه من الكبراء، وأمر بسمل عيني الخليفة فسملت عيناه، فصاح صيحة عظيمة سمعها الحرم فضجت الأصوات بالبكاء، فأمر توزون بضرب الدبادب حتى لا تسمع أصوات الحرم، ثم انحدر من فوره إلى بغداد فبايع للمستكفي بالله. فكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً، وقيل: وأحد عشر شهراً، وستأتي ترجمته عند ذكر وفاته.(2)

خلافة المستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد

لما رجع توزون إلى بغداد وقد خلع المتقي لله وسمله، استدعى بعبد الله بن المكتفي فبايعه على الخلافة ولُقّب بالمستكفي بالله، وذلك في العشر الأواخر من صفر من هذه السنة، وجلس توزون بين يديه وخلع عليه المستكفي خلعه سنية. وكان المستكفي مليح الشكل ربعة حسن الجسم والوجه، أبيض اللون مشرباً حمرة أكحل أقنى الأنف، خفيف العارضين، وكان عمره يوم بويع بالخلافة إحدى وأربعين سنة. وأحضر المتقى بين يديه وبايعه وأخذ منه البردة والقضيب، واستوزر أبا الفرج محمد بن عليّ السامرى، ولم يكن إليه من الأمر شيء، وإنما الذى يتولى الأمور ابن شيرزاد، وحبس المتقى في السجن. وطلب المستكفى أبا القاسم الفضل بن المقتدر، وهو الذى ولى الخلافة بعد ذلك، ولقب المطيع لله، فاختفى منه ولم يظهر مدة خلافة المستكفى، فأمر المستكفى بهدم داره التى عند دجلة.

موت القائم الفاطمي وولاية ولده المنصور

وفي رمضان من هذه السنة -والصحيح في شوال من التي بعدها- توفى القائم بأمر الله القاسم بن المهدي، وقد عهد بالأمر من بعده لولده المنصور إسماعيل، فكتم موت أبيه مدةً حتى استقرَّ أمره، ثم أظهره، وقد كان أبو يزيد الخارجيُّ قد حاربهم في هذه السنة، وأخذ منهم مدنًا كبارًا، وكسروه مرارًا متعددةً، ثم يثور عليهم، ويجمع الرجال ويقاتلهم بمن قدر عليه، فانتدب المنصور لقتال أبي يزيد بنفسه، وركب في الجيوش، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها، وقد بسطها ابن الأثير في «كامله». وقد انهزم في بعض الأحيان جيش المنصور عنه، ولم يبقَ إلا في عشرين نفسًا، فقاتل بنفسه قتالاً عظيمًا، فهزم أبا يزيد بعدما كاد يقتله، وثبت المنصور ثباتًا عظيمًا، فعظم في أعين الناس، وزادت حرمته وهيبته، واستنقذ بلاد القيروان

(1) «المنتظم» (14/ 39-40)، و«الكامل» (8/ 418-447).
(2) «المنتظم» (14/ 39).

منه، وما زال يحاربه المنصور حتى ظفر به وقتله. ولما جيء برأسه سجد شكرًا لله عز وجل، وكان أبو يزيد هذا قبيح الشكل أعرج قصيرًا، خارجيًا شديدًا، يرى تكفير أهل الملة، قبحه الله في الدنيا والآخرة.(1)

وفي ذي الحجة من هذه السنة: قتل أبو الحسين البريدي وصلب ثم أحرق، وذلك لأنه قدم بغداد يستنجد بتوزون وأبي جعفر ابن شيرزاد على ابن أخيه، فوعدوه النصر، ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شيرزاد، فعلم بذلك ابن شيرزاد، فأمر بسجنه وضربه، وأحضر له بعض الفقهاء فتيا عليها خطوط الفقهاء بإباحة دمه، فاستظهر عليه بذلك وأمر بقتله وصلبه، ثم أحرقه، وانقضت أيام البريديين وزالت دولتهم، لا جمع الله بهم شملاً.

وفيها: أخرج المستكفي بالله القاهر من دار الخلافة -الذي كان خليفة ثم سملت عيناه- وأنزله بدار ابن طاهر، وقد افتقر حتى لم يبقَ له من الناس سوى قطن جبة يلتف بها، وفي رجله قبقاب من خشب.

وفي هذه السنة: ركب معز الدولة في رجب منها إلى واسط ليحاصرها، فبلغ خبره إلى توزون، فركب هو والمستكفي بالله، فلما سمع بهم معز الدولة رجع عنها إلى بلاده، وتسلمها الخليفة، وضمنها أبو القاسم ابن أبي عبد الله فضمنه توزون، ثم رجع هو والخليفة إلى بغداد في شوال من هذه السنة.

وفيها: ركب سيف الدولة عليُّ بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب، فتسلمها من يأنس المؤنسي، ثم سار إلى حمص ليأخذها، فجاءته جيوش الإخشيد محمد بن طغج مع مولاه كافور، فاقتتلوا فانهزم كافور الإخشيدي، واستولى سيف الدولة على حمص، ثم ركب إلى دمشق فحاصرها، فلم يفتحها أهلها له، فرجع عنها، وقصده الإخشيد بجيوش كثيفة، فالتقيا بقنسرين، فلم يظفر أحد منهما بالآخر، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة، ثم عاد إلى حلب فاستقر ملكه بها، فقصدته الروم في جحافل عظيمة، فالتقى معهم، فظفر بهم فقتل منهم خلقًا كثيرًا.(2)

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

فى المحرم منها: زاد الخليفة فى لقبه إمام الحق، وكتب ذلك على سكة المعاملة، وقاله الخطباء على المنابر أيام الجُمع.

وفى المحرم من هذه السنة: مات توزون التركى فى داره ببغداد، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام. وكان ابن شيرزاد كاتبه، وكان بهيت لتخليص المال، فلما بلغه الخبر أراد أن يعقد البيعة لناصر الدولة بن حمدان، فاضطربت الأجناد وعقدت الرياسة لنفسه مستهل صفر، وخرج إليه الأجناد كلهم وحلفوا له وحلف له الخليفة والقضاة والأعيان، ودخل على الخليفة فخاطبه بأمير الأمراء، فزاد فى أرزاق الأجناد وبعث إلى ناصر الدولة يطالبه بالخراج، فبعث إليه بخمسمائة ألف درهم، وبطعام ففرقه فى الناس، وأمر ونهى وولى وعزل، وقطع ووصل، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يومًا. ثم جاءت الأخبار بأن معز الدولة بن بويه قد أقبل فى الجيوش قاصدًا إلى بغداد، فاختفى ابن شيرزاد والخليفة أيضًا، وخرج أكثر الأتراك قاصدين إلى الموصل ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان.(3)

---

(1) «الكامل» (8/ 434-441). (2) «الكامل» (8/ 445-446).
(3) «المنتظم» (14/ 42-48)، و«الكامل» (8/ 448-465).

ذكر أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد

أقبل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه في جحافل، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا والإنزالات، وقال للرسول: أخبره أني مسرور به، وأني إنما اختفيت من شر الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل. وبعث إليه بالخلع والتحف، ودخل معز الدولة بن بويه بغداد في حادي عشر جمادى الأولى من هذه السنة، فنزل بباب الشماسية، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه، وخلع عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن عليًا بعماد الدولة، وأخاه أبا عليّ الحسن بركن الدولة، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير. ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم، ونزل أصحابه من الديلم في دور الناس، فلقي الناس من ذلك كلفة شديدة، وأمن معز الدولة ابن شيرزاد، فلما ظهر استكتبه على الخراج، ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف في كل يوم، واستقرت الأمور على هذا النظام.

ذكر القبض على الخليفة المستكفي وخلعه

لما كان اليوم الثاني والعشرون من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى الحضرة، فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسيه، وسحباه فتحزبت عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم، وتفاقم الحال، وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر فبويع بالخلافة، وسملت عينا المستكفي وأودع السجن، فلم يزل به مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي بيانه وذكر ترجمته هنالك.(1)

خلافة المطيع لله

لما قدم معز الدولة بغداد وقبض على المستكفي وسملت عيناه، استدعى بأبي القاسم الفضل بن المقتدر بالله، وقد كان مختفياً من المستكفي وهو يحث في طلبه ويجتهد، فلم يقدر عليه. ويقال: إنه اجتمع بمعز الدولة سراً فحرضه على المستكفي حتى كان من أمره ما كان، فأحضر أبو القاسم ابن المقتدر فبويع بالخلافة ولقب بالمطيع لله، وبايعه الأمراء والأعيان ومعز الدولة والعامة، وضعف أمر الخلافة جدًا حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير أيضاً، وإنما يكون له كاتب على أقطاعه فقط، وإنما مورد أمور المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة، وإنما كان ذلك لأن بني بويه ومن معهم من الديلم فيهم تشيع شديد، فكانوا يرون أن بني العباس قد غصبوا الأمر من العلويين، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة عنهم إلى العلويين واستشار أصحابه في ذلك فكلهم أشار عليه بذلك، إلا رجلاً من أصحابه، كان سديد الرأي فيهم، فإنه قال له: لا أرى لك هذا. قال: ولم ذاك؟ قال: لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة، فمتى أمرت بقتله قتله أصحابك، ولو وليت رجلاً من العلويين لكنت أنت وأصحابك تعتقدون صحة ولايته، فلو بقتلك لقتلك أصحابك. فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول للدنيا لا لله عز وجل.(2)

ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بويه، فركب ناصر الدولة بعدما خرج معز الدولة والخليفة المطيع إلى عكبرا، فدخل بغداد فأخذ الجانب الشرقي ثم الغربي، وضعف أمر معز الدولة

(1) «المنتظم» (14/ 45)، و«الكامل» (8/ 450-451).
(2) «المنتظم» (14/ 46-48)، و«الكامل» (8/ 451-453).

والديالمة الذين معه، ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم، فكان قيمة ما أخذ أصحاب معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار، ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة ومعز الدولة. ورجع ابن حمدان إلى بلده الموصل، واستقر معز الدولة بمدينة السلام بغداد، ثم شرع فى استعمال السعاة ليبلغوا أخاه ركن الدولة أخباره، فغوى العامة فى ذلك وعلموا أبناءهم ذلك، حتى كان من الناس من يقطع نيفاً وثلاثين فرسخاً فى يوم. وأعجبه المصارعون والملاكمون وغير ذلك من أرباب هذه الصناعات التى لا ينتفع بها إلا قليلاً كالسباحة ونحوها، وكانت تضرب الطبول بين يديه ويصارع بين الرجال، والكوسات تدق حول سور المكان الذى هو فيه، وهذه رعونة شديدة وسخافة عقل منه وممن وافقه على ذلك، ثم احتاج معز الدولة إلى صرف أموال فى أرزاق الجند فأقطعهم البلاد عوضاً من أرزاقهم، فأدى ذلك إلى تخريبها وترك عمارتها إلا الأراضى التى بأيدى أصحاب الجاهات.

وفى هذه السنة: وقع غلاء شديد ببغداد، حتى أكلوا الميتة والكلاب والسنانير، وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم. وكثر الموت فى الناس حتى كان لا يدفن أحد أحداً، بل يتركون على الطرقات فيأكل كثيراً منهم الكلاب، وبيعت الدور والعقار بالخبز، وانتجع الناس البصرة، فكان منهم من يموت فى الطريق، ومن وصل منهم مات بعد مديدة.

وفيها: كانت وفاة القائم بأمر الله أبى القاسم محمد بن عبيد الله المهدى، وولى الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل،وكان حازم الرأى شديداً شجاعاً كما ذكرنا ذلك فى السنة الماضية، وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة على الصحيح.

وفيها توفى: الإخشيد محمد بن طغج: صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية، وكانت وفاته بدمشق وله من العمر بضع وستون سنة، وأقيم ولده أبو القاسم أنو جور -وكان صغيرًا- وأقيم كافور الإخشيدي أتابكه، فكان يدبر الممالك بالبلاد كلها، واستحوذ على الأمور كلها وسار إلى مصر فقصد سيف الدولة بن حمدان دمشق فأخذها من أصحاب الإخشيد، ففرح بها فرحاً شديداً، واجتمع بمحمد بن محمد بن نصر الفارابى التركى الفيلسوف بها. وركب سيف الدولة يوماً مع الشريف العقيقي فى بعض نواحي دمشق، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته، وقال: ينبغى أن تكون هذه كلها لديوان السلطان -كأنه يعرض بأخذها من ملاكها- فأوعز ذلك العقيقي إلى أهل دمشق، فكتبوا إلى كافور الإخشيدي يستنجدونه، فأقبل إليهم فى جيوش كثيرة كثيفة، فأجلى عنهم سيف الدولة وطرده عن حلب أيضاً، واستناب عليها ثم كر راجعاً، فاستناب على دمشق بدراً الإخشيدى -ويعرف ببدير- فلما صار كافور إلى الديار المصرية رجع سيف الدولة إلى حلب، فأخذها كما كانت أولاً له، ولم يبقَ له فى دمشق شيء. وكافور هذا هو الذى هجاه المتنبى ومدحه أيضًا.

وممن توفى فيها من الأعيان: الخرقي صاحب المختصر المشهور في الفقه، عمر بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الخرقي: صاحب «المختصر فى الفقه» على مذهب الإمام أحمد، وقد شرحه القاضى أبو يعلى ابن الفراء والشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسى، وقد كان الخرقى هذا من سادات الفقهاء والعباد، كثير الفضائل والعبادة، خرج من بغداد لما كثر بها السب للصحابة، وأودع كتبه ببغداد فاحترقت الدار التى هي فيها، وعدمت مصنفاته، وقصد دمشق فأقام بها حتى مات فى هذه السنة، وقبره بباب الصغير يزار قريباً من

قبور الشهداء. وفي مصنفه هذا مختصر في كتاب الحج: ويأتي الحجر الأسود ويقبله إن كان هناك. وإنما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان حال كون الحجر الأسود بأيدي القرامطة حين أخذوه من مكانه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما ذكرنا، ولم يردوه إلا سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي بيانه في موضعه.

قال الخطيب: قال لي القاضي أبو يعلى: كان له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتبه فاحترقت الدار التي هي فيها واحترقت الكتب فيها ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد.[1] ثم روى الخطيب من طريقه عن أبي الفضل ابن عبد السميع الهاشمي عن الفتح بن شخرف قال: رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في المنام فقال لي: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء!! قال: قلت: زدني يا أمير المؤمنين. قال: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء. قال: ورفع لي كفه فإذا فيها مكتوب:

قد كنتَ ميْتًا فصِرْتَ حيًا * وعن قليلٍ تَصيرُ ميْتَا

فابْنِ بدارِ البَقاءِ بيتًا * ودَعْ بدارِ الفَناءِ بيتَا[2]

قال ابن بطة: مات الخرقي بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وزرت قبره.

محمد بن عيسى أبو عبد الله ابن أبي موسى الفقيه الحنفي: أحد أئمة العراقيين في زمانه، وقد ولي القضاء ببغداد للمتقي ثم للمستكفي، وكان ثقة فاضلاً، كبست اللصوص داره فظنوه أنه ذو مال، فضربه بعضهم ضربة أثخنته، فهرب منهم إلى السطوح فألقى نفسه من شدة الفزع إلى الأرض، فمات -رحمه الله- وذلك في ربيع الأول من هذه السنة.[3]

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي: الوزير الفقيه المحدث الشاعر، سمع الكثير وجمع وصنف، وكان يصوم الاثنين والخميس، ولا يدَع صلاة الليل والتصنيف، وكان يسأل الله الشهادة كثيراً. فولي الوزارة للسلطان فقصده الأجناد يطالبونه بأرزاقهم، واجتمع منهم ببابه خلق كثير، فاستدعى بحلاق فحلق رأسه، وتنور وتطيب ولبس كفنه وقام يصلي، فدخلوا عليه فقتلوه وهو ساجد، رحمه الله، في ربيع الآخر من هذه السنة، والله تعالى أعلم.

الإخشيد محمد بن عبد الله بن طغج بن جف أبو بكر الملقب بالإخشيد: ومعناه ملك الملوك، لقبه بذلك الراضي لأنه كان ملك فرغانة، وكل من ملكها كان يسمى الإخشيد، كما أن من ملك أشروسنة يسمى الإفشين. ومن ملك خوارزم يسمى خوارزم شاه، ومن ملك جرجان يسمى صول، ومن ملك أذربيجان يسمى إصبهبذ، ومن ملك طبرستان يسمى سالار. قاله ابن الجوزي في «المنتظم».[4]

قال السهيلي: وكانت العرب تسمي من ملك الشام مع الجزيرة كافراً قيصر، ومن ملك الفرس يسمى كسرى، ومن ملك اليمن يسمى تبعًا، ومن ملك الحبشة يسمى النجاشي، ومن ملك الهند يسمى بطليموس، ومن ملك مصر كافراً يسمى فرعون، ومن ملك الإسكندرية يسمى المقوقس[5]، وذكر غير ذلك. وكانت وفاته بدمشق ونقل إلى بيت المقدس فدفن هناك رحمه الله.

(1، 2) «تاريخ بغداد» (11/ 234).
(3) «تاريخ بغداد» (2/ 403)، و«المنتظم» (14/ 49).
(4) «المنتظم» (14/ 50). (5) «الروض» (3/ 222)، وقد سبق.

أبو بكر الشبلى: أحد مشايخ الصوفية، اختلفوا فى اسمه على أقوال فقيل: دلف بن جعفر، ويقال: دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، أصله من قرية يقال لها: شبلية من بلاد أشروسنة من خراسان، ولد بسامراء، وكان أبوه حاجب الحجاب للموفق، وكان خاله نائب الإسكندرية، وكانت توبة الشبلى على يدى خير النساج، سمعه يعظ فوقع كلامه فى قلبه فتاب من فوره، ثم صحب الفقراء والمشايخ، ثم كان بعد ذلك من أئمة القوم.(1) قال الجنيد بن محمد: كان الشبلى تاج هؤلاء. وقال الخطيب: أخبرنا أبو الحسن على بن محمود الزوزنى قال: سمعت على بن المثنى التميمى يقول: دخلت على الشبلى فى داره وهو يهيج ويقول:

علـى بُعْـــدِك لا يَصْـــبِـ * ـــرُ مَن عـــادتُه القُـــرْبُ
ولا يَقْـــوَى علـى حـــجـــبِـ * ـــك مَن تيَّـــمـــه الحُـــبُّ
فـــإن لـــم تَـــرَك العـــيـــنُ * فـــقـــد يُبْـــصِـــرُك القـــلـــبُ

وقد ذكر له أحوال وكرامات، وقد ذكرنا أنه ممن اشتبه عليه أمر الحلاج ووافقه في بعض ما نُسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما تحتها، مما كان الحلاج يحاوله من الإلحاد والاتحاد، ولما حضرته الوفاة قال لخادمه: قد كان عليّ درهم من مظلمة فتصدقت عن صاحبه بألوف، ومع هذا ما على قلبى شغل أعظم منه. ثم أمره بأن يوضئه فوضأه وترك تخليل لحيته، فرفع يده -وكان قد اعتقل لسانه- فجعل يخلل لحية نفسه.(2)

وذكره القاضي ابن خلكان فى «الوفيات»، وحكى عنه أنه دخل يوماً على الجنيد فوقف بين يديه وصفق وأنشد:

عَـــوَّدُوني الوِصـــالَ والوَصْلُ عـــذْبُ * ورَمَـــوني بـالـصَّـــدِّ والـصَّـــدُّ صَـعْـبُ
زعَـــمـــوا حـــيـــنَ أَزْمَـــعـــوا أن ذَنْبي * فـــرْطُ حُـــبِّي لهم ومـــا ذاك ذَنْـــبُ
لا وحقِّ الخُـــضـــوعِ عندَ التَّـــلاقي * مـــا جَـــزا مَن يُحِـــبُّ إلا يُـحَـبُّ

ومما كان ينشده الشبلي من الأشعار الرقيقة. وقد أورده ابن عساكر في ترجمته من «تاريخه»:

أسـائلُكُم عنهـا فـهل مِن مُـخَـبِّرٍ * فـمـا لي بنُعْمَى بعـدَ مُكْثَتِنا علمُ
فلو كنتُ أدري أين خَـــيَّم أهلُهـــا * وأيِّ بلادِ اللَّـهِ إذ ظَعَـــنـوا أمُّـــوا
إذًا لسلَكْنا مَـسْلَكَ الريحِ خلفَـهـا * ولو أصبحتْ نُعْمى ومِن دونِها النجمُ

ومن ذلك:

أُسائلُ عن سَلْمى فهل من مُخَبِّرٍ * بـأنَّ لـه علمًـا بهـا أيـــن تَنزلُ

ثم يقولُ: لا وعزتك، وما في الدارين عنك مخبِّرٌ.

قلت: وفي هذا شطح، فقد خبرت عنه تعالى الرسل بالحقِّ ونطقوا بالصدق. وكان يقول: ليس لعارف علامة، ولا لمحب شكوى، ولا لعبد دعوى، ولا لخائف قرار، ولا من الله فرار.

وكان الشِّبْليُّ يقول: العارف صدّره مشروح، وقلبهً مجروح، وجسده مطروح، والعارف من عرف الله، وعرف مراد الله، وعمل بما أمر الله، وأعرض عما نهى الله، ودعا عباد الله إلى الله، والصوفي من صفى قلبه من

(1) «حلية الأولياء» (10/ 366)، و«تاريخ بغداد» (14/ 389)، و«المنتظم» (14/ 50)، و«السير» (15/ 367).
(2) «تاريخ بغداد» (14/ 396).

الكدر فصفا، وسلك طريق المصطفي، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجفا.(1) وقال أيضًا: الصوفيُّ من صفا من الكدر، وخلص من الغير، وامتلأ من الفكر، وتساوى عنده الذهب والمدر. ومما كان ينشده:

أظلت علينا منك يومًا سحابةٌ * أضاءت لنا برقًا وأبطا رشاشُها
فلا غيمُها يَجلُو فيَيْأسَ طامعٌ * ولا غيثُها يأتي فيَرْوَى عِطاشُها

وسُئل: هل يتحقق العارف بما يبدو له من الآثار؟ فقال: كيف يتحقق بما لا يثبت؟ وكيف يطمئن إلى ما لا يظهر؟ وكيف يأنس بما يخفى؟ فهو الظاهر الباطن. ثم أنشأ يقول:

فمن كان في طولِ الهوى ذاق سَلوةً * فإنِّي من لَيلَى لها غيرُ ذائقِ
وأكثرُ شيءٍ نِلتُه مِن وِصالِها * أمانيُّ لم تصدقْ كلَمحةِ بارِق

وكان يقول: الدنيا خيال، وظلُّها وبال، وتركها جمال، والإعراض عنها كمال، والمعرفة بالله اتصال:

لتُحشَرَنَّ عِظامي بعدَ إذ بليَتْ * يومَ الحسابِ وفيها حبُّكمْ عَلِقُ

وسئل الشبْليُّ: هل يتسلى الحبيب بشيء من حبيبه دون مشاهدته؟ فأنشد:

واللهِ لو أنك تَوَّجْتَني * بتاجِ كسرى ملكِ المشرقِ
ولو بأموالِ الورَى جُدْتَ لي * أموال مَن بادَ ومَن قد بَقِي
وقلتَ لا نَلْتَقي ساعةً * اخترتُ يا مولايَ أن نلتَقِي

وكان ينشد أيضًا:

إذا نحن أدْلجْنا وأنت أمامَنا * كفى لمطايانا بذكرِك هاديا

وكان ينشد أيضًا:

ولو أنَّ ركبًا أمَّموك لقادَهم * نسيمُك حتى يَستدِلَّ بك الركبُ
إذا أبصرتْك العينُ مِن بعدِ غايةٍ * وعارَض فيك الشكُّ أثْبَتَكَ القلبُ

وكان ينشد أيضًا:

ليس تَخْلو جوارحي منك وقتًا * هيَ مَشْغُولةٌ بحملِ هَواكَا
ليس يَجري على لسانيَ شيءٌ * عَلِمَ اللهُ ذا سِوى ذِكراكَا
وتَمَثَّلتَ حيث كنتَ بعيني * فهْي إن غبتَ أو حضرتَ تراكا

وكان ينشد أيضًا:

عجبتُ لمن يقولُ نسيتُ إلفي * وهل أَنسَى فأذكرَ مَن هَوِيتُ
أموتُ إذا ذكرتكَ ثم أحيا * ولولا ما أُؤَمِّل ما حَيِيتُ
فأحيا بالمُنى وأموتُ شوقًا * فكم أحيا عليكَ وكم أموتُ
جعلتُ الصمتَ سِترَ الحبِّ حتى * تكلَّمتِ الجفونُ بما لَقيتُ
شربتُ الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ * فما نفِد الشرابُ وما رَوِيتُ

---

(1) «تاريخ ابن عساكر» (70/ 38).

وقال أيضًا: التصوف ترويح القلب بمراوح الصفاء، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء، والتخلق بالسخاء، والبشر في اللقاء.

ونظر يومًا إلى جماعة من المتصوفة فأنشأ:

أما الخيامُ فإنها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها

وقال أيضًا:

إذا أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها، فانظر إلى المزبلة، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفًا من تراب؛ فإنك منها خلقت، وفيها تعود، ومنها تخرج، وإذا أردت أن تعرف ما أنت، فانظر إلى ما يخرج منك عند الخلاء، فلا تتطاول ولا تتكبَّر على من هو مثلك.

وكان ينشد:

وتحسبني حيًا وإني لميِّتٌ * وبعضي من الهجران يبكي على بعضِ

وأنشد أيضًا:

وكذبتُ طرْفي فيك والطَّرْفُ صادقٌ * وأسمعتُ أُذْني فيك ما ليس تَسمعُ

ولم أسْكُن الأرض التي تَسْكُنونها * لكي لا يقولوا إنني بك مولعُ

فلا كبدي تَهْدا ولا فيك رحمةٌ * ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمعُ

وأنشد أيضًا:

فيا ساقيَ القوم لا تنسَني * ويا ربَّةَ الخِدْرِ غنِّي رَمَلْ

خليليَّ إن دام هذا الصدودُ * على ما أراه سريعًا قتلْ

وقد كان شيئًا يُسمَّى السرورَ * قديمًا سمعْنا به ما فعلْ

وسئل الشبْلي عن الرجل يسمع الشيء فلا يفهمه، ويتواجد مع ذلك، فأنشأ يقول:

رُبَّ ورْقاءَ هَتُوفٍ بالضُّحَى * ذاتِ شَجْوٍ صَدَحتْ في فَنَنِ

ذكَرتْ إلفًا ودهرًا صالحًا * فبكتْ حُزْنًا فهاجتْ حَزَنِي

فبكائي رُبَّما أرَّقها * وبكاها رُبَّما أرَّقني

ولقد أشكو فما أُفهِمُها * ولقد تشكو فما تُفهِمُني

غيرَ أنِّي بالجَوَى أعرِفُها * وهْي أيضًا بالجوى تعرِفُني

ووُجد في كلام الشبلي: ما ظنك بمعان هي شموس كلها؛ بل الشموس فيها ظلمة.

وقال أيضًا: الوجد اصطلامٌ. ثم أنشأ يقول:

الوجدُ عني جحودُ * ما لم يكنْ عن شهودِ

وشاهدُ الحقِّ عندي * يُفْني شهودَ الوجودِ

وكان يُنشد:

الكلُّ مني بلائي * وراحتي في فَنائي

وسمع القوّال يومًا، فتواجد كثيرًا والمشايخ سكوت لم يتواجد منهم أحدٌ، فعاتبه بعض المشايخ في ذلك، فأنشأ يقول:

لو يَسْمَعون كما سمعتُ حديثَها * خرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وسجودَا

وأنشأ يقول:

لي سكرتان وللنَّدْمانِ واحدةٌ * شيءٌ خُصِصْتُ به من بينِهم وَحْدي

وكان يقول:

وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ لعلَّةٍ * فأفنيتُ عِلاَّتي فكيف أقولُ

إذا لم يكنْ بيني وبينَك مرسَلٌ * فريحُ الصَّبا منّي إليك رسولُ

ومنه أيضًا:

وكم كَذْبةٍ لي فيك لا أستَقيلها * أقولُ لمَن ألقاه إنيَ صالحُ

فأيُّ صلاحٍ لي وجسميَ ناحلٌ * وقلبي مَشْغوفٌ ودمعيَ سافحُ

وأنشد يومًا، وجلس عنده شابٌّ أمردُ، وعليه ثيابٌ حسانٌ، فطرده من عنده، ثم قال:

طَرَحُوا اللَّحْمَ للبُزا * ةِ على ذِرْوَتَيْ عَدَنْ

ثم لامُوا البزاةَ كم * طَوَّلوا فيهمُ الرَّسَنْ

لو أرادُوا صلاحَنا * سَتَرُوا وجهَهُ الحَسَنْ

وقد روى ابن عساكر عن أبي عليٍّ ابن مقلة الكاتب أنه أنشد له في معنى هذا بيتين أخطأ فيهما:

يا ربُّ تَخْلُقُ أقمارَ ليلٍ * وأغصانَ بانٍ وكُثبانَ رملِ

وتُبْدعُ في كلِّ طَرْفٍ بسحْرٍ * وفي كلِّ قدٍّ رَشيقٍ بكلٍّ

وتَنْهَى عبادَك أن يَعْشَقُوا * أيا حَكَمَ العَدْلِ احْكُمْ بعَدْلِ

قلت: نعم، إن الله إنما ينهى عن الفحشاء، وهو الحكم بالعدل في كل ما أمر به وكل ما ينهى عنه.

وللشبليِّ:

فيومًا تَرانا في الخزورِ نَجُرُّها * ويومًا تَرانا في الحديدِ عوابسَا

ويومًا ترانا للثريدِ نبسُّه * ويومًا ترانا نَأكُلُ الخبزَ يابسَا

وسافر الشبليُّ مرةً إلى البصرة، فلما عاد إلى بغداد سمع جاريةً للخليفة المقتدر تغنيه وهو في التاج من دار الخلافة:

أيا قادمًا مِن سفرةِ الهجرِ مرحبًا * أيا ذاك لا أنْساك ما هبَّتِ الصَّبا

قدِمْتَ على قَلْبي كما قد تركْتَه * كئيبًا حزينًا بالصبابةِ مُتْعَبَا

فصاح الشبليُّ صيحةً، وخرَّ مغشيًا عليه في دجلة، فتداركه الناس، فأخرجوه، وأمر الخليفة بإحضاره، فقال: أنت مجنون. قال: لا، ولكني قدمت من سفر، فسمعت هذه تغنيك بهذين البيتين، فحصل لي ما حصل فبكى الخليفة.

وكان الشبليُّ ينشد، وسمعته كثيرًا من شيخنا العلامة أبي العباس ابن تيمية، رحمه الله، ينشد:

عوى الذئبُ فاستأنستُ للذئب إذ عوى * وصوّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

وله أيضًا:

الناسُ بالعيدِ قد سُرُّوا وقد فرحوا * وما سُررتُ به والواحدِ الصمدِ

لمّا تيقّنتُ أنّي لا أعاينُكم * غمّضتُ عيني فلا أنظرُ إلى أحدِ

وقيل له: إن فلانًا مات فجاءةً. فأنشأ يقول:

قضى اللهُ في القتلى قِصاصَ دمائهم * ولكنْ دماءُ العاشقين جُبارُ

وله أيضًا:

جُننا على ليلي وجُنّتْ بغيرنا * وأخرى بنا مجنونةٌ ما نُريدُها

وله أيضًا:

يا راحتي وعذابي مِن عذابي * أنت ما بي فكيف أكتمُ ما بي

وله أيضًا:

فلو قلتَ طأ في النار بادرتُ نحوَها * سُرورًا لأني قد خطرتُ ببالكا

ولما مرض الشبليُّ بعث إليه المقتدر طبيبًا نصرانيًا، فقال له الطبيب: فلو علمت أن قطع بعض جسدي يشفيك لقطعته. فقال له: يشفيني قطع ما هو أيسر عليك من ذلك. فقال: وما هو؟ قال: قطع زنارك. فقطعه وأسلم، فبلغ ذلك الخليفة فقال: بعثنا طبيبًا إلى عليل، فإذا هو عليلٌ إلى طبيب.

قالوا: ولما احتضر جعل من عنده يقولون: قل: لاَّ إله إلا الله. فقال:

إن بيتًا أنت ساكنُه * غيرُ محتاجٍ إلى السُّرُجِ

وجهُك المأمولُ حُجّتُنا * يومَ يأتي الناسُ بالحُجَجِ

وقد ذكر ابن عساكر أنه كان يقول: أخشى أن أموت بين النفي والإثبات؛ لا إله إلا الله، وإنما كان ذكره: الله الله، ويحتج بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ (الأنعام:91).

وفيما نحاه نظرٌ، فقد قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد:19)، وقال النبي ﷺ : **«أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».**[1]

وذكر عنه أنه قال: رأيت مجنونًا على باب جامع الرصافة يوم جمعة وهو عريان، وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله، فقلت: ألا تستتر وتدخل مع الناس فتصلي، فأنشأ يقول:

يَقولون زُرْنا واقضِ واجبَ حقّنا * وقد أسقطتْ حالي حُقوقَهمُ عني

إذا أبصَروا حالي ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منها أنِفْتُ لهم مني

وذكر الخطيب في «تاريخه» عنه أنه أنشد لنفسه:

مضتِ الشَّبيبةُ والحبيبةُ فانبرى * دمْعانِ في الأجفانِ يزدحمانِ

ما أنصفتني الحادثاتُ رمَيْنَني * بمودِّعَيْنِ وليس لي قلبانِ

---

(1) تقدم تخريجه.

وكانت وفاته، رحمه الله، ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من هذه السنة، وله سبعٌ وثمانون سنةً، ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد[1]. والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

فى هذه السنة: استقر أمر الخليفة المطيع لله فى دار الخلافة، واصطلح معز الدولة بن بويه وناصر الدولة بن حمدان على ذلك، ثم حارب ناصر الدولة تكين التركى فاقتتلا مرات متعددة، ثم ظفر ناصر الدولة بتكين فسمله بين يديه، واستقر أمره بالموصل والجزيرة.[2]

وفيها: استحوذ ركن الدولة بن بويه على الرى وانتزعها من الخراسانية، فاتسعت مملكة بنى بويه، فإنه صار بأيديهم أعمال الرى والجبل وأصبهان وفارس والأهواز والعراق، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار مضر وربيعة من الجزيرة. ثم اقتتل جيش معز الدولة وجيش أبى القاسم ابن البريدى، فهزم أصحاب البريدى وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة.

وفيها: وقع الفداء بين الروم والمسلمين على يد نصر الثملي أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان، فكان عدة الأسارى نحواً من ألفين وخمسمائة مسلم، ولله الحمد والمنة.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن حمويه بن الحسين: القاضى الإستراباذى، روى الكثير وحدث، وكان له مجلس للإملاء، وحكم ببلده مدة طويلة، وكان من المتهجدين بالأسحار، ويضرب به المثل فى مروءته ووجاهته. وقد مات فجأة على صدر جاريته عند إنزاله، رحمه الله.

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الله الختلى: سمع ابن أبى الدنيا وغيره، وحدث عنه الدارقطنى وخلق، وكان ثقة ثبتًا حافظاً، حدث من حفظه بخمسين ألف حديث.

عبد السلام بن رغبان: ابن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد الكلبى، الملقب بديك الجن الشاعر الماجن الشيعى. ويقال: إنه من موالى بنى تميم، وكانت له أشعار قوية، خمارية وغير خمارية، وقد استجاد أبو نواس من شعره فى الخماريات.

على بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن: الوزير، وزر للمقتدر والقاهر، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين وسمع الكثير، وعنه الطبرانى وغيره، وكان ثقة ثبتًا فاضلاً عفيفاً، كثير التلاوة والصلاة والصيام، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم، وكان أصله من الفرس، وكان من أكبر القائمين على الحلاج. وقد روى عنه أنه قال: ملكت سبعمائة ألف دينار أنفقت منها فى وجوه الخير ستمائة ألف وثمانين ألفاً. ولما دخل مكة حين نفى من بغداد طاف بالبيت وبالصفا والمروة وكان حر شديد، فجاء المنزل فألقى نفسه كالميت وقال: أشتهى على الله شربة بثلج. فقال له بعض أصحابه: إن هذا مما لا يتهيأ ههنا. فقال: أعرف ولكني استروحت إلى المنى. فلما كان فى أثناء النهار جاءت سحابة فأمطرت ثم سقط برد شديد كثير، فجمع له صاحبه ذاك من البرد شيئاً كثيراً وخبأه له، وكان الوزير صائماً، فلما أمسى جاء المسجد فأقبل إليه صاحبه بأنواع من الأشربة كلها بثلج، فجعل يسقيه من حوله من الصوفية والمجاورين، ولم يشرب هو شيئًا من ذلك، فلما رجع إلى المنزل جئته بشيء من ذلك الشراب كنا قد خبأناه له، وأقسمت عليه ليشربنه فشربه

---

(1) هذه النقولات من ابن عساكر (70/ 35-45)، وراجع «تاريخ بغداد» (6/ 315-316).
(2) «المنتظم» (14/ 53-55).

بعد جهد، وقال: كنت أشتهى لو كنت تمنيت المغفرة. رحمه الله وغفر له.(1) ومن شعر الوزير أبي الحسن عليّ بن عيسى قوله:

فمَن كان عني سائلاً بشَماتةٍ * لِمَا نابَني أو شامتًا غيرَ سائلِ
فقد أبْرَزَت مني الخُطُوبُ ابنَ حُرَّةٍ * صَبوراً على أهْوالِ تلك الزَّلازلِ

وقد روى أبو القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه عن جماعة: أن عطاراً من أهل الكرخ كان مشهوراً بالسنة، ركبه ستمائة دينار دَيْنًا فغلق دكانه وانكسر عن كسبه ولزم منزله، وأقبل على الدعاء والتضرع والصلاة ليالى كثيرة، فلما كان فى بعض تلك الليالى رأى رسول الله ﷺ فى المنام، وهو يقول له: اقصد عليّ بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار. فلما أصبح الرجل قصد باب الوزير فلم يعرفه أحد، فجلس لعل أحدًا يستأذن له عليه حتى طال عليه المجلس وهمّ بالانصراف، ثم إنه قال لبعض الحجبة: قل للوزير إنى رجل رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وأنا أريد أن أقصه على الوزير. فقال له الحاجب: وأنت الرائي؟ إن الوزير قد أنفذ فى طلبك رسلاً متعددة. ثم دخل فما كان بأسرع من أن أدخلني عليه فأقبل عليه الوزير يستعلم عن اسمه وصفته ومنزله، فذكر ذلك له، فقال له الوزير: إنى رأيت رسول الله ﷺ وهو يأمرنى بإعطائك أربعمائة دينار، فأصبحت لا أدرى من أسأل عنك، وقد أرسلت فى طلبك إلى الآن عدة من الرسل، فجزاك الله خيراً من قصدك إياى. ثم أمر بإحضار ألف دينار، فقال: هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ وستمائة هبة من عندى. فقال الرجل: لا والله لا أزيد على ما أمرنى به رسول الله ﷺ، فإنى أرجو الخير والبركة فيه. ثم أخذ منها أربعمائة دينار، فقال الوزير: هذا هو الصدق واليقين. فخرج الرجل فعرض على أرباب الديون أموالهم، فقالوا: نحن نصبر عليك ثلاث سنين، وافتح بهذا الذهب دكانك ودُمْ على كسبك. فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث، فدفع إليهم مائتى دينار، وفتح الدكان بالمائتين الأخرى، فما حال الحول حتى كسب ألف دينار.(2) ولعليّ بن عيسى أخبار كثيرة صالحة. وكانت وفاته فى هذه السنة عن تسعين سنة. ويقال: فى التى قبلها، والله أعلم.

محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسى: الفقيه الشافعى، كان ثقة ثبتًا فاضلاً، سمع أبا زرعة الدمشقى وغيره، وعنه الدارقطنى وغيره وآخر من حدّث عنه أبو عمر ابن مهدى، وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة.

هارون بن محمد: ابن هارون بن على بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تيم بن صبح بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة أبو جعفر: والد القاضى أبى عبد الله الحسين بن هارون. كان أسلافه ملوك عمان فى قديم الزمان، ويزيد بن جابر أدركه الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عمان فنزل بغداد وحدث بها، وروى عنه ابنه، وكان فاضلاً متضلعاً من كل فن، وكانت داره مجمع العلماء فى سائر الفنون، ونفقاته دارّة عليهم، وكانت له منزلة عالية، ومهابة وافرة ببغداد، وقد أثنى عليه الدارقطنى ثناء كثيراً، وقال: كان مبرزاً فى النحو واللغة والشعر، ومعانى القرآن، والكلام.

(1) «تاريخ بغداد» (12/ 14-15)، و«المنتظم» (14/ 57-58).
(2) «تاريخ بغداد» (12/ 115)، و«المنتظم» (14/ 60-61).

قال ابن الأثير: وفيها توفى أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن صول الصولى: وكان عالماً بفنون الآداب والأخبار، وإنما ذكره ابن الجوزى فى التى بعدها كما سيأتى.

أبو العباس ابن القاص أحمد بن أبى أحمد الطبرى: الفقيه الشافعى، تلميذ ابن سريج، له كتاب «التلخيص» وكتاب «المفتاح»، وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الختن، وأبو عليّ السنجى أيضًا، وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار، وأما هو فتولى قضاء طرسوس وكان يعظ الناس أيضًا، فحصل له خشوع فسقط مغشياً عليه فمات فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة ست وثلاثين، فالله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

فيها: خرج معز الدولة والمطيع لله من بغداد إلى البصرة فاستنقذاها من يد أبى القاسم ابن البريدى، وهرب هو وأكثر أصحابه، واستولى معز الدولة على البصرة، وبعث يتهدد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم، وزاد فى إقطاع الخليفة ضياعاً تعمل فى السنة مائتى ألف دينار، ثم سار معز الدولة لتلقى أخيه عماد الدولة بالأهواز فقبّل الأرض بين يدى أخيه وقام ماثلاً أيضًا ويأمره بالجلوس فلا يفعل. ثم عاد إلى بغداد ورجع الخليفة إليها أيضًا، وقد تمهدت أمور جيدة.(1)

وفى هذه السنة: استحوذ ركن الدولة على بلاد طبرستان وجرجان وانتزعها من يد وشمكير أخى مرداويج ملك الديلم، فذهب وشمكير إلى خراسان يستنجد بصاحبها.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أبو الحسين ابن المنادى أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد:** سمع جده وعباساً الدورى ومحمد بن إسحاق الصاغانى. وكان ثقة أميناً حجة صادقاً، صنف كثيراً وجمع علوماً جمة، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير، وذلك لشراسة أخلاقه. وآخر من روى عنه محمد ابن فارس الغوري، ونقل ابن الجوزى عن أبى يوسف القزويني أنه قال: صنف أبو الحسين ابن المنادى فى علوم القرآن أربعمائة كتاب، ونيفاً وأربعين كتاباً، ولا يوجد فى كلامه حشو، بل هو نقى الكلام جمع بين الرواية والدراية.(2) وقال ابن الجوزى: ومن وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد فى غير كتبه. كانت وفاته فى محرم هذه السنة عن ثمانين سنة.

الصولى محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر الصولى: كان أحد العلماء بفنون الأدب حسن المعرفة بأخبار الملوك، وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. روى عن أبى داود السجستانى والمبرد وثعلب وأبى العيناء وغيرهم. وكان واسع الرواية جيد الحفظ حاذقاً بتصنيف الكتب. وله كتب كثيرة هائلة، ونادم جماعة من الخلفاء، وحظى عندهم، وكان جده صول وأهله ملوكاً بجرجان، ثم كان أولاده من أكابر الكتّاب، وكان الصولى هذا جيد الاعتقاد حسن الطريقة، وله شعر حسن، وقد روى عنه الدارقطنى وغيره من الحفاظ. ومن شعره قوله:

أحْبَبْتُ مِن أجْلِهِ مَن كان يُشْبِهُهُ * وكلُّ شيءٍ مِن المَعْشوقِ مَعْشوقُ
حتى حكَيْتُ بجِسْمى ما بمُقْلَتِه * كأنَّ سُقْمِيَ مِن عينَيْه مَسْروقُ

---

(1) «المنتظم» (14/ 64-65)، و«الكامل» (8/ 469-476).
(2) «المنتظم» (14/ 66).

خرج الصولى من بغداد إلى البصرة لحاجة لحقته، فمات بها فى هذه السنة.

وفيها: كانت وفاة ابنة الشيخ أبى الحسن الزاهد المكى، وكانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة، وإنما كانت تقتات من كسب أبيها مما كان يكتسبه من عمل الخوص، فى كل سنة بثلاثين درهماً يرسلها إليها، فاتفق أن أرسلها مرة مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهمًا -يريد بذلك برها وزيادة فى نفقتها- فلما اختبرتها قالت: هل وضعت على هذه شيئًا؟ اصدقنى بحق الذى حججت له. فقال: نعم. فقالت: ارجع بها فلا حاجة لى فيها، ولولا أنك قصدت الخير لدعوت عليك، فإنك أجعتنى عامى هذا، ولم يبقَ لى رزق إلا من المزابل إلى قابل. فقال: ألا تأخذي منها الثلاثين درهمًا. فقالت: إنها قد اختلطت بمالك ولا أدرى ما هو. قال الرجل: فرجعت بها إلى أبيها فأبى أن يقبلها. وقال: شققت يا هذا علىّ وضيقت عليها، ولكن اذهب فتصدق بها.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

فيها: ركب معز الدولة من بغداد إلى الموصل فانهزم منه ناصر الدولة إلى نصيبين، فتملك معز الدولة بن بويه الموصل فى رمضان من هذه السنة فعسف أهلها وأخذ أموالهم، وكثر الدعاء عليه. ثم عزم على أخذ البلاد كلها من يد ناصر الدولة بن حمدان، فجاءه خبر من أخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة على أن يحمل عما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم، وأن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ففعل. وعاد معز الدولة إلى بغداد وبعث إلى أخيه بجيش هائل، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خراسان.

وفيها: دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم، فلقيه جمع كثيف من الروم فاقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم سيف الدولة وأخذت الروم مرعش، وأوقعوا بأهل طرسوس بأسًا شديدًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.(1)

قال ابن الجوزى: وفى رمضان انتهت زيادة دجلة إلى إحدى وعشرين ذراعًا وثلث، فغرقت الضياع والدور التي عليها، وأشرف الجانب الشرقي على الغرق، وهمَّ الناس بالهرب منها.(2)

وممن توفى فيها من الأعيان: عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم أبو محمد البيع: وهو والد الحاكم أبى عبد الله النيسابورى، أذن ثلاثاً وثلاثين سنة وغزا اثنتين وعشرين غزوة، وأنفق على العلماء مائة ألف، وكان يقوم الليل، كثير الصدقة، أدرك عبد الله بن أحمد ومسلم بن الحجاج، وروى عن ابن خزيمة وغيره، وتوفى عن ثلاث وتسعين سنة.

قدامة الكاتب المشهور: هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، له مصنف فى الخراج وصناعة الكتابة، وبه يقتدى علماء هذا الشأن، وقد سأل ثعلباً عن أشياء.

محمد بن على بن عمر أبو على: المذكر الواعظ بنيسابور، كان كثير التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم، توفى فى هذه السنة عن مائة وسبع سنين سامحه الله.

محمد بن مطهر بن عبد الله أبو النجاء الفقيه الفرضى الضرير المالكى: له كتاب فى الفقه على مذهب مالك، وله مصنفات فى الفرائض قليلة النظير، وكان أديباً فهمًا فاضلاً صادقاً، رحمه الله.

---

(1) «المنتظم» (14/ 72)، و«الكامل» (8/ 477-480).
(2) «المنتظم» (14/ 72).

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

في ربيع الأول منها: وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة، ونهبت الكرخ.

وفي جمادى الآخرة: تقلد القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء القضاة.(1)

وفيها: خرج رجل يقال له: عمران بن شاهين، كان قد استوجب بعض العقوبات، فهرب من السلطان إلى ناحية البطائح، فكان يقتات مما يصيده من السمك والطيور، والتف عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق، فقويت شوكته واستعمله أبو القاسم ابن البريدي على جباية بعض تلك النواحي، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشاً مع وزيره أبي جعفر الصيمري، فهزم الوزير، لكنه دهمه أمر اشتغل به عنه، وذلك:

وفاة عماد الدولة بن بويه

وهو أبو الحسن علي بن بويه، أكبر أولاد بويه وأول من تملك منهم، وكان عاقلاً حازمًا حميد السيرة رئيساً في نفسه. كان أول ظهوره في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة كما ذكرنا. فلما كان في هذا العام قويت عليه الأسقام وتواترت عليه الآلام، فأحس من نفسه بالهلاك، ولم يعادل ما هو فيه من الملك وكثرة الأموال والرجال من الديالم والأتراك ولم يحصلوا له الفكاك، ولم يكن له ولد ذكر، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة يستدعي ولده عضد الدولة، ليجعله ولي عهده من بعده، فلما قدم عليه فرح به فرحاً شديداً، وخرج بنفسه في جميع جيشه لتلقيه، فلما دخل به دار المملكة أجلسه على السرير، وقام بين يديه كأحد الأمراء، ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأعوانه. ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البلدان والأموال، وتدبير الملك والرجال. وفهم من بعض رؤوس الأمراء كراهية لذلك، فشرع في القبض عليهم وقتل من شاء منهم وسجن آخرين، حتى تمهدت الأمور لعضد الدولة. ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز في هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة، وكان من خيار الملوك في زمانه، وممن حاز قصب السبق دون أقرانه، وكان هو في الحقيقة أمير الأمراء، وبذلك كان يكاتبه الخلفاء، ولكن أخوه معز الدولة كان ينوب عنه ببغداد والعراق والسواد. ولما مات عماد الدولة اشتغل الوزير أبو جعفر الصيمري عن محاربة عمران بن شاهين، وقد كتب إليه معز الدولة أن يسير إلى شيراز ويضبط أمورها، فقوي أمر عمران بعد ضعفه، وكان من أمره ما سيأتي بيانه في موضعه.

وممن توفي فيها من الأعيان: أبو جعفر النحاس النحوي: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس أبو جعفر المرادي، المصري النحوي المعروف بالنحاس، اللغوي المفسر الأديب، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره، وقد سمع الحديث ولقي أصحاب المبرد، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة. قال ابن خلكان: لخمس خلون منها يوم السبت. وكان سبب وفاته: أنه جلس عند المقياس يقطع شيئًا من العروض، فظنه بعض العامة يسحر النيل لئلا يوفي فرفسه برجله فسقط فغرق، ولم يدر أين ذهب رحمه الله تعالى.(2) وكان قد أخذ النحو عن علي بن سليمان الأخفش وأبي بكر ابن الأنباري وأبي إسحاق الزجاج ونفطويه وغيرهم، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها «تفسير القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» و«شرح أبيات سيبويه»، ولم يصنف مثله، و«شرح المعلقات والدواوين العشرة»، وغير ذلك. وروى الحديث عن النسائي، وكان بخيلاً جداً، وانتفع الناس به، رحمه الله.

---

(1) «المنتظم» (14/ 75)، و«الكامل» (8/ 481-484).
(2) «الوفيات» (1/ 100).

وفيها: كانت وفاة الخليفة المستكفى بالله، عبد الله بن على المكتفى بالله، وقد ولى الخلافة سنة وأربعة أشهر ويومين، ثم خلع وسملت عيناه كما تقدم ذكره. وكانت وفاته فى هذه السنة وهو معتقل فى داره، وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران.

على بن حمشاذ بن سختويه بن نصر أبو الحسن المعدل: محدث عصره بنيسابور، رحل إلى البلدان وسمع الكثير وحدث وصنف مسندًا في أربعمائة جزء، وله غير ذلك مع شدة الإتقان والحفظ، وكثرة العبادة والصيانة والخشية لله عز وجل. قال بعضهم: صحبته فى السفر والحضر فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وله تفسير فى مائتى جزء ونيف، دخل الحمام من غير مرض فتوفى فيه فجأة، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة، رحمه الله.

على بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو الحسن الواعظ البغدادى: ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى عرف بالمصرى، ثم رجع إلى بغداد، وقد سمع الكثير وروى عنه الدارقطنى وغيره، وكان له مجلس وعظ يحضر فيه الرجال والنساء، وكان يتكلم وهو متبرقع لئلا يرى النساء حسنه وجماله، وقد حضر وعظه أبو بكر النقاش مستخفياً فلما سمع كلامه قام قائماً وشهر نفسه وقال له: القصص بعدك حرام. قال الخطيب: وكان ثقة أميناً عارفاً، جمع حديث الليث وابن لهيعة وله كتب كثيرة فى الزهد. وكانت وفاته فى ذى القعدة منها، وله سبع وثمانون سنة.[1]

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

فى هذه السنة المباركة فى ذى القعدة منها: رُد الحجر الأسود المكى إلى مكانه، وكانت القرامطة قد أخذوه فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم، وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن الجنابى، ولما وقع ذلك أعظم المسلمون ذلك جدًا، وقد بذل لهم الأمير بجكم التركى خمسين ألف دينار ليردوه إلى موضعه فلم يقبلوا، وقالوا: نحن أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره.[2] فلما كان فى هذا العام حملوه إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس، وكتب إخوة أبى طاهر كتاباً فيه: إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر مَنْ أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم. ثم أرسلوه إلى مكة بغير شىء على قعود، فوصل فى ذى القعدة من هذه السنة، ولله الحمد والمنة، وكان مدة مقامه عندهم ثنتين وعشرين سنة، ففرح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا. وقد ذكر غير واحد أن القرامطة حين أخذوه حملوه على عدة جمال فعطبت تحته، واعترى أسنمتها العقر، ولما ردوه حمله قعود واحد لم يصبه بأس، ولله الحمد والمنة.

وفيها: دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش كثيف نحو من ثلاثين ألفاً إلى بلاد الروم، فوغل فيها وفتح حصونًا وقتل خلقًا وأسر أممًا وغنم شيئاً كثيرًا ثم رجع، فأخذت الروم عليه الدرب الذى يخرج منه فقتلوا عامة من معه وأسروا بقيتهم واستردوا ما كان أخذه لهم، ونجا سيف الدولة فى نفر يسير من أصحابه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(1) «تاريخ بغداد» (12/ 76).

(2) «المنتظم» (14/ 80-81)، و«الكامل» (8/ 485-491).

وفيها: مات الوزير أبو جعفر الصيمري، فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي في جمادى الأولى. فاستفحل أمر عمران بن شاهين الصياد وتفاقم الحال به، وبعث إليه معز الدولة جيشاً بعد جيش، يهزمهم مرة بعد مرة، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته واستعماله له على بعض تلك النواحي.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن داود بن بابشاذ أبو سعيد المصري: قدم بغداد. وكان من أفاضل الناس وعلمائهم بمذهب أبي حنيفة، مفرط الذكاء قوي الفهم، كتب الحديث، وكان ثقة. مات ببغداد في هذه السنة، ودفن بمقبرة الشونيزية ولم يبلغ من العمر أربعين سنة.

محمد القاهر بالله أمير المؤمنين ابن المعتضد بالله: ولي الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام، وكان بطاشاً سريع الانتقام، فخاف منه وزيره أبو علي ابن مقلة فاستتر وشرع في العمل عليه عند الأتراك، فخلعوه وسملوا عينيه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر، ثم أخرج في سنة ثلاث وثلاثين إلى دار ابن طاهر، وقد نالته فاقة وحاجة شديدة، وسأل في بعض الأيام. ثم كانت وفاته في هذا العام، وله ثنتان وخمسون سنة، ودفن إلى جانب أبيه المعتضد.

محمد بن عبد الله بن أحمد أبو عبد الله الصفار الأصبهاني: محدث عصره بخراسان، سمع الكثير، وحدّث عن ابن أبي الدنيا ببعض كتبه، وكان مجاب الدعوة، ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفًا وأربعين سنة، وكان يقول: اسمي محمد واسم أبي عبد الله واسم أمي آمنة. يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب والأم.

أبو نصر الفارابي: محمد بن محمد أبو نصر الفارابي، التركي الفيلسوف، وكان من أعلم الناس بالموسيقى، بحيث كان يتوسل بصناعته إلى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء حرك ما يبكي أو ما يضحك أو ما ينوم. وكان حاذقاً في الفلسفة، ومن كتبه تفقه ابن سينا، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين. مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير في «كامله»، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في «تاريخه» لنتنه وقباحته، فالله أعلم.

سنة أربعين وثلاثمائة

فيها: قصد صاحب عمان البصرة ليأخذها في مراكب كثيرة، وجاء لنصره أبو يعقوب الهجري فمانعه عنها الوزير أبو محمد المهلبي وصده عنها، وأسر جماعة من أصحابه وسبى كثيرًا من مراكبه فساقها معه في دجلة، ودخل بها إلى بغداد في أبهة عظيمة[1]، ولله الحمد.

وفيها: رفع إلى الوزير أبي محمد المهلبي رجل من أتباع أبي جعفر محمد بن علي بن أبي العزاقر الذي كان قتل على الزندقة كما قتل الحلاج، وأن هذا الرجل يدعي ما كان يدعيه ابن أبي العزاقر، وقد اتبعه جماعة من الجهلة ببغداد، وصدقوه في دعواه الربوبية، وأن أرواح الأنبياء والصديقين انتقلت إليهم. ووجد في منزله كتب تدل على ذلك. فلما تحقق أنه هالك ادعى أنه شيعي ليحظى عند معز الدولة بن بويه، وقد كان يحب الرافضة قبحه الله. فلما اشتهر ذلك لم يتمكن الوزير منه خوفاً على نفسه من معز الدولة، وأن تقوم عليه الشيعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. غير أنه احتاط على شيء من أموالهم، فكان يسميها أموال الزنادقة.

(1) «المنتظم» (14/ 84)، و«الكامل» (8/ 492-495).

قال ابن الجوزي: وفي رمضان وقعت فتنة عظيمة بسبب المذهب.

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو الحسن الكرخي: عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم، أبو الحسن الكرخي، أحد أئمة الحنفية المشهورين، ولد سنة ستين ومائتين، وسكن بغداد ودرس بها فقه أبي حنيفة، وانتهت إليه رئاسة أصحابه وانتشر أصحابه ببغداد، وكان متعبداً كثير الصلاة والصوم، صبوراً على الفقر، عزوفاً عما في أيدي الناس، وكان مع ذلك رأساً في الاعتزال، وقد سمع الحديث من إسماعيل بن إسحاق القاضي، وروى عنه ابن حيويه وابن شاهين. وأصابه الفالج في آخر عمره، فاجتمع عنده بعض أصحابه واشتوروا فيما بينهم أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان ليساعده بشيء يستعين به في مرضه، فلما علم بذلك رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني. فمات عقب ذلك قبل أن يصل إليه ما أرسل به سيف الدولة، وهو عشرة آلاف درهم. فتُصدق بها بعد وفاته، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة عن ثمانين سنة، وصلى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي، وكان صاحبه، ودفن في درب أبي زيد على نهر الواسطيين.

محمد بن صالح بن زيد أبو جعفر الوراق: سمع الكثير، وكان يفهم ويحفظ، وكان ثقة زاهداً لا يأكل إلا من كسب يده، ولا يقطع صلاة الليل. وقال بعضهم: صحبته سنين كثيرة فما رأيته فعل ما لا يرضى الله عز وجل، ولا قال إلا ما يسأل عنه، وكان يقوم أكثر الليل.

وفيها: كانت وفاة منصور بن قراتكين صاحب الجيوش الخراسانية من جهة الأمير نوح الساماني وكانت وفاته لمرض حصل له، وقيل: لأنه أدمن شرب الخمر أياماً متتابعة فهلك بسبب ذلك، فأقيم بعده في الجيوش أبو علي ابن محتاج.

الزجاجي: مصنف «الجمل»، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النحوي البغدادي الأصل. ثم الدمشقي، مصنف «الجمل في النحو»، وهو كتاب نافع، كثير الفائدة، صنفه بمكة، وكان يطوف بعد كل باب منه ويدعو الله تعالى أن ينفع به. أخذ النحو أولاً عن محمد بن العباس اليزيدي، وأبي بكر ابن دريد، وابن الأنباري، وكانت وفاته في رجب سنة سبع، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وقيل: سنة أربعين، توفي في دمشق، وقيل: بطبرية. وقد شرحت «الجمل» بشروح كثيرة من أحسنها وأجمعها ما وضعه ابن عصفور، والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة

فيها: ملكت الروم سروج، وقتلوا أهلها وخربوا مساجدها.(1)

قال ابن الأثير: وفيها قصد صاحب عمان البصرة فمنعه منها المهلبي كما تقدم.(2)

قال: وفيها: نقم معز الدولة على وزيره فضربه مائة وخمسين مقرعة، ولم يعزله بل رسم عليه.

وفيها: اختصم المصريون والعراقيون بمكة، فخطب لصاحب مصر، ثم غلبهم العراقيون فخطبوا لركن الدولة بن بويه.

وفيها كانت وفاة: المنصور الفاطمي. وهو أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ابن عبيد الله المهدي صاحب المغرب، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة

(1، 2) «المنتظم» (14/ 87)، و«الكامل» (8/ 496-499).

عشر يوماً، وكان عاقلاً شجاعاً فاتكًا، قهر أبا يزيد الخارجي الذى كان لا يطاق شجاعة وإقداماً وصبراً، وكان فصيحاً بليغاً، يرتجل الخطبة على البديهة فى الساعة الراهنة. وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية كما أورده ابن الأثير فى «كامله»، فاختلف عليه الأطباء، وقد عهد بالأمر من بعده لولده المعز الفاطمى وهو بانى القاهرة المعزية كما سيأتى بيان ذلك واسمه معد، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وعشرين سنة، وكان شجاعًا عاقلاً أيضاً حازم الرأى، أطاعه من البربر وأهل تلك الناحية خلق كثير، وبعث مولاه جوهرًا القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك، وهما القصران اللذان هنالك، وذلك فى سنة أربع وستين وثلاثمائة كما سيأتى بيانه.(1)

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد ابن الأعرابى البصري: سكن مكة وصار شيخ الحرم، وصحب الجنيد بن محمد والنورى وغيرهما، وأسند الحديث وصنف كتباً للصوفية.

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح أبو على الصفار: النحوي أحد المحدثين، لقى المبرد واشتهر بصحبته، وكان مولده فى سنة سبع وأربعين ومائتين، وسمع الحسن بن عرفة وعباساً الدورى وغيرهما، وروى عنه جماعة منهم الدارقطنى. وقال: صام أربعة وثمانين رمضان. وقد كانت وفاته فى هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

إسماعيل بن القائم بن المهدى: الملقب بالمنصور العبيدى الذى يزعم أنه فاطمى، صاحب بلاد المغرب. وهو والد المعز بانى القاهرة، وهو بانى المنصورية بالمغرب. كان شجاعًا فصيحًا بليغًا، قال أبو جعفر المروروذي: خرجت معه لما كسر أبا يزيد الخارجي، فبينما أنا أسير معه إذ سقط رمحه فنزلت فناولته إياه وذهبت أفاكهه بقول الشاعر:

فألقَتْ عَصاها واستَقَرَّ بها النَّوَى ❋ كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابِ المُسافِرُ

فقال: هلا قلت كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف:117-119). قال: فقلت له: أنت ابن بنت رسول الله ﷺ، قلتَ كما علمتَ، وأنا قلتُ بما بلغ إليه علمى. قال ابن خلكان: وهذا كما جرى لعبد الملك بن مروان حين أمر الحجاج أن يبنى باباً ببيت المقدس ويكتب عليه اسمه، فبنى له باباً وبنى لنفسه باباً آخر، فوقعت صاعقة على باب عبد الملك فأحرقته، فكتب إليه الحجاج من العراق يسليه عما أهمه من ذلك يقول: يا أمير المؤمنين، ما أنا وأنت إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ (المائدة:27). قال: فسرى عن الخليفة. كانت وفاة المنصور هذا فى هذه السنة لما أصابه برد شديد فمات به.(2)

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة

فيها: دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وغنم أموالاً جزيلة، ورجع سالماً غانمًا.(3)

---

(1) «الكامل» (8/ 497-498).
(2) «الوفيات» (1/ 234-235).
(3) «المنتظم» (14/ 90)، و«الكامل» (8/ 500-506).

وفيها: اختلف الحجيج بمكة، ووقعت حرب بين أصحاب ابن طغج وأصحاب معز الدولة، فغلبهم العراقيون وخطبوا لمعز الدولة، ثم بعد انقضاء الحج اختلفوا فغلبهم العراقيون أيضاً، وجرت حروب كثيرة وخطوب كبيرة بين الخراسانية والسامانية تقصى ذكرها ابن الأثير فى «كامله»، والله تعالى أعلم بالصواب.

وممن توفى فيها من الأعيان: على بن محمد بن أبى الفهم أبو القاسم التنوخى: جد القاضى أبى القاسم التنوخى شيخ الخطيب، ولد بأنطاكية وقدم بغداد فتفقه بها على مذهب أبى حنيفة، وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة، ويعرف النجوم ويقول الشعر، ولى القضاء بالأهواز وغيرها، وقد سمع الحديث من البغوى وغيره، وكان فهماً ذكياً حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة قصيدة لدعبل الشاعر فى ليلة واحدة، وهى ستمائة بيت، وعرضها على أبيه صبيحتها فقام إليه وضمه وقبل بين عينيه وقال: يا بنى لا تخبر بهذا أحداً لئلا تصيبك العين. وذكر ابن خلكان: أنه كان نديماً للوزير المهلبى، ووفد على سيف الدولة بن حمدان فأكرمه وأحسن إليه، وأورد له من شعره أشياء حسنة، فمن ذلك قوله فى الخمر:

وراحٍ مِن الشمس مَخْلوقةٌ * بدَت لك في قَدَحٍ مِن نهارِ
هواءٌ ولكنَّه جامدٌ * وماءٌ ولكنه غيرُ جارِ
كأنَّ المُديرَ له باليمينِ * إذا مال للسَّقيِ أو باليسارِ
تدرَّعَ ثوبًا مِن الياسَمينِ * له فردُ كُمٍّ مِن الجُلَّنَارِ

محمد بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن عبد الخالق: أبو الفرج البغدادى الفقيه الشافعى، يعرف بابن سكرة، سكن مصر وحدث بها، وسمع منه أبو الفتح ابن مسرور، وذكر أن فيه لينًا.

محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون بن الرشيد هارون، أبو بكر: ولى إمرة مكة فى سنة ثمان وستين ومائتين، وقدم مصر فحدث بها عن على بن عبد العزيز البغوى بموطأ مالك. وكان ثقة مأموناً، توفى بمصر فى ذى الحجة من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

فيها: كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين الدمستق، فقتل خلقاً من أصحاب الدمستق، وأسر جماعة من رؤساء بطارقته، ولله الحمد، وكان فى جملة من قتل قسطنطين بن الدمستق وسبى خلقًا كثيراً وأسر آخرين، وذلك فى ربيع الأول من هذه السنة. ثم جمع الدمستق خلقاً كثيراً فالتقوا مع سيف الدولة فى شعبان، فجرت بينهم حروب عظيمة وقتال شديد، فكانت الدائرة للمسلمين وخذل الله الكافرين، فقتل منهم خلق كثير، وأسر جماعة من الرؤوس، وكان منهم صهر الدمستق وابن بنته أيضًا.[1]

وفيها: حصل للناس أمراض كثيرة وحميات وأوجاع فى الحلق.

وفيها: مات الأمير الحميد نوح بن نصر السامانى، صاحب خراسان وما وراء النهر، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن أحمد أبو عليّ الكاتب المصرى: صحب أبا عليّ الروذبارى وغيره، وكان أبو عثمان المغربى يعظم أمره ويقول: أبو عليّ الكاتب من السالكين. ومن كلامه الذى حكاه

(1) «المنتظم» (14/ 94)، و«الكامل» (8/ 507-509).

عنه أبو عبد الرحمن السلمى قوله: روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتبدو عليهم وإن ستروها. وأنشد:

إذا ما أسَرَّتْ أنفُسُ الناسِ ذِكْرَه * تبيَّنته فيهم ولم يتكلَّموا

تَطِيبُ به أنفاسُهم فيُذيعُها * وهل سِرُّ مِسْكٍ أودعَ الرِّيحَ يُكْتَمُ

على بن محمد بن محمد بن عقبة بن همام: أبو الحسن الشيبانى الكوفى، قدم بغداد فحدث بها عن جماعة وروى عنه الدارقطنى. وكان ثقة عدلاً كثير التلاوة فقيهًا، ومكث يشهد على الحكام ثلاثاً وسبعين سنة، مقبولاً عندهم، وأذن فى مسجد حمزة الزيات نيفاً وسبعين سنة، وكذلك أبوه من قبله.

محمد بن على بن أحمد: أبو العباس الكرخى الأديب، كان عالماً زاهداً ورعاً، يختم القرآن كل يوم ويديم الصوم، سمع الحديث من عبدان وأقرانه.

أبو الخير التيناتي: العابد الزاهد، أصله من المغرب، وكان مقيماً بقرية يقال لها: تينات، من عمل أنطاكية، ويعرف بالأقطع لأنه كان مقطوع اليد، كان قد عاهد الله عهداً ثم نكثه، فاتفق أن مسك جماعة من اللصوص فى الصحراء وهو هناك، فأخذ معهم فقطعت يده معهم، وكانت له أحوال وكرامات، وكان ينسج الخوص بيده الواحدة. ودخل عليه بعضهم فشاهد منه ذلك فأخذ عليه العهد أن لا يخبر به أحداً ما دام حياً، فوفى له بذلك.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزى: فيها شمل الناس ببغداد وواسط وأصبهان والأهواز داء مركب من دم وصفراء ووباء، مات بسبب ذلك خلق كثير، بحيث كان يموت فى كل يوم قريب من ألف نفس، وجاء فيها جراد عظيم أكل الخضروات والأشجار والثمار.(1)

وفى المحرم: عقد معز الدولة لابنه أبى منصور بختيار الأمر من بعده بإمرة الأمراء.

وفيها: خرج رجل بأذربيجان ادعى أنه يعلم الغيب، وكان يحرم اللحم وما يخرج من الحيوانات، فأضافه مرة رجل فجاءه بطعام كشكية بشحم فأكله، فقال له الرجل بحضرة من معه: إنك تدعى أنك تعلم الغيب وهذا طعام فيه شحم وأنت تحرمه فلم لا علمته؟ قال: فتفرق الناس عنه.

وفيها: جرت حروب كثيرة بين المعز الفاطمى وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموى، استقصاها ابن الأثير.

وممن توفى فيها من الأعيان: **عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد:** أبو عمرو الدقاق المعروف بابن السماك، روى عن حنبل بن إسحاق وغيره، وعنه الدارقطنى وغيره، وكان ثقة ثبتاً، كتب المصنفات الكثيرة بخطه، توفى فى ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب التبن، وحضر جنازته خمسون ألفاً.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد: أبو جعفر القاضى السمنانى، ولد سنة إحدى وستين ومائتين، وسكن بغداد وحدث بها، وكان ثقة عالماً سخياً حسن الكلام، عراقى المذهب، وكانت داره مجمعًا للعلماء، ثم ولى قضاء الموصل وتوفى بها فى هذه السنة فى ربيع الأول منها.

---

(1) «المنتظم» (14/ 98)، و«الكامل» (8/ 510-513).

محمد بن أحمد بن بُطة بن إسحاق الأصبهانى، أبو عبد الله: سكن نيسابور ثم عاد إلى أصبهان. وليس هذا بأبي عبد الله ابن بطة العكبرى، وهذا بضم الباء من بطة، والفقيه الحنبلى بفتحها. وقد كان جد هذا، وهو بُطة بن إسحاق أبو سعيد، من المحدثين أيضاً. ذكره ابن الجوزى فى «منتظمه».

محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج أبو النضر الفقيه الطوسى: كان فقيهًا عالـمًا ثقة عابداً، يصوم النهار ويقوم الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد رحل فى طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباينة، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث للنوم، وثلث للتصنيف، وثلث للقراءة. وقد رآه بعضهم فى النوم بعد وفاته فقال له: وصلت إلى ما طلبته؟ فقال: إي والله نحن عند رسول الله ﷺ، وقد عرضت مصنفاتى فى الحديث عليه فقبلها.

أبو بكر ابن الحداد الفقيه الشافعى: هو محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر ابن الحداد أحد أئمة الشافعية، روى عن النسائى، وقال: رضيت به حجة بينى وبين الله عز وجل. وقد كان ابن الحداد فقيهاً فروعياً، ومحدثاً ونحوياً وفصيحاً فى العبارة، دقيق النظر فى الفروع، وله كتاب فى ذلك غريب الشكل، وقد ولى القضاء بمصر نيابة عن أبى عبيد ابن حربويه. وذكرناه فى «طبقات الشافعية».

أبو يعقوب الأذرعى إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب بن إبراهيم النهدى: قال ابن عساكر: من أهل أذرعات مدينة بالبلقاء أحد الثقات من عباد الله الصالحين. رحل وحدث عن جماعة وعنه آخرون. وقال غيره: كان من أجلة أهل دمشق وعبادها وعلمائها، وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه وخرق العادة له، فمن ذلك أنه قال: إنى سألت الله أن يقبض بصرى فعميت، فلما استضررت بالطهارة سألت الله عوده فرده عليَّ. توفى بدمشق فى هذه السنة -سنة أربع وأربعين وثلاثمائة- وصححه ابن عساكر وقد نيف على التسعين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

فيها: عصى الروزبهان على معز الدولة وانحاز إلى الأهواز ولحق به عامة من كان مع المهلبى الذى كان يحاربه، فلما بلغ ذلك معز الدولة لم يصدق لأنه كان قد أحسن إليه ورفع من قدره بعد الضعة والخمول، ثم ركب إليه لقتاله فاتبعه الخليفة المطيع لله خوفاً من ناصر الدولة بن حمدان فإنه بلغه أنه جهز جيشاً مع ولده أبى المرجَّى جابر إلى بغداد ليأخذها، حين بلغه أن معز الدولة قد خرج منها فأرسل معز الدولة حاجبه سبكتكين إلى بغداد ليحفظها، وقصد معز الدولة إلى الروزبهان فاقتتلوا قتالاً عظيمًا، فهزمه معز الدولة وفرق أصحابه وأخذه أسيراً إلى بغداد في أبهة عظيمة فسجنه، ثم أخرجه ليلاً وغرقه، لأن الديلم أرادوا إخراجه من السجن قهراً. وانطوى ذكر روزبهان وإخوته، وكان قد اشتعل اشتعال النار. وحظيت الأتراك عند معز الدولة وانحطت الديلم عنده، لأنه ظهر له خيانتهم فى أمر الروزبهان وإخوته.(1)

وفيها: دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم فقتل وسبى ورجع إلى أذنة ثم عاد إلى حلب، فحميت الروم فجمعوا وأقبلوا إلى ميافارقين فقتلوا وسبوا وحرقوا ورجعوا، وركبوا فى البحر إلى طرسوس فقتلوا من أهلها ألفاً وثمانمائة وسبوا وحرقوا قرى كثيرة.

(1) «المنتظم» (14/ 102)، و«الكامل» (8/ 514-518).

وفيها: زلزلت همذان زلزالاً عظيمًا انهدمت البيوت وانشق قصر شيرين بصاعقة، ومات تحت الهدم خلق كثير لا يحصون كثرة فإنا لله وإنا إليه راجعون، ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سب الصحابة من أهل قم، فثار عليهم أهل أصبهان فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا أموال التجار، فغضب ركن الدولة لأهل قم، لأنه كان شيعياً، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة، والله تعالى أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان: غلام ثعلب: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد غلام ثعلب، روى عن الكديمي وموسى بن سهل الوشاء وغيرهما، وروى عنه جماعة، وآخر من حدث عنه أبو علي ابن شاذان وكان كثير العلم والزهد حافظًا مطبقًا يملي من حفظه شيئاً كثيراً، ضابطًا لما يحفظه. ولكثرة إغرابه اتهمه بعضهم ورماه بالكذب، وقد اتفق له مع القاضي أبي عمر وكان يؤدب ولده أنه أملى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهدها وأدلتها من لغة العرب، واستشهد على بعضها ببيتين غريبين جداً، فعرضها القاضي أبو عمر على ابن دريد وابن الأنباري وابن مقسم، فلم يعرفوا منها شيئًا. حتى قال ابن دريد: هذا ما وضعه أبو عمر من عنده، فلما جاء أبو عمر ذكر له القاضي ما قاله ابن دريد عنه، فطلب أبو عمر من القاضي أن يحضر له من كتبه دواوين العرب. فلم يزل يأتيه بشاهد لما ذكره بعد شاهد حتى خرج من الثلاثين مسألة، ثم قال: وأما البيتان فإن ثعلبًا أنشدناهما وأنت حاضر فكتبتهما في دفترك، فطلب القاضي دفتره فإذا هما فيه، فلما بلغ ذلك ابن دريد كف لسانه عن أبي عمر الزاهد فلم يذكره حتى مات. وتوفي أبو عمر هذا يوم الأحد ودفن يوم الاثنين الثالث عشر من ذي القعدة، ودفن في الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخي ببغداد رحمه الله.

محمد بن علي بن أحمد بن رستم أبو بكر المادرائي الكاتب: كان مولده في سنة سبع وخمسين ومائتين بالعراق، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما، وكان على الخراج لخمارويه بن أحمد بن طولون، ثم صار هذا الرجل من رؤساء الناس وأكابرهم، وقد سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبار وطبقته. وقد روى الخطيب عنه أنه قال: كان ببابي شيخ كبير من الكتّاب قد بطل عن وظيفته، فرأيت والدي في المنام وهو يقول: يا بني أما تتقي الله؟أنت مشغول بلذاتك والناس ببابك يهلكون من العرى والجوع، هذا فلان قد تقطع سراويله ولا يقدر على إبداله، فلا تهمل أمره. فاستيقظت مذعوراً وأنا ناو له الإحسان، فنمت ثم استيقظت وقد أنسيت المنام، فبينا أنا أسير إلى دار الملك، إذا بذلك الشيخ على دابة ضعيفة، فلما رآني أراد أن يترجل فبدا لي فخذه وقد لبس الخف بلا سراويل، فلما رأيته ذكرت المنام فاستدعى به عند ذلك، وأطلق له ألف دينار وثيابًا، ورتب له على وظيفته مائتي دينار كل شهر، ووعدته بخير في الآجل أيضًا.(1)

أحمد بن محمد بن إسماعيل: ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، الشريف الحسني الرسي -قبيلة من الأشراف- أبو القاسم المصري الشاعر كان نقيب الطالبيين بمصر ومن شعره قوله:

قالت لطَيْفِ خَيالٍ زارني ومضَى	باللّهِ صِفْهُ ولا تَنْقُصْ ولا تَزِدِ
فقال أبصَرْتُه لو مات من ظَمَأ	وقلت قِفْ لا تَرِدْ للماءِ لم يَرِدِ
قالت صدَقْتَ وفاءُ الحُبِّ عادتُه	يا بردَ ذاك الذي قالت على كَبِدِي

قال ابن خلكان: توفي ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان من هذه السنة.

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 80-81).

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة

فيها: كانت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة في المذهب بسبب السب، فقتل من الفريقين خلق كثير.(1)

وفيها: نقص البحر ثمانين ذراعاً. ويقال: باعاً، فبدت فيه جبال وجزائر لم تكن ترى قبل ذلك.

وفيها: كانت بالعراق وبلاد الرى والجبل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو أربعين يوماً، تسكن ثم تعود، فتهدمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغارت مياه كثيرة، ومات خلق كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: تجهز معز الدولة بن بويه لقتال ناصر الدولة بن حمدان الذي بالموصل، فراسله ناصر الدولة والتزم له بأموال يحملها إليه كل سنة، ثم إنه منع حمل ما اشترط على نفسه فقصده معز الدولة فى السنة الآتية كما سيأتى.

وفيها في تشرين منها: كثرت فى الناس أوجاع فى الحلق والماشرا، وكثر موت الفجأة، حتى إن لصاً نقب داراً ليدخلها فمات وهو فى النقب. ولبس القاضى خلعة القضاء ليخرج للحكم بين الناس فلبس إحدى خفيه فمات قبل أن يلبس الأخرى.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن عبد الله بن الحسن أبو هريرة العدوي: المستملى على المشايخ، كتب عن أبى مسلم الكجى وغيره، وكان ثقة، توفى فى ربيع الآخر منها.

الحسن بن خلف بن شاذان أبو على الواسطى: روى عن إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون وغيرهما، وروى عنه البخارى فى «صحيحه». توفى فى هذه السنة. هكذا رأيت هذه الترجمة فى هذه السنة من «المنتظم» لأبي الفرج ابن الجوزي، والله أعلم.

أبو العباس الأصم: محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموى مولاهم أبو العباس الأصم، مولده فى سنة سبع وأربعين ومائتين، ورأى الذهلى ولم يسمع منه، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد، فسمع الكثير عن الجم الغفير، ثم رجع إلى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة، وقد صار محدثاً كبيراً، ثم طرأ عليه الصمم واستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، وكان مؤذناً فى مسجده سبعين سنة، وحدث ستاً وسبعين سنة، فألحق الأحفاد بالأجداد، وكان ثقة صادقاً ضابطاً لما سمعه ويسمعه، ثم كف بصره قبل موته بشهر، وكان يحدث من حفظه بأربعة عشر حديثاً، وسبع حكايات ومات وقد بقى له سنة من المائة.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

فيها: كانت زلزلة ببغداد فى شهر نيسان وفى غيرها من البلاد الشرقية، فمات بسببها خلق كثير، وخربت دور كثيرة، وظهر فى آخر نيسان وشهر أيار جراد كثير أتلف الغلات الصيفية والثمار. ودخلت الروم آمد، وميّافارقين فقتلوا ألفاً وخمسمائة إنسان، وأخذوا مدينة سميساط وأخربوها فإنا لله وإنا إليه راجعون.(2)

وفى المحرم منها: ركب معز الدولة إلى الموصل فأخذها من يد ناصر الدولة، وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين، ثم إلى ميافارقين، ثم لحقه معز الدولة فصار إلى أخيه سيف الدولة بحلب، ثم راسل سيف الدولة معز الدولة فى المصالحة بينه وبين أخيه ناصر الدولة، فوقع الصلح على حمل كل سنة ألفى ألف وتسعمائة ألف، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح.

---

(1) «المنتظم» (14/ 109-110)، و«الكامل» (8/ 519-521).
(2) «المنتظم» (14/ 114)، و«الكامل» (8/ 522-525).

وفيها: بعث المعز الفاطمي مولاه أبا الحسن جوهراً القائد في جيوش ومعه زيرى بن مناد الصنهاجي ففتحوا بلاداً كثيرة من أقصى المغرب، حتى انتهوا إلى البحر المحيط، فأمر جوهر بأن يصطاد له منه سمك، فأرسل به في قلال الماء إلى المعز الفاطمي، وحظي جوهر عنده وعظم شأنه حتى صار له بمنزلة الوزير.

وممن توفي فيها من الأعيان: الزبير بن عبد الواحد: ابن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم، أبو عبد الله الأسداباذي، رحل وسمع الحديث وطوف الأقاليم، سمع الحسن بن سفيان وابن خزيمة وأبا يعلى وخلقًا، وكان حافظاً متقناً صدوقاً، صنف الشروح والأبواب.

أبو سعيد ابن يونس: صاحب «تاريخ مصر»، هو عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري المؤرخ، كان حافظاً مكثراً خبيراً بأيام الناس وتواريخهم، له تاريخ مفيد جداً لأهل مصر ومن ورد إليها. وله ولد يقال له: أبو الحسن علي، كان منجماً له زيج مفيد يرجع إليه أصحاب هذا الفن، كما يرجع المحدثون إلى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه، ولد سنة إحدى وثمانين ومائتين، وتوفي في هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة بالقاهرة، رحمه الله تعالى.

ابن درستويه النحوي: عبد الله بن جعفر بن دَرَستويه بن المرزبان، أبو محمد الفارسي النحوي، سكن بغداد وسمع عباساً الدوري وابن قتيبة والمبرّد، وسمع منه الدارقطني وغيره من الحفاظ، وأثنى عليه غير واحد، منهم أبو عبد الله ابن منده، وكانت وفاته في صفر من هذه السنة، وذكر له القاضي ابن خلكان مصنفات كثيرة مفيدة، فيما يتعلق باللغة والنحو وغير ذلك.

محمد بن الحسن: ابن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي قاضي بغداد، كان حسن الأخلاق طلابة للحديث، ومع هذا نُسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات والله تعالى أعلم بالصواب.

محمد بن علي أبو عبد الله الهاشمي الخاطب الدمشقي: وأظنه الذي تنسب إليه حارة الخاطب من نواحي باب الصغير، كان خطيب دمشق في أيام الإخشيد، وكان شاباً حسن الوجه مليح الشكل، كامل الخلق. توفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير لا يحصون كثرة، هكذا أرخه ابن عساكر، ودفن بباب الصغير.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

فيها: كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة، قتل فيها خلق كثير، ووقع حريق بباب الطاق، وغرق في دجلة خلق كثير من الحجاج من أهل الموصل نحو من ستمائة نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.(1)

وفيها: دخلت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا، وغنموا ورجعوا سالمين، لعنهم الله.

وفيها: قلت الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يسقوا، وظهر جراد عظيم في آذار فأكل ما نبت من الخضراوات، فاشتد الأمر جداً فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وفيها: عاد معز الدولة إلى بغداد من الموصل وزوّج ابنته من ابن أخيه مؤيد الدولة بن معز الدولة، وسيرها معه إلى الري.

---

(1) «المنتظم» (14/ 118)، و«الكامل» (8/ 527-528).

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن شيبان أبو إسحاق القرميسينى: شيخ الصوفية بالجبل، صحب أبا عبد الله المغربى. ومن جيد كلامه قوله: إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد عنه الرغبة فى الدنيا.

أبو بكر النجاد: أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس، أبو بكر النجاد الفقيه، أحد أئمة الحنابلة ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين، سمع عبد الله بن أحمد وأبا داود، والباغندى وابن أبى الدنيا وخلقاً كثيراً، وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً، وقد جمع المسند وصنف فى السنن كتاباً كبيراً، وكانت له بجامع المنصور حلقتان، واحدة للفقه وأخرى لإملاء الحديث. وحدث عنه الدارقطنى وابن رزقويه وابن شاهين وأبو بكر ابن مالك القطيعي وغيرهم، وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويعزل منه لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة أكل تلك اللقم وتصدق بالرغيف ليلة الجمعة، وكانت وفاته ليلة الجمعة لعشر بقين من ذى الحجة عن خمس وتسعين سنة، ودفن قريباً من قبر بشر بن الحارث الحافى، رحمه الله.

جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم: أبو محمد الخواص المعروف بالخلدى سمع الكثير وحدث كثيراً، وحج ستين حجة، وكان ثقة صدوقاً ديناً.

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد: أبو عمرو الزجاجي النيسابورى صحب أبا عثمان والجنيد والنورى والخواص وغيرهم، وأقام بمكة وكان شيخ الصوفية بها، وحج ستين حجة، ويقال: إنه مكث أربعين سنة لم يتغوط ولم يبل إلا خارج الحرم بالكلية.

محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة: ابن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمى صاحب الألحان، وكان من أحسن الناس صوتًا بتلاوة القرآن وربما سمع أهل كلواذا صوته من بغداد فى الليل، وحج مرة مع أبى القاسم البغوى، فلما كانوا بالمدينة رأوا شيخاً أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعة، فقال البغوى: ينبغي الإنكار عليه. فقال له بعض الجماعة: إنك لست ببغداد يعرفك الناس والجمع كثير ههنا، ولكن أرى أن تأمر أبا بكر الأدمى فيقرأ لنا، فاستفتح فقرأ فانجفل الناس إليه وتركوا الأعمى فلم يبق عنده أحد، فأخذ الأعمى بيد قائده، وقال له: اذهب بي هكذا تزول النعم. وكانت وفاته يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، وقد رآه بعضهم فى المنام بعد موته بمدة فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقاسيت شدائد. فقلت له: فتلك الليالي والمواقف والقراءة؟ فقال: ما كان شيء أضر عليَّ منها، لأنها كانت للدنيا. فقلت: فإلى أى شيء انتهى أمرك؟ فقال: قال لي الله عز وجل: آليت على نفسى أن لا أعذب أبناء الثمانين.

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على: ابن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى المصرى كان من ساداتها وكرمائها وأجوادها، لا تزال الحلواء تعقد بداره، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها كل يوم ببابه، وللناس عليه رواتب الحلواء، فمنهم من يهدى إليه كل يوم، ومنهم فى الجمعة، وفى الشهر. وكان لكافور الإخشيدي فى كل يوم جامان ورغيف من الحُوَّارى، ولما قدم المعز الفاطمى إلى القاهرة تلقاه وسأله: إلى من ينتسب مولانا من أهل البيت؟ فقال: الجواب إلى أهل البلد، فلما دخل القصر جمع الأشراف وسلّ نصف سيفه، وقال: هذا نسبى، ثم نثر عليهم الذهب، وقال: هذا حسبى. فقالوا: سمعنا وأطعنا. والصحيح أن القائل للمعز هذا

الكلام ابن هذا أو شريف آخر، والله أعلم. فإن وفاة هذا كانت فى هذا العام عن اثنتين وستين سنة، والمعز إنما قدم مصر فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتى.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

فيها: ظهر رجل بأذربيجان من أولاد عيسى بن المكتفى بالله فتلقب بالمستجير بالله ودعا إلى الرضا من آل محمد، وذلك لفساد دولة المرزبان فى ذلك الزمان، فاقتتلوا قتالاً كثيراً ثم انهزم أصحاب المستجير وأخذ أسيراً فمات، واضمحل أمره(1)، ولله الحمد.

وفيها: دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وفتح حصوناً، وأحرق بلاداً كثيرة، وسبى وغنم وكر راجعاً، فأخذت عليه الروم الدرب فمنعوه من الرجوع ووضعوا السيف فى أصحابه فما نجا فى ثلاثمائة فارس إلا بعد جهد جهيد.

وفيها: كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة والسنة قتل فيها خلق كثير.

وفيها فى آخرها: توفى أنوجور بن الإخشيد صاحب مصر، وقام بالأمر بعده أخوه على.

وفيها: مات أبو القاسم عبد الله بن أبى عبد الله البريدى الذى كان صاحب الأهواز وواسط.

وفيها: رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا وادياً، فجاءهم سيل فأخذهم كلهم فألقاهم فى البحر عن آخرهم.

وفيها: أسلم من الترك مائتا ألف خركاه فسموا ترك إيمان، ثم خفف اللفظ بذلك فقيل: تركمان.

وممن توفى فيها من الأعيان: جعفر بن حرب الكاتب: كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزراء، فاجتاز يوماً وهو راكب فى موكب له عظيم، فسمع رجلاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد:16). فصاح: اللهم بلى، وكررها دفعات ثم بكى ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة، فاستتر بالماء ولم يخرج منه حتى فرّق جميع ماله فى المظالم التى كانت عليه، وردها إلى أهلها، وتصدق بالباقى ولم يبق له شىء بالكلية، فاجتاز به رجل فتصدق عليه بثوبين فلبسهما، وخرج فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات رحمه الله.(2)

أبو على الحافظ: الحسين ابن على بن يزيد بن داود أبو على الحافظ النيسابورى أحد الأئمة الحفاظ المتقنين المكثرين المصنفين. قال الدارقطنى: كان إماماً مهذباً. وكان ابن عقدة لا يتواضع لأحد كتواضعه له. وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة عن اثنتين وسبعين سنة، رحمه الله.

حسان بن محمد بن أحمد بن هارون: أبو الوليد القرشى الفقيه الشافعى إمام أهل الحديث بخراسان فى زمانه، وأزهدهم وأعبدهم، أخذ الفقه عن ابن سريج وسمع الحديث من الحسن بن سفيان وغيره، وله التصانيف المفيدة، وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعيين». وكانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة، عن اثنتين وسبعين سنة.

حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب: أبو سليمان الخطابى سمع الكثير وصنف التصانيف، منها «المعالم» شرح فيها «سنن أبى داود»، و«الأعلام» شرح فيه «البخارى»، و«غريب الحديث». وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعانى والفقه. ومن أشعاره:

---

(1) «المنتظم» (14/ 126-127)، و«الكامل» (8/ 529-533).
(2) «المنتظم» (14/ 127).

مـا دُمْتَ حـيًـا فـدارِ النـاسَ كلَّهمُ * فـإنمـا أنـت فـي دارِ المُـداراةِ
مَنْ يَدْرِ دارَى ومَنْ لم يَدْرِ سوف يُرَى * عـمـا قليـلٍ نَديمًـا للنَّدامـاتِ

هكذا ترجمه أبو الفرج ابن الجوزى في «منتظمه» حرفًا بحرف.

عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبى هاشم: كان من أعلم الناس بحروف القرآن ووجوه القراءات، وله فى ذلك مصنفات، وكان من الأمناء الثقات، روى عن ابن مجاهد وأبى بكر ابن أبى داود، وعنه أبو الحسن الحمامي، توفى فى شوال منها، ودفن بمقبرة الخيزران.

أبو أحمد العسال الحافظ: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهانى، أحد أئمة الحفاظ وأكابر العلماء، سمع الحديث وحدث به. قال ابن منده: كتبت عن ألف شيخ لم أر فيهم أتقن من أبى أحمد العسال. توفى فى رمضان منها.

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة

فى المحرم منها: مرض معز الدولة بن بويه بانحصار البول، فقلق من ذلك وجمع بين حاجبه سبكتكين ووزيره المهلبى وأصلح بينهما ووصاهما بولده بختيار خيراً، ثم عوفى من ذلك فعزم على الرحيل إلى الأهواز واعتقد أن ما أصابه من هواء بغداد ومائها، فأشير عليه بالمقام بها، وأن يبنى بها داراً فى أعلاها حيث الهواء أرق والماء أصفى، فبنى له داراً غرم عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه، ويقال: أنفق على هذه الدار ألفى ألف دينار، ومات وهو يبنى فيها، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم ببغداد فى بنائها. وكان مما خرب فيها المعشوق من «سر من رأى»، وقلع الأبواب الحديد التى على مدينة المنصور والرصافة وقصرها، وحولها إلى داره هذه، لا تمت فرحته بها.(1)

وفيها: مات القاضى أبو السائب عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه، وولى بعده القضاء أبو عبد الله الحسن ابن أبى الشوارب، وضمن أن يؤدى فى كل سنة إلى معز الدولة مائتى ألف درهم، فخلع عليه معز الدولة وسار ومعه الدبادب والبوقات إلى منزله، وهو أول من ضمن القضاء. ولم يأذن له الخليفة المطيع لله فى الحضور عنده ولا فى حضور الموكب لأجل ذلك، ثم ضمن معز الدولة الشرطة وضمن الحسبة أيضًا.

وفيها: سار قفل من أنطاكية يريدون طرسوس، وفيهم نائب أنطاكية، فثار عليهم الفرنج فأخذوهم عن بكرة أبيهم، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحاً فى مواضع من بدنه.

وفيها: دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم فقتل وسبى وغنم ورجع سالماً.

وفيها توفى الأمير: عبد الملك بن نوح: صاحب خراسان، سقط عن فرسه فمات، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح السامانى.

وفيها توفى: الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموى: صاحب الأندلس، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة، وترك أحد عشر ولداً، وكان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وتغلب الفاطميين ببلاد المغرب، فتلقب بأمير

(1) «المنتظم» (14/ 132)، و«الكامل» (8/ 534-536).

المؤمنين قبل موته بثلاث وعشرين سنة. ولما توفى قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمستنصر، ومن جملة أولاد الناصر عبد الله، وكان شافعي المذهب ناسكاً شاعراً، ولا يعرف في الخلفاء أطول مدة من الناصر الأموى، فإنه مكث خمسين سنة، سوى المستنصر بن الحاكم الفاطمي صاحب مصر، فإنه مكث ستين سنة كما سيأتي بيان ذلك في موضعه.

ومن توفى فيها من الأعيان: **أبو سهل ابن زياد القطان:** أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطان، كان ثقة حافظاً كثير التلاوة للقرآن، حسن الانتزاع للمعاني منه، فمن ذلك: أنه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران: 156).

إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الخطبي: سمع الحارث بن أبي أسامة وعبد الله ابن أحمد الكديمي وغيرهم، وعنه الدارقطني وغيره من الحفاظ، وكان ثقة حافظاً فاضلاً نبيلاً عارفاً بأيام الناس والخلفاء، وله تاريخ مرتب على السنين، وكان أديبًا لبيبًا عاقلاً صدوقًا، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة، رحمه الله.

أحمد بن محمد بن سعيد: ابن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي مريم أبو بكر القرشي الوراق، ويعرف بابن فطيس، وكان حسن الكتابة مشهوراً بها، وكان يكتب الحديث لابن جوصا، ترجمه ابن عساكر وأرخ وفاته بثاني شوال من هذه السنة.

تمام بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو بكر الهاشمي العباسي: حدث عن عبد الله بن أحمد، وعنه ابن رزقويه، توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة أيضًا، رحمه الله.

الحسين بن القاسم أبو علي الطبري: الفقيه الشافعي، أحد الأئمة، له «المحرر» في الخلاف، وهو أول مصنف فيه، وله «الإفصاح في المذهب»، وكتاب في الجدل، وكتاب في أصول الفقه وغير ذلك من المصنفات، وقد ذكرناه في «الطبقات».

عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم: ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أبو جعفر الهاشمي الإمام، ويعرف بابن بريه، ولد سنة ثلاث وستين ومائتين، روى عن ابن أبي الدنيا وغيره، وعنه ابن رزقويه، وكان خطيباً بجامع المنصور مدة طويلة، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلاثمائة، وقبلها بمائة سنة خطب فيه الواثق سنة ثلاثين ومائتين وهما في النسب إلى المنصور سواء. توفي في صفر منها.

عتبة بن عبد الله بن موسى بن عبيد الله أبو السائب الهمذاني القاضي الشافعي: كان فاضلاً بارعاً، تقدم وولي القضاء، وكان فيه تخليط في الأمور، وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأمر بي إلى الجنة على ما كان مني من التخليط، وقال لي: إني آليت أن لا أعذب أبناء الثمانين. وهذا الرجل أول من ولي قضاء القضاة ببغداد من الشافعية.

محمد بن أحمد بن خنب بن أحمد بن راجيان أبو بكر الدهقان: بغدادي، سكن بخارى وحدث بها عن يحيى بن أبي طالب، والحسن بن مكرم وغيرهما، وتوفي عن سبع وثمانين سنة.

أبو علي الخازن: توفي في شعبان منها فوجد في داره من الدفائن وعند الناس من الودائع ما يقارب أربعمائة ألف دينار، والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

دخول الروم إلى حلب

فيها: دخل الدمستق ملك الروم، لعنه الله، إلى حلب في مائتي ألف مقاتل، وكان سبب ذلك أنه ورد عليها بغتةً، فنهض إليه سيف الدولة بن حمدان بمن حضر من أصحابه فقاتله فلم يقو به لكثرة جنوده، وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقًا كثيرًا، وكان سيف الدولة قليل الصَّبر، ففرَّ منهزمًا في نفر يسير من أصحابه، فكان أول ما استفتح به أن استحوذ على دار سيف الدولة ظاهر البلد، فأخذ منها أموالاً عظيمة وحواصل، وعددًا للحرب لا تحصى كثرةً، ثم تدنى فحاصر السور، فقاتل أهل البلد دونه قتالاً عظيمًا، وقتلوا خلقًا كثيرًا من الروم، وثلمت الروم في السور ثلمةً عظيمةً، فوقف فيها الروم، فحمل المسلمون عليهم، فأزاحوهم عنها، فلما جنَّ الليل جد المسلمون في عمارتها، فما أصبح الصباح إلاَّ وهي كما كانت، وحفظوا السور حفظًا عظيمًا، ثم بلغ المسلمين أن رجالة الشرط قد عاثوا في البلد ينهبون الدور، فرجع الناس إلى منازلهم يمنعونها منهم، وغلبت الروم على السور، فعلوه ودخلوا البلد يقتلون من لقوه، فقتلوا من المسلمين خلقًا كثيرًا، وانتهبوا الأموال والأولاد والنساء، وخلصوا من كان بأيدي المسلمين من أسارى الروم، وكانوا ألفًا وأربعمائة، فأخذوا السيوف فقاتلوا مع قومهم، وكانوا أضرى على المسلمين، وأسروا نحوًا من بضعة عشر ألفًا ما بين صبي وصبية، ومن النساء شيئًا كثيرًا، ومن الرجال ألفين، وخرَّبوا المساجد وأحرقوها، وصبوا في جباب الزيت الماءَ حتى فاض الزيت على وجه الأرض وهلك، وكل شيء لا يقدرون على حمله أحرقوه، وأقاموا في البلد تسعة أيام يفعلون هذه المفاسد العظيمة، ثم عزم الدمستق على الانصراف خوفًا من رجوع سيف الدولة، فقال له ابن أخته: أتذهب وتترك القلعة وراءك؟ فقال له: إنا قد بلغنا فوق ما كنا نؤمله، وإن بها مقاتلةً ورجالاً غزاةً. فقال: لابدَّ لنا منها. فقال له: اذهب إليها. فصمد إليها ليحاصرها فرموه بحجر، فقتله في الساعة الراهنة من بين الجيش كله، فغضب الدمستق عند ذلك وأمر بإحضار من كان في أيديهم من أسارى المسلمين، وكانوا قريبًا من ألفين، فضربت أعناقهم بين يديه، ثم كرَّ راجعًا، قبحه الله ولعنة الله عليه.(1)

وقد دخلوا عين زربة قبل ذلك في المحرم من هذه السنة، فاستأمنهم أهلها فأمنهم الملك، وأمر بأن يدخلوا كلهم إلى المسجد، ومن بقي في منزله قتل، فصار أهلها كلهم في المسجد، ومن تأخر منهم قتل، ثم قال: لا يبقين أحد منكم اليوم إلا ذهب حيث شاء، ومن تأخر قتل. فازدحموا في خروجهم من المسجد، فمات كثير منهم، وخرجوا على وجوههم لا يدرون أن يذهبون، فمات في الطرقات منهم خلق كثير، ثم هدم الجامع، وكسر المنبر، وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها منها، وأقام بها مدةً، وفتح حولها أربعةً وخمسين حصنًا، بعضها بالسيف وبعضها بالأمان، وقتل خلقًا كثيرًا، وأسرت الروم أبا فراس ابن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة، وكان شاعرًا مطبقًا، له ديوانٌ حسنٌ. وكان مدةُ مقامه بعين زربة أحدًا وعشرين يومًا، ثم سار إلى قيسارية، فلقيه أربعة آلاف من أهل طرسوس مع نائبها ابن الزيات، فقتل أكثرهم، وأدركه صوم النصارى فاشتغل به حتى فرغ منه، ثم هجم على حلب بغتةً، فكان من أمره ما ذكرناه أيضًا.

(1) «المنتظم» (14/ 139-141)، و«الكامل» (8/ 538-545).

وفي هذه السنة: كتبت العامة من الرَّوافض على أبواب المساجد ببغداد: لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة فدك -يعنون أبا بكر، رضي الله عنه- ومن أخرج العباس من الشوري -يعنون عمر، رضي الله عنه- ومن نفى أبا ذر -يعنون عثمان، رضي الله عنه- ومن منع دفن الحسن عند جده - يعنون مروان بن الحكم. ولما بلغ ذلك معزَّ الدولة لم ينكره ولم يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك، فأمر بأن يكتب: لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين. والتصريح باسم معاوية في اللعن. فكتب ذلك، قبح الله معزَّ الدولة وشيعته من الروافض. وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض، ولا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء، ويديل عليهم أعداءهم؛ لمتابعتهم أهواءهم، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم، وترك متابعتهم أنبياءهم وعلماءهم، ولهذا لما ملكت الفاطمية بلاد الشام؛ استحوذ على سواحلها كلها حتى بيت المقدس الفرنج، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها، وجميع السواحل مع الفرنج، والنواقيس النصرانية والقسوس الإنجيلية تنعر في الشواهق من الحصون والقلاع، وتكنو في أماكن المساجد وشريف البقاع.

وفيها: وقعت فتنة بين أهل البصرة بسبب المذاهب، فقتل منهم خلق كثير وجم غفيرٌ.

وفيها: أعاد سيف الدولة بناء عين زربة، وبعث مولاه نجا، فدخل بلاد الروم، فقتل منهم خلقًا كثيرًا وسبى جمًا غفيرًا، وغنم وسلم، وبعث حاجبه مع جيش طرسوس، فدخلوا بلاد الروم، فغنموا وسبوا ورجعوا سالمين، ولله الحمد والمنة.

وفيها: فتح المعز الفاطمي حصن طبرمين من بلاد المغرب -وكان من أحصن بلاد الفرنج- افتتحه قسرًا بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف شهر. وقصدت الفرنج جزيرة أقريطش، فاستنجد أهلها بالمعزِّ، فسير إليهم جيشًا، فانتصروا على الفرنج، ولله الحمد والمنة.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن محمد بن هارون أبو محمد المهلبي: الوزير لمعز الدولة بن بويه، مكث في وزارته ثلاث عشرة سنة، وكان فيه حلم وكرم وأناة، حكى أبو إسحاق الصابئ قال: كنت يوماً عنده وقد جيء بدواة قد صنعت له ومرفع قد حليا بحلية كثيرة، فقال لي أبو محمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي -سرًا بيني وبينه-: ما كان أحوجني إليها لأبيعها وأنتفع بها. فقلت: وأي شيء يفعل الوزير؟ فقال: يدخل في حر أمه. فسمعها الوزير وهو مصغ إلينا ولا نشعر، فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبي محمد الشيرازي ومرفعها وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم، واصطنع له غيرها، فاجتمعنا يومًا آخر عنده، وهو يوقع من تلك الدواة الجديدة، فنظر إلينا فقال: هيه من منكما يريدها مع الإعفاء من الدخول؟ قال: فاستحيينا، وعلمنا أنه كان سمع كلامنا يومئذ، وقلنا: بل يمتع الله الوزير بها، ويبقيه ليهب ألفًا مثلها.(1)

توفى أبو محمد المهلبي في هذه السنة عنَّ أربع وستين سنة.

دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن، أبو محمد السجستاني المعدل، سمع بخراسان وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة، وكان من ذوي اليسار والمشهورين بالبر والإفضال، وله صدقات جارية، وأوقافٌ دارَّةٌ على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان.

وكانت له دارٌ عظيمةٌ ببغداد، فكان يقول: ليس في الدنيا مثلها؛ لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا في

(1) «المنتظم» (14/ 142-143).

بغداد مثل القطيعة، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف، وليس في درب أبي خلف مثل داري. وصنف الدارقطني له مسندًا، وكان إذا شكَّ في حديث تركه، فكان الدارقطني يقول: لم أرَ في مشايخنا أثبت منه.

وقد أنفق في أهل العلم وذوي الحاجات أموالاً جزيلةً كثيرةً جدًا، اقترض منه بعض التجار عشرة آلاف دينار فضمن بها ضياعًا، فربح في مدة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار، فعزل منها عشرة آلاف دينار، وجاءه بها، فأضافه دعلج ضيافةً حسنةً، فلما فرغ من شأنها قال: ما شأنك؟ قال له: هذه الدنانير التي تفضلت بها قد حضرت. فقال: يا سبحان الله! إني لم أعطكها لتردَّها، فحَلِّ بها الأهل. فقال: إني قد ربحتُ ثلاثين ألف دينار، فهذه منها. فقال له دعلجٌ: اذهب بها، بارك الله لك. فقال له: كيف يتسع مالك لهذا؟ ومن أين أفدت هذا المال؟ فقال: إني كنت في حداثة سني أطلب الحديث، فجاءني رجل تاجرٌ من أهل البحر، فدفع إليَّ ألف ألف درهم، وقال: اتجر في هذه، فما كان من ربح فبيني وبينك، وما كان من خسارة فعليَّ دونك، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت حاجةً أو خلَّةً فسدَّها من مالي هذا. ثم جاءني فقال: إني سأركب في البحر، فإن هلكت فالمال في يدك على ما شرطت عليك. فهو في يدي على ما قال. ثم قال لي: لا تخبر بهذا أحدًا مدة حياتي. فلم أخبر به أحدًا حتى مات.(1)

وقد كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنةً، رحمه الله.

عبد الباقى بن قانع بن مرزوق أبو الحسين الأموى: مولاهم، سمع الحارث بن أبي أسامة، وعنه الدارقطنى وغيره، وكان من أهل الثقة والأمانة والحفظ، ولكنه تغير فى آخر عمره. قال الدارقطنى: كان يخطئ ويصر على الخطأ، توفى فى شوال منها.

أبو بكر النقاش المفسِّر: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر، أبو بكر النقاش المفسِّر المقرئ، مولى أبى دُجانة سماك بن خَرَشة، وأصله من الموصل، كان عالماً بالتفسير وبالقراءات، وسمع الكثير فى بلدان شتى عن خَلق من المشايخ، وحدث عنه أبو بكر ابن مجاهد والخلدى وابن شاهين وابن رزقويه وخلق، وآخر من حدث عنه أبو عليّ ابن شاذان، وتفرد بأشياء منكرة، وقد وقفه الدارقطنى على كثير من أخطائه فرجع عن ذلك، وصرح بعضهم بتكذيبه فالله أعلم. وله كتاب التفسير الذى سماه «شفاء الصدور» فقال بعضهم: إنما هو إشفاء الصدور(2)، وقد كان رجلاً صالحاً فى نفسه عابداً ناسكاً، حكى من حضره وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات:61). يرددها ثلاث مرات ثم خرجت روحه رحمه الله. وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثانى من شوال منها ودفن في داره بدار القطن.

محمد بن سعيد: أبو بكر الحربى الزاهد، ويعرف بابن الضرير، كان ثقة عابداً. ومن قوله: دافعت الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة

فى عاشر المحرم من هذه السنة: أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس الناس المسوح من الشعر، وأن تخرج النساء حاسرات عن وجههن، ناشرات شعورهن في الأسواق

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 388-389)، و«المنتظم» (14/ 143-144)، وابن عساكر (19/ 198).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 201)، و«المنتظم» (14/ 148)، و«الوفيات» (4/ 298)، و«السير» (15/ 573).

يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن على، ففعل ذلك، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم.(1)

وفى ثامن عشر ذى الحجة منها: أمر معز الدولة بإظهار الزينة ببغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل كما فى الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران بأبواب الأمراء وعند الشرط، فرحاً بعيد الغدير غدير خُمّ فكان وقتًا عجيبًا ويومًا مشهودًا، وبدعة ظاهرة منكرة.

وفيها: أغارت الأرمن على الرها، فقتلوا وأسروا ورجعوا موقرين، لعنهم الله، وثارت الروم بملكهم فقتلوه وولوا غيره، ومات الدمستق ملك الأرمن واسمه النقفور، وهو الذى أخذ حلب ولتكتب ترجمته في آخر الجزء.(2)

وفيها: عزل ابن أبى الشوارب عن القضاء ونقضت سجلاته وأبطلت أحكامه مدة أيامه، وولى القضاء أبو بشر عمر بن أكثم بلا رزق، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبى الشوارب فى كل سنة ولله الحمد.

وفى ذى الحجة: استسقى الناس لتأخر المطر وذلك فى كانون الثانى.

وحكى ابن الجوزى فى «المنتظم» عن ثابت بن سنان المؤرخ قال: حدثنى جماعة من أهل الموصل ممن أثق بهم أن بعض بطارقة الأرمن أنفذ فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن ملتصقين سنهما خمس وعشرون سنة، ملتحمين ومعهما أبوهما، ولهما سرتان وبطنان ومعدتان وجوعهما يختلف، وكان أحدهما يميل إلى النساء، والآخر يميل إلى الغلمان، وكان يقع بينهما خصومة وتشاجر، وربما حلف أحدهما لا يكلم الآخر فيمكث كذلك أياماً ثم يصطلحان. فوهبهما ناصر الدولة ألفى درهم وخلع عليهما ودعاهما إلى الإسلام، فيقال: إنهما أسلما. وأراد أن يبعثهما إلى بغداد ليراهما الناس ثم رجع عن ذلك، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما مع أبيهما فاعتلّ أحدهما ومات، وأنتن ريحه وبقى الآخر لا يمكنه التخلص منه، وكان اتصال ما بينهما من الخاصرتين، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما عن الآخر وجمع الأطباء لذلك فلم يمكن، فلما مات أحدهما حار أبوهما فى فصله عن أخيه فاتفق اعتلال الآخر من غمه ونتن رائحة أخيه فمات غماً فدفنا جميعاً فى قبر واحد.(3)

وممن توفى فيها من الأعيان: عمر بن أكثم بن أحمد بن حيان بن بشر أبو بشر الأسدى الفقيه الشافعي، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين، وولى القضاء فى زمن المطيع نيابة عن أبى السائب عتبة بن عبيد الله، ثم ولى قضاء القضاة، وهو أول من ولى قضاء القضاة من الشافعية سوى أبى السائب، وكان محمود السيرة فى القضاء، وكانت وفاته فى ربيع الأول من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

فى عاشر المحرم منها: عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم فى السنة الماضية، فاقتتل الروافض وأهل السنة فى هذا اليوم قتالاً شديداً، وانتهبت الأموال.(4)

وفيها: عصى نجا غلام سيف الدولة عليه، وذلك أنه كان فى العام الماضى قد صادر أهل حران وأخذ منهم أموالاً كثيرة، فتمرد بها وذهب إلى بلاد أذربيجان فأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال له:

(1) «المنتظم» (14/ 150-151)، و«الكامل» (8/ 546-550).
(2) يقصد في وفيات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.
(3) ابن الجوزى فى «المنتظم» (14/ 151-152).
(4) «المنتظم» (14/ 155-160)، و«الكامل» (8/ 551-559).

أبو الورد، فقتله وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً، وقويت شوكته بسبب ذلك، فسار إليه سيف الدولة فأخذه وأمر بقتله فقتل بين يديه، وألقيت جيفته فى الأقذار ومحل الجيف والنتن.

وفيها: جاء الدمستق إلى المصيصة في جيش كثيف فحاصرها ونقب سورها، فدافعه أهلها فأحرق رستاقها، وقتل ممن حولها خمسة عشر ألف إنسان وعاثوا فساداً فى بلاد أذنة وطرسوس، وكروا راجعين إلى بلادهم، قبحهم الله.

وفيها: قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فأخذها من يد ناصر الدولة بن حمدان ثم سار في طلب ناصر الدولة فكر ناصر الدولة في جيش قد هيأه فاسترجع الملك من يد معز الدولة فعاد معز الدولة فأخذ الموصل وأقام بها، فراسله فى الصلح صاحبها فاصطلحا على أن يكون الحمل فى كل سنة، وأن يكون أبو تغلب ابن ناصر الدولة ولى عهد أبيه من بعده، فأجاب معز الدولة إلى ذلك، وكرّ راجعاً إلى بغداد بعد ما جرت له خطوب عظيمة طويلة قد استقصاها ابن الأثير في «كامله» وبسطها.(1)

وفيها: ظهر رجل ببلاد الديلم وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين من أولاد الحسن بن على، ويعرف بابن الداعى، فالتف عليه خلق كثير، ودعا إلى نفسه وتسمى بالمهدى، وكان أصله من بغداد وعظم شأنه بتلك البلاد، وهرب منه ابن الناصر العلوى.

وفيها: قصد ملك الروم وفى صحبته الدمستق ملك الأرمن بلاد طرسوس فحاصروها مدة، ثم غلت عليهم الأسعار وأخذ فيهم الوباء فمات كثير منهم، فكروا راجعين كما قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (الأحزاب:25). وكان من عزمهم أنهم يستحوذون على البلاد كلها فرجعوا خاسئين.

وفيها: كانت وقعة المجاز ببلاد صقلية، وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير، ومن الفرنج ما يقارب المائة ألف، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمى يستنجدونه، فبعث إليهم بجيوش كثيرة فى الأسطول، فكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر، ثم قتل أمير الروم منويل. وفرت الروم وانهزموا هزيمة قبيحة، فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً، وسقط الفرنج فى واد من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون فى المراكب، فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية فى آثارهم مراكب أخر فقتلوا أكثر المشركين فى البحر أيضاً، وغنم المسلمون فى هذه الغزوة شيئًا كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة، فكان فى جملة ذلك سيف مكتوب عليه: (هذا سيف هندى زنته مائة وسبعون مثقالاً، طالما قوتل به بين يدى رسول الله ﷺ)، فبعث فى جملة تحف إلى المعز الفاطمى إلى إفريقية.

وفيها: قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الإخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فقلع لهم أبواب الرقة وكانت من حديد حتى أخذ أواقى الباعة، وأرسل بذلك كله إليهم، حتى قالوا: اكتفينا.

وفيها: طلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله أن يأذن له فى دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها، فبعث خادمه وحاجبه معه فطافوا معه فيها وهو مسرع خائف، ثم خرج وقد خاف من غائلة ذلك وخشي أن يقتل في بعض الدهاليز، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكراً لله على سلامته، وازداد حباً فى

(1) «الكامل» (8/ 553-554).

الخليفة المطيع لله من يومئذ. فكان في جملة ما رأى من العجائب بها: صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جداً، وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها كان قد أتى به في زمن المقتدر فأقيم هناك ليتفرج عليه الجواري والنساء، فهمّ المعز أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها: خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوي، وكان يتبرقع فسمي المبرقع وغلظت قضيته وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل وناصر الدولة بن حمدان، فلما توطدت الأمور وعاد إلى بغداد اختفى المبرقع وذهب في البلاد فلم يفتح له أمر بعد ذلك.

وممن توفي فيها من الأعيان: بكار بن أحمد: ابن بكار بن بنان بن بكار بن زياد بن درستويه أبو عيسى المقرئ، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد، و عنه أبو الحسن الحمامي، وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله. وكانت وفاته في ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة.

أبو إسحاق الهجيمي: ولد سنة خمسين ومائتين، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأبر الله قسمه وجاوزها فأسمع، توفي عن مائة سنة وثلاث سنين رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها: عملت الشيعة المآتم على ما تقدم في السنتين الأولتين، وغلقت الأسواق وعلقت المسوح، وخرجت النساء سافرات ناشرات، ينحن ويلطمن وجوههن في الأسواق والأزقة، وهذا تكلف لا حاجة إليه في الدين ولا في الدنيا، ولو كان هذا أمراً محموداً لكان صدر هذه الأمة وخيرتها أولى به إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون، وتسلطت أهل السنة على الروافض فكبسوا مسجد براثا الذي هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة.(1)

وفيها: في رجب منها جاء ملك الروم بجيوش كثيفة إلى المصيصة ففتحها قسراً وقتل من أهلها خلقاً، واستاق بقيتهم معه أسارى، وكانوا قريباً من مائتي ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجاء إلى طرسوس فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم وأمرهم بالجلاء عنها والانتقال منها، واتخذ الجامع إسطبلاً لخيوله وحرق المنبر ونقل قناديله إلى كنائس بلده، وتنصر بعض أهلها معه لعنه الله. وكان أهل طرسوس والمصيصة قد أصابهم قبل هذا البلاء غلاء عظيم، ووباء شديد، بحيث كان يموت منهم في اليوم الواحد ثلاثمائة نفر، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد فانتقلوا من شهادة إلى شهادة أعظم منها. وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين، ثم عنّ له فسار إلى القسطنطينية وفي خدمته الدمستق ملك الأرمن لعنهما الله.

وفيها: جعل أمر تسفير الحجيج إلى نقيب الطالبيين، وكتب له منشور بالنقابة والحجيج، وهو أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي، وهو والد الرضي والمرتضى.

وفيها: توفيت أخت معز الدولة، فركب الخليفة في طيارة وجاء إليه فعزاه فقبّل معز الدولة الأرض بين يديه وشكر له سعيه إليه، وصدقاته عليه.

(1) «المنتظم» (14/ 161-162)، و«الكامل» (8/ 560-566).

وفى ثامن عشر ذى الحجة: عملت الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية التي ذكرناها.

وفيها: تغلب على أنطاكية رجل يقال له: رشيق النسيمى، بمساعدة رجل يقال له: ابن الأهوازى، كان يضمن الطواحين، فأعطاه أموالاً وأطمعه فى أخذ أنطاكية، وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل بميافارقين وعجز عن الرجوع إلى حلب، فتم لهما ما راماه من أخذ أنطاكية. ثم ركبا منها فى جيوش إلى حلب فجرت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروب عظيمة، ثم أخذ البلد وتحصن النائب بالقلعة وجاءت النجدة من سيف الدولة إلى حلب مع غلام له اسمه بشارة، فانهزم رشيق فسقط عن فرسه فابتدره بعض الأعراب فقتله وأخذ رأسه فجاء به إلى حلب، واستقل ابن الأهوازى سائراً إلى أنطاكية، فأقام رجلاً من الروم اسمه دزبر فسماه الأمير، وأقام آخر من العلويين ليجعله خليفة وسماه الأستاذ. فقصده نائب حلب وهو قرعويه فاقتتلا قتالاً شديداً فهزمه ابن الأهوازى واستقر بأنطاكية، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبت بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى أنطاكية، فاقتتلوا قتالاً عظيمًا ثم انهزم دزبر وابن الأهوازى وأسرا فقتلهما سيف الدولة بن حمدان.

وفيها: ثار رجل من القرامطة اسمه مروان كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة بحمص فملكها وما حولها، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر فاقتتلوا معه فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه، واتفق أن أسر أصحاب مروان بدراً فقتله مروان بين يديه صبراً، ومات مروان بعد أيام وتفرق أصحابه قبحهم الله.

وفيها: عصى أهل سجستان أميرهم خلف بن أحمد، وذلك أنه حج فى سنة ثلاث وخمسين واستخلف عليهم طاهر بن الحسين، فطمع فى الملك بعده واستمال أهل البلد، فلما رجع من الحج لم يسلمه البلد وعصى عليه، فذهب إلى بخارى إلى الأمير منصور بن نوح الساماني فاستنجده، فبعث معه جيشاً فاستنقذ البلد من طاهر وسلمها إلى الأمير خلف بن أحمد وقد كان خلف عالماً محباً للعلماء فذهب طاهر فجمع جموعاً ثم جاء فحاصر خلفاً وأخذ منه البلد. فرجع خلف إلى الأمير منصور الساماني فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلمها إليه، فلما استقر خلف بها وتمكن فيها منع ما كان يحمله من الهدايا والتحف والخلع إلى الأمير منصور الساماني ببخارى، فبعث إليه جيشاً فتحصن خلف فى حصن يقال له: حصن أرك، فنازله الجيش فيه تسع سنين لم يقدروا عليه، وذلك لمناعة هذا الحصن وصعوبته وعمق خندقه وارتفاعه، وسيأتي ما آل إليه أمره بعد ذلك.

وفيها: قصدت طائفة من الترك بلاد الخزر فاستنجد الخزر بأهل خوارزم، فقالوا: لو أسلمتم لنصرناكم. فأسلموا إلا ملكهم، فقاتلوا معهم الترك فأجلوهم عنهم ثم أسلم الملك بعد ذلك، ولله الحمد والمنة.

وممن توفى فيها من الأعيان: المتنبى الشاعر المشهور: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفى الشاعر المعروف بالمتنبى، كان أبوه يعرف بعيدان السقاء وكان يستقي الماء لأهل الكوفة على بعير له، وهو شيخ كبير. وعيدان هذا قال ابن ماكولا والخطيب: هو بكسر العين وبعدها ياء مثناة من تحت، وقيل: بفتح العين لا كسرها، فالله أعلم. كان مولد المتنبى بالكوفة سنة ست وثلاثمائة، ونشأ بالشام بالبادية وطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظى عنده، ثم صار إلى مصر فامتدح كافوراً الإخشيدي ثم هجاه وهرب منه، وورد بغداد فامتدح بعض أهلها، وقرئ عليه ديوانه فيها، وقدم الكوفة فامتدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار، ثم سار إلى فارس

فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مائتى ألف درهم، وقيل: بل حصل له نحو من ثلاثين ألف دينار، ثم دس إليه من يسأله أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان؟ فقال: هذه أجزل ولكن فيها تكلف، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها، لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف. فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ودس إليه طائفة من الأعراب فوقفوا له فى أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد، ويقال: إنه قد كان هجى مقدمهم ابن فاتك الأسدى وقد كانوا يقطعون الطريق، فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا ما معه من الأموال، فانتهوا إليه وهم ستون راكباً فى يوم الأربعاء وقد بقى من رمضان ثلاثة أيام، وقيل: بل قتل فى يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان، ويقال: بل كان ذلك فى شعبان. وقد نزل عند عين تحت شجرة إنجاص، وقد وضعت سفرته ليتغدى، ومعه ولده محسد وخمسة عشر غلاماً له، فلما رآهم قال: هلموا يا وجوه العرب. فلما لم يكلموه أحس بالشر فنهض إلى سلاحه وخيله فتواقفوا ساعة فقتل ابنه محسد وبعض غلمانه وأراد هو أن ينهزم. فقال له مولى له: أين تذهب وأنت القائل:

فالخيلُ والليلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُني * والحربُ والضَّرْبُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ

فقال: ويحك قتلتنى، ثم كر راجعاً فطعن زعيم القوم برمح فى عنقه فقتله. فاجتمعوا عليه فشجروه بالرماح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما كان معه من الأموال، وذلك بالقرب من النعمانية، وهو آيب إلى بغداد، ودفن هنالك وله من العمر ثمان وأربعون سنة.

وذكر ابن عساكر أنه لما نزل في المنزلة التى كانت قبل منزلته هذه سأله بعض الأعراب أن يعطيهم خمسين درهماً ويخفرونه، فمنعه الشح والكبر ودعوى الشجاعة من ذلك. وقد كان المتنبى جعفى النسب صلبه منهم، وقد ادّعى حين كان مع بنى كلب بأرض السماوة قريباً من حمص أنه علوى ثم حسنى، ثم ادّعى أنه نبى، فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فمن ذلك: (والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفى أخطار، امض على سنتك واقفُ أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك من ألحد فى دينه، وضل عن سبيله) وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه في قرآنه، ولو لزم قافية مدحه والهجاء، لكان أشعر الشعراء وأفصح الفصحاء، ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يقول ما يشبه كلام رب الأرض والسماء، الذي لا يشبهه شيء من الأشياء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأحواله، تعالى الله خالق الأشياء. ولما اشتهر خبره بأرض السماوة وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة، خرج إليه نائب حمص من جهة بنى الإخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيض الله وجهه، فقاتله وشرد شمله، وأسره وسجنه دهراً طويلاً، فمرض فى السجن وأشرف على التلف، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادّعاه، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام، وأطلق سراحه فكان بعد ذلك إذا ذكر بهذا يجحده إن أمكنه جحده وإلا اعتذر منه واستحيا. وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الإفك والبهتان، وهى لفظة المتنبى، الدالة على الكذب، ولله الحمد والمنة.

وقد قال بعضهم يهجوه:

أيُّ فَضْلٍ لشاعرٍ يَطْلُبُ الفَضْـ * ـلَ مِن النّاسِ بُكْرةً وعَشِيَّا

عاش حيناً يَبيعُ في الكوفةِ الما * ءَ وحيناً يَبيعُ ماءَ المُحَيَّا

وللمتنبي ديوان شعر مشهور، فيه أشعار رائقة ومعان ليست بمسبوقة، بل مبتكرة سابقة. وهو في الشعراء المحدثين كامرئ القيس في الشعراء المتقدمين، وهو عندي بخط يده فيما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدم أمره.

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في «منتظمه» قطعاً رائقة استحسنها من ديوانه[1]، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر شيخ إقليمه وحافظ زمانه، فمما استملحه أستاذ الوعاظ الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي قول المتنبي:

عـزيزٌ أسًى مَن داؤه الحَـدَقُ النُّجلُ * عَـيـاءٌ به مات الـمُحِبُّون مِن قَبلُ
فـمَن شـاء فلْيَنْظُرْ إليَّ فـمَنْظَرِي * نَذيرٌ إلى مَن ظنَّ أن الهَـوَى سَـهْلُ
جرَى حبُّها مَجْرَى دَمِي في مَفاصِلي * فأصْبَحَ لي عن كلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ
ومِن جَسَدي لم يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرةً * فـمـا فـوقَـهـا إلا وفـيـه له فِعْلُ
كـأنَّ رَقِـيـبًا منكِ سدَّ مَـسـامِـعي * عن العَذْلِ حتى ليس يَدْخُلُها العَذْلُ
كـأنَّ سُـهـادَ الليلِ يَعْشَقُ مُـقْلَتي * فـبـيـنَهـمـا في كلِّ هَجْـرٍ لنا وَصْلُ

ومن ذلك قوله:

كـشَـفَتْ ثلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَـعْـرِها * في لـيـلـةٍ فـأرَتْ لـيـاليَ أربَـعَـا
واسْـتَقْبَلَتْ قـمـرَ السـمـاءِ بوجْـهِهـا * فـأرَتْني القـمـرَيْن في وقتٍ مـعَـا

ومن ذلك قوله:

مـا نـال أهلُ الجـاهـلـيـةِ كلُّهم * شِـعْـرِى ولا سـمِـعَت بسِـحْرِيَ بـابِلُ
وإذا أتَتْك مَـذَمَّـتي مِن ناقِصٍ * فـهي الشَّـهـادةُ لي بأنيَ فـاضلُ
مَن لي بفَـهْمِ أُهَيْلِ عـصـرٍ يدَّعِي * أن يَحْـسُـبَ الهِنْديَّ منهم باقِلُ

ومن ذلك قوله:

ومِن نَكَدِ الدنيـا على الحُرِّ أن يَرَى * عـدُوًا له مـا مِن صَـداقـتِـه بُدُّ

وقوله:

وإذا كـانت النفـوسُ كِـبـاراً * تعِـبَت في مُـرادِها الأجْـسـامُ

وقوله:

ومَن صَـحِبَ الدنيـا طَويلاً تقَلَّبَت * على عينِه حتى يرَى صدقَها كِذْبَا

وله أيضًا:

خُذْ مـا تَـراه ودَعْ شيـئًـا سـمِعْتَ بـه * في طَلْعةِ الشمسِ ما يُغْنِيك عن زُحَلِ

وله في مدح بعض الملوك الذين كانوا يستمنح منهم العطاء:

تَمْضِي المَواكِبُ والأبْصارُ شاخِصةٌ * منهـا إلى الـملِكِ المـيْـمونِ طائرُهُ

---

(1) «المنتظم» (14/ 167).

قد حرنَ في بشرٍ في تاجه قمر * في درعه أسدٌ تدمَى أظافره
حلوٍ خلائقه شوسٍ حقائقه * يُحصَى الحصَى قبل أن تُحصَى مآثرهُ

ومنها قوله:

يا مَن ألوذُ به فيما أؤمِّله * ومَن أعوذُ به مما أحاذرهُ
لا يَجبُرُ الناسُ عظمًا أنتَ كاسرُه * ولا يَهيضون عظمًا أنتَ جابرهُ

وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله عز وجل. وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود. ومما أورده الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من شعر المتنبي في «ترجمته» قوله:

وبِعينَيْ مُفْتَقِرٍ إليكَ رأيتَني * فهجرتَني ونزلتَ بي من حالقِ
لستَ الملومَ أنا الملومُ لأنني * أنزلتُ حاجاتي بغيرِ الخالقِ

قال القاضي ابن خلكان: وهذان البيتان ليسا في ديوانه، وقد عزاهما الحافظ الكندي إليه بسند صحيح.

ومن ذلك قوله:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَروم * فلا تقنعْ بما دونَ النجوم
فطعْمُ الموتِ في أمرٍ حقير * كطعْمِ الموتِ في أمرٍ عظيم

ومن ذلك قوله:

وما أنا بالباغي على الحبِّ رشْوةً * قبيحٌ هوًى يُرجَى عليه ثوابُ
إذا نِلْتُ منك الودَّ فالمالُ هيِّنٌ * وكلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ

وقد تقدم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلاثمائة، وأنه قتل في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. قال ابن خلكان: وقد فارق سيف الدولة بن حمدان سنة ست وأربعين لما كان من ابن خالويه ما كان من ضربه إياه بمفتاح في وجهه فأدماه، فصار إلى مصر فامتدح كافورًا الإخشيدي وأقام عنده أربع سنين، وكان المتنبي يركب في جماعة من مماليكه فتوهم منه كافور فجأة، فخاف المتنبي فهرب، فأرسل في إثره فأعجزه، فقيل لكافور: ما قيمة هذا حتى تتوهم منه؟ فقال: هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمدﷺ ، أفلا يروم أن يكون ملكاً بديار مصر؟[1] ثم صار المتنبي إلى عضد الدولة فامتدحه فأعطاه مالاً كثيراً، ثم رجع من عنده فعرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي فقتله وابنه محسداً وغلامه مفلحًا يوم الأربعاء لست بقين من رمضان وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وقيل: يوم الاثنين لثمان، وقيل: لخمس بقين منه. وذلك بسواد بغداد، وقد رثاه الشعراء، وقد شرح ديوانه العلماء بالشعر واللغة نحواً من ستين شرحًا وجيزاً وبسيطًا.

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضًا: أبو حاتم البستي ابن حبان صاحب الصحيح: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي صاحب الأنواع والتقاسيم، وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين، رحل إلى البلدان وسمع الكثير من المشايخ، ثم ولي قضاء بلده ومات

(1) «الوفيات» (1/ 122-123).

بها فى هذه السنة، وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة، وهى نزعة فلسفية، والله أعلم بصحتها عنه. وقد ذكرته فى «طبقات الشافعية».

محمد بن الحسن بن يعقوب: ابن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر ابن مقسم العطار المقرئ، ولد سنة خمس وستين ومائتين، وسمع الكثير من المشايخ، وروى عنه الدارقطنى وغيره، وكان من أعرف الناس بالقراءات، وله كتاب فى النحو على طريقة الكوفيين، سماه «كتاب الأنوار».

قال ابن الجوزى: ما رأيت مثله، وله تصانيف أخرى، ولكن تكلم الناس فيه بسبب تفرده بقراءات لا تجوز عند الجميع، وكان يذهب إلى أن كل ما لا يخالف الرسم ويسوغ من حيث المعنى واللفظ تصح القراءة به كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ (يوسف:80) أى: يتناجون. قال: لو قرئ نجيباً من النجابة لكان قوياً. وقد ادعى عليه وكتب عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات. قاله ابن الجوزى.(1)

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه بن موسى أبو بكر الشافعى: ولد بجبل سنة ستين ومائتين، وسمع الكثير، وسكن بغداد، وكان ثقة ثبتاً كثير الرواية، سمع منه الدارقطنى وغيره من الحفاظ، وكان يحدث بفضائل الصحابة حين منعت الديلم من ذلك جهرة في الجامع بمدينة المنصور مخالفة لهم، وكذلك في مسجده بباب الشام. وتوفى فى هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى بمنه وكرمه.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

فى عاشر المحرم: عملت الروافض ببغداد بدعتهم الشنعاء وفتنتهم الصلعاء.

وفيها: أخذت القرامطة الهجريون عمان.(2)

وفيها: قصدت الروم آمد فحاصروها فلم يقدروا عليها، ولكن قتلوا من أهلها ثلاثمائة وأسروا منهم أربعمائة، ثم ساروا إلى نصيبين. وفيها سيف الدولة، فهمّ بالهرب مع العرب، ثم تأخر مجيء الروم فثبت مكانه وقد كادوا يزيلون أركانه.

وفيها: وردت طائفة من جيش خراسان في بضعة عشر ألفًا، يظهرون أنهم يريدون غزو الروم، فأكرمهم ركن الدولة بن بويه وأمنوا إليهم فنهضوا إليهم ليأخذوا الديلم على غرة فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم لأن البغى مصرعة، وهرب أكثرهم.

وفيها: خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حين تفاقم الحال بأمره، واشتهر فى تلك النواحى حيث ذكره، فقوى المرض بمعز الدولة فاستناب على الحرب ورجع إلى بغداد فكانت وفاته فى السنة الآتية كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها: قوى أمر أبى عبد الله ابن الداعى ببلاد الديلم، وأظهر النسك والعبادة ولبس الصوف، وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد.

وفيها: تم الفداء بين سيف الدولة وبين الروم، فاستنقذ منهم أسارى كثيرة، منهم ابن عمه أبو فراس ابن سعيد بن حمدان، وأبو الهيثم ابن حصن القاضى، وذلك فى رجب منها.

(1) «المنتظم» (14/ 170).
(2) «المنتظم» (14/ 174-175)، و«الكامل» (8/ 568-574).

وفى جمادى الآخرة: نودى برفع المواريث الحشرية وأن ترد إلى ذوى الأرحام.

وفيها: ابتدأ معز الدولة بن بويه فى بناء مارستان، وأرصد له أوقافًا جزيلة.

وفيها: قطعت بنو سليم السابلة على الحجيج من أهل الشام ومصر والمغرب، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها، وكان عليها من الأموال والأمتعة ما لا يقوم كثرة. وكان لرجل يقال له: ابن الخواتيمى، قاضى طرسوس مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار عيناً، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشام إلى العراق بعد الحج، وكذلك وقع لكثير من الناس، وحين أخذت الجمال تركوهم على برد الديار لا شىء لهم، فقلَّ منهم مَنْ سلم وما أكثر من عطب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وحج بالناس في هذه السنة: الشريف أبو أحمد نقيب الطالبيين من ناحية العراق.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن داود: ابن على بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب أبو عبد الله العلوى الحسنى، قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: كان شيخ آل رسول الله ﷺ فى عصره بخراسان وسيد العلوية فى زمانه، وكان من أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبة للصحابة، وصحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال: الشهيد، وبكى. وما سمعته ذكر عائشة إلا قال: الصدّيقة بنت الصدّيق، حبيبة حبيب الله، وبكى. وقد سمع الحديث من ابن خزيمة وطبقته، وكان آباؤه بخراسان وفى سائر بلدانهم سادات نجباء حيث كانوا من آل بيت رسول الله ﷺ، منهم، لهم دانت رقابُ بني مَعَدِّ.

محمد بن الحسين بن على بن الحسن: ابن يحيى بن حسان بن الوضاح، أبو عبد الله الأنبارى الشاعر المعروف بالوضاحى، كان يذكر أنه سمع الحديث من المحاملى وابن مخلد وأبى روق. وروى عنه الحاكم أبو عبد الله شيئًا من شعره وكان أشعر مَنْ فى وقته، ومن شعره:

سقَى اللهُ بابَ الكَرْخِ رَبْعًا ومنزلاً * ومَن حَلَّه صَوْبَ السَّحابِ المُجَلْجِلِ

فلو أن باكي دِمْنَةِ الدارِ باللِّوَى * وجارتِها أُمِّ الرَّبابِ بمَأْسَلِ

رَأَى عَرَصاتِ الكَرْخِ أو حَلَّ أرْضَها * لأمْسَكَ عن ذِكْرِ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

أبو بكر ابن الجعابى: محمد بن عمر بن محمد بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار، أبو بكر ابن الجعابى، قاضى الموصل، ولد فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين، سمع الكثير وتخرج بأبى العباس ابن عقدة، وأخذ عنه علم الحديث وشيئاً من التشيع أيضاً، وكان حافظاً مكثراً مطبقًا، يقال: إنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها، ويذاكر بستمائة ألف حديث ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريباً من ذلك، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم، وأوقات وفياتهم ومذاهبهم، حتى تقدم على أهل زمانه، وفاق سائر أقرانه. وكان يجلس للإملاء فيزدحم الناس عند منزله، وإنما كان يملى من حفظه إسناد الحديث ومتنه محررًا جيدًا صحيحًا، وقد نُسب إلى التشيع كأستاذه ابن عقدة، وكان يسكن باب البصرة عندهم، وقد سئل الدارقطنى عنه فقال: خلط. وقال أبو بكر البرقانى: كان صاحب غرائب، ومذهبه معروف فى التشيع، وقد حكى عنه قلة دين وشرب خمر، فالله أعلم. ولما احتضر أوصى أن تحرق كتبه فحرقت، وحرق معها كتب كثير من الناس كانت عنده، فبئس ما عمل. وحين أخرج بجنازته كانت سكينة نائحة الرافضة تنوح عليه فى جنازته.

ترجمة النقفور ملك الأرمن واسمه الدمستق

الذى توفى فى سنة اثنتين وقيل ست وخمسين وثلاثمائة لا رحمه الله. كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً، وأشدهم كفراً، وأقواهم بأساً، وأحدهم شوكة، وأكثرهم قتالاً للمسلمين فى زمانه، استحوذ فى أيامه لعنه الله على كثير من السواحل أو أكثرها، وانتزعها من أيدى المسلمين قسراً، واستمرت فى يده قهراً، وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً. وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان.

وقد ورد حلب فى مائتى ألف مقاتل بغتة فى سنة إحدى وخمسين، وجال فيها جولة، ففر من بين يديه صاحبها سيف الدولة ففتحها اللعين عنوة، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله، وخرب دار سيف الدولة التى كانت ظاهر حلب، وأخذ أموالها وحواصلها وعددها، وبدد شملها، وفرق عددها، واستفحل أمر الملعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وبالغ فى الاجتهاد فى قتال الإسلام وأهله، وجدّ فى التشمير، فالحكم لله العلى الكبير. وقد كان لعنه الله لا يدخل فى بلدة إلا قتل المقاتلة وبقية الرجال، وسبى النساء والأطفال، وجعل جامعها إصطبلاً لخيوله، وكسر منبرها، وأسكت مؤذنيها بخيله ورجله وطبوله. ولم يزل ذلك من دأبه وديدنه حتى سلط الله عليه زوجته فقتلته بجواريها فى وسط مسكنه. وأراح الله منه الإسلام وأهله، وأزاح عنهم قتام ذلك الغمام ومزق شمله، فلله النعمة والإفضال، وله الحمد على كل حال. واتفق فى سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية. فتكاملت المسرات وحصلت الأمنية، فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتذهب السيئات، وبرحمته تغفر الزلات.

والمقصود: أن هذا اللعين -أعنى النقفور- الملقب بالدمستق ملك الأرمن كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله، نظمها له بعض كتّابه ممن كان قد خذله الله وأذله، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، وصرفه عن الإسلام وأصله، يفتخر فيها لهذا اللعين ويتعرض لسب الإسلام والمسلمين، ويتوعد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين، عما قريب من الأعوام، وهو أقل وأذل وأخس وأضل من الأنعام، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول. وربما يعرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام، ودوام الصلاة مدى الأيام. ولم يبلغنى عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه، ربما أنها لم تشتهر، أو أنهم رأوا أنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعاند الجاحد. ونفس ناظمها يدل على أنه شيطان مارد، وقد انتخى للجواب عنها فيما بعد ذلك أبو محمد ابن حزم الظاهرى فأفاد وأجاد، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد، فبلّ الله بالرحمة ثراه، وجعل الجنة منقلبه ومثواه. وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة. قال المرتد الكافر الأرمنى على لسان ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين آمين يا رب العالمين. ومن خط ابن عساكر كتبتها، وقد نقلوها من كتاب «صلة الصلة» للفرغانى:

مِن الملكِ الطُّهرِ المَسيحيِّ مالكِ * إلى خَلَفِ الأمْلاكِ مِن آلِ هاشمِ
إلى الملكِ الفَضْلِ المُطيعِ أخي العُلا * ومَن يُرْتَجى للمُعْضِلات العَظائمِ
أمَا سمِعَتْ أُذْناكَ ما أنا صانعٌ * بلَى فدهاك الوَهْنُ عن فعلِ حازمِ
فإن تَكُ عما قد تقَلَّدْتَ نائمًا * فإنِّي عما همَّني غيرُ نائمِ
ثُغورُكُمُ لم يبْقَ فيها لوَهْنِكم * وضَعْفِكُمُ إلا رُسومُ المَعالمِ

فتَحْنا الثُّغورَ الأرْمَنيةَ كلَّها * بفِتْيانِ صِدْقٍ كاللُّيوثِ الضَّراغِمِ
ونحن جلَبْنا الخيلَ تَعْلُكُ لُجْمَها * ويَبْلغُ منها قَضْمُها للشكائمِ
إلى كلِّ ثَغْرٍ بالجَزيرةِ آهِلٍ * إلى جندِ قِنَّسْرينِكمْ فالعواصمِ
مَلَطْيَهْ معَ سُمَيْساطَ مِن بعدِ كَرْكَرٍ * وفي البحرِ أضْعافُ الفُتوحِ التَّواخِمِ
وبالحدَثِ الحمراءِ جالَت عَساكِري * وكَيْسومَ بعد الجعْفَرِيِّ المعالمِ
وكم قد ذلَلْنا مِن أعِزَّةِ أهلِها * فصاروا لنا مِن بينِ عبدٍ وخادمِ
وسدٍّ سروجٍ إذ خَرَبْنا بجَمْعِنا * لِمئذَنةٍ تَعْلُو على كلِّ قائمِ
وأهلُ الرُّهَا لاذُوا بنا وتحزَّموا * بمِنْديل مولًى جَلَّ عن وَصْفِ آدَمِ
وصَبَّحَ رأسَ العَينِ مِنَّا بَطارِقٌ * بِبيضٍ غَذَوْناها بضربِ الجَماجِمِ
ودارًا ومَيَّافارِقِين وأرزنا * صَبَحْناهُمُ بالخيلِ مثلِ الضَّراغِمِ
وأَقْريطِشٌ جرت إليها مَراكِبي * على ظهرِ بحرٍ مُزْبِدٍ مُتَلاطِمِ
فحُزْتُهمُ أَسْرَى وسِيقَت نِساؤُهم * ذواتُ الشُّعورِ المُسْبَلاتِ الفواحِمِ
هناك فتَحْنا عينَ زَرْبةَ عَنْوةً * نَعمْ وأبَدْنا كلَّ طاغٍ وظالم
إلى حلَبٍ حتى اسْتَبَحْنا حَريمَها * وهدَّم منها سُورَها كلَّ هادم
أخَذْنا النِّسا ثم البناتِ نَسُوقُهم * وصِبْيانَهم مثلَ المماليكِ خادم
وقد فرَّ عنها سيفُ دولةِ دينِكم * وناصرُها منا على رَغْمِ راغم
ومِلْنا على طَرْسوسَ مَيْلةَ هائلٍ * أذَقْنا لمن فيها لِحَزِّ الحَلاقم
فكم ذاتِ عِزٍّ حُرَّةٍ عَلَويةٍ * مُنَعَّمةِ الأطْرافِ رِيَّا المَعاصم
سبَيْنا فسُقْنا خاضِعاتٍ حَواسِرًا * بغيرِ مُهورٍ لا ولا حُكْمِ حاكم
وكم مِن قَتيلٍ قد ترَكْنا مُجَدَّلاً * يَصُبُّ دمًا بينَ اللَّهَا واللَّهازِم
وكم وَقْعةٍ في الدَّرْبِ أفْنَت كُماتَكم * وسُقْناهمُ قَسْرًا كسَوْقِ البَهائم
ومِلْنا على أرْتاحِكم وحَريمِها * مُدَوَّخةٌ تحتَ العَجاجِ السَّواهم
فأهْوَت أعاليها وبُدِّل رسمُها * مِن الأُنْسِ وَحْشًا بعدَ بِيضٍ نَواعِم
إذا صاح فيها البُومُ جاوَبه الصَّدَى * وأَتْبَعه في الرَّبْعِ نَوْحُ الحَمائم
وأنْطاكُ لم تَبْعُدْ عليَّ وإنني * سأفْتَحُها يومًا بهَتْكِ المَحارِم
ومَسْكَنُ آبائي دمشقُ فإنني * سَأرْجِعُ فيها مُلْكنا تحتَ خاتَمي
ومصرٌ سأفْتَحْها بسيفيَ عَنْوةً * وآخُذُ أمْوالاً بها لبَهائمي
وأجزِيَ كافورًا بما يَسْتَحِقُّه * بمُشْطٍ ومِقْراضٍ وقصٍّ مَحاجِم
ألا شَمِّروا يا أهلَ حرَّانَ شَمِّروا * أتَتْكمْ جُيوشُ الروم مثلَ الغَمائم
فإن تَهْرُبوا تَنْجُوا كِرامًا وتَسْلَموا * مِن المَلِكِ الضاري بقتلِ المُسالِم

هناك نَصِيبينُ ومَوْصِلُها إلى * جَزيرةِ آبائى ومُلْكِ الأقادمِ
سأفْتَحُ سامَراً وكُوثَى وعُكْبَرَا * وتَكْرِيتَها مَعْ ماردِين العَواصِمِ
وأَقْتُلُ أهْلِيها الرِّجالَ بأسْرِهمْ * وأَغْنَمُ أمْوالاً بها لكتايمِ
ألا شَمِّروا يا أهلَ بغداد ويْلَكمْ * فكلُّكمُ مُسْتَضْعَفٌ غيرُ رائمِ
رضِيتمْ بحُكْمِ الدَّيْلَمىِّ خليفةً * فصِرْتُم عَبيداً للعبيدِ الدَّيالمِ
ويا قاطِني الرَّمْلاتِ ويْلَكمُ ارْجِعوا * إلى أرضِ صَنْعاءَ وأرضِ التَّهائِمِ
وعُودوا إلى أرضِ الحجازِ أَذِلَّةً * وخَلُّوا بلادَ الرُّومِ أهلِ المكَارِمِ
سأُلْقي جُيُوشي نحوَ بغدادَ سائراً * إلى بابِ طاقٍ حيث دارُ القُماقِمِ
وأُحْرِقُ أعْلاها وأَهْدِمُ سُورَها * وأَسْبِى ذَرارِيها على رَغْمِ راغمِ
وأُحْرِزُ أمْوالاً بها وأَسِرَّةً * وأَقْتُلُ من فيها بسيفِ النَّقائمِ
وأَسْرِى بجَيْشى نحوَ الأَهْوازِ مُسْرِعاً * لإحرازِ دِيباجٍ وخَزٍّ السَّواسمِ
وأُشْعِلُها نهباً وأُخْرِبُ قُصورَها * وأَسْبِى ذَرارِيها كفعلِ الأقادمِ
ومنها إلى شِيرازَ والرَّىِّ فاعْلَموا * خُراسانُ قَصْدي والجُيوشُ لخادمِ
إلى شاسِ بلخٍ بعدَها وَخَواتِها * وفَرْغانةٍ معْ مَرْوِها والمخازِمِ
فسابورُ أُخْرِبُها وأَهْدِمُ حِصنَها * وأُورِدُها يوماً كيومِ المسارمِ
إلى السوسِ أقصاها أُدمِّرُ مُلْكَها * إلى أصبهانَ الأرضِ شرقَ الأعاجمِ
وكَرْمانُ لا أنسَى سجِسْتانَ كلَّها * وكابُلَها الثاني ومُلكَ الأعاجمِ
من المشرقِ الأقْصَى إلى المغربِ انْثَنى * إلى قيروانَ الأرضِ عُرْبِ الكَتائمِ
أَسِيرُ بجُنْدى نحوَ بَصْرتِها التي * لها بحرُ عاجٍ رائعٍ مُتلازِمِ
إلى واسِطٍ وسْطَ العراقِ وكوفةٍ * بما كان يوماً جَدُّنا ذو العَزائمِ
وأُسِرعُ منها نحوَ مكةَ سائراً * أَجُرُّ جُيوشاً كالليالي السَّواجِمِ
فأَمْلِكُها دَهْراً عَزيزاً مُسلَّماً * أُقِيمُ بها للحَقِّ كرسيَّ عالمِ
وأحْوِى نجداً كلَّها وتِهامَها * وسرْواتِها من مَذْحِجٍ وقَحاطمِ
وأَغْزُو يمَانًا كلَّها وزَبِيدَها * وصَنعْاءَها معَ صَعْدةٍ والتهائمِ
إلى حَضْرَمَوْتٍ سَهْلِها وجبالِها * إلى هَجَرٍ أحسائِها والتَّهائِمِ
فأتْرُكُها أيضاً يباباً بَلاقِعاً * خلاءً مِنَ الأَهْلِين أرْضَ نَعائمِ
وأحوِى أمْوالَ اليمانين كلَّها * وما جمَعَ القِرْماطُ يومَ محارمِ
أَعُودُ إلى القُدْسِ التي شَرفُت لنا * بعزٍّ مَكينٍ ثابتِ الأصلِ قائمِ
وأَعْلُو سَريري للسُّجودِ فيَشْتَفِى * ملوكُ بني حوّا بحَمْلِ الدراهمِ
هنالِك تَخْلُو الأرضُ مِن كلِّ مسلمٍ * لكلِّ نقيِّ الدِّينِ أغلفَ ناعمِ

نُصِرْنا عليكم حينَ جار وُلاتُكمْ * وأعْلَنْتُمُ بالمُنْكَراتِ العَظائمِ
قُضاتُكمُ باعوا القَضاءَ بدِينِهم * كبيع ابنِ يَعْقوبٍ ببَخْسِ الدَّراهمِ
عَدُولُكمُ بالزُّورِ يَشْهَدُ كلُّهم * وبالبُرِّ والبِرْطِيلِ معْ كلِّ قائمِ
سأَفْتَحُ أرضَ اللهِ شرقًا ومغربًا * وأَنْشُرُ دِينَ الصَّلْبِ نَشْرَ العَمائمِ
فعيسى علا فوقَ السَّمواتِ عَرْشُه * ففازَ الذي والاه يومَ الخَصائمِ
وصاحبُكم في التُّرْبِ أوْدَى به الثَّرَى * فصار رُفاتًا بينَ تلك الرَّمائمِ
تَناولْتُمُ أصحابَه بعدَ موتِه * بسبٍّ وقَذْفٍ وانْتِهاكِ محارمِ

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار، ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر:52) ويوم يدعو ناظمها ثبوراً ويصلى سعيراً، ويباشر ذلاً طويلاً ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان:27-29).

وهذا جوابها لأبى محمد ابن حزم الفقيه الظاهرى الأندلسى قالها ارتجالاً حين بلغته هذه الملعونة غضبًا لله ولرسوله كما شاهده من رآه، فرحمه الله وأكرم مثواه وغفر له زلله وخطاياه:

مِنَ المُحْتَمِي باللَّهِ ربِّ العَوالمِ * ودينِ رسولِ اللهِ مِن آلِ هاشمِ
محمدٍ الهادي إلى اللهِ بالتُّقَى * وبالرُّشْدِ والإسْلامِ أفضلِ قائمِ
عليه مِن اللهِ السلامُ مُرَدَّدًا * إلى أن يُوافِي البعثَ كلُّ العَوالِمِ
إلى قائلٍ بالإفْكِ جَهْلاً وضِلَّةً * عن النِّقْفورِ المفْتَرِى في الأعاجمِ
دعَوْتَ إمامًا ليس مِن أمرِ آلِه * بِكَفَّيْه إلا كالرُّسومِ الطَّواسِمِ
دهَتْه الدَّواهي في خِلافتِه كما * دهَتْ قبلَه الأمْلاكَ دُهْمُ الدَّواهمِ
ولا عَجَبٌ مِن نَكْبةٍ أو مُلِمَّةٍ * تُصِيبُ الكَرِيمَ الحُرَّ وابنَ الأكارمِ
ولو أنه في حالِ ماضي جُدودِه * لجُرِّعْتُمُ منه سُمومَ الأراقِمِ
عسى عَطْفةٌ للهِ في أهلِ دينِه * تُجَدِّدُ منهم دارساتِ المعالمِ
فَخَرْتُمْ بما لو كان فَهْمٌ يُرِيكمُ * حقائقَ حكمِ اللهِ أحْكَمِ حاكمِ
إذَنْ لعَرَتْكمْ خَجْلة عندَ ذِكْرِه * وأُخْرِس منكم كلُّ فاهِ مُخاصِمِ
سلَبْناكمُ كَرًا ففُزْتُم بغِرَّةٍ * مِنَ الكَرِّ أفْعالَ الضِّعافِ العَزائمِ
فَطِرْتُمْ سُرورًا عند ذاكَ ونَخْوةً * كفِعْلِ المَهِينِ النَّاقِصِ المُتَعاظِمِ
وما ذاك إلا في تَضاعِيفِ غَفْلةٍ * عَرَتْنا وصَرْفُ الدهرِ جَمُّ المَلاحِمِ
ولما تنازَعْنا الأُمورَ تَخاذُلاً * ودالتْ لأهلِ الجهلِ دَوْلةُ ظالمِ
وقد شغَلَت فينا الخَلائفَ فِتْنةٌ * لعُبْدانِهم مِن تُرْكِهمْ والدَّيالمِ
بكُفْرِ أيادِيهمْ وجَحْدِ حُقوقِهم * بمَن رفَعوه مِن حَضيضِ البَهائمِ

وثَبْتُم على أطْرافِنا عندَ ذاكمُ * وثوبَ لصوصٍ عندَ غفْلةِ نائم
ألم نَنْتَزِعْ منكم بأيدٍ وقوةٍ * جميعَ بلادِ الشام ضرْبةَ لازم
ومصْرَ وأرضَ القيْروانِ بأسرها * وأندَلُسًا قسْرًا بضرْبِ الجماجم
ألم تنتصف منكم على ضعف حالِها * صِقلِّيَّةٌ في بحرِها المُتلاطِم
أحلتْ بقُسْطَنْطِينَةِ كلَّ نَكْبةٍ * وسامتكمُ سُوءَ العذابِ المُلازم
مَشاهدُ تقْدِيساتكم وبُيوتُها * لنا وبأيدينا على رَغْمِ راغِم
أمَا بيتُ لَحْمٍ والقُمامةُ بعدها * بأيْدي رجالِ المسلمين الأعاظم
وكُرسيُّكُمْ في أرض إسْكَنْدَرِيَّةٍ * وكُرسِيُّكم في القُدْس في أُورشالِم
ضمَمْناهمُ قَسْرًا برَغْمِ أُنوفِكم * كما ضمَّتِ الساقَينِ سُودُ الأداهم
وكُرسيُّ أنطاكِيَّةٍ كان بُرْهَةً * ودهرًا بأيْدينا بذُلِّ الملاغم
فليس سِوى كُرسِيِّ رُومةَ فيكمُ * وكُرسيَّ قُسْطَنْطِينةٍ في المقادِم
ولابدَّ مِن عَوْدِ الجَميعِ بأسْرِه * إلينا بعِزٍّ قاهرٍ مُتَعاظِم
ألَيس يَزيدٌ حَلَّ وسْطَ ديارِكمْ * على باب قُسْطَنْطِينةٍ بالصَّوارم
ومَسْلَمةٌ قد داسها بعدَ ذاكمُ * بجيشٍ لُهامٍ كاللُّيوثِ الضَّراغِم
وأخْدَمَكمْ بالذُّلِّ مَسْجِدَنا الذي * بُني فيكمُ في عَصْرِه المُتَقادِم
إلى جنبِ قَصْرِ المُلكِ مِن دارِ مُلْكِكُمْ * ألا هذه حقًا صَريمةُ صارِم
وأدَّى لهارونَ الرَّشيدِ مَليكُكم * إتاوةَ مَغْلوبٍ وجِزْيةَ غارِم
سلَبْناكمُ مَسْرَى شهورًا بقُوَّةٍ * حبانًا بها الرحمنُ أرْحَمُ راحم
إلى بيتِ يَعْقوبٍ وأرْيافِ دُومةٍ * إلى لجةِ البَحْرِ البعيدِ المحَارِم
فهل سِرْتُمُ في أرْضِنا قطُّ جُمْعةً * أبَى اللهُ ذاكمْ يا بَقايا الهَزائم
فما لكمْ إلا الأمانيُّ وحدَها * بَضائعَ نَوْكَى تلك أحْلامُ نائم
رُوَيْدًا يَعُدْ نحوَ الخِلافةِ نُورُها * ويُسفرُ مُغْبَرُّ الوُجوهِ السواهم
وحينَئذٍ تَدْرُونَ كيف فِرارُكمْ * إذا صَدَمَتكُم خيلُ جيشٍ مُصادِم
على سالفِ العاداتِ منَّا ومنْكمُ * ليالِيَ أنتم في عِدادِ الغَنائم
سُبِيتُم سَبايا يَحْصَرُ العَدُّ دونَها * وسبْيُكمُ فينا كقَطْرِ الغمائم
فلو رام خَلْقٌ عَدَّها رام مُعْجِزًا * وأنَّى بتَعْدادٍ لريشِ الحَمائم
بأبناءِ حَمْدانَ وكافورَ صُلْتُمُ * أراذِلَ أنْجاسٍ قِصارِ المعاصِم
دَعِيٌّ وحَجَّامٌ سطَوْتُم عليهما * وما قَدْرُ مَصَّاصٍ دماءَ المَحاجِم
فهَلاَّ على دِمْيانةٍ قبلَ ذاك أو * على مَحَلِ أريا رُماةُ الضَّراغم
ليالِيَ قادوكم كما اقتاد جازرٌ * حلائبَ أتْياسٍ لِحَزِّ الحَلاقِم

وساقوا على رِسْلٍ بناتِ مُلوكِكم * سَبايا كما سِيقَت ظِباءُ الصَّرائمِ
ولكن سَلُوا عنا هِرَقْلاً ومَن خَلا * لكم مِن مُلوكٍ مُكْرَمِين قُماقِمِ
يُخَبِّرْكمُ عنا المُتَوَّجُ مِنكمُ * وقَيْصَرُكُمْ عن سَبْيِنا للكَرائمِ
وعمَّا فتَحْنا من مَنيعِ بلادِكم * وعمّا أقَمْنا فيكمُ مِن مآتمِ
ودَعْ كلَّ نَذْلٍ مُفْتَرٍ لا تَعُدَّه * إمامًا ولا مِن مُحكَماتِ الدَّعائمِ
فهيهاتَ سامرّا وتَكْريتُ منكمُ * إلى جبلِ تِلْكُمْ أمانيُّ هائمِ
متى يَتَمنّاها الضَّعيفُ ودُونَها * تَطايُرُ هاماتٍ وحَزُّ الغَلاصمِ
ومن دونِ بغدادٍ سيوفٌ حَديدةٌ * مَسيرةَ شهرٍ للفنيقِ القَواصمِ
مَحلَّةُ أهلِ الزُّهْدِ والخيرِ والتُّقَى * ومَنْزِلةٌ مُحْتَلُّها كلُّ عالمِ
دعُوا الرَّمْلةَ الصَّهْباءَ عنكم فدونها * مِن المسلمين الصِّيدِ كلُّ مُقاوِمِ
ودون دمشقٍ جمعُ جيشٍ كأنه * سحائبُ طيرٍ تَنْتَحِي بالقوادمِ
وضَرْبٌ يُلَقِّي الكُفْرَ كلَّ مَذَلَّةٍ * كما ضَرَبَ السِّكِّيُّ بِيضَ الدراهمِ
ومِن دُونِ أكْنافِ الحجازِ جَحافِلٌ * كقطْرِ الغُيوثِ الهاملاتِ السَّواجِمِ
بها مِن بني عَدْنانَ كلُّ سَمَيْدَعٍ * ومِن حَيٍّ قحطانٍ كرامُ العمائمِ
وأموالُكمْ حِلٌّ لهم ودماؤُكُمْ * بها يُشْتَفَى حَرُّ النفوسِ الحوائمِ
ولو قد لَقِيتُمْ مِن قُضاعَةَ كُبَّةً * لَقِيتُمْ ضِرامًا في يَبِيسِ الهشائمِ
إذا صَبَّحُوكمْ ذَكَّروكُمْ بما خَلا * لَهُمْ مَعكُمْ مِن مأزقٍ مُتلاحِمِ
زمانَ يقودُونَ الصّوافِنَ نَحْوَكمْ * فجِئْتُمْ ضَمانًا أنَّكمْ في المَغانمِ
سَيأتيكُمُ منهمْ قريبًا عَصائِبٌ * تُنَسِّيكُمُ تَذْكارَ أخْذِ العَواصِمِ
وأرضُكُمُ حقًا سَيقْتَسِمُونَها * كما فَعَلوا دَهْرًا بعَدْلِ المُقاسمِ
ولو طَرَقَتْكمْ مِن خُراسانَ عُصْبَةٌ * وشِيرازَ والرَّيِّ القِلاعِ القَوائمِ
لما كان منكُمْ عنْد ذلك غيرُ ما * عَهِدْنا لكمْ ذُلٌّ وعَضُّ الأباهِمِ
فقد طالَ ما زارُوكُمُ في دِيارِكُمْ * مَسِيرةَ عامٍ بالخيولِ الصَّلادِمِ
وأما سِجِسْتانٌ وكَرْمانُ والأُلَى * بكابُلَ حَلُّوا في بِلادِ البَراهِمِ
وفي فارسٍ والسُّوسِ جَمْعٌ عَرَمْرَمٌ * وفي أصْبَهانٍ كلُّ أرْوَعَ عازمِ
فلو قد أتاكمْ جمعُهمْ لغَدَوْتُمُ * فَرائِسَ للآسادِ مِثْلَ البَهائمِ
وبالبصْرةِ الزَّهْراءِ والكُوفةِ التي * سمَتْ وبأدنى واسِطٍ كالكظائِمِ
جمُوعٌ تُسامِي الرَّمْلَ جَمٌّ عَديدُها * فما أحدٌ يَنْوِي لِقاهمْ بسالمِ
ومِن دونِ بيتِ اللهِ في مكةَ التي * حَباها بمَجْدٍ للثُّرَيَّا مُزاحِمِ
مَحَلٌّ جميعِ الأرضِ منها تَيقُّنًا * مَحَلَّةُ سُفْلِ الخُفِّ مِن فَصِّ خاتَمِ

دِفاعٌ مِن الرحمنِ عنها بحقِّها * فما هوَ عنها كَرَّ طرْفٍ برائم

بها دَفع الأُحْبوشَ عنها وقَبْلَهُمْ * بحَصْباءِ طَيْرٍ في ذُرَا الجَوِّ حائم

وجمعٍ كموجِ البحرِ ماضٍ عَرَمْرَمٍ * حَمَى سُرَّةَ البَطْحاءِ ذاتِ المَحارم

ومِن دونِ قبرَ المُصْطَفَى وسْطَ طَيْبةٍ * جموعٌ كَمُسْوَدٍّ مِن الليْلِ فاحِمِ

يَقُودُهمُ جيشُ الملائكةِ العُلا * كِفاحًا ودَفْعًا عن مُصَلٍّ وصائمِ

فلو قد لَقيناكمْ لعُدْتُمْ رَمائمًا * بمِن في أعالي نَجْدنا والتَّهائم

وباليَمَنِ المَمنوعِ فِتْيانُ غارَةٍ * إذا ما لقُوكمْ كنتمُ كالمَطاعِمِ

وفي حلَّتَيْ أرضِ اليَمامةِ عُصْبَةٌ * مَغاوِرُ أنجادٍ طِوالُ البَراجِمِ

ستُفْنِيكُمُ والقِرْمِطِيِّين دولةٌ * تَعُودُ لميمونِ النَّقيبَةِ حازم

خليفةُ حقٍّ يَنْصُرُ الدينَ حكمُه * ولا يَتَّقي في اللهِ لومةَ لائم

إلى ولدِ العباسِ تُنْمَى جُدودُه * بفخرٍ عميمٍ أو لزهْرِ العِباشِمِ

ملوكٌ جرَى بالنصرِ طائرُ سَعْدِهم * فأهلاً بماضٍ منهمُ وبقادم

مَحِلَّتُهم في مسجدِ القدسِ أو لَدَى * منازل بغدادٍ مَحَلُّ المكارِمِ

وإن كان مِن عُلْيا عَدِيٍّ وتَيْمِها * ومِن أسَدٍ أهلِ الصَّلاحِ الحضارِمِ

فأهْلاً وسَهلاً ثم نُعْمَى ومرحبًا * بهمْ مِن خيارٍ سالِفِينَ أقادِمِ

همُ نصَروا الإسلامَ نصْرًا مُؤَزَّرًا * وهم فتَحوا البُلْدانَ فَتْحَ المُراغِمِ

رُوَيدًا فوعْدُ اللهِ بالصدقِ واردٌ * بتَجْريعِ أهلِ الكفرِ طَعْمَ العَلاقِمِ

سنَفْتَحُ قُسْطَنْطِينةَ وذَواتِها * ونَجْعَلُكم قوتَ النُّسورِ القشاعم

ونملكُ أقصى أرضِكُم وبلادكُم * ونُلْزِمُكم ذُلَّ الجِزَى والمغارِمِ

ونَفْتَحُ أرضَ الصينِ والهِنْدِ عَنْوةً * بجيش لأرضِ التركِ والخَزْرِ حاطِمِ

مَواعِيدُ للرحمنِ فينا صَحيحةٌ * وليْسَت كأمثالِ العُقولِ السَّقائم

إلى أن يُرَى الإسلامُ قد عَمَّ حُكْمُهُ * جميعَ البلادِ بالجيوشِ الصوارمِ

أتَقْرِنُ يا مَخْذولُ دِينَ مُثَلِّثٍ * بعيداً عن المَعْقُولِ بَادِي المَآثِمِ

تَدِينُ لمخلوقٍ يَدِينُ عِبادُهُ * فيالك سُحْقًا ليس يَخْفى لكاتِمِ

أناجِيلُكم مصنوعةٌ بِتَكاذُبٍ * كلامِ الأُلَى فيها أتَوْا بالعظائِمِ

وَعُودُ صليبٍ ما تزالونَ سُجَّداً * له يا عقولَ الهامِلاتِ السَّوائمِ

تدِينون تَضْلالاً بصَلْبِ إلهِكم * بأيْدي يهودٍ أرْذَلِينَ ألائِمِ

إلى مِلَّةِ الإسلامِ توحيدِ رِبِّنا * فما دينُ ذي دينٍ لنا بمُقاوِمِ

وصِدْقِ رسالاتِ الذي جاءَ بالهُدَى * محمدٍ الآتِي بِدَفْعِ المَظالم

وأذْعنَتِ الأملاكُ طَوْعًا لدينِه * بِبُرْهانِ صِدْقٍ ظاهرٍ في المواسم

كما دانَ في صَنْعاءَ مالكُ دولةٍ * وأهلُ عمانٍ حيثُ رَهْطُ الجَهاضِمِ
وسائرُ أمْلاكِ اليمانينَ أسْلَموا * ومِن بلدِ البحْرَينِ قَوْمُ اللَّهازِمِ
أجابُوا لِدينِ اللهِ دُون مخافةٍ * ولا رَغْبةٍ تَحْظَى بها كَفٌّ عادمِ
فحلُّوا عُرَى التِّيجان طوْعًا ورَغْبةً * بحقٍّ يقينٍ بالبراهينِ ناجِمِ
وحاباهُ بالنَّصْرِ المكينِ إلهُهُ * وصيَّرَ مَن عاداهُ تحتَ المَناسِمِ
فقيرٌ وحيدٌ لم تُعِنْهُ عشيرَةٌ * ولا دَفعوا عنْهُ شَتِيمةَ شاتِمِ
ولا عندَهُ مالٌ عَتِيدٌ لناصرٍ * ولا دَفْعِ مَرْهُوبٍ ولا لِمُسالمِ
ولا وَعَدَ الأنصارَ مالاً يَخُصُّهُمْ * بلى كان مَعْصُومًا لأقْدَرِ عاصمِ
فلم تَمْتَهِنْهُ قطُّ قوةُ آسرٍ * ولا مُكِنَتْ من جِسْمِهِ يَدُ لاطِمِ
كما يفترِي إفْكًا وزوراً وضِلَّةً * على وجْه عيسى منكُمُ كلُّ آثِمِ
على أنَّكُمْ قد قلتمُ هو ربُّكُمْ * فيا لَضَلالٍ في الحماقةِ عائمِ
أبَى اللهُ أن يُدْعَى له ابنٌ وصاحِبٌ * ستَلْقَى دُعاةُ الكفرِ حالةَ نادمِ
ولكنَّهُ عبدٌ نبيٌّ مُكَرَّمٌ * من الناسِ مخلوقٌ ولا قولَ زاعمِ
أَيُلْطَمُ وجهُ الربِّ تَبًّا لِنَوْكِكم * لقد فُقْتُمُ في ظُلْمِكُمْ كلَّ ظالمِ
وكم آيةٍ أبْدَى النبيُّ محمدٌ * وكمْ عَلَمٍ أبداهُ للشِّرْكِ حاطمِ
تساوَى جميعُ الناسِ في نصْرِ حقِّهِ * فلِلْكُلِّ في إعظامِهِ حالُ خادمِ
فَعُرْبٌ وأُحْبُوشٌ وفُرْسٌ وبَرْبَرٌ * وكُرْدِيُّهمْ قد فازَ قِدْحُ المَراحِمِ
وقِبْطٌ وأنْباطٌ وخَزْرٌ ودَيْلَمٌ * ورُومُ رَمَوْكُمْ دونَه بالقواصِمِ
أبَوا كُفْرَ أسْلافٍ لهمْ فتحنَّفوا * فآبُوا بحظٍّ في السعادةِ جاثمِ
بهِ دخلوا في مِلَّةِ الحقِّ كُلُّهمْ * ودانُوا لأحْكامِ الإلهِ اللَّوازِمِ
به صحَّ تَفْسيرُ المنامِ الذي أتَى * به دَانيالٌ قَبْلَهُ خَتْمِ خاتمِ
وسِنْدٌ وهِنْدٌ أسْلَموا وتدَيَّنوا * بدينِ الهُدَى في رَفْضِ دينِ الأعاجِمِ
وشَقَّ لنا بدرَ السمواتِ آيةً * وأشْبَعَ مِن صاعٍ له كلَّ طاعِمِ
وسالتْ عيونُ الماءِ في وَسْطِ كفِّه * فأرْوَى به جَيْشًا كثيرَ الهَماهِمِ
وجاءَ بما تقْضِي العقولُ بصِدْقِهِ * ولا كدَعاوٍ غيرِ ذاتِ قوائمِ
عليه سلامُ اللهِ ما ذرَّ شارقٌ * تعاقَبَهُ ظلماءُ أسْحَمَ قاتمِ
براهينُهُ كالشَّمسِ لا مثلُ قولِكُمْ * وتخليطكم في جَوْهَرٍ وأقانمِ
لنا كلُّ عِلم من قديمٍ ومُحدَثٍ * وأنتمْ حَمِيرٌ داميَاتُ المحازِمِ
أتيتمْ بشِعْرٍ باردٍ مُتخاذِلٍ * ضعيفِ معاني النَّظْمِ جَمِّ البَلاغِمِ
فدونكَها كالعِقْدِ فيه زُمُرُّدٌ * ودُرٌّ وياقوتٌ بإحكامِ حاكِمِ

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة

استهلت هذه السنة والخليفة المطيع لله، والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي.(1)

وعملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين على ما ابتدعوه من النوح.

وفاة معز الدولة بن بويه

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول من هذه السنة، توفى معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمى الذى أظهر الرفض، ويقال له: معز الدولة، بعلة الذرب، فصار لا يثبت فى معدته شيء بالكلية، فلما أحس بالموت أظهر التوبة وأناب إلى الله عز وجل، وردّ كثيراً من المظالم، وتصدق بكثير من أمواله، وأعتق خلقًا كثيرًا من مماليكه، وعهد إلى ابنه بختيار عز الدولة، وقد اجتمع ببعض العلماء فكلمه فى السنة وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، فقال: والله ما سمعت بهذا قط. ورجع إلى السنة ومتابعتها، ولما حضر وقت الصلاة خرج ذلك الرجل إلى الصلاة. فقال له: أما تصلى ههنا؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: لأن دارك مغصوبة. فاستحسن منه ذلك. وكان معز الدولة حليماً كريماً عاقلاً، وكانت إحدى يديه مقطوعة، وهو أول من أحدث السعاة بين يدي الملوك ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة إلى شيراز سريعًا، وحظى عنده أهل هذه الصناعة وتعلم أهل بغداد ذلك حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد نيفًا وأربعين فرسخًا وكان فى البلد ساعيان ماهران، وهما فضل، ومرعوش، يتعصب لهذا عوام أهل السنة، ولهذا عوام أهل الشيعة، وجرت لهما مناصف ومواقف. ولما مات معز الدولة دفن بباب التبن فى مقابر قريش، وجلس ابنه للعزاء. وأصاب الناس مطر ثلاثة أيام تباعاً، فبعث عز الدولة إلى رؤوس الدولة فى هذه الأيام بمال جزيل، لئلا تجتمع الدولة على مخالفته قبل استحكام مبايعته، وهذا من عقله ودهائه، وكان عمر معز الدولة ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة ولايته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين، وقد كان نادى فى أيامه برد المواريث إلى ذوى الأرحام قبل بيت المال، وقد سمع بعض الناس ليلة توفى معز الدولة هاتفاً يقول:

لما بلغت أبا الحسين	*	ن مراد نفسك في الطلب
وأمنت من حدث الليا	*	لي واحتجبت عن النوب
مدت إليك يد الردى	*	وأخذت من بيت الذهب

ولما مات معز الدولة قام بالأمر بعده ولده عز الدولة فأقبل على اللهو واللعب والاشتغال بأمر النساء فتفرق شمله واختلفت الكلمة عليه، وطمع الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان فى ملك بنى بويه، وأرسل الجيوش الكثيفة صحبة الملك وشمكير، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إلى ابنه عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما، فأرسلا إليه بجنود كثيرة، فركب فيها ركن الدولة وبعث إليه وشمكير يتهدده ويتوعده، ويقول: لئن قدرت عليك لأفعلن بك ولأفعلن. فكتب إليه ركن الدولة: لكنى إن قدرت عليك لأحسنن إليك ولأصفحن عنك. فكانت العاقبة لهذا، فدفع الله عنه شره، وذلك أن وشمكير ركب فرساً صعبة فتصيد عليها فحمل عليه خنزير فنفرت الفرس فألقته على الأرض فخرج الدم من أذنيه فمات من ساعته وتفرقت العساكر. وبعث ابن وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأمنه وأرسل إليه بالمال والرجال، ووفى بما قال، وصرف الله عنه كيد السامانية، وذلك بصدق النية وحسن الطوية.

---

(1) «المنتظم» (14/ 182)، و«الكامل» (8/ 575-581).

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو الفرج على بن الحسين: ابن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى الأصبهاني، صاحب كتاب «الأغانى» وكتاب «أيام العرب»، ذكر فيه ألفاً وسبعمائة يوم من أيامهم ووقائعهم، وكان شاعراً أديباً كاتباً، عالماً بالأخبار وأيام الناس، إلا أنه كان يتشيع. قال ابن الجوزى: ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل قبيح ومنكر، وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله مطين وخلق، وروى عنه الدارقطنى وغيره.[1] توفى فى ذى الحجة من هذه السنة، وقال ابن خلكان: وقيل في التي بعدها، وكان مولده فى سنة أربع وثمانين ومائتين، التى توفى فيها البحترى الشاعر، وقد ذكر له مصنفات عديدة منها: «الأغانى»، و«الديارات»، و«أيام العرب»، وغير ذلك.[2]

سيف الدولة بن حمدان: صاحب حلب، أبو الحسن عليّ بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي، الملقب بسيف الدولة، أحد الأمراء الشجعان، والملوك الكثيرى الإحسان، على ما كان فيه من تشيع، وقد ملك دمشق فى بعض الأوقات، واتفق له أشياء غريبة منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النباتية أحد الفصحاء البلغاء. وشاعره المتنبى، ومطربه أبو نصر الفارابى. وكان كريماً جواداً معطياً للجزيل. ومن شعره فى أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل:

رَضِيتُ لك العَلْيَا وقد كنتَ أهلَها * وقلتُ لهم بيني وبينَ أخي فَرْقُ
وما كان لي عنها نُكُولٌ وإنما * تَجاوَزْتُ عن حقِّي فتَمَّ لك الحَقُّ
أمَا كنتَ تَرْضَى ان أكُونَ مُصَلِّيًا * إذا كنتُ أرْضَى أن يَكونَ لك السَّبْقُ

وله أيضًا:

قد جَرَى في دَمْعِهِ دمُهُ * فإلى كم انتَ تَظْلِمُهُ
رُدَّ عنه الطَّرْفَ منك فقدْ * جرَحَتْه منك أسْهُمُهُ
كيف يستطيع التَّجَلُّدَ مَنْ * خَطَراتُ الوَهْمِ تُؤْلِمُهُ

وكان سبب موته الفالج، وقيل: عسر البول. وتوفى بحلب، وحمل تابوته إلى ميافارقين فدفن بها وعمره ثلاث وخمسون سنة، وقام بملك حلب من بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف، ثم تغلب عليه مولى أبيه قرعويه، فأخرجه من حلب إلى أمه بميافارقين، ثم عاد إليها كما سيأتي بيانه.

وذكر ابن خلكان شيئًا كثيرًا مما قاله سيف الدولة وقيل فيه، قال: ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء. وقد أجاز لجماعة من الكبار منهم؛ كالمتنبي، والخالدِيين، والسري الرفاء، والنامي، والببغاء، والوأواء، وغيرهم. وذكر ابن خلكان أنه ولد سنة ثلاث -وقيل: إحدي- وثلاثمائة، وأنه ملك حلب بعد الثلاثين وثلاثمائة، وكان قبل ذلك يملك واسطًا ونواحيها، ثم تنقلت به الأحوال حتى ملك حلب -انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد- وملك دمشق في وقت. وقد قال يومًا لندمائه: أيكم يجيز قولي؟ وما أظن أحدًا يجيزه:

---

(1) «المنتظم» (14/ 185). (2) «الوفيات» (3/ 308-309).

لـك جِسْـمي تُعِلُّـهُ * فـدمـي لِـمْ تُحِلُّـهُ

فقال أبو فراس أخوه بديهةً:

قـال إن كنتُ مالِكًا * فـلـيَ الأمْـرُ كُلُّـهُ

وفيها توفي كافور الإخشيدي، مولى محمد بن طغج الإخشيد، وقد قام بالأمر من بعده مولاه لصغر أولاده، فملك كافور مصر ودمشق، وناوأ سيف الدولة وغيره.

وقد كتب على قبره:

انْظُرْ إلى غِيَرِ الأيام ما صَنَعَتْ * أفْنَتْ أُناسًا بها كانوا وما فَنِيَتْ

دُنْياهُمُ ضَحِكَتْ أيامَ دولتِهِمْ * حتى إذا فَنِيَتْ ناحَتْ لهم وبَكَتْ

أبو علي القاليُّ صاحب «الأمالي» إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ابن هارون بن عيسي بن محمد ابن سليمان، أبو عليٍّ القاليُّ اللغوي الأموي مولاهم؛ لأن سليمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان، والقاليُّ نسبةٌ إلي قاليقلا، ويقال: إنها أرزن الروم. فالله أعلم.

وكان مولده بمنازجرد من أرض الجزيرة من ديار بكر، وسمع الحديث على أبي يعلى الموصلي وغيره، وأخذ النحو واللغة عن ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري ونفطويه وغيرهم، وصنف «الأمالي» وهو مشهور، وكتاب «البارع» على حروف المعجم، في خمسة آلاف ورقة، وغير ذلك من المصنفات في اللغة.

ودخل بغداد وسمع بها، ثم ارتحل إلى قرطبة، فدخلها في سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوطنها، وصنف كتبًا كثيرةً فيها، إلى أن توفي بها في هذه السنة عن ثمان وستين سنةً. قاله ابن خلكان.

وفيها توفي أبو عليٍّ محمد بن إلياس صاحب بلاد كرمان ومعاملاتها، فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان من أولاد محمد بن إلياس، وهم ثلاثة؛ اليسع، وإلياس، وسليمان.

والملك الكبير وشمكير، كما قدمنا ذكره في هذه السنة.

وممن توفي فيها من الملوك: الحسن بن الفيرزان صاحب بلاد جرجان، **ومعز الدولة** بن بويه الديلميُّ، كما تقدم ذكره.

وسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب، كما قدمنا ذكر ذلك.

قال ابن الأثير: **وفيها** هلك النقفور ملك الروم. يعني الدمستق صاحب بلاد الأرمن، وقد ذكرنا ترجمته وما ورد عنه من الشعر، وأوردنا جوابها للإمام العلامة أبي محمد ابن حزم الفقيه الظاهري، رحمه الله تعالى.

وممن توفي بها كافور الإخشيدي، في قول ابن خلكان.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

فيها: شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلاً ظهر يقال له: محمد بن عبد الله. وتلقب بالمهدي، وزعم أنه الموعود به في الحديث الوارد في المهدي، وأنه يدعو إلى الخير وينهى عن الشرِّ، ودعا إليه ناسٌ ببغداد؛ فإن دعوا سنيًا قالوا: هو من سلالة العباس. وإن كان المدعو شيعيًا قالوا له: علويٌّ. وكان هذا الرجل إذ ذاك مُقيمًا بمصر عند كافور الإخشيدي قبل أن يموت، وكان يكرمه، وكان من جملة المستحسنين له سبكتين الحاجب، وكان شيعيًا، فظنه علويًا، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد، فترحل من

مصر فلقيه سبكتكين إلى قريب الأنبار، فلما رآه عرفه، وإذا هو محمد بن المستكفي بالله العباسي، فلما تحقق أنه عباسي وليس بعلوي انثنى رأيه عنه، فتفرَّق شمله، وتمزق أصحابه كل ممزق، وحمل إلى عز الدولة ابن معز الدولة فأمَّنه، وتسلمه المطيع لله، فجدع أنفه، واختفى أمره، فلم يظهر له خبر بالكلية بعد ذلك.(1)

وفيها: وردت طائفة من الروم، لعنهم الله، إلى بلاد أنطاكية، فقتلوا خلقًا من حواضرها، وسبوا اثني عشر ألفًا من أهلها، ورجعوا إلى بلادهم، ولم يعرض لهم أحدٌ.

وعملت الروافض في عاشوراء المأتم، وفي يوم غدير خمٍّ الهناء والسرور.

وفيها: عرض للناس في تشرين داءُ الماشرا، فمات به خلق كثير فجأةً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: مات أكثر جمال الحجيج في الطريق من العطش، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل، ومات أكثر من وصل منهم عامه ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: اقتتل أبو المعالي شريف بن سيف الدولة هو وخاله وابن عم أبيه أبو فراس ابن سعيد بن حمدان الشاعر، عند قرية يقال لها: صدر. فقتل أبو فراس في المعركة. قال ابن الأثير: وقد صدق من قال: إن الملك عقيم.

وفيها: أظهرت الشيعة الحزن الشديد يوم عاشوراء من المحرم وعملوا عيد غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وأظهروا الفرح والسرور.

وممن توفي فيها أيضًا: إبراهيم المتقي لله بن جعفر المقتدر، وكان قد ولي الخلافة، ثم ألجئ إلى أنه خلع عنها في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، كما ذكرنا، ولزم بيته، فمات في هذه السنة، ودفن بداره عن ستين سنةً.

عمر بن جعفر بن عبد الله بن أبي السَّريّ، أبو جعفر البصريُّ الحافظ، ولد سنة ثمانين ومائتين، وكان ينتخب على المشايخ، حدث عن أبي خليفة الفضل بن الحباب وغيره، وقد انتقد عليه مائة موضع. قال الدارقطني: فنظرت فيها، فإذا الصواب مع عمر بن جعفر.

محمد بن أحمد بن عليِّ بن مخلد، أبو عبد الله الجوهري، المحتسب، ويعرف بابن المحرم، كان أحد أصحاب ابن جرير الطبري، وقد روى عن الكديمي وغيره، وقد اتفق أنه تزوج امرأةً، فلما أدخلت عليه جلس يكتب الحديث، فجاءت أمها، فأخذت الدواة فرمت بها وقالت: هذه أضرُّ على ابنتي من ثلاثمائة ضرَّة. وقد توفي في هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنةً، وكان يضعف في الحديث.

كافور بن عبد الله الإخشيدي: كان مولى السلطان محمد بن طغج الإخشيدي، اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر دينارًا، وقربه وأدناه واختصه من بين الموالي واصطفاه، ثم جعله أتابكًا حين ملك ولداه، ثم استقل بالأمور بعد موتهما في سنة خمس وخمسين، واستقرت المملكة باسمه، يدعى له على المنابر بالديار المصرية والشامية وبلاد الحجاز جميعًا، وكان شهمًا ذكيًا فاتكًا جيد السيرة، مدحه الشعراء، ووفد إليه المتنبي، حين ذهب مغاضبًا على سيف الدولة بن حمدان، فآوى إلى كافور وحَصل له منه رفد، ثم تغير عليه فأبعده كافور، فهجاه ورحل عنه، وصار إلى عضد الدولة بن بويه، فكان هناك حتفه كما تقدم بيانه.

---

(1) «المنتظم» (14/ 189-190)، و«الكامل» (8/ 583-589).

وأما كافور فإنه لما توفي دفن بتربته المشهورة به، وقام بالملك بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد، ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلاد مصر كما سيأتي. وكانت مملكة كافور سنتين وثلاثة أشهر رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

في عاشوراء: عملت الروافض بدعتهم، وفي يوم غدير خمٍّ عملوا الفرح المبتدع.

وحصل بالعراق غلاء عظيم، كان يعدم الخبز بالكلية. وعاثت الروم في البلاد فسادًا، وحرقوا حمص، وأفسدوا فيها فسادًا عريضًا، وسبوا من المسلمين نحوًا من مائة ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

دخول جوهر القائد إلى الديار المصرية

ودخل أبو الحسن جوهر القائد الرومي في جيش كثيف، من جهة المعز الفاطميِّ إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلةً بقيت من شعبان، فلما كان يوم الجمعة خُطب للمعز الفاطمي على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها، وأمر جوهر المؤذنين بالجامع العتيق وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا بحي على خير العمل، وأن يجهر الأئمة بالبسملة، وذلك أنه لما توفي كافور الإخشيدي، لم يبقَ بمصر من تجتمع القلوب عليه، وأصابهم غلاءٌ شديدٌ أضعفهم، فلما بلغ ذلك المعز وهو ببلاد إفريقية بعث جوهرًا القائد الرومي مولى أبيه المنصور في جيش كثيف إلى الديار المصرية، فلما بلغ ذلك أصحاب كافور هربوا منها قبل وصول جوهر إليها، فدخلها فأخذها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة، ففعل ما ذكرنا من الأمور، واستقرت أيديهم على تلك البلاد بعد كافور الإخشيدي.

وفي هذه السنة: شرع جوهر القائد في بناء القاهرة المعزية، وبناء القصرين عندها، على ما سنذكره. وهيأ الإقامات لمولاه المعز الفاطمي.

وأرسل جوهر جعفر بن فلاح في جيش كثيف إلى الشام، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم ابن أبي يعلى الهاشمي، وكان مطاعًا فيهم، فحاجف عن العباسيين مدةً طويلةً، ثم آل الحال إلى أن خطب للمعزِّ بدمشق، وحمل الشريف أبو القاسم إلى الديار المصرية، وأسر الحسن بن عبد الله بن طغج وجماعة من الأمراء فحملوا إلى الديار المصرية، فحملهم جوهر إلى المعز بإفريقية، واستقرت يد الفاطميين على دمشق في سنة ستين، كما سيأتي، وأُذِّن بها: حيَّ على خير العمل، أكثر من سبعين سنةً، وكتبت لعنةُ الشيخين -ﷺ- ولعن من لعنهما- على أبواب الجوامع بها وأبواب المساجد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولة الأتراك، على ما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه، إن شاء الله تعالى.

وفيها: دخلت الروم إلى حمص، فوجدوا أكثر أهلها قد جلوا عنها وانتقلوا منها، فحرَّقوها وأسروا ممن بقي فيها ومن حولها نحوًا من مائة ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي ذي الحجة: نقل عزُّ الدولة والده معزَّ الدولة بن بويه من داره إلى تربته بمقابر قريش.

وممن توفي فيها من الأعيان: على ما ذكره ابن الجوزي في «منتظمه» كافور الإخشيدي؛ قال ابن الجوزي: وقد رأيت مدح المتنبي لكافور تحمل الذم والمدح، وكأنه تلعَّب به، والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها: عملت الروافض بدعتهم الشنعاء، فغلقت الأسواق، وتعطلت المعايش، ودارت النساء سافرات عن وجوههن ينحن على الحسين بن عليٍّ، ويلطمن وجوههن، والمسوح معلقة في الأسواق، والتبن مذرور فيها.(1)

وفيها: دخلت الروم الملاعين أنطاكية، فنفوا من أهلها الشيوخ والعجائز، وسبوا من النساء والأطفال نحوًا من عشرين ألفًا؛ وذلك كله بتدبير ملك الأرمن نقفور، لعنه الله.

قال ابن الجوزي: وكان قد قهر وطغا وتمرَّد، وقد تزوج مع ذلك بامرأة الملك الذي كان قبله، ولها منه ابنان، فأراد أن يخصيهما ويجعلهما في الكنيسة؛ لئلا يصلحا بعد ذلك للملك، فلما فهمت ذلك أمهما عملت عليه، وسللت عليه الأمراء، فقتلوه وهو نائمٌ، وملكوا عليهم أكبر ولديها.

وفي ربيع الأول: صُرِف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار وأعيد إليه أبو محمد ابن معروف.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة نقصت دجلة حتى غارت الآبارُ.

وحج بالناس الشريف أبو أحمد النقيب.(2)

قال: وانقضَّ كوكب في ذي الحجة، فأضاءت منه الدنيا حتى بقي له شعاعٌ كالشمس، ثم سمع له صوت كالرعد.

قال ابن الأثير: **وفي المحرم من هذه السنة** خطب للمعزِّ الفاطميِّ بدمشقَ عن أمر جعفر بن فلاح الذي سيَّره جوهر القائد من مصر إلى الشام، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج بالرملة، فغلبهُ ابن فلاح، وأسره وسيَّره إلى جوهر، فأرسله جوهر إلى المعزِّ وهو بإفريقية واستقرت يد الفاطميين على دمشق أيضًا بعد حروب يطول ذكرها، تطاول أمرها إلى آخر هذه السنة.(3)

وفي هذه السنة: وقعت المنافرة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه أبي تغلب، وسببه أنها لما مات معزُّ الدولة بن بويه ببغداد، عزم أبو تغلب ومن وافقه من أهل بيته على الدخول إلى بغداد وأخذ مملكة العراق، فقال لهم أبوهم: إن معز الدولة قد ترك لابنه أموالاً جزيلةً، لا تقدرون عليه ما دامت في يده، ولكن اصبروا حتى ينفقها فإنه مبذرٌ، فإذا أفلس فثوروا عليه، فإنكم تغلبونه لا محالة. فحقد عليه ولده أبو تغلب بسبب ذلك، ولم يزل بأبيه حتى سجنه بالقلعة، فاختلف أولاده بينهم، وصاروا أحزابًا، وضعفوا عن حفظ ما بأيديهم حتى بعث أبو تغلب إلى عزِّ الدولة فضمن منه بلاد الموصل بألف ألف درهم كل سنة يحملها إليه، واتفق موت أبيه ناصر الدولة في هذه السنة، واستقرَّ أبو تغلب بالموصل وملكها، إلا أنهم فيما بينَهم مختلفون متحاربون.

وفي هذه السنة: دخل ملك الروم إلى طرابلس، فأحرق كثيرًا منها، وملك قلعة عرقة، ونهبها وسبى أهلها وكان في قلعتها صاحب طرابلس، كان لجأ إليها حين أخرجه أهل طرابلس منها لشدة ظلمه، فأسرته الروم، واستحوذوا على جميع أمواله وحواصله، وكانت كثيرة جدًا، ثم مالوا على السواحل، فملكوا ثمانية عشر منبرًا سوى القرى، وتنصَّر خلق كثير على أيديهم، لعنهم الله تعالى.(4)

(1) «المنتظم» (14/ 201-202)، و«الكامل» (8/ 603-612).
(2) «المنتظم» (14/ 202). (3) «الكامل» (8/ 591).
(4) «الكامل» (8/ 596-598).

وجاءوا إلى حمص، فحرقوا ونهبوا. ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما شاء من البلاد، ويأسر من قدر عليه من العباد، وصارت له مهابة عظيمة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلاده ومعه من السبي نحو من مائة ألف صبيٍّ وصبية، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرةُ الأمراض في جيشه واشتياقهم إلى أولادهم وأهليهم وأوطانهم.

وبعث سريةً إلى الجزيرة، فنهبوا وسبوا، وكان قرعويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب، وأخرج منها ابن أستاذه أبا المعالى شريف بن سيف الدولة، فسار إلى حران، وهى تحت حكمه، فأبوا أن يدخلوه إليهم، فذهب إلى أمه بميافارقين، وهي ابنة سعيد بن حمدان، فمكث عندها حينًا، ثم سار إلى حماة فملكها، ثم عاد إلى حلب بعد سنتين كما سنذكره فيما بعد.

ولما عاثت الروم في هذه السنة بالشام صانعهم قرعويه عن حلب، وبعث إليهم بأموال وتحف، ثم عادوا إلى أنطاكية، فملكوها وقتلوا خلقًا كثيرًا منها، وسبوا عامة أهلها، وركبوا إلى حلب وأبو المعالى شريفٌ محاصرٌ غلامهم قرعويه بها، فخافهم أبو المعالى فهرب عنها، وحاصرها الروم، فأخذوا البلد، وامتنعت القلعة عليهم، ثم اصطلحوا مع قرعويه على هدنة مؤبدة ومال يحمله إليهم كلَّ سنة، وسلموا إليه البلد، ورجعوا عنه.

وفي هذه السنة: خرج على المعزِّ الفاطميِّ وهو بإفريقية، رجلٌ يقال له: أبو خزر، فنهض إليه المعز بنفسه وجنوده فهرب منه فأرسل في طلبه يوسف بن بلكين بن زيري فشرَّده، وطرده، ثم عاد فاستأمن، فقبل منه المعزُّ ذلك، وصفح عنه، وجاء الرسول من جوهر القائد إلى المعزِّ في هذه السنة يبشره بفتح الديار المصرية وإقامة الدعوة له بها، وطلبه إليها، ففرح بذلك المعزُّ الفاطميُّ فرحًا شديدًا، وامتدحه الشعراء، فكان ممن امتدحه شاعرُه محمد بن هانئ في قصيدة أولها:

يَقولُ بنو العباسِ هل فُتِحَت مصرُ * فقلْ لبني العباسِ قد قُضِيَ الأمْرُ

وذكر ابن الأثير أن في هذه السنة توفي النقفور الذي كان دمستقًا، ثم صار ملك الروم، وأراد قتل ابني الملك الذي كان قبله. فغارت أمهما لهما فقتلته غيلةً. قال: وقد كان هذا اللعين من أبناء المسلمين، كان أبوه من أهل طرسوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقاس، فتنصَّر ولده هذا وحظي عند النصارى حتى صار من أمره ما صار، وكان من أشد الناس على المسلمين، وقد أخذ بلادًا كثيرةً عنوةً، من ذلك طرسوس، وأذنة، وعين زربة، والمصيصة، وغير ذلك من البلاد، وقتل خلقًا كثيرًا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وسبى من المسلمين والمسلمات ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم. وهذا اللعين هو الذي بعث تلك القصيدة إلى المطيع لله، وقد أوردناها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، ثم انتدب لها فيما بعد ذلك الفقيه الإمام أبو محمد ابن حزم الظاهري، فأجاب عنها جوابًا شافيًا كافيًا، فجزاه الله عن الإسلام خيرًا.(1)

وفيها: رام عزُّ الدولة صاحبُ بغداد محاصرةَ عمران بن شاهين، فلم يقدر عليه، فصالحه ورجع إلى بغداد.

وفيها: اصطلح قرعويه وأبو المعالي شريفٌ، فخطب له قرعويه بحلب، وخطبا جميعًا في معاملتيها للمعز الفاطمي بحلب وحمص، وخطب بمكة للمطيع لله وللقرامطة أيضًا، وبالمدينة للمعز الفاطمي، وخطب أبو أحمد الموسوي بظاهرها للمطيع لله.

وممن توفى فيها من الأعيان: محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله،

(1) «الكامل» (8/ 606-608).

أبو عليٍّ الصواف، روى عن عبد الله بن أحمد وطبقته، وعنه خلقٌ؛ منهم الدارقطني وقال: ما رأت عيناي مثله في تحرُّزه ودينه. وقد بلغ تسعًا وثمانين سنةً، رحمه الله تعالى.

محارب بن محمد بن محارب، أبو العلاء القاضي الفقيه الشافعي، من ذرية محارب بن دثار، وكان ثقةً عالـمًا فاضلاً، روى عن جعفر الفريابي وغيره.

أبو الحسين أحمد بن محمد، المعروف بابن القطان، أحد أئمة الشافعية، تفقه بابن سريج، ثم بالشيخ أبي إسحاق المروزي، وتفرد برياسة المذهب بعد موت أبي القاسم الداركي، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وكانت الرحلة إليه ببغداد، ودرَّس بها، وكتب شيئًا كثيرًا، وكانت وفاته، رحمه الله تعالى، في جمادى الأولى من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة

في عاشر محرم منها: عملت الرافضة بدعتهم المحرمة على عادتهم المتقدم ذكرها.(1)

وفي ذي القعدة منها: أخذت القرامطة دمشق، وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح من جهة المعزِّ الفاطميِّ، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام، وقد أمدَّه عزُّ الدولة من بغداد بسلاح وعدد كثيرة، ثم ساروا إلى الرملة، فأخذوها وتحصن من كان فيها من المغاربة بيافا، فتركوا عليها من يحصرها، ثمَّ سارُوا نحو الديار المصريةَ في جمع كثير من الأعراب والإخشيدية والكافورية، فوصلوا عين شمس، فاقتتلوا هم وجنود جوهر قتالاً شديدًا، والظفر للقرامطة، وحصروا المغاربة حصرًا عظيمًا.

ثم حملت المغاربة في بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها، ورجعت القرامطة إلى الشام، فجدوا في حصار يافا، فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركبًا، ميرةً لأصحابه، فأخذتها مراكب القرامطة، سوى مركبين أخذتها الفرنج. وجرت خطوبٌ كثيرةٌ.

ومن شعر الحسين بن أحمد بن بهرام أمير القرامطة:

زَعَمَتْ رجالُ الغَرْبِ أني هِبْتُها * فدَمي إذَنْ ما بينَهم مَطْلولُ
يا مصرُ إن لم أَسْقِ أرضَكِ من دمٍ * يَرْوِي ثَراكِ فلا سَقاني النِّيلُ

وفيها: تزوج أبو تغلب ابن حمدان ابنة بختيار عزِّ الدولة، وعمرها ثلاث سنين، على صداق مائة ألف دينار، ووقع العقد في صفر.

وفيها: استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم ابن عباد، فأصلح أموره كلها وساس دولته جيدًا.

وفيها: أذَّن بدمشق وسائر الشام بحيَّ على خير العمل.

قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق: أول من تأمَّر بها عن الفاطميين وهو الذي أمر بذلك نيابة عن المعزِّ الفاطميِّ صاحب القاهرة، أخبرنا أبو محمد ابن الألهانيِّ قال: قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام: وفي يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ستين وثلاثمائة أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد، ومآذن المساجد بحيَّ على خير العمل، بعد حيَّ على الفلاح، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح، ولم يقدروا على مخالفته، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بدًّا.

(1) «المنتظم» (14/ 205-206)، و«الكامل» (8/ 613-617).

وفي يوم الجمعة، الثامن من جمادى الآخرة منها أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى، وأن يقولوا في الإقامة: حيَّ على خير العمل. فاستعظم الناس ذلك، وصبروا على حكم الله تبارك وتعالى، والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان: الرفاء الشاعر، السريُّ بن أحمد بن السري، أبو الحسن الكندي الرفاء الشاعر الموصلي، أرخ وفاته ابن الأثير في هذه السنة، أعني سنة ستين وثلاثمائة وكانت وفاته ببغداد، ذكر ابن الجوزي أنه توفى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتي.

محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد، أبو بكر البندار، أصله أنباري، سمع من أحمد ابن الخليل البرجلاني، ومحمد بن أبي العوَّام الرياحيِّ، وجعفر بن محمد الصائغ، وأبي إسماعيل الترمذيِّ.

قال ابن الجوزي: وهو آخر من روى عنهم. قالوا: وكانت أصوله جِيادًا بخطِّ أبيه، وسماعه صحيحًا، وقد انتقى عليه عمر البصري. وكانت وفاته فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين.(1)

محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري سمع جعفرًا الفريابي، وأبا شعيب الحرَّانيَّ، وأبا مسلم الكجيَّ وخلقًا، وكان ثقةً صدوقًا دينًا، وله تصانيف كثيرة مفيدة، منها «الأربعون الآجرية»، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة، فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنةً، رحمه الله تعالى.(2)

محمد بن جعفر بن محمد بن مظفر، أبو عمرو الزاهد، سمع الكثير، ورحل إلى الآفاق المتنائية، وسمع منه الحفاظ الكبار، وكان فقيرًا متقللاً، يضرب اللبن لقبور الفقراء، ويتقوت برغيف بجزرة أو بصلة، ويقوم الليل كله، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة.(3)

محمد بن داود، أبو بكر الصوفيُّ، ويعرف بالدقيِّ أصله من الدينور، وأقام ببغداد، ثم انتقل إلى دمشق، وقد قرأ على ابن مجاهد، وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي، وصحب ابن الجلاء والدقاق، وكانت وفاته في هذه السَّنة، وقد جاوز المائة، رحمه الله تعالى.(4)

محمد بن الفرخان بن روزيه، أبو الطيب الدوري، دخل بغداد، وحدث بها عن أبيه بأحاديث منكرة، وروى عن الجنيد وابن مسروق، قال ابن الجوزي: وكان فيه ظرف ولباقة، غير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث.(5)

وممن توفي فيها من الأعيان: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني اللخمي الحافظ الكبيرُ، صاحب المعاجم الثلاثة؛ «الكبير» و«الأوسط»، و«الصغير»، وكتاب «السنة» وكتاب «مسند الشاميين» وغير ذلك من المصنَّفات المفيدة.(6) عُمِّر مائة سنة، وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان، ودفن على بابها عند قبر حممة الدوسي الصحابي رضي الله عنه، قاله أبو الفرج ابن الجوزي في «المنتظم».

(1) راجع «تاريخ بغداد» (2/ 151)، و«المنتظم» (14/ 207-208).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 243)، و«المنتظم» (14/ 208)، و«الوفيات» (4/ 292)، و«السير» (16/ 133).
(3) «المنتظم» (14/ 208)، و«السير» (16/ 162).
(4) «تاريخ بغداد» (5/ 266)، و«الأنساب» (2/ 486)، و«المنتظم» (14/ 209)، و«السير» (16/ 138).
(5) «تاريخ بغداد» (3/ 167)، و«المنتظم» (14/ 209).
(6) «تاريخ ابن عساكر» (22/ 163)، و«المنتظم» (14/ 206)، و«الوفيات» (2/ 407)، و«السير» (16/ 119).

قال ابن خلكان: وسمع من ألف شيخ. قال: وكانت وفاته في يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة من هذه السنة، وقيل: في شوال منها.

أحمد بن محمد بن الفتح -ويقال: ابن أبي الفتح- بن خاقان، أبو العباس ابن النَّجَّاد، إمام جامع دمشق.

قال ابن عساكر: كان عابدًا صالحًا. وذكر أن جماعة جاءوا لزيارته، فسمعوه يتأوه من وجع كان به، فأنكروا عليه، فلما خرج إليهم قال لهم: إن آه اسمٌ من أسماء الله يستروح إليه الأعلاء. قال: فزاد في أعينهم وعظموه. قلت: هذا الذي قاله لا يؤخَذ عنه مسلمًا بلا دليل، بل يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم، فإن أسماء الله تعالى توقيفية، على الصحيح والله تعالى أعلمَ بالصواب.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها: عملت الروافض ببغداد البدعة التي تقررت من النوح على الحسين بن علي رضي الله عنه وقبحهم.

وفي المحرم منها: أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر، فقتلوا خلقًا كثيرًا من أهل الرها، وساروا في البلاد كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون، إلى أن وصلوا نصيبين، وفعلوا كذلك ببلاد بكر، ولم يغن عن أهل تلك النواحي أبو تغلب ابن حمدان متوليها شيئًا، ولم يكن عنده دفاع ولا له قوةٌ، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد، يستنصرون ويستصرخون، فرثى لهم أهل بغداد، وأرادوا إدخالهم على الخليفة المطيع لله فلم يمكن ذلك، وكان بختيار بن معز الدولة مشغولاً بالصيد، فذهبت الرسل وراءه، فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة، وكتب إلى أبي تغلب أن يعد الميرة والإقامات، فأظهر السرور بذلك والفرح والابتهاج، ولما تجهزت العامة للغزاة، وقعت بينهم فتنة شديدةٌ بين الروافض والسنَّة، فأحرقت السنَّة دور الروافض بالكرخ وقالوا: الشرُّ كله منكم. وصارت العيارون ببغداد يأخذون أموال الناس، وتناقض النقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفضل الشيرازي، وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالاً يستعين بها في هذه الغزوات، فبعث إليه يقول: لو كان الخراج يجبى إليَّ لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه ما للمسلمين به ضرورة، وأما أنا فليس عندي شيءٌ أبعث به إليك. فترددت البرد بينهما، وأغلظ بختيار للخليفة في ذلك وتهدده، فاحتاج الخليفة أن يحصل له شيئًا، فباع بعض ثياب بدنه وشيئًا من أثاثه، ونقض بعض سقوف داره، وحصل أربعمائة ألف درهم، فصرفها بختيار في مصالح نفسه، وأبطل تلك الغزاة، فتغمم الناس للخليفة، وساءهم ما فعل ابن بويه من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد في سبيل الله، فلا جزاه الله خيرًا عن المسلمين، ولا عن إمامهم.(1)

وفيها: تسلم أبو تغلب ابن حمدان قلعة ماردين، فنقل حواصلها وما فيها إلى الموصل.

وفيها: اصطلح الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان هو وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة، على أن يحملا إليه في كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، وتزوج بابنة رُكن الدولة، فحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحدّ ولا يوصف.

وفي شوال منها: خرج المعزُّ الفاطميُّ بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصدًا البلاد المصرية، بعدما مهّد له مولاه جوهر القائد أمرها، وأطدها له وبنى له بها القصرين، واستخلف

(1) «المنتظم» (14/ 210)، «والكامل» (8/ 618-626).

المعزُّ الفاطمي على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نوابًا من حزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد، واستصحب معه شاعره محمد بن هانئ الأندلسيَّ، فتوفي في أثناء الطريق، على ما سنذكره، وكان قدوم المعزِّ إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية، على ما سيأتي.

وفيها: حج بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطالبيين كلهم.

وممن توفي فيها من الأعيان: **سعيد بن أبي سعيد الجنابيُّ، أبو القاسم القرمطي الهجري**، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه.

عثمان بن عمر بن خفيف، أبو عمرو المقرئ المعروف بالدراج، حدَّث عن أبي بكر ابن أبي داود، وعنه ابن رزقويه، وكان من أهل القرآن والفقه والدراية والديانة والستر، جميل المذهب، وكان يعد من الأبدال. وكانت وفاته يوم الجمعة في رمضان من هذه السنة، رحمه الله.(1)

عليُّ بنُ إسحاق بن خلف أبو الحسن القطان، الشاعر المعروف بالزاهي.

ومن شعره:

قُم نُهَنِّئْ عاشقَيْنِ * أصْبَحا مُصْطَحِبَيْنِ
جُمِعا بعدَ فِراقٍ * فُجِعا منه وبَيْنِ
ثم عادا في سُرورٍ * مِن صُدودٍ آمِنَيْنِ
فهما رُوحٌ ولكنْ * رُكِّبَتْ في بدنَيْنِ

محمد بن حميد بن سهل بن إسماعيل بن شداد، أبو بكر المخرميُّ، سمع أبا خليفة وجعفرًا الفريابي، وابن جرير وغيرهم، وعنه الدارقطني وابن رزقويه، وأبو نعيم. وقد ضعفه البرقاني وابن أبي الفوارس وغيرهما.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة

عملت الروافض بدعتهم في عاشوراء من النياحة وتعليق المسوح وغلق الأسواق.(2)

وفيها: اجتمع الفقيه أبو بكر الرازى الحنفى وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى وابن الدقاق الحنبلى بعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه وحرضوه على غزو الروم، فبعث جيشاً لقتالهم فأظفره الله بهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس، ولله الحمد والمنة.

وفيها: سارت الروم مع الدمستق لعنه الله إلى حصار آمد، وعليها هزارمرد غلام أبى الهيجاء ابن حمدان، فكتب إلى أبى تغلب يستصرخه فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله فلقياه فى آخر يوم من رمضان فى مكان ضيق لا مجال للخيل فيه، فاقتتلوا مع الروم قتالاً شديداً، فعزمت الروم على الفرار فلم تقدر فاستحر فيهم القتل وأخذ الدمستق أسيراً، فأودع في السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات فى السنة القابلة، وقد جمع له أبو تغلب الأطباء فلم ينفعه شىء.

وفيها: احترق الكرخ ببغداد، وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامة فمات فثار به العامة وجماعة من الأتراك، فهرب منهم فدخل داراً فأخرجوه مسحوبًا وقتلوه وحرقوه، فركب الوزير أبو الفضل

---

(1) «المنتظم» (14/ 210)، و«الأنساب» (2/ 466)، و«تاريخ بغداد» (11/ 305).
(2) «المنتظم» (14/ 214-216)، و«الكامل» (8/ 627-630).

الشيرازى -وكان شديد التعصب للسنة- وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ فألقى فى دورهم النار فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال من ذلك ثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً، وسبعة عشر ألف إنسان. فعند ذلك عزل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وزيره هذا عن الوزارة وولاها محمد بن بقية، فتعجب الناس من ذلك كثيراً، وذلك أن هذا الرجل كان وضيعاً عند الناس لا حرمة له، كان أبوه فلاحاً بقرية أوانا، وكان هو ممن يخدم عز الدولة، يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه، إلى أن ولى الوزارة، ومع هذا كان أشد ظلماً للرعية من الذى قبله، وكثر فى زمانه العيّارون ببغداد، وفسدت الأمور ببغداد.

ووقع الخلاف بين عز الدولة وبين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن.

وفيها: كان دخول المعز الفاطمى إلى الديار المصرية، وصحبته توابيت آبائه، فوصل إلى إسكندرية فى شعبان منها، وقد تلقاه أعيان مصر إليها، فخطب الناس هنالك خطبة بليغة ارتجالاً، ذكر فيها فضلهم وشرفهم، وقد كذب فقال فيها: إن الله أغاث الرعايا بهم وبدولتهم. وحكى ذلك عنه قاضى بلاد مصر وكان جالساً إلى جنبه، فسأله: هل رأيت خليفة أفضل منى؟ فقال له: لم أر أحداً من الخلائف سوى أمير المؤمنين. فقال له: أحججت؟ قال: نعم. قال: وزرت قبر رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وقبر أبى بكر وعمر؟ قال: فتحيرت ماذا أقول ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء، فقلت: شغلنى عنهما رسول الله ﷺ كما شغلنى أمير المؤمنين عن السلام على ولى العهد، ونهضت إليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس إلى غيره. ثم سار من الإسكندرية إلى مصر، فدخلها فى الخامس من رمضان من هذه السنة فنزل القصرين، فقيل: إنه أول ما دخل إلى محل ملكه خر ساجداً شكراً لله عز وجل. ثم كان أول حكومة انتهت إليه أن امرأة كافور الإخشيدى تقدمت إليه فذكرت له: أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصواغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب، وأنه جحد ذلك، فاستحضره وقرره، فجحد اليهودي ذلك وأنكره. فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره ويستخرج ما فيها، فوجدوا القباء بعينه قد جعله فى جرة ودفنها فيها، فسلمه المعز إليها فقدمته إليه وعرضته عليه فأبى أن يقبله منها ورده عليها، فاستحسن منه ذلك الحاضرون من مؤمن وكافر. وقد ثبت فى الحديث عن النبى ﷺ : «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**».(1)

وممن توفى فيها من الأعيان: السرى الرفاء الشاعر بن أحمد بن السرى أبو الحسن الكندى الموصلى: الشاعر، له مدائح فى سيف الدولة بن حمدان، وغيره من الملوك والأمراء، وقد قدم بغداد فاتفق موته بها في هذه السنة.

قال ابن خلكان: وقيل: في سنة أربع -وقيل: خمس- وستين. وقيل: سنة أربع وأربعين. قال: وكانت بينه وبين محمد وسعيد ابني هاشم الخالديين الموصليين معاداة، وادعى عليهما سرقة شعره، وكان معتنيًا بنسخ ديوان كشاجم الشاعر، وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه ويزنهما بالكذب.(2)

وكان قد امتدح سيف الدولة فأجرى له رزقًا فلم يزل به الخالديان حتى قطعا رسمه من عنده، فدخل بغداد وامتدح الوزير المهلبيَّ، فرحلا وراء فلم يزالا في ثلبه عنده حتى هجره وقلاه، فركبه الدَّين ومات في هذه السنة.

---

(1) رواه البخارى (4203). (2) «الوفيات» (2/ 362).

قال ابن خلكان: وللسريّ الرفّاء هذا ديوانُ شعرٍ كبيرٌ جيدٌ، فمن شعره قوله:

يَلقَى النَّدَى برقيقِ وجهٍ مُسْفِرٍ * فإذا التَقَى الجَمْعانِ عاد صَفيقا
رَحْبُ المنازلِ ما أقام فإنْ سَرَى * في جحْفَلٍ تَرَكَ الفضاءَ مَضيقا

وقوله:

ألبَسْتَني نِعَمًا رأيتُ بها الدُّجى * صُبحًا وكنتُ أرى الصباحَ بَهيما
فغدوتُ يَحسُدُني الصديقُ وقبلَها * قد كان يَلقاني العدوُّ رحيما

وقوله:

بنفسيَ مَنْ أجودُ له بنفسي * ويَبْخَلُ بالتحيةِ والسلام
وحَتْفِي كامنٌ في مُقلتَيه * كُمُونَ الموتِ في حدِّ الحُسام

محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر، كان قد استصحبه المعزُّ الفاطمي من بلاد القيروان وتلك النواحي حين توجَّه إلى الديار المصرية، فلما كان ببعض الطريق، وُجد محمدُ بن هانئ مقتولاً مجدلاً على حافة البحر، وذلك في رجب منها، وقد كان شاعرًا مطبقًا قويَّ النظم، إلا أنه كفره غير واحد من العلماء في مبالغاته في مدائحه، فمن ذلك قوله يمدح المعز قبحهما الله:

ما شِئْتَ لا ما شاءتِ الأقْدارُ * فاحْكُمْ فأنت الواحدُ القهَّارُ

وهذا خطأ كبير، وكفرٌ كثيرٌ.

وقال أيضًا، قبحه الله وأخزاه، وفضَّ فاه:

ولَطالما زاحَمْتُ تحـ * ـتَ ركابِه جِبْريلا

ومن ذلك قوله -قال ابن الأثير: ولم أجد ذلك في ديوانه-:

حلَّ برَقّادةَ المسيحُ * حلَّ بها آدمٌ ونوحُ
حلَّ بها اللهُ ذو المعالي * فكلُّ شيءٍ سواه ريحُ

قال ابن الأثير: وقد شرع بعض المتعصبين في الاعتذار عنه. فالله أعلم. قلت: هذا الشعر إن صحَّ عنه، فليس عنه اعتذارٌ، لا في الدار الآخرة، ولا في هذه الدار.

وممن توفي فيها: إبراهيم بن محمد بن سختويه بن عبد الله المزكي أحد الحفاظ المبرزين، أنفق على الحديث وأهله أموالاً جزيلةً، وسمع الناس بتخريجه، وعقد له مجلس الإملاء بنيسابور، ورحل وسمع من المشايخ شرقًا وغربًا، ومن مشايخه ابن جرير وابن أبي حاتم، وكان يحضر مجلسه خلقٌ كثير من كبار المحدثين، منهم أبو العباس الأصم وأضرابه، وكانت وفاته في هذه السنة عن سبع وستين سنةً.

سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد، أبو عمرو البرذعي، أحد الحفاظ، روى عنه الدارقطني وغيره.

محمد بن الحسن بن كوثر بن عليٍّ، أبو بحر البربهاري، روى عن إبراهيم الحربي وتمتام والباغندي والكديمي وغيرهم، وقد روى عنه ابن رزقويه وأبو نعيم، وانتخب عليه الدارقطني، وقال: اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده. وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته، واتهمه بعضهم بالكذب أيضًا.

القاضي الحسين بن محمد بن أحمد، أبو عليٍّ المروروذي، أحد مشايخ المذهب في زمانه، وله التعليقة المشهورة، تفقَّه بأبي بكر القفال المروزي، وأخذ عنه جماعةٌ منهم البغويُّ صاحب «التهذيب» و«التفسير» و«شرح السنَّة» و«المصابيح» وغير ذلك، وقد ذكرته في الطبقات بما فيه كفاية. قال ابن خلكان: وإذا قال الإمام والغزالي، قال القاضي: فهو هذا. والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

فيها: عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد، بين أهل السنة والروافض، وكلا الفريقين قليل عقل، بعيد عن السداد، وذلك: أن جماعة من السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب، فقتل من الفريقين خلقٌ كثير، وعاثت العيارون في البلد بالفساد ونهب الأموال وقتل الرجال، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا، فسكنت النفوس.(1)

وفيها: أخذ عز الدولة بختيار بن معز الدولة الموصل، وزوج ابنته من أبي تغلب ابن حمدان.

وفيها: وقعت الفتنة بالبصرة بين الديالم والأتراك، فقويت الديلم على الترك، بسبب أن الملك فيهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وحبسوا رؤوسهم، ونهبوا كثيراً من أموالهم. وكتب عز الدولة إلى أهله: إني سأكتب إليكم أني قد مت، فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح، واجلسوا للعزاء، فإذا جاء سبكتكين للتعزية فاقبضوا عليه فإنه ركن الأتراك ورأسهم. فلما جاء البريد إلى بغداد بذلك أظهروا النوح، والصراخ، ففهم سبكتكين أن هذه مكيدة فلم يقربهم، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة، وركب من فوره في الأتراك فحاصروا دار عز الدولة ببغداد يومين، ثم أنزل أهله منها ونهب ما فيها، وأحدرهم من دجلة إلى واسط منفيين. وكان قد عزم على بعث الخليفة إليه، فعفا عنه، وأقره بداره، وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد، ونهبت الأتراك دور الديلم، وخلع سبكتكين على رؤساء العامة، لأنهم كانوا معه على الديلم، وقويت السنة على الشيعة وأحرقوا الكرخ حريقًا ثانيًا، وظهرت السنة على أيدي الأتراك، وخلع المطيع وولى ولده الطائع لله على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

خلافة الطائع وخلع أبيه المطيع لله

ذكر ابن الأثير: أنه لما كان اليوم الثالث عشر من ذي القعدة: وقال ابن الجوزي في «منتظمه»: كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة -خلع المطيع لله، وذلك لفالج أصابه، فثقل لسانه، فسأله سبكتكين أن يخلع نفسه ويولي من بعده ولده الطائع، فأجاب، فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة، ولكن تعوَّض منها بولاية ولده.(2)

واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله أبي القاسم الفضل بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد أبي العباس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه، ولا من أبوه حي سواه وسوى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يل الخلافة من بني

(1) «المنتظم» (14/ 221)، و«الكامل» (8/ 631-647).
(2) «الكامل» (8/ 637)، و«المنتظم» (14/ 225).

العباس أسنُّ منه حال الولاية، كان عمره ثمانيًا وأربعين سنةً، وكانت أمُّه أمَّ ولد اسمها عتب، وكانت تعيش أيضًا يوم بويع بالخلافة. ولما بويع الطائع ركب وعليه البردةُ، وبين يديه سبكتّكين والجيش، ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك، ولقبه نصر الدولة، وعقد له لواء الإمارة. ولما حضر الأضحى ركب الطائع وعليه السَّواد، فخطب الناس بعد الصلاة خطبةً خفيفةً حسنةً.

وحكى ابن الجوزي في «المنتظم» أن المطيع لله كان يسمَّى بعد خلعه بالشيخ الفاضل.(1)

ذكر الحرب بين المعزّ الفاطمي والحسن بن أحمد القرمطيّ

لما استقرَّ المعزّ الفاطمي بالديار المصرية، وابتنى فيها القاهرة والقصرين، وتأطّد ملكه، سار إليه الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء في جمع كثيف من أصحابه، والتفَّ معه أمير العرب ببلاد الشام، وهو حسَّان بن الجرَّاح الطائيُّ، في عرب الشام بكمالهم، فلما سمع بهم المعزُّ الفاطميُّ أسقط في يده لكثرتهم، وكتب إلى القرمطي يستميله ويقول له: إن دعوة آبائك إنما كانت إلى آبائي قديمًا، فدعوتنا واحدةٌ. ويذكر فيه فضله وفضل آبائه، فردَّ الجواب: وصل كتابك الذي كثر تفضيله، وقل تحصيله، ونحن سائرون إليك على إثرة، والسلام. فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلاً ونهبًا وإفسادًا، وحار المعزُّ ماذا يصنع؛ لكثرة من مع القرمطي، وضعف جيشه عن مقاومتهم، فعدل إلى المكيدة والخديعة، فراسل حسان بن الجراح أمير العرب، ووعده بمائة ألف دينار إن هو خذَّل بين الناس، فأرسل إليه أن ابعث إليَّ بما التزمت، وتعال بمن معك، فإذا التقينا انهزمت بمن معي. فأرسل إليه المعزُّ بمائة ألف دينار في أكياس، ولكن أكثرها زغل؛ ضرب النحاس ولبسه الذهب، وجعله في أسفل الأكياس، ووضع في رءوس الأكياس الدنانير الخالصة، ولما بعثها إليه ركب في إثرها بجيشه، فالتقى الناس، ولما تواجه الفريقان ونشبت الحرب بينهم، انهزم حسان بن الجرَّاح بالعرب، فضعف جانب القرمطيِّ، وقوى عليه المعزُّ الفاطميُّ فكسره، وانهزمت القرامطة بين يديه، فرجعوا إلى أذرعات في أذل حال وأفله، وبعث المعزُّ في آثارهم القائد أبا محمود إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف فارس؛ ليحسم مادة القَرامطة.(2)

ملك المعز الفاطمي دمشقَ وانتزاعه إياها من يد القرامطة

لما انهزم القرمطى وأصحابه بعث المعز سرية عليهم ظالم بن موهوب العقيلى أميرًا على دمشق فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد، واعتقل متوليها أبا المنجا القرمطى وابنه، واعتقل رجلاً يقال له: أبو بكر من أهل نابلس، كان يتكلم فى الفاطميين، ويقول: لو كان معى عشرة أسهم لرميت الروم بسهم ورميت المغاربة -يعني الفاطميين- بتسعة. فسلخ بين يدى المعز وحُشى جلده تبناً، وصُلب بعد ذلك.(3) ولما تفرغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة، أقبل نحو دمشق فخرج إليه ظالم بن موهوب، فتلقاه إلى ظاهر البلد وأكرمه، وأنزله ظاهر دمشق، فأفسد أصحابه فى الغوطة والمرج ونهبوا الفلاحين، وقطعوا الطرقات على الناس وتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب، وجيء بجماعة من القتلى فألقوا في الجامع فكثر الضجيج، وغلقت الأسواق، واجتمعت العامة للقتال، والتقوا مع المغاربة، فقتل من الفريقين جماعة، وانهزمت العامة غير مرة. وأحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس، فاحترق شيءٌ كثير من الأموال والدور،

(1) «المنتظم» (14/ 224). (2) «الكامل» (8/ 638-639).
(3) «الكامل» (8/ 640-643).

ولبثت الحرب بينهم إلى سنة أربع وستين وأحرق البلد مرة أخرى بعد عزل ظالم بن موهوب، وتولية جيش بن صمصامة ابن أخت أبى محمود قبحه الله. وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد، ومات كثيرٌ من الفقراء فى الطرقات من كثرة الجوع والعطش، ولم يزل الحال كذلك حتى ولى عليهم الطواشى ريان الخادم من جهة المعز، فسكنت الأمور، ولله الحمد.

ولما قويت الأتراك ببغداد، تحير عز الدولة بختيار بن معز الدولة فى أمره وما يصنع وهو بالأهواز فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده، فأرسل إليه بعسكر مع وزيره أبى الفتح ابن العميد، وأرسل إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة، فتباطأ عليه، وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه، وإلى أبى تغلب ابن حمدان فأظهر نصره، وإنما يريد فى الباطن أخذ بغداد، وخرجت الأتراك من بغداد فى جحفل كثير ومعهم الخليفة الطائع وأبوه المطيع. فلما انتهوا إلى واسط، توفى المطيع لله، وبعد أيام توفى سبكتكين أيضًا، فحملا إلى بغداد، فالتفت الترك على أمير يقال له: أفتكين، فاجتمع شملهم، والتقوا مع بختيار، فضعف أمره جداً، وقوى عليه ابن عمه عضد الدولة، فأخذ منه ملك العراق، وتمزق شمله، وتفرق أمره.(1)

وفيها: خطب للمعز الفاطمى بالحرمين مكة والمدينة النبوية.

وفيها: خرج جمع من بنى هلال وطائفة من العرب على الحُجّاج، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وعطلوا على من بقى منهم الحج فى هذا العام.

وفيها: انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، وأوله من أول دولة المقتدر، سنة خمس وتسعين ومائتين.

وفيها: كانت زلزلة شديدة بواسط، **وحج بالناس في هذه السنة** الشريف أبو أحمد الموسوى، ولم يحصل لأحد حج فى هذه السنة سوى من كان معه على درب العراق. وقد أخذ بالناس على طريق المدينة، فتم حجهم.

وممن توفى فيها من الأعيان: العباس بن الحسين أبو الفضل الشيرازي: الوزير لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، وكان من المتعصبين للسنة، عكس مخدومه، فعزله وولى محمد بن بقية البابا، كما تقدم، وحبس هذا، فقتل فى محبسه فى ربيع الآخر منها، عن تسع وخمسين سنة، وكان فيه ظلم وحيف، فالله أعلم.(2)

أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد الفقيه الحنبلى: المعروف: بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان، وممن صنف وجمع وناظر، وسمع الحديث من أبى القاسم البغوى وطبقته، وكان عمره يوم توفى فوق الثمانين. قال ابن الجوزى: وله «المقنع» فى مائة جزء، و«الشافى» فى ثمانين جزءاً، و«زاد المسافر»، و«الخلاف مع الشافعى»، وكتاب «القولين»، و«مختصر السنة»، وغير ذلك فى التفسير والأصول.

على بن محمد أبو الفتح البستى: الشاعر المشهور، له ديوان جيد قوى، وله فى المطابقة والمجانسة يد طولى، ومبتكرات أولى. وقد ذكر ابن الجوزى في «المنتظم» من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم، فمن ذلك قوله:

إذا قَنِعْتُ بمَيْسورٍ من القُوتِ ✱ بَقِيتُ في الناس حُرًا غيرَ مَمْقوتِ
يا قُوتَ يومي إذا ما دَرَّ خَلْفُك لي ✱ فلستُ آسَى على دُرٍّ وياقوتِ

---

(1) «الكامل» (8/ 643-645).
(2) «المنتظم» (14/ 233)، و«السير» (16/ 222).

ولـه:

يا أيُّها السائلُ عن مَذْهَبي * ليُقْتَدَى فيه بمنْهاجي
منْهاجيَ العدلُ وقَمْعُ الهوى * فهل لمنْهاجيَ من هاجي

ولـه:

أفِدْ طَبْعَكَ المكْدودَ بالجدِّ راحةً * تَجُمَّ وعلِّلْه بشيءٍ من المَزْحِ
ولكن إذا أعْطَيْتَ ذلك فلْيَكُنْ * بمقْدارِ ما تُعْطِي الطَّعامَ من الملْحِ

ولـه:

إذا خَدَمْتَ المُلوكَ فالْبَسْ * مِن التَّوقِّي أعزَّ مَلْبَسْ
وادْخُلْ عليهم وأنت أعْمَى * واخْرُجْ إذا ما خَرَجْتَ أخْرَسْ

ولـه:

إذا شئْتَ أن تَلْقَى عَدُوَّك راغِمًا * وتَقْتُلَه همًّا وتَحْرِقَه غَمَّا
فسامِ العُلا وازْدَدْ من الفَضْلِ إنَّه * مَن ازداد فضلاً زاد حاسِدُه غَمَّا

ولـه:

إن أسيافَنا العِضابَ الدَّوامي * صَيَّرَتْ مُلْكَنا طويلَ الدَّوامِ
لم نَزَلْ نحن في سَدادِ ثغورٍ * واصْطِلامِ الأعداءِ من وَسْطِ لامِ
واقتحامِ الأهوالِ من وقتِ حامٍ * واقْتِسامِ الأموالِ من وقتِ سامِ

ولـه:

يا خادمَ الجسْمِ كم تَشْقَى بخِدْمَتِه * أتطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فيه خُسْرانُ
أقْبِلْ على النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضائلَها * فأنت بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إنسانُ

أبو فراس ابن حمدان الشاعر: له ديوان مشهور. استنابه أخوه سيف الدولة على حران ومنبج، فقاتل مرة الروم فأسر ثم استنقذه سيف الدولة، واتفق موته فى هذه السنة عن ثمان وأربعين سنة، وله شعر رائق ومعانى حسنة. وقد رثاه أخوه سيف الدولة:

المرءُ نَصْبُ مَصائبٍ لا تَنْقَضي * حتى يُوارَى جِسْمُه في رَمْسِه
فمُؤَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى في غيرِه * ومُعَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى في نَفْسِه

واتفق أنه كان عند سيف الدولة رجل من العرب فقال: قل فى معناهما، فقال الأعرابى:

مَن يَتَمَنَّ العمرَ فلْيَتَّخِذْ * صَبْرًا على فَقْدِ أحِبَّائِه
ومَن يُعَمَّرْ يَلْقَ في نَفْسِه * ما يَتَمَنَّاه لأعْدائِه

كذا ذكر ابن الساعى هذين البيتين من شعر سيف الدولة فى أخيه أبى فراس. وإنما ذكرها ابن الجوزى في «المنتظم» من شعر أبى فراس نفسه، وأن الأعرابى أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما. وذكر من شعر أبى فراس، أشياء حسنة، فمن ذلك قوله في قصيدة:

سيفقدني قومي إذا جدَّ جدُّهم * وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ
ولو سدَّ غيري ما سددتُ اكتفوا به * وما كان يغلو التبرُ لو نَفَق الصُّفْرُ

ومن ذلك قوله في قصيدة:

إلى الله أشكو أننا في منازلٍ * تحكَّمُ في آسادهنَّ كلابُ
فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ * وليتك ترضى والأنامُ غضابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ * وبيني وبين العالمين خرابُ

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

فيها: جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى واسط، ومعه وزير أبيه أبو الفتح ابن العميد، فهرب منه أفتكين في جماعة الأتراك إلى بغداد، فسار وراءهم فنزل بالجانب الشرقي. وأمر بختيار أن ينزل على الجانب الغربي، وحصر الترك حصراً شديداً، وأمر أمراء الأعراب أن يغيروا على الأطراف، ويقطعوا الميرة الواصلة إلى بغداد، فغلت الأسعار ببغداد جداً، وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهب، وكبس أفتكين البيوت، لطلب الطعام، واشتد الحال جداً ثم التقت الأتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا إلى تكريت، واستحوذ عضد الدولة على بغداد، وما والاها من البلاد. وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة، فرده عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرماً، ونزل هو بدار الملك، فضعف أمر بختيار جداً، ولم يبقَ معه شيء بالكلية، فأغلق بابه وطرد الحجبة والكتبة عن بابه، واستعفى عن الإمارة، وكان ذلك بمشورة عضد الدولة، فاستعطفه عضد الدولة في الظاهر، وقد أشار عليه في الباطن أن لا يقبل فلم يقبل.(1) وترددت الرسل بينهما، فصمم بختيار على الامتناع ظاهراً، فألزمه عضد الدولة بذلك وأظهر للناس أنه إنما يفعل هذا عجزاً منه عن القيام بأعباء الملك، فأمر بالقبض على بختيار وعلى أهله وإخوته، ففرح بذلك الخليفة الطائع لله وسُرَّ به، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارساً، وجدد دار الخلافة حتى صار كل محل منها آنساً. وأرسل إلى الخليفة بالأموال الكثيرة والأمتعة الحسنة، وقتل جماعة المفسدين من مردة الترك وشطار العيارين.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة: عظم البلاء بالعيارين ببغداد وأحرقوا سوق باب الشعير، وأخذوا أموالاً كثيرة، وركبوا الخيول، وتلقبوا بالقواد، وأخذوا الخفر من الأسواق والدروب، وعظمت المحنة بهم جداً، واستفحل أمرهم كثيراً حتى إن رجلاً منهم أسود كان مستضعفاً نجم فيهم فكثر ماله حتى اشترى جارية بألف دينار، فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها فأبت عليه، فقال لها: ما تكرهين مني؟ قالت: أكرهك كلك. فقال: فما تحبين؟ فقالت: تبيعني. فقال: أو خير من ذلك؟ فحملها إلى القاضي فأعتقها وأعطاها ألف دينار وأطلقها، فتعجب الناس من حلمه وكرمه مع فسقه وتمرده.(2) قال: وورد الخبر في المحرم بأنه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم، ولم يخطب للطائع.(3)

قال: وفي رجب منها: غلت الأسعار ببغداد جداً حتى بيع الكر الدقيق الحواري بمائة ونيف وسبعين ديناراً.(4)

---

(1) «المنتظم» (14/ 234-237)، و«الكامل» (8/ 648-662).
(2-4) «المنتظم» (14/ 234-235-236).

قال: وفيها: اضمحل أمر عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وتفرق جنده عنده، ولم يبق معه سوى بغداد وحدها، فأرسل إلى أبيه يشكو له ذلك، فأرسل يلومه على الغدر بابن عمه عز الدولة، فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس، بعدما أخرج ابن عمه بختيار من السجن وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه، وشرط عليه أن يكون نائباً له بالعراق يخطب له بها، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لضعف بختيار عن تدبير الأمور، واستمر ذاهباً إلى بلاد فارس، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك، وغضبه عليه بسبب غدره بابن عمه، وتكرار مكاتباته إليه في ذلك.(1) ولما سار عضد الدولة ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح ابن العميد ليلحقه بعد ثلاث، فتشاغل بالقصف مع عز الدولة واللعب واللهو، فأوجب ذلك وحشة بين عضد الدولة وبين ابن العميد، فكان ذلك سبب هلاك ابن العميد. ولما استقر عز الدولة بختيار ببغداد وملك العراق، لم يف لابن عمه عضد الدولة بشيء مما كان عاهده عليه، ولا ما كان التزم له به بين يديه، بل تمادى في ضلاله القَديم، واستمر على سننه الذى هو غير مستقيم.

قال: وفى يوم الخميس لعشر خلون من ذى القعدة: تزوج الخليفة الطائع لله شاه ناز بنت عز الدولة، على صداق مائة ألف دينار.(2)

وفى سلخ ذى القعدة: عزل القاضى أبو الحسن محمد بن صالح ابن أم شيبان، وقلده أبو محمد ابن معروف. وأقام الحج في هذه السنة أصحاب المعز الفاطمي، وخطب له بالحرمين الشريفين دون الخليفة الطائع، والله سبحانه أعلم.

ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين

ذكر ابن الأثير فى «كامله»: أن أفتكين، غلام معز الدولة الذى كان قد خرج عن طاعته كما تقدم، والتف عليه عساكر وجيوش من الديلم والترك والأعراب، نزل فى هذه السنة على دمشق ليأخذها من أيدي الفاطميين، وكان عليها ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي فلما نزل بظاهرها خرج إليه كبراؤها وشيوخها، فذكروا ما هم فيه من الظلم والغشم، ومخالفة الاعتقاد بسبب ملك الفاطميين عليهم، وسألوه أن يصمم على أخذ البلد ليستنقذها منهم. فعند ذلك صمم على أخذها، ولم يزل حتى أخذها، وأخرج ريان الخادم منها، واستقل بأمرها وكسر أهل الشرِّ، ورفع أهل الخير، ووضع العدل فيهم، وقمع أهل اللعب واللهو، وكف أيدي الأعراب الذين كانوا قد عاثوا في البلاد فساداً، وأخذوا عامة المرج والغوطة، ونهبوا أهلها.(3)

ولما استقامت الأمور على يديه، وصلح أمر أهل الشام عليه كتب إليه المعزُّ الفاطمي من مصر يشكر سعيه، ويطلبه إليه ليخلع عليه، ويجعله نائبًا من جهته فلم يجبه إلى ذلك وخاف غائلته، وقطع خطبته من الشام، وخطب للطائع العباسي، وقصد صيدا، وبها خلق من المغاربة عليهم ابن الشيخ، وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي -الذي كان نائبًا على دمشق للمعزِّ الفاطميِّ كما تقدم، فأساء بها السيرة- فحاصرهم ولم يزل حتى أخذ البلد منهم، وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف من سراتهم، ثم قصد طبريَّة، ففعل بأهلها مثل ذلك، فعند ذلك عزم المعزُّ الفاطمي على المسير إليه وقتاله، فبينما هو يجمع له ويرتب الجيوش إذ توفى المعزُّ بمصر في سنة خمس وستين، كما سيأتي، وقام بعده ولده العزيز، فاطمأن عند ذلك أفتكين بالشام،

(1) «المنتظم» (14/ 235-236).
(2) «المنتظم» (14/ 236).
(3) «الكامل» (8/ 656).

واستفحل أمره، وقويت شوكته، فتشاور المصريون في أمره، فاتفق رأيهم على أن بعثوا جوهرًا القائد إليه، وذلك عن رأي الوزير يعقوب بن كلس، فلما تجهز جوهر القائد لقصد الشام حلف أفتكين أهل دمشق على مناصرته ومناصحته، فحلفوا له بذلك، وجاء جوهر، فحصر دمشق سبعة أشهر حصرًا شديدًا، ورأى من شجاعة أفتكين ما بهره، وحين طال الحال أشار من أشار من الدماشقة على أفتكين أن يكتب إلى الحسن ابن أحمد القرمطي وهو بالأحساء، ليجيء إليه، فلما كتب إليه أقبل لنصره، فحين سمع جوهر بقدومه لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد ومن خارجها، فارتحل قاصدًا الرملة، فتبعه أفتكين والقرمطي في نحو من خمسين ألفًا، فتواقعوا عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرملة، وحصروا جوهرًا بارملة، فضاق حاله جدًا من قلة الطعام والشراب، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك سريعًا، فسأل أن يجتمع هو وأفتكين على ظهور الخيل، فأجابه إلى ذلك، فلم يزل يترفق له إلى أن يطلقه ليرجع بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكرًا له مثنيًا عليه الخير، ولا يسمع من القرمطي رأيه فيه -وكان جوهرُ داهيةً- فأجابه إلى ذلك، فندَّمه القرمطي وقال: الرأي أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم، فإنه الآن سيذهب إلى سيده فيخبره، ثم يخرجه إلينا، ولا طاقة لنا به. فكان الأمر كما قال؛ فإنه لما أطلقه أفتكين من الحصر لم يكن له دأب إلا أنه حثَّ العزيز على الخروج إلى أفتكين بنفسه وجيوشه، فأقبل في جحافل أمثال الجبال، وكثرة من الرجال والعدد والأثقال والأموال، وعلى مقدمته جوهر القائد. وجمع أفتكين والقرمطي الجيوش والأعراب، وسارا إلى الرملة، فالتقوا في محرم سنة سبع وستين، ولما تواجهوا رأى العزيز من شجاعة أفتكين ما بهره، فأرسل إليه يعرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجعله مقدم عساكره، وأن يحسن إليه غاية الإحسان. فترجَّل أفتكين عن فرسه بين الصفين، وقبَّل الأرض نحو العزيز، وأرسل إليه. يقول: لو كان هذا قبل هذا لأمكنني وسارعت وأطعت، وأما الآن فلا. ثم ركب فرسه، وحمل على الميسرة ففرق شملها، وبدَّد خيلها ورجلها، فبرز عند ذلك العزيز من القلب، وأمر الميمنة، فحملت حملة صادقة، فانهزم القرمطي، وتبعه بقية الشاميين، وركبت المغاربة أقفيتهم يقتلون ويأسرون من شاءوا، وتحول العزيز فنزل خيام الشاميين بمن معه من الجيوش، وأرسل السرايا وراءهم، وجعل العزيز لا يؤتى بأسير إلا خلع على من جاء به، وجعل لمن جاءه بأفتكين مائة ألف دينار، فاتفق أن أفتكين عطش وهو منهزم عطشًا شديدًا، فاجتاز بمفرج بن دغفل، وكان صاحبه، فاستسقاه فسقاه ماءً وأنزله عنده في بيوته، وأرسل إلى العزيز يخبره بأن الذي يطلب عنده، فليحمل إليه الذهب، فأرسل إليه بمائة ألف دينار، وجاء من تسلمه منه، فلما أحيط بأفتكين لم يشك أنه مقتول، فما هو إلا أن حضر عند العزيز أكرمه غاية الإكرام واحترمه غاية الاحترام، وردَّ إليه حواصله وأمواله لم يفقد منها شيئًا، وجعله من أخص أصحابه وأمرائه، وأنزله إلى جانب منزله، ورجع به إلى الديار المصرية مكرمًا معظمًا، وأقطعه هنالك إقطاعات جزيلة، وأرسل إلى القرمطي يعرض عليه أن يقدم عليه ويكرمه كما أكرم أفتكين، فامتنع وخاف على نفسه، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار، وجعلها له في كل سنة، يكفُّ بها شرَّه، ولم يزل أفتكين مكرمًا عند العزيز حتى وقع بينه وبين الوزير يعقوب بن كلس، فعمل عليه حتى سقاه سمًا فمات، وحين علم الخليفة بذلك غضب على الوزير، وحبسه بضعًا وأربعين يومًا، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار، ثم رأى أنه لا غنى به عن الوزير، فأخرجه من السجن وأعاده إلى الوزارة وذهب أفتكين في حال سبيله، رحمه الله. هذا ملخص ما ذكره ابن الأثير في «كامله».

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: سبكتكين الحاجب التركى: مولى المعز الديلمى وحاجبه، وقد ترقى فى المراتب حتى آل به الحال إلى أن قلده الطائع الإمارة، وخلع عليه، وأعطاه اللواء، ولقبه: بنور الدولة، وكانت مدة دولته فى هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً، ودفن ببغداد، وداره هى دار الملك ببغداد، وهى دار عظيمة جدًا. وقد اتفق له أنه سقط يومًا عن فرسه، فانكسر ضلعه، فداواه الطبيب حتى استقام ظهره، وقدر على الصلاة، إلا أنه لم يستطع الركوع، فأعطاه شيئًا كثيرًا من الأموال، وكان يقول للطبيب: إذا ذكرت مرضي ومداواتك لى لا أقدر على مكافأتك، ولكن إذا تذكرت وضعك قدميك على ظهرى اشتد غيظي منك.(1) وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم. وقد ترك من الأموال شيئًا كثيراً جداً من ذلك ألف ألف دينار، وعشرة آلاف ألف درهم، وصندوقان من جوهر، وخمسة عشر صندوقاً من البلور، وخمسة وأربعون صندوقاً من آنية الذهب، ومائة وثلاثون مركبًا من ذهب، منها خمسون وزن كل واحد ألف دينار، وستمائة مركب فضة، وأربعة آلاف ثوب ديباجًا، وعشرة آلاف دبيقي وعتابى، وثلاثمائة عدل معكومة من الفرش، وثلاثة آلاف فرس وبغل وألف جمل، وثلاثمائة غلام وأربعون خادماً، وذلك غير ما أودع عند أبى بكر البزار صاحبه والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

فيها: قسم ركن الدولة بن بويه ممالكه بين أولاده عندما كبرت سنه، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس وكرمان وأرجان، ولولده مؤيد الدولة الرى وأصبهان، ولفخر الدولة همذان والدينور، وجعل ولده أبا العباس فى كنف عضد الدولة، وأوصاه به.(2)

وفيها: جلس قاضى القضاة ببغداد، أبو محمد ابن معروف فى دار عز الدولة وفي مجلسه عن أمره له في ذلك لفصل الحكومات، وحكم بين الناس بين يديه.

وفيها: حج بالناس أمير المصريين من جهة العزيز بن المعز الفاطمى، بعدما حوصر أهل مكة، ولقوا شدةً عظيمة، وغلت الأسعار عندهم جداً.

وذكر ابن الأثير: أن في هذه السنة ذهب يوسف بلكين نائب المعز الفاطمى على بلاد إفريقية إلى سبتة فأشرف عليها من جبل مطل عليها فجعل يتأمل من أين يحاصرها نصف يوم فخافه أهلها خوفاً شديداً، ثم انصرف عنها إلى مدينة هنالك يقال لها: بصرة فى المغرب، فأمر بهدمها ونهبها. ثم سار إلى مدينة برغواطة، وبها رجل يقال له: عيسى ابن أم الأنصار، وهو ملكها، وقد اشتدت المحنة به لسحره وشعبذته، وادعى أنه نبى فأطاعوه، ووضع لهم شريعة يقتدون به فيها، فقاتلهم بلكين فهزمهم، وقتل هذا الفاجر ولله الحمد والمنة، ونهب أموالهم، وسبى ذراريهم، فلم يرَ سبى أحسن أشكالاً منهم، فيما ذكر أهل تلك البلاد فى ذلك الزمان.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم أبو بكر الختلى: له مسند كبير، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبى محمد الكجى، وخلق، وروى عنه الدارقطنى وغيره، وكان ثقة، قارب التسعين.

---

(1) «تاريخ بغداد» (1/ 105)، و«المنتظم» (14/ 237).
(2) «المنتظم» (14/ 243)، و«الكامل» (8/ 663، 668).

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ: المؤرخ فيما ذكره ابن الأثير في «الكامل».

الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الماسرجسي: الحافظ، رحل وسمع الكثير وصنف مسنداً في ألف وثلاثمائة جزء بطرقه وعلله، وله المغازي والقبائل، وخرَّج على الصحيحين وغيرهما.

قال ابن الجوزي: وفي بيته وسلفه تسعة عشر محدثاً. توفي في رجب من هذه السنة.

الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن أبي أحمد الجرجاني الكبير: المفيد الإمام العالم، الجوال النقال الرحال، له كتاب «الكامل في الجرح والتعديل» لم يسبق إلى مثله، ولا يلحق في شكله. قال حمزة عن الدارقطني: فيه كفاية لا يزاد عليه. ولد ابن عدي في سنة سبع وسبعين ومائتين، وهي السنة التي توفي فيها أبو حاتم الرازي، وتوفي ابن عدي في جمادى الآخرة من هذه السنة.

المعز الفاطمي باني القاهرة المعزية: معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبيد الله أبو تميم المدعى أنه فاطمي، صاحب الديار المصرية، وهو أول من ملكها من الفاطميين، وكان ملكهم ببلاد إفريقية وما والاها من بلاد المغرب. فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعث بين يديه جوهراً القائد فأخذ له البلاد المصرية من كافور الإخشيدي بعد حروب تقدم ذكرها، واستقرت يد جوهر القائد عليها، فبنى بها القاهرة المعزية، ونزل الملك المكان المسمى بالقصرين، ثم أقيمت الخطبة للمعز في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وقدم المعز كما ذكرنا في جحافل عظيمة، ومعه الأمراء من المغاربة والأكابر والقواد. وحين نزل الإسكندرية تلقاه وجوه الناس إليها، فخطبهم فيها خطبة بليغة افتخر فيها بنسبه وملكه، وادعى: أنه يعدل وينصف المظلوم من ظالمه وأن الله قد رحم الأمة بهم، واستنقذهم من أيدي الظلمة إلى عدلهم وإنصافهم، وهو مع ذلك يدعى ظاهر الرفض، ويبطن -كما قال القاضي الباقلاني- الكفر المحض، وكذلك أهل طاعته ومن نصره ووالاه، واتبعه في مذهبه، قبحهم الله وإياه.(1) وقد أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد التقي أبو بكر النابلسي، فأوقف بين يديه فقال له المعز: بلغني أنك قلت: لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم بسهم، ورميت المعزيين بتسعة. فقال: ما قلت هذا، فظن أنه قد رجع. وقال: فكيف قلت؟ قال: قلت: ينبغي أن يرميكم بتسعة ثم يرميكم بالعاشر. قال: ولمَ؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضرِب بالسياط في اليوم الثاني ضرباً شديداً مبرحاً، ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث، فجيء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله تعالى. فقيل له: الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم.

وقد كان المعز ذا شهامة، وقوة وشدة عزم، وله سياسة، ويظهر أنه يعدل وينصر الحق، ولكنه مع ذلك كان منجماً، يعتمد ما يرصد من حركات النجوم. قال له منجمه: إن عليك قطعًا في هذه السنة فتوارَ عن وجه الأرض حتى تنقضي هذه المدة، فعمل له سرداباً، وأحضر الأمراء وأوصاهم بولده نزار، ولقبه بالعزيز، وفوض إليه الأمر، حتى يعود إليهم. فبايعوه على ذلك، ودخل ذلك السرداب، فتوارى فيه سنة، فكانت المغاربة إذا رأى الفارس منهم سحابًا ساريًا ترجل عن فرسه، وأومأ إليه بالسلام، ظانين أن المعز في ذلك الغمام، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ (الزخرف:54). ثم برز إلى الناس بعد مضي سنة، وجلس في مقام

(1) «المنتظم» (14/ 245)، و«الوفيات» (5/ 224)، و«السير» (15/ 159).

الملك، وحكم على عادته، ولكنه لم تطل مدته بعد ذلك بل عاجله القضاء المحتوم والحين المقسوم، فكانت وفاته في هذه السنة. وكانت مدة أيامه في الملك ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر، وجملة عمره كله خمس وأربعون سنة وستة أشهر، لأنه ولد بإفريقية في حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكانت وفاته بمصر في اليوم السابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وهي هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

فيها: توفي ركن الدولة أبو علي بن بويه، وقد جاوز السبعين، وكانت أيام ولايته نيفاً وأربعين سنة، وقبل موته في السنة الماضية قسم ممالكه بين أولاده كما ذكرنا. وقد عملت ضيافة في دار ابن العميد بأصبهان حافلة حضرها ركن الدولة، وبنوه وأعيان دولته، فعهد في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة. وخلع عضد الدولة على إخوته وسائر الأمراء الأقبية والأكسية على عادة الديلم، وحيوه بالريحان على عادتهم أيضاً، وكان يوماً مشهوداً. ثم توفي ركن الدولة بعده بقليل في هذه السنة، وقد كان سائسًا حليمًا وقورًا كثير الصدقات، محباً للعلماء، فيه إيثار وكرم كثير، وحسن عشرة ورياسة على أقاربه ودولته ورعيته.[1]

وحين تمكن ابنه عضد الدولة قصد العراق ليأخذها من ابن عمه عز الدولة بختيار لسوء سيرته، ورداءة سريرته، فالتقوا في هذه السنة بأرض الأهواز فهزمه عضد الدولة وأخذ أثقاله وأمواله، وبعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حيي ربيعة ومضر، وقد كان بينهما خلف متقادم من نحو مائة وعشرين سنة، وكانت مضر تميل إليه وربيعة عليه، ثم اتفق الحيان واجتمع عليه الفريقان، وقويت شوكة عضد الدولة فعزل عز الدولة وقبض على وزيره ابن بقية، لأنه استحوذ على الأمور دونه، وجبى الأموال إلى خزائنه، فاستظهر عز الدولة بما وجده من الحواصل لابن بقية، ولم يبق له منها بقية. وكذلك أمر عضد الدولة بالقبض على وزير أبيه أبي الفتح ابن العميد لموجدة تقدمت منه إليه، وقد سلف ذكرها. فلم يبقَ لبني العميد أيضاً في الأرض بقية، وقد كانت الأكابر تتقي منهم التقية. وقد كان ابن العميد من الفسوق والعصيان بأوفر مكان، فخانته المقادير، وعاجله غضب السلطان، ونعوذ بالله من غضب الرحمن.[2]

وفي منتصف شوال من هذه السنة: توفي الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان ببخارى، وكانت ولايته خمس عشرة سنة، وقام بالأمر بعده ولده أبو القاسم نوح، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور.[3]

وفيها: توفي الحكم ولقبه المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، وقد كان هذا من خيار الملوك وعلمائهم، عالماً بالفقه والخلاف والتواريخ، محباً للعلماء محسناً إليهم، وكانت وفاته وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر. مدة خلافته منها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر. وقام بالأمر من بعده ولده هشام، وله عشر سنين، ولقب: بالمؤيد بالله، وقد اختلف عليه في أيامه واضطربت الرعايا وحبس مدة، ثم أخرج وأعيد إلى الخلافة، وقام بأعباء أمره حاجبه المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر

---

(1) «المنتظم» (14/ 247-248)، و«الكامل» (8/ 669-688).
(2،3) «الكامل» (8/ 673-675).

المعافري، وابناه المظفر والناصر، فساس الرعايا جيداً وعدل فيهم، وغزا الأعداء، واستقر لهم الحال كذلك نحوًا من ست وعشرين سنة. وقد ساق ابن الأثير ههنا قطعة من أخبارهم وأطال شرحها.(1)

وفيها: رجع مُلْك حلب إلى أبى المعالى شريف بن سيف الدولة بن حمدان، وذلك أنه لما مات أبوه، وقام من بعده تغلب مولاهم قرعويه، عليهم، وأخرجه منها خائفاً يترقب. فسار إلى أمه بميافارقين في سنة سبع وخمسين، ثم جاء فنزل حماة وكانت الروم قد خربت حمص فسعى فى عمارتها وترميمها وسكنها، ثم إن قرعويه استناب في حلب مولى له، يقال له: بكجور، فتغلب عليه، وسجن مولاه قرعويه بقلعتها نحوًا من ست سنين، فكتب أهل حلب إلى أبى المعالى، وهو بحمص يسألونه أن يأتي إليهم، فسار فحاصر حلب أربعة أشهر فافتتحها، وامتنعت القلعة عليه، وقد تحصن بها بكجور، ثم اصطلح مع أبى المعالى على أن يؤمنه على نفسه ويستنيبه بحمص ففعل، فناب له بكجور بحمص، ثم انتقل في وقت إلى نيابة دمشق، وإليه تنسب هذه المزرعة ظاهر دمشق من غربها، التى تعرف بالقصر البكجوري.(2)

ابتداء ملك سبكتكين والد محمود صاحب غزنة

وقد كان سبكتكين هذا مولى الأمير أبى إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية، وليس هذا بحاجب معز الدولة، ذاك توفى قبل هذه السنة كما قدمنا، وأما هذا فإنه لما مات مولاه لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده من ولده ولا من قومه، فاصطلح الجيش على مبايعة سبكتكين هذا لخيره فيهم، وحسن سيرته، وكمال عقله، وشجاعته، وديانته. فاستقر الملك بيده، واستمر من بعده فى ولده السعيد محمود بن سبكتكين، وقد غزا سبكتكين هذا بلاد الهند، ففتح شيئاً كثيراً من حصونهم، وغنم شيئًا كثيرًا من أموالهم، وكسر من أصنامهم ونذورهم أمراً هائلاً، وباشر بمن معه من الجيوش حروبًا تشيب الولدان، وقد قصده جيبال ملك الهند بنفسه، وجنوده التى تعم السهول والجبال، فكسره مرتين، وردهم إلى بلادهم فى أسوأ حال وأردأ بال.(3) وذكر ابن الأثير فى «كامله»: أن سبكتكين لما التقى مع جيبال ملك الهند فى بعض الغزوات، كان بالقرب منهم عين فى عقبة غورك، من عادتهم أنه إذا وضعت فيها نجاسة أو قذر اكفهرت السماء، وأرعدت، وأبرقت، وأمطرت، ولا تزال كذلك حتى تطهر تلك العين من ذلك الشىء الذى ألقى فيها، وأن سبكتكين أمر بإلقاء نجاسة في تلك العين عند ذلك -وكانت قريبة من نحر العدو- فلم يزالوا فى رعود وبروق وأمطار وصواعق، حتى ألجأهم ذلك الحال إلى الهرب والرجوع إلى بلادهم خائبين هاربين. وأرسل ملك الهند يطلب من سبكتكين الصلح، فأجابه بعد امتناع من ولده محمود على مال جزيل يحمله إليه، وبلاد كثيرة يسلمها إليه، وخمسين فيلاً، ورهائن من رؤوس قومه يتركها عنده، حتى يقوم له بما التزم له من ذلك.(4)

وفيها توفى أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابى: صاحب هجر، ومقدم القرامطة، وقام بالأمر من بعده ستة من قومه، وكانوا يسمون: بالسادة، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده، ولم يختلفوا، فمشى حالهم.

---

(1) «الكامل» (8/ 677-679) (8/ 681-683).
(2) «الكامل» (8/ 682-683).
(3) «الكامل» (8/ 683-687).
(4) «الكامل» (8/ 686).

وفيها كانت وفاة الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجنابى أبي محمد القرمطى: قال ابن عساكر: واسم أبى سعيد: الحسن بن بهرام، ويقال: الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كوذكار، يقال: أصله من الفرس قال: ويعرف أبو محمد هذا بالأعصم، قال: ولد بالأحساء في سنة ثمان وسبعين ومائتين. وقد تغلب على الشام فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ثم عاد إلى الأحساء بعد سنة، ثم عاد إلى دمشق فى سنة ستين، وكسر جيش جعفر بن فلاح أول من ناب بالشام عن المعز الفاطمى وقتله. ثم توجه إلى مصر فحاصرها فى مستهل ربيع الأول سنة إحدى وستين، واستمر محاصرها شهوراً، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي، ثم عاد إلى الأحساء، ثم رجع إلى الرملة فتوفى بها فى هذه السنة، وقد قارب التسعين، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع. وقد أورد له ابن عساكر أشعاراً حسنة رائقة فائقة، من ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل الحرب بينهما:

الكتْبُ مُعْذِرةٌ والرسْلُ مُخْبِرةٌ * والحقُّ مُتَّبَعٌ والخيرُ موجودُ
والحربُ ساكِنةٌ والخيلُ صافِنةٌ * والسِّلْمُ مُبْتَذَلٌ والظِّلُّ مَمْدودُ
فإن أنَبْتُم فمَقْبولٌ إنابتُكم * وإن أبَيْتُم فهذا الكُورُ مَشْدودُ
على ظُهورِ المَطايا أو تَرِدْنَ بنا * دمشقَ والبابُ مَهدومٌ ومَرْدودُ
إني امرُؤٌ ليس مِن شأني ولا أَرَبى * طَبْلٌ يَرِنُّ ولا نايٌ ولا عُودُ
ولا اعْتِكافٌ على خمرٍ ومِجْمَرةٍ * وذاتِ دلٍّ لها دَلٌّ وتَفْنيدُ
ولا أَبِيتُ بَطِينَ البطنِ مِن شِبَعٍ * ولى رَفيقٌ خَميصُ البَطْنِ مَجْهودُ
ولا تسامَت بيَ الدنيا إلى طَمَعٍ * يومًا ولا غرَّني فيها المَواعِيدُ

ومن شعره أيضاً:

يا ساكنَ البلدِ المُنيفِ تَعزُّزًا * بقِلاعِه وحُصونِه وكُهوفِه
لا عِزَّ إلا للعزيزِ بنَفْسِه * وبخَيلِه وبرَجْلِه وسُيوفِه
وبقُبَّةٍ بَيْضاءَ قد ضُرِبَت على * شَرَفِ الخيامِ بجارِه وحليفِه
قَرْمٌ إذا اشْتَدَّ الوَغَى أرْدَى العِدا * وشفَى النُّفوسَ بضربِه ووقوفِه
لم يَرْضَ بالشَّرفِ التَّليدِ لنفسِه * حتى أشادَ تَليدَه بطريفِه

وفيها: تملك قابوس بن وشمكير بلاد جرجان وطبرستان، وتلك النواحى.

وفيها: دخل الخليفة الطائع لله بشاه ناز بنت عز الدولة بن بويه، وكان عرساً حافلاً.

وفي هذه السنة: حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان فى تجمل عظيم، كان يضرب المثل بحجها، وذلك أنها عملت أربعمائة محمل فلا يدرى فى أيها هى. ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار، وكست المجاورين بالحرمين كلهم، وأنفقت أموالاً جزيلة فى ذهابها وإيابها.

وحج بالناس: من العراق الشريف أبو عبد الله أحمد بن أبي الحسين ابن محمد بن عبد الله العلوى، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلاثمائة، وكانت الخطبة فى هذه السنة بالحرمين للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين.

وممن توفى فيها من الأعيان: إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم أبو عمرو السلمى: صحب الجنيد وغيره، وروى الحديث، وكان ثقة، ومن جيد كلامه: من لم تهذبك رؤيته فليس بمهذب. وقد احتاج شيخه أبو عثمان مرة إلى شىء، فسأل أصحابه فيه، فجاءه ابن نجيد بكيس فيه ألفا درهم فقبضه منه، وجعل يشكره إلى أصحابه، فقال له ابن نجيد: يا سيدى إن المال الذى دفعته إليك كان من مال أمى، وهى كارهة، فأحب أن ترده إليها فأعطاه تلك الدراهم. فلما كان الليل جاءه بها وقال: أحب أن تصرفها فى أمرك من غير أن يعلم بذلك أحد. فكان أبو عثمان يقول: أنا أخشى من همة أبى عمرو ابن نجيد رحمهم الله تعالى.(1)

الحسن بن بويه أبو على ركن الدولة بن بويه: عرض له قولنج فمات ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم منها، وكانت مدة إمارته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة، وكان حليماً كريماً.

محمد بن إسحاق: ابن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن عبيد بن رفاعة ابن رافع، أبو الحسن الأنصارى الزرقى، كان نقيب الأنصار ببغداد، وقد سمع الحديث من أبى القاسم البغوى وغيره، وكان ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم وأمورهم، وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة.

محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج: سمع يوسف بن يعقوب القاضى وغيره، وكان شديد الاجتهاد فى العبادة. صلى حتى أقعد، وبكى حتى عمى، كانت وفاته يوم عاشوراء من هذه السنة.

القاضى منذر بن سعيد أبو الحكم البلوطى: الظاهري مذهبًا قاضي قضاة الأندلس، وكان إمامًا فقيهًا عالـمًا فصيحًا خطيبًا شاعراً دينًا، كثير الفضل، وله مصنفات واختيارات، منها: أن الجنة التى أُدخلها آدم وأُخرج منها كانت فى الأرض، وله فى ذلك مصنف مفرد، له وقع فى النفوس، وله تفسير القرآن وغير ذلك دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموى، وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها، وقد بنى له فيها قصر عظيم منيف، وزخرف بأنواع الدهانات والستور، وجلس عنده رؤوس دولته وأمراؤه، وجاء القاضى فجلس إلى جانبه وجعل الحاضرون يثنون على هذا البناء، والقاضى ساكت لا يتكلم، فالتفت إليه الملك وقال: ما تقول يا أبا الحكم؟ فبكى القاضى وانحدرت دموعه على لحيته، وقال: ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا أنك تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلك به، حتى أنزلك منازل الكافرين. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:33-35). قال: فوجم الملك عند ذلك وبكى، وقال: جزاك الله خيراً وأكثر فى المسلمين مثلك.(2) وقد قحط الناس فى بعض السنين، فأمر الملك القاضي المنذر بن سعيد البلوطي أن يستسقى بالناس. فلما جاءته الرسالة بذلك ليخرج من الغد، قال للرسول: كيف تركت الملك وما حاله؟ فقال: رأيته أخشع ما يكون وأكثره دعاء. فقال القاضى: رحمتم وسقيتم والله؛ إذا خشع جبار الأرض، رحم جبار السماء. ثم قال لغلامه: اخرج بالممطر معك. فلما خرج الناس وجاء القاضى صعد المنبر والناس ينظرون إليه، ويستمعون لما يقول. فلما أقبل عليهم كان

(1) «المنتظم» (14/ 249)، و«السير» (16/ 147).
(2) «الكامل» (8/ 674)، و«السير» (16/ 177).

أول ما خاطبهم به أن قال: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:54). ثم أعادها فأخذ الناس في البكاء والنحيب والتوبة والإنابة، فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا يخوضون الماء، وقد صنف الحافظ أبو عمر ابن عبد البر مصنفًا في مناقبه، رحمه الله.(1)

أبو الحسن على بن أحمد بن المرزبان البغدادي الفقيه الشافعي: تفقه بأبى الحسين ابن القطان وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الإسفراييني. قال ابن خلكان: كان ورعاً زاهداً ليس لأحد عنده مظلمة، وله وجه فى المذهب، وكان له درس ببغداد. توفى فى رجب من هذه السنة. (2)

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة

في هذه السنة: دخل عضد الدولة إلى بغداد، وخرج منها عز الدولة بختيار بن معز الدولة واتبعه عضد الدولة ليقاتله وأخذ معه الخليفة الطائع لله فاستعفاه الخليفة من الخروج فأعفاه، وسار عضد الدولة وراءه فأخذه أسيراً، ثم قُتل سريعاً وتصرمت دولته واستقر أمر عضد الدولة ببغداد، وخلع عليه الخليفة الخلع السنية والأسورة في يده والطوق في عنقه، وأعطاه لواءين أحدهما فضة والآخر ذهب، ولم يكن هذا الثاني يصنعه إلا لأولياء العهد، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنية. وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالاً جزيلة من الذهب والفضة، واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد(3)، وزلزلت بغداد مراراً فى هذه السنة، وزادت دجلة زيادة كثيرة وانبثقت بثوق كثيرة غرق بسببها خلقٌ كثير وجم غفير. وقيل لعضد الدولة: إن أهل بغداد قد قلوا كثيراً بسبب الطاعون، وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض والسنة وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج بين الناس في السنة والروافض هؤلاء القصاص والوعاظ، ثم رسم أن أحداً لا يقص ولا يعظ فى سائر بغداد، ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة، وإنما يقرأ السائل القرآن فمن أعطاه أخذ منه. فعمل بذلك فى البلد، ثم بلغه أن أبا الحسين ابن سمعون الواعظ وكان من الصالحين قد استمر يعظ الناس على عادته. فأرسل إليه من جاء به، فأخذ من مجلسه، وقيل له: إذا دخلت على الملك فقبّل التراب وتواضع فى الخطاب والجواب. فلما دخل دار الملك وجد السلطان قد جلس في حجرة وحده لئلا يندر من ابن سمعون فى حقه كلام بحضرة الناس يؤثر عنه. ودخل الحاجب بين يديه ليستأذن له عليه فوجده قد دخل وراءه، فإذا الملك جالس وحده فتنحى ابن سمعون بوجهه نحو دار عز الدولة ثم استفتح القراءة: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:102) ثم استدار نحو الملك، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:14) ثم أخذ فى مخاطبة الملك ووعظه، فبكى عضد الدولة بكاءً كثيرًا، وجزاه خيرًا. فلما خرج من عنده قال للحاجب: اذهب فخذ ثلاثة آلاف درهم، وعشرة أثواب وادفعها إليه لنفسه أو لنفقة أهله فإن قبلها جئنى برأسه. قال الحاجب: فجئته. فقلت: هذه أثواب أرسل بها إليك الملك لتلبسها. فقال: لا حاجة لى بها، هذه ثيابى من عهد أبى منذ أربعين سنة، كلما خرجت إلى الناس لبستها، فإذا رجعت طويتها قلت: وهذه نفقة. فقال: لا حاجة لي فيها، لى دار آكل من أجرتها،

(1) «الكامل» (8/ 674-675)، و«السير» (16/ 176-177).
(2) «الوفيات» (3/ 281).
(3) «المنتظم» (14/ 252-255)، و«الكامل» (8/ 689-694).

تركها لى أبى، فأنا فى غُنية عنها. فقلت: فرقها فى فقراء أهلك. فقال: أهله أحق من أهلى، وأفقر إليها منهم. فرجعت إلى الملك لأشاوره وأخبره بما قال، فسكت ساعة، ثم قال: الحمد لله الذى سلمه منا وسلمنا منه. ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بقية الوزير لعز الدولة، فأمر به فوضع بين قوائم الفيلة فتخبطته بأرجلها حتى هلك، ثم صلب على رأس الجسر فى شوال منها، فرثاه أبو الحسين ابن الأنبارى بأبيات يقول فيها:

عُلُوٌّ في الحياةِ وفي المَماتِ	*	بحقٌ أنت إحدى المُعْجِزاتِ
كأن الناسَ حولَك حينَ قاموا	*	وُفودُ نَداك أيامَ الصِّلاتِ
كأنك واقفٌ فيهم خَطيبًا	*	وكلُّهم وُقوفٌ للصَّلاةِ
مدَدْتَ يدَيْك نحوَهم احْتِفاءً	*	كمدِّهما إليهمْ بالهِباتِ

وهى قصيدة طويلة، أورد كثيراً منها ابن الأثير فى «كامله».

صفة مقتل عز الدولة بختيار بن معزّ الدولة، وأخذ عضد الدولة الموصل وأعمالها

لما دخل عضد الدولة بغداد وتسلمها من عز الدولة وأخرجه منها ذليلاً طريدًا في فلٍّ من الناس، ومن عزم عزِّ الدولة أن يمضي إلى الشام فيأخذها، وقد حلفه عضد الدولة أن لا يتعرض لأبي تغلب صاحب الموصل؛ وذلك لمودَّة كانت بينهما ومكاتبة ومراسلات منهما، فحلف له على ذلك، وحين خرج من بغداد كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان، فحسَّن لعزِّ الدولة أخذ بلاد الموصل؛ لأنها أطيب وأكثر مالاً وأقرب إليه الآن، وكان عزُّ الدولة ضعيف العقل قليل الدين، فلما بلغ ذلك أبا تغلب أرسل إلى عزِّ الدولة يقول له: لئن بعثت إليَّ بأخي حمدان بن ناصر الدولة أعنتك بجيشي وبنفسي حتى أردك إلى ملك بغداد، وأقاتل معك عضد الدولة. فأمسك حمدان، وأرسله إلى عمه أبي تغلب، فسجنه في بعض القلاع، وبلغ ذلك عضد الدولة وأنهما قد اجتمعا على حربه، فركب إليهما بجيشه، وأراد إخراج الخليفة الطائع معه، فاستعفاه فأعفاه، واستمرَّ هو ذاهبًا إليهما فالتقى معهما، فكسرهما وهزمهما، وأخذ عزَّ الدولة أسيرًا، فلما جيء به لم يأذن له، بل أرسل إليه من قتله في الحال، ثم سار من فوره فأخذ الموصل ومعاملتها، وكان قد حمل معه ميرةً كثيرةً، وتشرَّد أبو تغلب في البلاد، وبعث وراءه السرايا من كل جهة، وأقام عضد الدولة بالموصل وضيَّق على أبي تغلب تلك البلاد، واستحوذ على أكثر تلك الناحية بصرامته وشجاعته وهمته وعزيمته، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمان وستين، وفتح ميافارقين وآمد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة، وتسلم بلاد مضر من أيدي نوَّاب أبي تغلبٍ، وأخذ منهم الرَّحبة، وردَّ بقيتها على صاحب حلَب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، وتسلط سعد الدولة على بلاد عمِّه أبي تغلب يتسلمها بلدًا بلدًا، وحين رجع عضد الدولة من الموصل استناب عليها أبا الوفاء، وعاد إلى بغداد، فتلقاه الخليفة الطائع لله ورءوس الناس إلى ظاهر البلد، وكان يومًا مشهودًا.

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعزِّ الفاطمي وبين أفتكين غلام معزِّ الدولة صاحب دمشق، فهزمه وأسره، وأخذه معه إلى الديار المصرية مكرمًا معظمًا كما تقدم، وتسلم العزيز دمشق وأعمالها، وقد تقدم في سنة أربع وستين بسط هذه الكائنة بما أغنى عن إعادته.

وفيها: خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي بقضاء قضاة الرَّيِّ وما تحت حكم مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه من البلاد، وله مصنفات حسنةٌ، منها: «دلائل النبوة»، و«عمد الأدلة» وغيرهما.

وحج بالناس في هذه السنة: نائب المصريين، وهو الأمير باديس بن زيري أخو يوسف بلكين.

ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص، وسألوا منه أن يضمنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال، فأظهر لهم الإجابة إلى ما سألوا، وقال لهم: اجتمعوا كلكم حتى أضمنكم كلكم. فاجتمع عنده بضع وثلاثون حراميًا، فقال: هل بقى منكم أحد؟ فحلفوا له أنه لم يبقَ منهم أحد، فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلهم، ونعم ما فعل. وكانت الخطبة في هذه السنة للفاطميين بمكة والمدينة دون العباسيين.

وممن توفى فيها من الأعيان: الملك عز الدولة بختيار بن معزِّ الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمى، ملك بعد أبيه، وعمره فوق العشرين سنة بقليل، وكان حسن الجسم، شديد البطش، قوي القلب جدًا، يقال: إنه كان يأخذ بقوائم الثور الشديد، فيلقيه إلى الأرض من غير أعوان، ويتقصد الأسود في متصيداته، ولكنه كان كثير اللهو واللعب والإقبال على اللذات.(1)

ولما كسره ابن عمه ببلاد الأهواز كان فيما أخذ من أمواله غلام له كان يحبه حبًا شديدًا، فبعث يترقق لابن عمه فيه حتى يرده، وأرسل إليه بتحف عظيمة وأموال جزيلة وجاريتين عوادتين لا قيمة لهما، وبعث نقيب الأشراف في ذلك، فرد عليه الغلام المذكور، فَكثر تعنّيف النّاس لعزِّ الدولة، وسقط من أعين الملوك، فإنه كان يقول: ذهاب هذا الغلام أشدُّ عليَّ مما جرى من أخذ بغداد، بل وأرض العراق. ثم آل من أمره أنه أسره ابن عمِّه عضدُ الدولة، كما ذكرنا، وأمر بقتله سريعًا، فكانت مدةُ حياته ستًا وثلاثين سنة، ومدة دولته منها إحدى عشرة سنةً وشهور.

محمد بن عبد الرحمن، أبو بكر القاضي المعروف بابن قريعة، ولي القضاء بالسندية، وكان فصيحًا يأتي بالكلام المسجوع من غير تكلف ولا تردد، وكان جميل المعاشرة ظريف المحاضرة. ومن شعره:

لي حِيلةٌ في مَن يَنِمُّ * وليس في الكَذَّابِ حِيلَهْ
مَن كان يَخْلُقُ ما يَقو * لُ فحِيلتي فيه قَليلَهْ

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تماشيا: إن تقدمت فحاجب، وإن تأخرت فواجب. وكانت وفاته يوم السبت لعشرٍ بقين من جمادي الآخرة منها، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة

فى شعبان منها: أمر الطائع لله أن يدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب وبعد العشاء.

قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يتفق لغيره من بني بويه، وقد كان معزُّ الدولة سأل من المطيع لله أن يضرب الدبادب على بابه ببغداد، فلم يأذن له في ذلك.

وقد افتتح عضد الدولة في هذه السنة -وهو مقيمٌ بالموصل- أكثر بلاد أبي تغلب ابن حمدان، كآمد وميافارقين والرحبة وغير ذلك من المدن الكبار والصغار، وحين عزم على العود إلى بغداد استناب على

(1) راجع «المنتظم» (14/ 256)، و«الوفيات» (1/ 267)، و«السير» (16/ 231).

الموصل أبا الوفاء الحاجب، ورجع إلى بغداد فدخلها في سلخ ذي القعدة من هذه السنة وتلقاه الخليفة والأعيان إلى أثناء الطريق، وكان يومًا مشهودًا.(1)

ذكر مُلك قسَّام التَّرَّاب لدمشق في هذه السنة، لما اتقع أفتكين مع العزيز بأرض الرملة، وانهزم أفتكين والحسن القرمطي معه، وأسر أفتكين فذهب مع العزيز إلى ديار مصر نهض رجلٌ من أهل دمشق يقال له: قسامٌ التَّرَّابُ. كان أفتكين يقربه ويدنيه ويأتمنه على أسراره، فاستحوذ على دمشق، وطاوعه أهلها، وقصدته عساكر العزيز من مصر، فحاصروه بها فلم يتمكنوا منه بشيء، وجاء أبو تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره، فلم يمكنه أن يدخل دمشق، فانصرف عنه خائبًا إلى طبرية، فوقع بينه وبين بني عقيل وغيرهم من العرب حروبٌ طويلةٌ، آل به الحال إلى أن قتل أبو تغلب، وكانت معه أخته جميلة، وامرأته، وهي بنت عمِّه سيف الدولة، فرُدَّتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب، فأخذ أخته، وبعث بجميلة إلى بغداد، فحبست في دار وأخذ منها أموال جزيلةٌ.(2)

وأما قسَّامٌ -وهو الحارثيُّ، وأصله من بني الحارث بن كعب من اليمن- فأقام بدمشق يسدُّ خللَها، ويقوم بمصالحها مدة سنين عديدة، وكان مجلسه بالجامع، ويجتمع الناس عنده فيأمرهم وينهاهم، ويقوم فيمتثلون ما يرسم به.

قال ابن عساكر: أصله من قرية تلفيتا، وكان ترابًا.(3) قلت: والعامَّة يقولون: اسمه قسيم الزبال. وإنما هو قسَّامٌ، ولم يكن زبالًا؛ بل ترابًا من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين. وكان بدوُّ أمره أنه انتمى إلي رجل من أحداث دمشق يقال له: أحمد بن الجسطار. فكان من حزبه، ثم استحوذ على الأمور، وغلب الولاة والأمراء، وصارت إليه أزمة الأحكام، إلى أن قدم بلكين التركيُّ من مصر في يوم الخميس السابع عشر من المحرَّم سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة، فأخذها منه ودخلها، واختفى قسَّام الترابُ مدةً ثم ظهر، فأخذه أسيرًا وأرسله مقيدًا إلى الديار المصرية، فأطلق وأحسن إليه وأقام بها أيضًا مكرمًا. والله أعلم.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله، أبو بكر ابن مالك القطيعي -من قطيعة الدقيق ببغداد- راوي «مسند أحمد» عن ابنه عبد الله، وقد روى عنه غير ذلك من مصنفات أحمد، وحدث عن غيره من المشايخ أيضًا، وكان ثقةً كثير الحديث، وقد حدث عنه الدارقطني وابن شاهين والبرقانيُّ وأبو نعيم والحاكم، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا التفتوا إلى ما شغب به بعضهم من الكلام فيه، بسبب غرق بعض كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الأسود، فاستحدث بعضها من نسخ أخر، وهذا ليس بشيء، لأنها قد تكون معارضةً على كتبه التي غرقت. والله أعلم. ويقال: إنه تغيَّر في آخر عمره، فكان لا يدري ما قرئ عليه. وقد جاوز التسعين، رحمه الله.(4)

تميم بن المعزِّ الفاطميُّ، وبه كان يكنى، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز، وفيه كرمٌ وله فضيلةٌ، وقد اتفقت له كائنة غريبةٌ، وهي أنه أرسل إلى بغداد فاشتريت له جارية مغنيةٌ بمبلغ جزيلٍ، فلما حضرت عنده أضاف أصحابه، ثم أمرها فغنَّت -وكانت تحب شخصًا ببغداد:

---

(1) «المنتظم» (4/ 260)، و«الكامل» (8/ 695-698).

(2) «الكامل» (8/ 697-698). (3) «تاريخ دمشق» (14/ 420).

(4) «تاريخ بغداد» (4/ 73)، و«المنتظم» (14/ 260)، و«السير» (16/ 210).

وبَدَا له من بعدِ ما اندَمَلَ الهوَى * بَرْقٌ تَألَّقَ مُوهِنًا لَمَعانُهُ
يَبْدُو كَحاشِيَةِ الرِّداءِ ودونَه * صعبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أركانُهُ
فبدا لِيَنْظُرَ كيفَ لاحَ فلم يُطِقْ * نَظَرًا إليه وصدَّهُ أشجانُهُ
فالنارُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ضُلوعُه * والماءُ ما سَمَحَتْ بِه أجْفانُهُ

ثم غنته بأبيات أخر، فاشتد طرب تميم وقال لها: لابد أن تسأليني حاجةً. فقالت: عافيتك. فقال: ومع هذا. وألحّ عليها. فقالت: تردني إلى بغداد حتى أغني بهذه الأبيات. فوجم، ثم لم يجد بدًا من الوفاء، فأرسلها مع بعض أصحابه فأحجها، ثم سار بها إلى بغداد على طريق العراق، فلما أمسوا في الليلة التي يدخلون من صبيحتها بغداد ذهبت في الليل، فلم يُدْرَ أين ذهبت، فلما راح الخبرُ إلى مولاها تألم ألـمًا شديدًا، وندم حيث لا ينفعه الندم.

العقيقي صاحب الحمَّام والدار المنسوبتين إليه بمحلة باب البريد بدمشق، واسمُه أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الشريف أبو القاسم الحسيني العقيقي.

قال ابن عساكر: كان من وجوه الأشراف بدمشق، وإليه تنسب الدار والحمامُ بمحلة البريد، وقد امتدحه الوأواء الدمشقي. وذكر أنه توفي يوم الثلاثاء لأربع خلون من جمادى الأولى من هذه السنة، وأنه دفن من الغد، وأغلق البلد بسبب جنازته، وحضرها بكجور وأصحابه -يعني نائب دمشق- ودفن خارج باب الصغير.(1)

قلت: وقد اشترى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس داره، وبناها مدرسةً ودار حديث وتربةً، وبها قبره، وذلك في حدود سنة سبعين وستمائة كما سيأتي بيانه.

أبو سعيد السيرافيُّ النحويُّ: الحَسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد السيرافيُّ النحويُّ القاضي، سكن بغداد، وولي القضاء بها نيابةً، وله «شرح كتاب سيبويه»، و«طبقات النحاة». وروى عن أبي بكر ابن دريد وغيره، وكان أبوه مجوسيًا، وكان أبو سعيد السيرافيُّ هذا عالـمًا باللغة والقراءات والنحو والعروض والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلْم.

وكان زاهدًا لا يأكل إلا من عمل يده، كان ينسخ كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم، تكون منها نفقته وقوته، رحمه الله تعالى، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، وينتحل مذهب أهل العراق في الفقه، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على ابن السرَّاج والمبرمان، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال، وأنكره آخرون.(2) وكانت وفاته فيَّ رجبٍ من هذه السنة عن أربع وثمانين سنةً، ودفن بمقبرة الخيزران.

عبد الله بن إبراهيم بن أبي القاسم الزنجانيُّ، ويعرف بالآبندوني، رحل في طلب الحديث إلى الآفاق، ورافق ابن عدي في بعض ذلك، ثم سكن بغداد، وحدث بها عن أبي يعلى والحسن بن سفيان وابن خزيمة وغيرهم.

---

(1) ابن عساكر (3/ 45-46).
(2) «تاريخ بغداد» (7/ 341)، و«المنتظم» (14/ 264)، و«السير» (16/ 247).

وكان ثقة ثبتًا له مصنفات، زاهدًا، روى عنه البرقاني، وأثنى عليه خيرًا، وذكر أن أكثر أكله الخبز المأدوم بمرق الباقلاء، وذكر أشياء من تقلله وزهده وورعه. وتوفي عن خمس وتسعين سنةً، رحمه الله تعالى.

عبد الله بن محمد بن ورقاء، الأمير أبو أحمد الشيباني، من أهل البيوتات والحشمة، بلغ التسعين، روى عن ابن الأعرابي أنه أنشد في صفة النساء:

هي الضِّلَعُ العَوْجاءُ لستَ تُقيمُها * ألا إن تَقْويمَ الضُّلوعِ انْكِسارُها

أيَجْمَعْن ضَعْفًا واقْتِدارًا على الفتى * أليس عجيبًا ضعفُها واقْتِدارُها

قلت: وهذا الشاعرُ أخذ هذا المعنى من الحديث الصحيح: «**إن المرأة خُلِقَت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوجٌ**».

وفيها توفي: محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، راوي «صحيح مسلم» عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، عن مسلم بن الحجاج، وكان من الزهاد، يأكل من كسب يده من النسخ، وبلغ ثمانين سنةً، رحمه الله تعالى وإيَّانا بمنِّه وكرمه.

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

في المحرم منها: توفي الأمير عمران بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنةً، تغلب عليها، وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء، وبعثت إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة، فكل ذلك يفلها ويكسرها، وكل ما له في تمكن وقوة، ومكث كذلك هذه المدة كلها، ومع هذا كله ماتَ على فراشه حتف أنفه، فلا نامت أعين الجبناء، وقام بالأمر من بعده ولده الحسن، فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده، فأرسل إليه سرية فيها خلق من الجنود، فكسرهم الحسن بن عمران بن شاهين وردهم خائبين، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة، فصالحه على مال يرسله إليه كل سنة، وأخذوها من عضد الدولة على ذلك، وهذا من العجائب الغريبة.(1)

وفي صفر: قبض على الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسويِّ نقيب الطالبيين، واتهم بأنه يفشي الأسرار، وأن عزَّ الدولة أودع عنده عقدًا ثمينًا، وأتى بكتاب أنه خطه في إفشاء الأسرار، فأنكر أنه خطُّه، وكان مزورًا عليه، واعترف بالعقد، فأخذ منه، وعزل عن النقابة، وولي غيره فيها، وكان مظلومًا في ذلك.

وفي هذا الشهر أيضًا: عزل عضد الدولة قاضي القضاة أبا محمد ابن معروف، وولَّى غيره.

وفي شعبان: ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة، فردَّ الجواب بما مضمونه صدقُ النية وحسن الطويَّة، ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع والجواهر، وأن يزيد في ألقابه تاج الدولة، فأجابه إلى ذلك كله، فخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن من تقبيل الأرض من كثرتها، وفوَّض إليه ما وراء داره من الأمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحضر ذلك الرؤساء والأمراء وأعيان الناس، وكان يومًا مشهودًا.

وارسل في رمضان: إلى الذعار من الأعراب من بني شيبان وغيرهم، فعقرهم وكسرهم وقهرهم، وكان أميرهم ضبَّة بن محمد الأسدي متحصنًا بعين التمر نيفًا وثلاثين سنةً، فأخذت ديارهم وأخذت أموالهم وحالت أحوالهم. ولله الحمد والمنة.

---

(1) «المنتظم» (14/ 268-272)، و«الكامل» (8/ 699).

وفي يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة تزوَّج الخليفة الطائعُ لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقدُ بحضرة الأعيان والرؤساء، وكان عقدًا هائلاً حافلاً، على صداق مبلغه مائة ألف دينار، ويقال: مائتا ألف دينار. وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبو عليٍّ الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، صَاحب «الإيضاح والتّكملة»، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو عليٍّ المحسن بن علي التنوخي، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها: كان مقتل أبي تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان بالشام، قريبًا من نوى وأعمالها، وكانت معه أخته جميلة وزوجته بنت عمِّه سيف الدولة، فرُدتا إلى ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب.

قال ابن الأثير: وفيها جدَّد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدَّد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء والأئمة الأرزاق والجرايات، من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والأطباء والحسَّاب وغيرهم، وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك ببغداد بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهَّد الطرقات، وأطلق المكوس، وأصلح طريق الحجاج من بغداد إلي مكة، وأرسل الصدقات والصلات للمجاورين بالحرمين. قال: فأذن لوزيره نصر بن هارون، وكان نصرانيًا، بعمارة البيع والديرة وإطلاق الأموال لفقرائهم.

وفيها: توفي حسنويه بن الحسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي بلاد الدينور وهمذان ونهاوند مدة خمسين سنةً، وكان حسن السيرة، كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما، فلما توفى اختلف أولاده من بعده، وتمزَّق شملهم، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلاده، وقويت شوكته في الأرض.

وفي هذه السنة: ركب عضد الدولة في جيوش كثيفة إلى بلاد أخيه فخر الدولة، وذلك لما كان بلغه من ممالآت عزِّ الدولة واتفاقهما عليه، فلما تفرغ من أعدائه ركب فتسلم بلاد أخيه فخر الدولة؛ همذان والرَّيَّ وما بينهما من البلاد، وسلم ذلك إلى أخيه مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة؛ ليكون نائبه عليها، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردي، فتسلم بلاده وأخذ حواصله وذخائره، وكانت جليلة كبيرةً جدًا، وحبس بعض أولاده، وأمَّر بعضهم، وأرسل إلى الأكراد الهكارية، فأخذ منهم بعض بلادهم، وعظم شأن عضد الدولة وارتفع صيته وذكره، إلا أنه أصابه في هذه السَّفرة داءُ الصرع، وقد كان تقدَّم له مثله في الموصل، فكان يكتمه، ولكنه غلب به كثرة النسيان، فلا يذكر الشيء إلا بعد جهد جهيد، والدنيا لا تسرُّ بقدر ما تضرُّ:

دارٌ متى ما أضْحَكَت في يومِها * أبْكَت غَداً بُعْداً لها مِن دارِ

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن عطاء بن أحمد أبو عبد الله الروذباري -ابن أخت أبي عليٍّ الروذباري- أسند الحديث، وكان يتكلم على مذهب الصوفية، وقد انتقل من بغداد، فأقام بصور، فتوفِّي بها في هذه السنة.

أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين اللغوي، صاحب كتاب «المجمل» في اللغة وغيره، ومن شعره قبل موته بيومين:

يا ربِّ إنَّ ذُنوبِي قد أحَطْتَ بها * علمًا وبي وبإعْلاني وإسْراري

أنا المُوَحِّدُ لكنّي المُقِرُّ بها * فهَبْ ذنوبي لتَوْحيدي وإقْراري

ذكره ابن الأثير.

الحسن بن عليٍّ، أبو عبد الله البصري، أحد مشايخ المعتزلة، ويعرف بالجعل، سكن بغداد، وانتحل مذهب العراقيين، فصنَّف للمعتزلة، وكان اشتغاله في الفروع على أبي الحسين الكرخي وعنده دفن، وقد قارب الثمانين.

ثابت بن إبراهيم، أبو الحسن الحراني الصابئُ المتطبب. الحاذق في فنِّه، توفى وقد جاوز الثمانين.

حسنويه بن الحسين الكردي، أمير تلك البلاد، وكان كثير الصدقات كما قدمنا، رحمه الله تعالى.

عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي، أبو محمد البزاز، أسند الكثير، وبلغ خمسًا وتسعين سنةً، وكان ثقةً ثبتًا، توفى في رجب من هذه السنة.

محمد بن صالح بن عليِّ بن يحيى، أبو الحسن الهاشميُّ، قاضي بغداد، ويعرف بابن أم شيبان، وكان عالـمًا فاضلاً، له تصانيف، وقد ولى الحكم ببغداد قديمًا، وكان جيد السيرة، توفى في هذه السنة وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين، رحمه الله وإيانا بمنِّه.

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة

فيها: ورد الصاحب بن عباد من جهة مؤيد الدولة إلى أخيه عضد الدولة فتلقاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد وأكرمه، وأمر الدولة باحترامه، وخلع عليه وزاد فى إقطاعه، ورد معه هدايا كثيرة جدًا.(1)

وفى جمادى الآخرة منها: رجع عضد الدولة إلى بغداد، فتلقاه الخليفة الطائع وضربت له القباب وزينت الأسواق.

وفي هذا الشهر: دخل الخليفة بزوجته بنت عضد الدولة، وحمل معها من الجهاز شيء عظيم.

وفى هذا الشهر أيضًا: وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة، وفيها أشياء حسنة، وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة لصاحب مصر، وهو العزيز بن المعز الفاطمى.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان: أحمد بن عليّ أبو بكر: الفقيه الحنفى الرازى، أحد أئمة أصحاب الرأي، وله من المصنفات المفيدة كتاب «أحكام القرآن»، وهو تلميذ أبى الحسن الكرخى، وكان عابداً زاهداً ورعاً، انتهت إليه رياسة الحنفية فى وقته ورحل إليه الطلبة من الآفاق، وقد سمع الحديث من أبى العباس الأصم، وأبى القاسم الطبرانى وغيرهما، وقد أراده الطائع لله على أن يوليه القضاء فلم يقبل، وكانت وفاته فى ذى الحجة من هذا العام، وصلى عليه أبو بكر ابن محمد بن موسى الخوارزمى.

محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق: ويلقب بغندر أيضًا، كان جوالاً رحالاً، سمع الحديث الكثير ببلاد فارس وخراسان، وسمع الباغندى وابن صاعد وابن دريد وغيرهم، وعنه الحافظ أبو نعيم الأصفهانى، وكان ثقة حافظًا رحمه الله تعالى.(2)

ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوى اللغوى صاحب المصنفات، أصله من همذان، ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن: كأبي بكر ابن الأنباري، وابن دريد وابن مجاهد، وأبى عمر الزاهد، واشتغل على أبى سعيد السيرافى، ثم صار إلى حلب فعظمت مكانته عند آل حمدان، وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه، وله مع المتنبى مناظرات.(3) وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة منها: كتاب «ليس» لأنه كان يكثر أن يقول فيه: ليس فى كلام العرب كذا. وكتاب (الآل) تكلم فيه

---

(1) «المنتظم» (14/ 275-277)، و«الكامل» (9/ 5-9).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 152)، وابن عساكر (15/ 174)، و«المنتظم» (14/ 279).
(3) «الوفيات» (2/ 178).

على أقسامه وترجم فيه الأئمة الاثنى عشر، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن، و(شرح الدريدية) وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان فرداً في زمانه، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

فى ربيع الأول منها: وقع حريق عظيم بالكرخ من بغداد.

وفيها: سرق شيء نفيس لعضد الدولة فعجب الناس من ذلك لشدة هيبة عضد الدولة، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد فلم يعرف من أخذه. ويقال: إن صاحب مصر بعث من فعل هذا، فالله أعلم.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس:** أبو بكر الإسماعيلى الجرجانى، الحافظ الكبير الرحال الجوال، سمع الكثير وحدث وخرج وصنف فأفاد وأجاد، وأحسن الانتقاد والاعتقاد، صنف كتاباً على «صحيح البخارى» فيه فوائد كثيرة، وعلوم غزيرة. قال الدارقطنى: كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه فلم أرزق. وكانت وفاته يوم السبت عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وهو ابن أربع وسبعين سنة رحمه الله.

الحسن بن أحمد بن صالح أبو محمد السبيعى: سمع ابن جرير وقاسماً المطرز وغيرهما، وعنه الدارقطنى والبرقانى، وكان ثقة حافظاً مكثراً، وكان عسر الرواية، رحمه الله.

الحسن بن على بن الحسن بن الهيثم بن طهمان: أبو عبد الله الشاهد، المعروف بالبادى، سمع الحديث وكان ثقة، عُمّر سبعاً وتسعين سنة، منها خمس عشرة سنة مقعداً أعمى، رحمه الله.

عبد الله بن الحسين بن إسماعيل بن محمد: أبو بكر الضبى القاضي، ولى الحكم بعدة بلاد كثيرة، وكان عفيفًا نزهًا صينًا دينًا.

عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث: أبو الحسن التميمى الفقيه الحنبلى، له كلام ومصنف فى الخلاف، وسمع الحديث وروى عنه غير واحد. وقد ذكر الخطيب البغدادى: أنه وضع حديثاً. ورد ذلك أبو الفرج ابن الجوزى، وقال: ما زال هذا دأب الخطيب فى أصحاب أحمد بن حنبل. قال: وشيخ الخطيب الذى حكى عنه هذا هو أبو القاسم عبد الواحد بن أسد العكبرى لا يعتمد على قوله، فإنه كان معتزلياً وليس من أهل الحديث، وكان يقول: بأن الكفار لا يخلدون فى النار.

قلت: وهذا غريب فإن المعتزلة يقولون بوجوب بتخليد أصحاب الكبائر فكيف لا يقول هذا بتخليد الكفار. قال: وعنه حكى الكلام في ابن بطة أيضاً.

على بن إبراهيم أبو الحسن الحصرى الصوفى الواعظ: شيخ المتصوفة ببغداد، أصله من البصرة، صحب الشبلى وغيره، وكان يعظ الناس بالجامع، ثم لما كبرت سنه بنى له الرباط المقابل لجامع المنصور، ثم عرف بصاحبه الزوزني، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة، وله كلام جيد فى التصوف على طريقهم. ومما نقله ابن الجوزى عنه أنه قال: ما على منى؟ وأى شيء لى فيَّ؟ حتى أخاف وأرجو، إن رحم رحم ما له، وإن عذب عذب ما له. توفى فى ذى الحجة وقد نيف على الثمانين، ودفن بمقبرة حرب من بغداد.

على بن محمد الأحدب المزور: كان قوى الخط، له ملكة على التزوير لا يشاء يكتب على كتابة أحد إلا فعل، فلا يشك ذلك المزور عليه أنه خطه، وبلا الناس ببلاء عظيم، وختم السلطان على يده مراراً فلم يُفِدْ، ثم كانت وفاته فى هذه السنة.

الشيخ أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزى الشافعي: شيخ الشافعية فى زمانه، وإمام أهل عصره فى الفقه والزهد والعبادة والورع، سمع الحديث ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطنى وغيره.

قال أبو بكر البزار: عادلت الشيخ أبا زيد فى طريق الحج، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وقد ذكرت ترجمته بكمالها فى «طبقات الشافعية». قال الشيخ أبو نعيم: توفى بمرو يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة، رحمه الله وأكرم مثواه.

محمد بن خفيف أبو عبد الله الشيرازى: أحد مشاهير الصوفية، صحب الجريرى وابن عطاء وغيرهما. قال ابن الجوزى: وقد ذكرت فى كتابى المسمى بـ«تلبيس إبليس» عنه حكايات تدل على أنه يذهب مذهب الإباحية.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزى: فى المحرم: جرى الماء الذى ساقه عضد الدولة إلى داره وبستانه.[1]

وفي صفر: فتح المارستان الذى أنشأه عضد الدولة فى الجانب الغربى من بغداد، وقد رتب فيه الأطباء والخدم، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيء كثير.

وقال: وفيها: توفى عضد الدولة فكتم أصحابه وفاته حتى أحضروا ولده صمصام الدولة فولوه الأمر، وراسلوا الخليفة فبعث إليه بالخلع والولاية.

ذكر شيء من أخبار عضد الدولة

أبو شجاع ابن ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه الديلمى، صاحب العراق، وملك بغداد وغيرها، وهو أول من تسمى شاهنشاه، ومعناه: ملك الملوك. وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أوضع اسم -وفى رواية: أخنع اسم- عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل**»[2]. وهو أول من ضربت له الدبادب ببغداد، وأول من خطب له بها مع الخليفة. وذكر ابن خلكان: أنه امتدحه الشعراء بمدائح هائلة كالمتنبي وغيره، فمن ذلك قول أبى الحسن محمد بن عبد الله السلامى فى قصيدة له:

إليك طَوَى عرْضَ البسيطةِ جاعلٌ * قُصارَى المَطايا أن يَلُوحَ لها القَصْرُ

فكنتُ وعَزْمى في الظلام وصارمي * ثلاثةَ أشياءٍ كما اجْتَمعَ النَّسْرُ

وبشَّرْتُ آمالي بمَلْكٍ هو الوَرَى * ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هو الدَّهْرُ

ثم قال ابن خلكان: وهذا هو السحر الحلال.

وقال المتنبى:

هى الغَرَضُ الأقصَى ورُؤْيَتُك المُنَى * ومَنْزِلُك الدنيا وأنت الخَلائقُ

قال ابن خلكان: وليس في الطلاوة كقول السَّلامي، ولا استوفى المعنى كله؛ فإنه لم يذكر الدهر.[3]

---

(1) «المنتظم» (14/ 289-290)، و«الكامل» (9/ 17-25).
(2) البخارى (6205) (6206)، ومسلم (2143).
(3) «الوفيات» (4/ 52-53).

وقال أبو بكر أحمد الأرجانى القاضي فى قصيدة له بيتاً فلم يلحق السلامى أيضًا وهو قوله:

لقيته فرأيتُ الناسَ في رَجُلٍ * والدَّهْرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارِ

قال ابن خلكان: وكتب إليه أفتكين مولى أخيه صاحب دمشق يستمده بجيش يقاتل به الفاطميين، فكتب إليه عضد الدولة: غرك عزك فصار قصار ذلك ذُلّك، فاخشَ فاحش فعلك، فعلّك بهذا تهدى. قال ابن خلكان: ولقد أبدع فيها كل الإبداع[1]، وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لأحد ممن كان قبله، وقد ذكرنا أنه كان ذا همة وصرامة وعزم اجتهد فى عمارة بغداد والطرقات، وأجرى النفقات والصدقات على المجاورين بالحرمين وأهل البيوتات، وحفر الأنهار وبنى المارستان العضدى وأدار السور على مدينة الرسول ﷺ ، وهذا كله في مدة ملكه على العراق، وكانت خمس سنين. وقد كان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة، إلا أنه كان يتجاوز فى سياسته الأمور الشرعية، كان يحب جارية فألهته عن تدبير المملكة، فأمر بتغريقها. وبلغه أن غلاماً له أخذ لرجل بطيخة فضربه بسيف فقطعه نصفين، وهذه مبالغة. وكان سبب موته داء الصرع. وحين أخذته علة موته لم يكن له كلام سوى تلاوة قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة:28،29).

وحكى ابن الجوزى: أنه كان يحب العلم والفضيلة، وكان يقرأ عنده كتاب «إقليدس» وكتاب النحو لأبى على الفارسى، وهو «الإيضاح والتكملة» الذى صنفه له وغير ذلك.[2] وقد ذكر أن له شعراً، فمنه قوله، وقد خرج مرة إلى بستان له فقال: أود لو جاء المطر، فنزل المطر فأنشأ يقول:

ليس شربُ الكأسِ إلا في المطرْ * وغناءٌ من جوارٍ في السَّحَرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهى * ناغماتٍ في تضاعيفِ الوَتَرْ
راقصاتٍ زاهراتٍ نُجَّلٍ * رافلاتٍ في أفانينِ الحِبَرْ
مُطْرِباتٍ مُحْسِناتٍ مُجَّنٍ * رافضاتِ الهمِّ إبّانَ الفِكَرْ
مُبْرِزاتِ الكأسِ من مَخْزَنِها * مُسْقِياتِ الخمرِ مَن فاقَ البَشَرْ
عَضُدُ الدولةِ وابنُ رُكْنِها * مالكُ الأمْلاكِ غَلّابُ القَدَرْ
سهَّلَ اللهُ له بُغْيَتَه * في مُلوكِ الأرضِ ما دارَ القَمَرْ
وأراه الخيرَ في أولاده * ليساسَ الملكُ فيهم بالغُرَرْ

قال: فيقال: إنه منذ قال: غلاب القدر، لم يفلح بعدها، وذكر غيره أن هذه الأبيات آخر ما أنشدت فيه بين يديه ثم كانت وفاته عقب ذلك. وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة عن سبع أو ثمان وأربعين سنة، وحمل إلى مشهد على فدفن فيه، وقد كتب على قبره فى التربة التي بنيت له عند مشهد عليّ: (هذا قبر عضد الدولة، وتاج المملكة أبى شجاع ابن ركن الدولة، أحب مجاورة هذا الإمام المتقى لطمعه فى الخلاص ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (النحل:111) والحمد لله وصلواته على محمد وعترته الطاهرة).

وقد تمثل عند موته بهذه الأبيات، وهى للقاسم بن عبيد الله:

---

(1) «الوفيات» (4/ 54).
(2) «المنتظم» (14/ 293).

قتلت صناديد الرجال فلم أدع * عدوًا ولم أمهل على ظنه خلقا
وأخليت دور الملك من كل نازل * فشردتهم غربا وشردتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رماني الردى سهمًا فأخمد جمرتي * فها أنا ذا في حفرتي عاطلاً ملقى
فأذهبت دنياي وديني سفاهة * فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى

ثم جعل يكرر هذه الآية ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ إلى أن مات كما ذكرنا. وأجلس ابنه صمصام الدولة على الأرض وعليه ثياب السواد، وجاءه الخليفة الطائع معزيًا وناح النساء عليه فى الأسواق أياماً كثيرة، ولما انقضى العزاء ركب صمصامة إلى دار الخلافة، فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوق وسور وألبسه التاج ولقبه شمس الدولة، وولاه ما كان يتولاه أبوه من قبله، وكان يوماً مشهوداً.

محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر الحريري: المعروف بزوج الحرة، سمع ابن جرير والبغوى وابن أبى داود وغيرهم، وعنه ابن رزقويه وابن شاذان والبرقانى، وقال: كان جليلاً أحد العدول الثقات. قال الخطيب وابن الجوزي: سبب تسميته بزوج الحرة: أنه كان يدخل إلى مطبخ ابنة بدر مولى المعتضد التى كانت زوجة المقتدر بالله، فلما توفى المقتدر بقيت هذه المرأة سالمة من الكتاب والمصادرات، كثيرة الأموال. وكان هذا وهو غلام شاب حدث السن يحمل شيئاً من حوائج الطعام على رأسه، فيدخل به إلى مطبخها مع جملة الخدم، وكان شاباً رشيقاً حركاً، فنفق على القهرمانة فقدمته حتى جعلته كاتباً على المطبخ، ثم ترقت به الحال إلى أن صار وكيلاً ينظر في الضياع والعقار. ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدثه من وراء حجاب، فعلقت به وأحبته وسألته أن يتزوج بها، فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته وأعطته مالاً جزيلاً ليظهر من الحشمة والسعادة ما يناسبها ليتأهل لذلك، ثم شرعت تهادى القضاة والأكابر، ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة، واعترض أولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارمات والهدايا، ودخل عليها فمكثت معه دهراً طويلاً، ثم توفيت قبله فورث منها نحواً من ثلاثمائة ألف دينار، وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته فى هذه السنة رحمه الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه.(1)

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

فيها: غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة، ومات كثير من الناس من الضعف في الطرقات جوعاً، ثم تساهل الحال فى ذى الحجة منها، وجاء الخبر بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة، وأن أبا القاسم ابن عباد الوزير بعث إلى أخيه فخر الدولة فولاه الملك مكان أخيه، فاستوزر ابن عباد أيضاً على ما كان عليه، وخلع عليه وأحسن إليه. ولما بلغ القرامطة موت عضد الدولة قصدوا البصرة ليأخذوها مع الكوفة، فلم يتم لهم ذلك، ولكن صولحوا على مال كثير فأخذوه وانصرفوا.(2)

وممن توفى فيها من الأعيان: بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة: كان ملكًا على بعض ما كان أبوه يملكه كما تقدم، وكان الصاحب أبو القاسم ابن عباد وزيره، وقد تزوج مؤيد الدولة هذا بزبيدة بنت عمه معز الدولة، فغرم على عرسه بها سبعمائة ألف دينار، وهذا سرف عظيم.(3)

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 153)، و«المنتظم» (14/ 297).
(2) «المنتظم» (14/ 300-302). (3) «المنتظم» (14/ 302).

بلُكِّين بن زيرى بن مناد الحميرى الصنهاجي: ويسمى أيضاً يوسف، وكان من أكابر أمراء المعز، وقد استخلفه على بلاد إفريقية حين سار إلى القاهرة، وكان حسن السيرة، له أربعمائة حظية، وقد بشر فى ليلة واحدة بسبعة عشر ولداً، وهو جد باديس المغربى.

سعيد بن سلام أبو عثمان المغربى: أصله من بلاد القيروان، ودخل الشام وصحب أبا الخير الأقطع، وجاور بمكة مدة سنين، وكان لا يظهر فى المواسم، وكانت له كرامات، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابى وغيره، وروى له أحوال صالحة رحمه الله تعالى.

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عثمان بن المختار أبو محمد المزني الواسطى: يعرف بابن السقا، سمع عبدان وأبا يعلى الموصلى وابن أبى داود والبغوى، وكان فهماً حافظًا، دخل بغداد فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه، وكان يحضره الدارقطنى وغيره من الحفاظ فلم ينكروا عليه شيئاً، غير أنه حدث مرة عن أبى يعلى بحديث أنكروه عليه ثم وجدوه فى أصله بخط الصِّبا، كما حدث به سواء، فبرئ من عهدته رحمه الله تعالى، والله أعلم بالصواب.(1)

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

فيها: جرى الصلح بين صمام الدولة الملقب بشمس الدولة وبين عمه فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه، فأرسل الخليفة لفخر الدولة خلعًا سنية وتحفًا.(2)

قال ابن الجوزى: وفى رجب منها: عمل عرس فى درب رباح فسقطت الدار على من فيها فهلك أكثر النساء بها، ونبشن من تحت الردم فكانت المصيبة عامة.(3)

وفيها كانت وفاة: الحافظ أبى الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين الأزدى الموصلى: المصنف فى الجرح والتعديل، وقد سمع الحديث من أبى يعلى وطبقته، وضعفه كثير من حفاظ زمانه، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه، حين قدم عليه بغداد، فساق بإسناده إلى النبى ﷺ: «أن جبريل كان ينزل عليه فى مثل صورة ذلك الأمير»، فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة(4). والعجب إن كان هذا صحيحاً كيف راج هذا على أحد ممن له أدنى فهم وعقل؟ وقد أرخ ابن الجوزى وفاته فى هذه السنة، وقد قيل: إنه توفى سنة تسع وستين.

وممن توفى فيها من الأعيان: الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة: بطن من قضاعة، وقيل: من إياد الفارقى، خطيب حلب أيام سيف الدولة بن حمدان، ولهذا أكثر ديوانه الخطب الجهادية، ولم يسبق إلى مثل ديوانه هذا، ولا يلحق فيه إلا أن يشاء الله، لأنه كان فصيحًا بليغًا ذكيًا دينًا ورعًا. روى الشيخ تاج الدين الكندى عنه: أنه خطب يوم جمعة بخطبة المنام ثم رأى في ليلة السبت رسول الله ﷺ فى جماعة من أصحابه بين المقابر، فلما أقبل عليه قال له: مرحبًا بخطيب الخطباء، ثم أومأ إلى القبور فقال لابن نباتة: كيف تقول؟ قال: فقلت: كأنهم لم يكونوا للعيون قرة، ولم يعدوا فى الأحياء

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 130)، و«المنتظم» (14/ 304)، و«السير» (16/ 351).
(2) «المنتظم» (14/ 306)، و«الكامل» (9/ 38-40).
(3) «المنتظم» (14/ 306).
(4) «تاريخ بغداد» (2/ 243)، و«المنتظم» (14/ 308)، و«السير» (16/ 347)، و«ميزان الاعتدال» (3/ 46).

مرة، فتمم الكلام ابن نباتة حتى انتهى إلى قوله يوم تكونون شهداء على الناس. وأشار إلى الصحابة، ويكون الرسول عليكم شهيدًا وأشار إلى رسول الله ﷺ. فقال: أحسنت أحسنت ادنه ادنه، فقبّل رسول الله ﷺ وجهه وتفل فى فيه، وقال: وفقك الله. فاستيقظ وبه من السرور أمر كبير، وعلى وجهه نور وبهاء، ولم يعش بعد ذلك إلا ثمانية عشر يوماً لم يستطعم فيها بطعام، ويوجد من فيه مثل رائحة المسك حتى مات رحمه الله.[1] قال ابن الأزرق الفارقي: ولد ابن نباتة فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وتوفى فى سنة أربع وسبعين وهى هذه السنة رحمه الله وإيانا. حكاه ابن خلكان.[2]

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

فيها: خلع الخليفة على صمصام الدولة، وسوره وطوقه، وأركب على فرس بسرج ذهب، وبين يديه جنيب مثله.[3]

وفيها: ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر، دخلا الكوفة فى جحفل كبير فانزعجت النفوس بسبب ذلك، وذلك لصرامتهم وشهامتهم، ولأن عضد الدولة مع شجاعته قد كان يصانعهم، وأقطعهم أراضى من واسط، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً. فجهز إليهم جيش من بغداد فطردوهم عن تلك النواحى التى قد أكثروا فيها الفساد، وبطل ما كان فى النفوس منهم، ولله الحمد والمنة.

وفيها: عزم صمصام الدولة على أن يضع مكساً على الثياب الإبريسميات، فاجتمع الناس بجامع المنصور وهموا بتبطيل الجمعة وكادت الفتنة تقع بينهم فأعفوا من ذلك.

وفى ذى الحجة: ورد الخبر بموت ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء، وجاء إليه الخليفة الطائع في ثياب السواد والقراء والأولياء بين يديه فقام إليه صمصام الدولة وقبّل الأرض بين يديه، وتخاطبا فى العزاء بألفاظ حسنة، وانصرف الخليفة راجعًا إلى داره، وكان وقتًا مشهودًا.

وفيها توفي: **الشيخ أبو على ابن أبى هريرة:** واسمه الحسن بن الحسين، أحد مشايخ الشافعية، وله اختيارات كثيرة غريبة، وقد ترجمناه فى «الطبقات»[4] بما فيه كفاية، ولله الحمد.

الحسين بن على بن محمد بن يحيى: أبو أحمد النيسابورى المعروف بحسينك، كانت تربيته عند ابن خزيمة وتلميذًا له، وكان يقدمه على أولاده ويقرأ له ما لا يقرأه لغيره، وإذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بعث حسينك مكانه. ولما توفى ابن خزيمة كان عمر حسينك ثلاثاً وعشرين سنة، ثم عمّر بعده دهراً طويلاً، وكان من أكثر الناس عبادة وقراءة، لا يترك قيام الليل في حضر ولا سفر، ولا صيف ولا شتاء، كثير الصدقات والبر والصِّلات، وكان يحكى وضوء ابن خزيمة وصلاته، ولم ير فى الأغنياء أحسن صلاة منه رحمه الله وأكرم مثواه، وصلى عليه الحافظ أبو أحمد النيسابورى.[5]

---

(1) «الوفيات» (3/ 156)، و«السير» (16/ 321).
(2) «الوفيات» (3/ 157).
(3) «المنتظم» (14/ 310)، و«الكامل» (3/ 41-47).
(4) «تاريخ بغداد» (7/ 298)، و«المنتظم» (14/ 311)، و«الكامل» (9/ 47)، و«الوفيات» (2/ 75)، و«السير» (15/ 430).
(5) «تاريخ بغداد» (8/ 74)، و«المنتظم» (14/ 312)، و«السير» (16/ 407).

أبو القاسم الداركي: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، أبو القاسم الداركي، أحد أئمة الشافعية في زمانه، نزل نيسابور ثم سكن بغداد إلى أن مات بها. قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني: ما رأيت أفقه منه. وحكى الخطيب عنه أنه كان يُسأل عن الفتوى فيجيب بعد تفكر طويل، فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي وأبي حنيفة، فيقال له في ذلك فيقول: ويلكم روى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ كذا وكذا، فالأخذ به أولى من القول بمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث.(1) وقال القاضي ابن خلكان: وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه، وكان يُتهم بالاعتزال، وكان قد أخذ الفقه عن الشيخ أبي إسحاق المروزي، والحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي، وهو أحد مشايخ الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من أهل الآفاق، وكانت وفاته في شوال، وقيل: في ذي القعدة من هذه السنة، وقد نيف على السبعين رحمه الله تعالى.(2)

محمد بن أحمد بن محمد بن حسنويه: أبو سهل النيسابوري، ويعرف بالحسنوي، كان فقيهاً شافعياً أديباً محدثاً مشتغلاً بنفسه عما لا يعنيه، رحمه الله تعالى.

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر الفقيه المالكي: سمع من أبي عروبة والباغندي وأبي بكر ابن أبي داود وغيرهم، وعنه البرقاني، وله تصانيف في شرح مذهب مالك، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك، وعرض عليه القضاء فأباه وأشار بأبي بكر الرازي الحنفي، فلم يقبل الآخر أيضاً. وكانت وفاته في شوال منها عن ست وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.(3)

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في المحرم منها: كثرت الحميات في بغداد فهلك خلق كثير.

ولسبع خلون من ربيع الأول: وهو العشرون من تموز وقع مطر كثير ببرق.

وفي رجب: غلت الأسعار جداً ببغداد وورد الخبر فيه بأنه كانت بالموصل زلزلة عظيمة سقط منها عمران كثير، ومات من أهلها أمة عظيمة.(4)

وفيها: وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة فاقتتلا فغلبه شرف الدولة وأسره ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهنأه بالسلامة، ثم استدعى شرف الدولة بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فكحل بعد موته، وهذا من غريب ما وقع.

وفي ذي الحجة: قبل قاضي القضاة أبو محمد ابن معروف شهادة الحافظ أبي الحسن الدارقطني، وأبي محمد ابن عقبة، فذكر أن الدارقطني ندم على ذلك، وقال: كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وحدي فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع غيري، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

في صفر منها: عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة، وجددت البيعة بين الطائع لله

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 463)، و«المنتظم» (14/ 314)، و«السير» (16/ 404).
(2) «الوفيات» (3/ 189).
(3) «تاريخ بغداد» (5/ 462)، و«المنتظم» (14/ 316)، و«السير» (16/ 332).
(4) «المنتظم» (14/ 317-318)، و«الكامل» (9/ 48-51).

وبين شرف الدولة بن عضد الدولة وكان يوماً مشهوداً[1]، ثم في ربيع الأول منها ركب شرف الدولة من داره في طيار إلى دار الخليفة وزينت البلد وضربت الطبول والدبادب، فخلع عليه الخليفة وطوقه وسوره وأعطاه لواءين، وعقد له على ما وراء داره، واستخلفه على ذلك، وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، فلما رآه الخليفة قال:

مرحبًا بالأحِبَّةِ القادمينا * أوْحَشونا وطالما آنَسُونا

فقبّل الأرض بين يدى الخليفة، ولما قضيت البيعة دخل شرف الدولة إلى عند أخته امرأة الخليفة فمكث عندها إلى العصر والناس ينتظرونه، ثم خرج وسار إلى داره للتهنئة، وجاء الخاصة والعامة يهنئونه.

وفي هذه السنة: اشتد الغلاء جداً ثم لحقه فناء كثير.

وفيها: توفيت أم شرف الدولة وكانت تركية أم ولد فجاءه الخليفة فعزاه فيها.

وفيها: ولد لشرف الدولة ابنان توأمان فهنّئ بهما، والله أعلم.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن الحسين بن على أبو حامد المروزى، ويعرف بابن الطبرى، كان حافظاً للحديث مجتهداً فى العبادة، متقناً بصيراً بالأثر متفننًا، فقيهًا حنفيًا، درس على أبى الحسن الكرخى وصنف كتباً فى الفقه والتاريخ، وولى قضاء القضاة بخراسان، ثم دخل بغداد وقد علت سنه، فحدث بها وكتب الناس عنه، بانتخاب الدارقطنى.[2]

إسحاق بن المقتدر بالله: كانت وفاته ليلة الجمعة لسبع عشرة من ذى الحجة عن ستين سنة، وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير، ودفن فى تربة جدته شغب أم المقتدر، وحضر جنازته الأمراء والحجاب والأعيان من جهة الخليفة ومن جهة شرف الدولة، وأرسل شرف الدولة من عزى الخليفة فيه، واعتذر إليه من عدم الحضور لوجع حصل له.[3]

جعفر بن المكتفى بالله: وكان فاضلاً توفى في هذه السنة أيضًا رحمه الله تعالى.

أبو على الفارسى: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان، أبو عليّ النحوى، صاحب المصنفات منها «الإيضاح والتكملة»، ولد ببلده ثم دخل بغداد وخدم الملوك وحظى عند عضد الدولة بحيث كان يقول: أنا غلام أبى عليّ فى النحو. وحصل له الأموال، وقد اتهمه قوم بالاعتزال وفضّله قوم من النحاة من أصحابه على المبرِّد، وممن أخذ عنه أبو الفتح عثمان بن جنى وغيره، وكانت وفاته في هذه السنة عن بضع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.[4]

ستيتة بنت القاضى أبى عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملى، وتكنى أمة الواحد، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والدَّور والنحو وغير ذلك، وكانت من أعلم الناس فى وقتها بمذهب الشافعى، وكانت تفتى به مع الشيخ أبى على ابن أبى هريرة، وكانت فاضلة فى نفسها كثيرة الصدقة،

---

(1) «المنتظم» (14/ 321-323)، و«الكامل» (9/ 52-56).
(2) «تاريخ بغداد» (4/ 107)، و«المنتظم» (14/ 324).
(3) «المنتظم» (14/ 324).
(4) «تاريخ بغداد» (7/ 275-276)، و«السير» (16/ 380).

مسارعة إلى فعل الخيرات، وقد سمعت الحديث وحدثت أيضاً، وكانت وفاتها في رمضان عن بضع وتسعين سنة، رحمها الله تعالى.(1)

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

في المحرم منها: كثر الغلاء والفناء ببغداد.

وفي شعبان: كثرت الرياح العواصف، بحيث هدمت شيئًا كثيراً من الأبنية، وغرقت سفنًا كثيرة، واحتملت بعض الزوارق فألقته بالأرض من ناحية جوخى، وهذا أمر هائل وخطب شامل. وفي هذا الوقت لحق أهل البصرة حر شديد بحيث سقط كثير من الناس في الطرقات، وماتوا من شدة الحر.(2)

وممن توفي فيها من الأعيان: **الحسين بن علي بن ثابت أبو عبد الله المقرئ الحافظ:** ولد أعمى، وكان يحضر مجلس ابن الأنباري فيحفظ ما يمليه كله، وكان ظريفاً حسن الزي، وقد سبق الشاطبي إلى قصيدة عملها في القراءات السبع، وذلك في حياة النقاش المفسر، وكانت تعجبه وتعجب شيوخ زمانه.(3)

الخليل بن أحمد القاضي: شيخ الحنفية في زمانه، وكان مقدماً في الفقه والحديث، سمع ابن خزيمة والبغوي وابن صاعد وغيرهم، وهذا سَميّ النحوي المتقدم.

زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم أبو العباس الخرخاني: بخاءين معجمتين نسبة إلى قرية من قرى قومس، ولهم الجرجاني بجيمين، وهم جماعة، ولهم الخرجاني بخاء ثم جيم، وقد حرر هذا الموضع الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في «منتظمه» رحمه الله تعالى.(4)

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

فيها: كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، وكان قد انتقل إلى قصر معز الدولة عن إشارة الأطباء لصحة الهواء، وذلك لشدة ما كان يجده من الداء، فلما كان في جمادى الأولى تزايد به المرض ومات في هذا الشهر، وقد عهد إلى ابنه أبي نصر، وجاء الخليفة في طيار لتعزية أبي نصر في والده شرف الدولة، فتلقاه أبو نصر والترك والديلم بين يديه، فقبّل الأرض بين يدي الخليفة، وكذلك بقية العسكر والخليفة في الطيار وهم يقبلون الأرض إلى ناحيته. وجاء الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز من عند الخليفة إلى أبي نصر فبلغه تعزية الخليفة له، فقبل الأرض ثانية، وعاد الرسول إلى الخليفة فبلغه شكر أبي نصر، ثم عاد الرسول من جهة الخليفة لتوديع أبي نصر فقبل الأرض ثالثًا، ورجع الخليفة في طياره إلى داره(5). فلما كان يوم السبت عاشر هذا الشهر، ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف والأعيان والقضاة والأمراء، وجلس الخليفة في الرواق، فلما وصل الأمير أبو نصر ابن شرف الدولة بن عضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه خلع عليه الخليفة سبع خلع أعلاهن السواد وعمامة سوداء، وفي عنقه طوق وفي يده سواران، ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والمناطق، فلما حصل بين يدي الخليفة قبّل الأرض فأومأ

---

(1) «تاريخ بغداد» (14/ 442)، و«المنتظم» (14/ 325).
(2) «المنتظم» (14/ 329)، و«الكامل» (9/ 57-60).
(3) «المنتظم» (14/ 330)، و«تاريخ بغداد» (8/ 75).
(4) «المنتظم» (14/ 330).
(5) «المنتظم» (14/ 337-339)، و«الكامل» (9/ 61-69).

إليه بالجلوس، فقبل الأرض ثانية ووضع له كرسي فجلس عليه، وقرأ الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز عهده، وقدم إلى الطائع لواءه فعقده بيده ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة، ثم خرج من بين يديه والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة، وأقر الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة، وخلع عليه.

وفي هذه السنة: بنى جامع القطيعة قطيعة أم جعفر بالجانب الغربي من بغداد، وكان أصل بنائه مسجداً أن امرأة رأت في المنام رسول الله ﷺ في ذلك المكان يصلي، ووضع يده في جدار هناك، فلما أصبحت تذكرت ذلك المنام فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع، فبنى مسجداً ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم. ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوي جدد هذا المسجد، فوسعه وجعله جامعاً، واستأذن الخليفة الطائع لله في عقد جمعة فيه، فأذن له، وصلّى بالناس فيه في هذه السنة.

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان: **شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي:** تملك بغداد بعد أبيه، وكان يحب الخير ويبغض الشر، وأمر بترك المصادرات. وكان مرضه بالاستسقاء، فتزايد به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة الثاني من جمادى الآخرة عن ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكانت مدة ملكه سنتين وثمانية أشهر، وحمل تابوته إلى تربة أبيه بمشهد عليّ، وكلهم فيه تشيع.(1)

محمد بن جعفر بن العباس بن جعفر، أبو بكر النجار: ويلقب: غندرًا أيضًا، روى عن أبي بكر النيسابوري وطبقته، وكان فهماً، يحفظ القرآن حفظًا حسناً، ومن ثقات الناس.(2)

محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الكريم بن بديل: أبو الفضل الخزاعي الجرجاني، قدم بغداد وحدث بها. قال الخطيب: كانت له عناية بالقراءات وصنف أسانيدها، ثم ذكر لي أنه كان يخلط ولم يكن مأموناً على ما يرويه، وأنه وضع كتاباً في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة، فكتب الدارقطني وجماعة أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له، فافتضح وخرج من بغداد إلى الجبل فاشتهر أمره هناك، وحبطت منزلته، وكان يسمي نفسه أولاً كميلاً، ثم غيّره إلى محمد.(3)

محمد بن المظفر: ابن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس، أبو الحسين البزاز الحافظ، ولد في محرم سنة ثلاثمائة، ورحل إلى بلاد شتى، وروى عن ابن جرير والبغوي وخلق، وروى عنه جماعة من الحفاظ -منهم الدارقطني- شيئاً كثيراً، وكان يعظمه ويجله ولا يستند بحضرته، وكان ابن المظفر ثقة ثبتاً، وكان قديماً ينتقي على المشايخ، ثم كانت وفاته يوم الجمعة ودفن يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة.(4)

ثم استهلت سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة

فيها: قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبيين والنظر في المظالم وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك واستخلف له ولداه المرتضى أبو القاسم والرضى أبو الحسن على النقابة، وخلع عليهما من دار الخلافة.(5)

(1) «المنتظم» (14/ 340)، و«السير» (16/ 384).
(2) «تاريخ بغداد» (7/ 151)، و«الأنساب» (5/ 458)، و«المنتظم» (14/ 341).
(3) «تاريخ بغداد» (2/ 157)، و«المنتظم» (14/ 342)، و«ميزان الاعتدال» (3/ 501).
(4) «تاريخ بغداد» (3/ 262)، و«المنتظم» (14/ 342)، وابن عساكر (58/ 308)، و«السير» (16/ 418).
(5) «المنتظم» (14/ 344)، و«الكامل» (9/ 70-78).

وفيها: تفاقم أمر العيارين ببغداد، وصار الناس أحزاباً في كل محلة أمير مقدم، واقتتل الناس وأخذت الأموال واتصلت الكبسات وأحرقت الدور الكبار، ووقع حريق بالنهار في نهر الدجاج، فاحترق بسببه شيء كثير للناس.

وممن توفى فيها من الأعيان: **يعقوب بن يوسف أبو الفرج ابن كِلِّس**، وزير صاحب مصر العزيز بن المعز الفاطمي، وكان شهماً فهماً ذا همة عالية وتدبير جيد وكلمة نافذة عند مخدومه، وقد فوض إليه أموره في سائر مملكته، ولما مرض عاده العزيز ووصاه الوزير فيما يتعلق بمملكته، ولما مات دفنه في قصره وتولى دفنه بيده، وحزن عليه كثيراً، وأغلق الديوان أياماً من شدة حزنه عليه.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

فيها: كان القبض على الخليفة الطائع لله وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله، وكان ذلك في يوم السبت التاسع عشر من شعبان من هذه السنة، وذلك أنه جلس الخليفة على عادته في الرواق وقعد الملك بهاء الدولة على السرير، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بحمائل سيفه عن السرير ولفوه في كساء وحملوه إلى الخزانة بدار المملكة. وتشاغل الناس بالنهب، ولم يدر أكثر الناس ما الخطب ولا ما الخبر، حتى إن كثيراً منهم يظن أن الملك بهاء الدولة هو الذى مسك، فنهبت الخزائن والحواصل وشيء كثير من أثاث دار الخلافة، حتى أخذت ثياب الأعيان والقضاة والشهود، وجرت كائنة عظيمة جداً، ورجع بهاء الدولة إلى داره وكتب على الطائع كتاباً بالخلع وشهد عليه الأشراف والقضاة أنه قد خلع نفسه عن الخلافة وسلمها إلى القادر بالله، ونودى بذلك في الأسواق، وتشاغبت الديلم والأتراك وطالبوا برسم البيعة، وراسلوا بهاء الدولة في ذلك وتطاول الأمر إلى يوم الجمعة، فلم يمكنوا من الدعاء له على المنبر بصريح اسمه، بل قيل: اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يسم. ثم أرضوا وجوههم وأكابرهم وأخذت البيعة على الجماعة واتفقت الكلمة، وأمر بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني والفرش والأثاث وغير ذلك إلى داره، وأبيحت للعامة والخاصة، فقلعوا أبوابها وشبابيكها وشعثوا أبنيتها، ثم مُنعوا بعد ذلك، هذا كله والخليفة القادر بالله قد هرب إلى أرض البطيحة من الطائع حين كان يطلبه. ولما ركب إلى بغداد منعته الديلم من الدخول إليها، حتى يعطيهم رسم البيعة وجرت بينهم خطوب طويلة، ثم رضوا عنه ودخل بغداد، وكان يومًا مشهودًا، وكانت مدة هربه بأرض البطيحة قريبًا من ثلاث سنين. وجلس في اليوم الثاني من مقدمه جلوساً عاماً للتهنئة وسماع المدائح والقصائد فيه، وذلك في العشر الأواخر من رمضان، وفي العشر الأواخر من شوال اجتمع الناس لبيعة بهاء الدين وتفويض الخليفة إليه ما وراء بابه، وكان يومًا مشهودًا.[1] وقد كان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في أهل زمانه وأقرانه رحمه الله، وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد. وصنف عقيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك، فكانت تقرأ في حلَق أصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدى، وتجتمع الناس لسماعها مدة خلافته، وكان ينشد هذه الأبيات يترنم بها وهى لسابق البربري:

سبَقَ القَضاءُ بكلِّ ما هو كائنُ * واللهُ يا هذا لرزقِك ضامنُ
تُعْنَى بما تُكْفَى وتَتْرُكُ ما به * تَعْنَى كأنك للحوادث آمِنُ
أوَ ما ترَى الدنيا ومَصْرَعَ أهلِها * فاعْمَلْ ليوم فراقِها يا خائنُ

(1) «المنتظم» (14/ 348-352)، و«الكامل» (9/ 79-91).

واعْلَمْ بأنك لا أبا لك في الـذي * أصْبَحْتَ تَجْمَعُه لغيرك خازنُ
يا عامرَ الدنيا أتَعْمُرُ مَنْزِلاً * لم يَبْقَ فيه مع المَنِيةِ ساكنُ
الموتُ شيءٌ أنت تَعْلَمُ أنه * حقٌّ وأنت بذِكْره مُتَهاونُ
إن المَنِيَّةَ لا تُؤامِرُ من أتَت * في نفسِه يومًا ولا تَسْتَأذِنُ

وفى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة في هذه السنة: وهو يوم غدير خم جرت فتنة بين الروافض والسنة واقتتلوا فقتل خلق كثير، واستظهر أهل باب البصرة وخرقوا أعلام السلطان، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك، وصلبوا على القنطرة ليرتدع أمثالهم.

وفيها: ظهر أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة، وادعى أنه خليفة، وسمى نفسه: بالراشد بالله، فمالأه أهل مكة وحصل له أموال من رجل أوصى له بها، فانتظم أمره بسببها، وتقلد سيفًا زعم أنه ذو الفقار، وأخذ في يده قضيباً زعم أنه كان لرسول الله ﷺ ، ثم قصد بلاد الرملة ليستعين بعرب الشام، فتلقوه بالرحب وقبلوا له الأرض، وسلموا عليه بأمير المؤمنين، وأظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الحدود. ثم إن الحاكم صاحب مصر -وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه العزيز فى هذه السنة- كتب إلى عرب الشام ملطفات ووعدهم من الذهب بألوف ومئات، وكذلك إلى عرب الحجاز، واستناب على مكة أميراً وبعث إليه بجارية وخمسين ألف دينار، فانتظم أمر الحاكم وتمزق شمل الراشد، وتسحب إلى بلاده كما بدأ منها، وعاد إليها وكان عوده إليها كما رحل عنها، واضمحل حاله وانتقضت حباله، وتفرق عنه رجاله والله يفعل ما يشاء ويختار.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر المقرئ: وكانت وفاته فى شوال منها عن ست وثمانين سنة، واتفق له أنه مات فى يوم وفاته أبو الحسن العامرى الفيلسوف، فرأى بعض الصالحين أحمد بن الحسين هذا فى المنام فقال له: يا أستاذ، أي شيء ما فعل الله بك؟ فقال: أقام أبا الحسن العامرى إلى جانبي، وقال: هذا فداؤك من النار.(1)

عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد: قاضي القضاة ببغداد، روى عن ابن صاعد، وعنه الخلال والأزهري وغيرهما، وكان من العلماء الثقات الألباء العقلاء الفطناء، حسن الشكل، جميل الملبس، عفيفًا عن الأموال، وكان عمره يوم توفى خمسًا وسبعين سنةً، وصلى عليه أبو أحمد الموسوي، فكبر عليه خمسًا، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور، فكبر عليه أربعًا، ثم دفن في داره، رحمه الله تعالى.(2)

جوهر بن عبد الله القائد: باني القاهرة المعزية، أصله رومي، ويعرف بالكاتب، أرسله مولاه المعزُّ بن المنصور بن القائم بن المهدي المدعي أنه فاطمي من إفريقية لأخذ مصر عند اضطراب جيشها بعد موت كافور الإخشيدي، فأقاموا عليهم أحمد بن علي بن الإخشيد، فلم يجتمعوا عليه، فأرسل بعضهم إلى المعزِّ يستنجد به، فأرسل مولاه جوهرًا هذا في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فوصل إلى القاهرة في

---

(1) «المنتظم» (14/ 358)، وابن عساكر (5/ 39)، و«معرفة القراء الكبار» (1/ 279)، و«التذكرة» (3/ 975)، و«السير» (16/ 406).

(2) «تاريخ بغداد» (10/ 365)، و«المنتظم» (7/ 166)، و«التذكرة» (3/ 975)، و«الميزان» (3/ 3)، و«السير» (16/ 426).

شعبان منها في مائة ألف مقاتل، ومعه من الأموال ألف ومائتا صندوق لينفقه في ذلك، فانزعج الناس، وأرسلوا يطلبون منه الأمان فأمنهم، فلم يرضَ الجيش بذلك، وبرزوا لقتاله فكسرهم، وجدَّد الأمان لأهلها، ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة خلت من شعبان، فشقَّ مصر، ونزل في مكان القاهرة اليوم، وأسس من ليلته القصرين، وخطب يوم الجمعة الآتية، فقطع خطبة بني العباس وعوَّض بمولاه، وذكر الأئمة الاثني عشر، وأذن بحيَّ على خير العمل، وكان يظهر الإحسان إلى الناس، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير جعفر ابن الفرات والقاضي، واجتهد في تكميل القاهرة، وفرغ من جامعها سريعًا، وخطب به في سنة إحدى وستين، وهو الذي يقال له: جامع الأزهر. ثم أرسل جعفر بن فلاح إلى الشام فأخذها للمعزِّ، وقدم مولاه المعزِّ في سنة ثنتين وستين كما تقدَّم، فنزل بالقصرين، ولم تزل منزلته عاليةً عنده، ثم كانت وفاته في هذه السنة، وقام في منصبه وعظمته ابنه الحسين الذي كان يقال له: قائد القوَّاد. وهو أكبر أمراء الحاكم بن العزيز ابن المعزِّ، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعمائة، وقتل معه صهره زوج أخته القاضي عبد العزيز ابن النعمان، وأظن هذا القاضي هو مصنف كتاب «البلاغ الأكبر والناموس الأعظم»، الذي فيه من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله، وقد ردَّ على هذا الكتاب القاضي أبو بكر الباقلانيُّ، رحمه الله.[1]

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة

فى عاشر المحرم منها: رسم الوزير أبو الحسن على بن محمد الكوكبي -ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على أمور السلطان- لأهل الكرخ وباب الطاق من الرافضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التى كانوا يتعاطونها فى عاشوراء: من تعليق المسوح وتغليق الأسواق والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك ولله الحمد.[2] وكان هذا الرجل من أهل السنة إلا أنه كان طماعاً، رسم بأن لا يقبل أحد من الشهود ممن استحدث عدالته بعد ابن معروف، وكان كثير منهم قد بذل أموالاً جزيلة فى ذلك، فاحتاجوا إلى أن جمعوا له شيئاً فوقَّع لهم بالاستمرار. **ولما كان فى جمادى الآخرة** سعت الديلم والترك على ابن المعلم هذا وخرجوا بخيامهم إلى باب الشماسية وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم، لسوء معاملته إياهم، فدافع عنه السلطان مدافعة عظيمة فى مرات متعددة، ولم يزالوا يراسلونه فى أمره حتى خنق أبا الحسن ابن المعلم فى حبل ومات ودفن بالمخرم.

وفى رجب من هذه السنة: سلم الخليفة الطائع لله الذى خلع إلى أمير المؤمنين خليفة الوقت أبي العباس القادر بالله فأمر بوضعه فى حجرة من دار الخلافة وأمر أن تجرى عليه الأرزاق والتحف والألطاف، مما يستعمله الخليفة القادر من مأكل وملبس وطيب، ووكل به من يحفظه ويخدمه، وكان يتعنت ويتعتب على القادر فى تقلله فى المأكل والملبس، فرتب من يخدمه ويحضر له ما يشتهيه من سائر الأنواع، ولم يزل كذلك حتى توفى وهو فى السجن.

وفى شوال منها: ولد للخليفة القادر ولد ذكر، وهو أبو الفضل محمد بن القادر بالله، وقد ولاه العهد من بعده وسماه الغالب بالله، فلم يتم له الأمر.

وفى هذا الوقت: غلت الأسعار ببغداد حتى بيع رطل الخبز بأربعين درهماً، والجوزة بدرهم.

---

(1) ابن عساكر (12/ 154)، و«الوفيات» (1/ 375)، و«السير» (16/ 467).

(2) «المنتظم» (14/ 361-363)، و«الكامل» (9/ 92-95).

وفى ذى القعدة: قدم صاحب الأصيفر الأعرابى والتزم بحراسة الحجاج فى ذهابهم وإيابهم، وبشرط أن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة، فأجيب إلى ذلك، وأطلقت له الخلع والأموال والألوية.

وممن توفى فيها من الأعيان: **محمد بن العباس:** ابن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر الخزاز المعروف بابن حيويه، سمع البغوى والباغندى وابن صاعد وخلقاً كثيراً، وانتقى عليه الدارقطنى وسمع منه الأعيان، وكان ثقة ديناً متيقظاً ذا مروءة، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده، وكانت وفاته فى ربيع الآخر منها وقد قارب التسعين، رحمه الله.(1)

الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكرى: أحد الأئمة فى اللغة والأدب والنحو والنوادر، وله فى ذلك تصانيف مفيدة، منها «التصحيف» وغيره، وكان الصاحب ابن عباد يودّ الاجتماع به فسافر إلى عسكر مكرم حتى اجتمع به فأكرمه وراسله بالأشعار. توفى فيها وله تسعون سنة. كذا أرخه القاضي ابن خلكان. وذكره ابن الجوزى فيمن توفى فى سنة سبع وثمانين كما سيأتى إن شاء الله تعالى.(2)

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

فيها: أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته، وأن يجرى مجرى الجوامع فى الخطب وغيرها، وذلك بعد أن استفتى العلماء فى جواز ذلك. فلما أفتوه به فعله وأمر به.(3) قال الخطيب البغدادى: أدركت الجمعة تقام ببغداد فى مسجد المدينة، ومسجد الرصافة، ومسجد دار الخلافة، ومسجد براثا، ومسجد قطيعة أم جعفر، ومسجد الحربية. قال: ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، فتعطلت فى مسجد براثا.(4)

وفى جمادى الأولى: فرغ من الجسر الذى بناه بهاء الدولة فى مشرعة القطانين، واجتاز عليه هو بنفسه، وقد زين المكان واحتفل به.

وفى جمادى الآخرة: شغبت الديالم والأتراك لتأخر العطاء عنهم، وغلاء الأسعار وراسلوا بهاء الدولة فأزيحت أعذارهم وعللهم.

وفى يوم الخميس الثانى من ذى الحجة من هذه السنة: تزوج الخليفة سكينة بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار، وكان وكيل أبيها الشريف أبو أحمد الموسوى، وقد توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة بها.

وفي هذه السنة: ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ وجدد عمارتها وبيّضها، ونقل إليها كتباً كثيرة، ووقفها على الفقهاء وسماها دار العلم. وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء، والله أعلم.

وارتفعت الأسعار في أواخر هذه السنة جدًا، وضاق الحال وجاع العيال.

وممن توفى فيها من الأعيان: **أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران، أبو بكر البزار**، سمع الكثير من البغوى وابن صاعد وابن دريد، وابن أبى داود، وعنه الدارقطنى والبرقانى

---

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 121)، و«المنتظم» (14/ 364)، و«السير» (16/ 409).
(2) «المنتظم» (14/ 387)، و«الوفيات» (2/ 83).
(3) «المنتظم» (14/ 365-366)، و«الكامل» (9/ 96-101).
(4) «تاريخ بغداد» (1/ 111).

والأزهري وغيرهم، وكان ثبتاً صحيح السماع، كثير الحديث، متحرياً ورعاً. توفي في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.(1)

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

فيها: عظم الخطب بأمر العيارين، وعاثوا ببغداد فساداً وأخذوا العملات الثقال ليلاً ونهاراً، وحرقوا أماكن كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، وتطلبهم الشرط فلم يفد ذلك شيئًا ولا فكروا فيهم، بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال، وقتل الرجال، وإرعاب النساء والأطفال فى سائر المحال. فلما تفاقم الحال بهم تطلبهم السلطان بهاء الدولة وألح فى طلبهم، فهربوا من بين يديه واستراح الناس من شرهم.(2)

وفى ذى القعدة: عزل الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوى وولداه اللذان كانا وليي عهده من بعده عن نقابة الطالبيين.

ورجع ركب العراق في هذه السنة من أثناء الطريق بعدما فاتهم وقت الحج، وذلك أن الأصيفر الأعرابى الذى كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم فى أثناء الطريق، وذكر لهم أن الدنانير التى كانت أطلقت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية، وأنه يريد بدلها من الحجيج وإلا لم يتركهم يجاوزوا هذا الموضع، فمانعوه وراجعوه، فحبسهم عن المسير حتى ضاق الوقت ولم يبق منه ما يلحقوا الحج فيه فرجعوا إلى بلادهم. ولم يحج منهم أحد، وكذلك لم يحج من الركب الشامي ولا أهل اليمن أحد، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة.

وفى يوم عرفة: قلد الشريف أبو الحسن الزينبى محمد بن على بن أبى تمام الزينبى نقابة العباسيين، وقرئ عهده بين يدى الخليفة بحضرة القضاة والأعيان.

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبون الحرانى، الكاتب الصابئ، صاحب التصانيف، والرسائل للخليفة ولعز الدولة بن بويه، وكان على دين الصابئة إلى مماته، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن من حفظه، وكان يحفظه حفظاً حسناً، ويستعمل منه فى رسائله، وكانوا يحرصون على أن يسلم فلم يفعل. وله شعر جيد قوى، وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة وقد جاوز السبعين، وقد رثاه الشريف الرضى، وقال: إنما رثيت فضائله.(3)

عبيد الله بن محمد: ابن نافع بن مكرم أبو العباس البشتي الزاهد ورث من آبائه أموالاً كثيرة فأنفقها كلها فى وجوه الخير والقربات، وكان كثير العبادة، يقال: إنه مكث سبعين سنة لا يستند إلى حائط ولا إلى شىء، ولا يتكئ على وسادة. وحج من نيسابور ماشياً حافياً، ودخل الشام وأقام ببيت المقدس شهوراً، ثم دخل مصر وبلاد المغرب، وحج من هناك ثم رجع إلى بلده بشت، وكانت له بها بقية أموال وأملاك فتصدق بها. ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجع، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أرى بين يدى أموراً هائلة، ولا أدرى كيف أنجو منها.(4) وكانت وفاته فى المحرم من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، وليلة موته رأت امرأة أمها بعد وفاتها وعليها ثياب حسان وزينة، فقالت: يا أمه ما هذا؟ فقالت: نحن فى عيد من قدوم عبيد الله الزاهد علينا، رحمه الله تعالى.

---

(1) «تاريخ بغداد» (4/ 18)، و«المنتظم» (14/ 366)، و«السير» (16/ 429).
(2) «المنتظم» (14/ 369)، و«الكامل» (9/ 102-106).
(3) «السير» (16/ 523)، و«الوفيات» (1/ 52).
(4) «الأنساب» (1/ 360)، و«المنتظم» (14/ 370).

على بن عيسى بن علي بن عبد الله: أبو الحسن النحوى المعروف بالرمانى، روى عن ابن دريد، وكانت له يد طولى فى النحو واللغة والمنطق والكلام، وله تفسير كبير وشهد عند ابن معروف فقبله، وروى عنه التنوخى والجوهرى. توفى عن ثمان وثمانين سنة، ودفن فى الشونيزية عند قبر أبى على الفارسى.(1) قال ابن خلكان: والرمانى نسبة إلى بيع الرمان أو إلى قصر الرمان بواسط.(2)

محمد بن العباس بن احمد بن محمد بن الفرات: أبو الحسن الكاتب، المحدث الثقة المأمون. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة، كتب الكثير وجمع ما لم يجمعه أحد فى وقته، بلغنى أنه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ، وخلف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً أكثرها بخطه سوى ما سرق منه، وكان خطه فى غاية الصحة، ومع هذا كان له جارية تعارض معه ما يكتبه رحمه الله تعالى.(3)

محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله: أبو عبيد الله الكاتب المعروف بابن المرزبان، روى عن البغوى وابن دريد وغيرهما، وكان صاحب أخبار وآداب، وصنف كتباً كثيرة فى فنون مستحسنة، وكان مشايخه وغيرهم يحضرون عنده ويبيتون فى داره في فرش وأطعمة وغير ذلك. وكان عضد الدولة إذا مر بداره لا يجتاز حتى يرسل إليه ليخرج فيسلم عليه، وكان أبو على الفارسى يقول: هو من محاسن الدنيا. وقال العتيقي: كان ثقة. وقال الأزهرى: ما كان ثقة. وقال ابن الجوزى: لم يكن من الكذابين، وإنما كان فيه تشيع واعتزال، ويخلط السماع بالإجازة، وبلغ ثمانية وثمانين سنة رحمه الله تعالى.(4)

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فيها: استوزر فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبى، الملقب بالكافى، وذلك بعد وفاة الصاحب إسماعيل بن عباد، وكان من مشاهير الوزراء.(5)

وفيها: قبض بهاء الدولة على القاضى عبد الجبار وصادره بأموال جزيلة، فكان من جملة ما بيع فى المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب مغربي. **وحج بالناس فى هذه السنة وما قبلها وما بعدها المصريون،** والخطبة فى الحرمين لهم.

وممن توفى فيها من الأعيان: الصاحب بن عباد: وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد ابن إدريس الطالقانى، أبو القاسم الوزير الشهير، الملقب بكافى الكفاة، وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وقد كان من العلم والفضيلة والبراعة والكرم والإحسان إلى العلماء على جانب عظيم. كان يبعث فى كل سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار لتفرق على أهل العلم، وله اليد الطولى فى الأدب، وله مصنفات فى فنون العلم، واقتنى كتباً كثيرة، كانت تحمل على أربعمائة بعير، ولم يكن فى وزراء بنى بويه الديالمة مثله ولا قريب منه فى مجموع فضائله، وقد كانت دولة بنى بويه مائة وعشرين سنة وكانت وزارته ثمانية عشر سنة وأشهراً، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مؤيد الدولة، وابنه فخر الدولة، لصرامته وشهامته

(1) «تاريخ بغداد» (12/ 16)، و«المنتظم» (14/ 371)، و«السير» (16/ 533)، و«الميزان» (3/ 149).
(2) «الوفيات» (3/ 299).
(3) «تاريخ بغداد» (3/ 122)، و«المنتظم» (14/ 371)، و«السير» (16/ 495).
(4) «تاريخ بغداد» (3/ 135)، و«المنتظم» (14/ 372)، و«السير» (16/ 447).
(5) «المنتظم» (14/ 374)، و«الكامل» (9/ 107-115).

وحسن تدبيره وجودة رأيه، وكان يحب العلوم الشرعية، ويبغض الفلسفة وما يشبهها من الآراء البدعية، وقد مرض مرة بالإسهال، فكان كلما قام عن المطهرة وضع عندها عشرة دنانير لئلا يتبرم به الفراشون، فكانوا يودون أن لو طالت علته، ولما عوفى أنهب داره الفقراء، وكان قيمة ما تحتوي عليه نحواً من خمسين ألف دينار. وقد سمع الحديث من المشايخ الجياد عوالي الإسناد، وعقد له فى وقت مجلس للإملاء فاحتفل الناس بحضوره، فلما خرج لبس زى الفقهاء وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابة مما يعانيه من أمور السلطان، وذكر للناس أنه إنما يأكل من حين نشأ إلى يومه هذا من أموال أبيه وجده، ولكن يخالط السلطان وهو تائب مما مارسه من شئونه، واتخذ بيتًا فى داره سماه بيت التوبة، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته، وحين حدث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه، فكان من جملة من يكتب ذلك اليوم من الطلبة القاضى عبد الجبار الهمذاني ومن شابهه من رؤوس الفضلاء وسادات المحدثين والفقهاء.(1) وقد بعث إليه قاضى قزوين بهدية كتب كثيرة، وكتب معها:

العُمَيريُّ عبدُ كافي الكُفاةِ * وإن اعْتَلَّ في وُجوهِ القُضاةِ
خدَمَ المجلسَ الرفيعَ بكُتْبٍ * مُفْعَماتٍ مِن حُسْنِها مُتْرَعاتِ

فلما وصلت إليه أخذ منها كتاباً واحداً، ورد باقيها، وكتب تحت البيتين:

قد قبِلْنا من الجميع كتاباً * ورددْنا لوقتِها الباقياتِ
لستُ أَسْتَغْنِمُ الكثيرَ وطبْعي * قولُ خُذْ ليس مَذْهَبي قولَ هاتِ

وجلس الوزير ابن عباد مرة فى مجلس شراب فناوله الساقى كأساً، فلما أراد شربها قال له بعض خدامه: يا سيدي، إن هذا الذى فى يدك مسموم. قال: وما الشاهد على صحة قولك؟ قال: تجربه. قال: فيمن؟ قال: فى الساقى. قال: ويحك لا أستحل ذلك. قال: ففى دجاجة. قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز، ثم أمر بصب ما فى ذلك القدح، وقال للساقى: لا تدخل دارى بعد هذا، ولم يقطع عنه معلومه.(2) وقد عمل عليه الوزير أبو الفتح ابن ذى الكفايتين حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة وباشرها عوضه، واستمر مدة. فبينما هو ليلة في بعض أيامه قد اجتمع عنده أصحابه وندماؤه وهو فى أتم السرور، قد هيئ له مجلس حافل بأنواع اللذات من المآكل والمشارب والملابس والتحف، وقد نظم أبياتاً والمغنون يلحنونها له وهو فى غاية الطرب والسرور والفرح، وهى هذه:

دَعَوْتُ الهَنا ودعَوْتُ العُلا * فلما أجابا دعَوْتُ القَدَحْ
وقلتُ لأيام شرخ الشباب * إليَّ فهذا أوانُ الفَرَحْ
إذا بلغ المرءُ آماله * فليس له بعدَها مُنْتَزَحْ

ثم قال لأصحابه: باكرونى غداً إلى الصبوح، ونهض إلى بيت منامه فما أصبح حتى قبض عليه مؤيد الدولة وأخذ جميع ما فى داره من الحواصل والأموال، وجعله مثلة فى العباد، وأعاد إلى وزارته الصاحب ابن عباد.(3) وقد ذكر ابن الجوزى: أن الصاحب ابن عباد حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة بن

(1) راجع «المنتظم» (14/ 375)، و«الأنساب» (4/ 30)، و«السير» (16/ 511).
(2) «المنتظم» (14/ 376). (3) «المنتظم» (14/ 375).

مؤيد الدولة يعوده ليوصيه فى أموره فقال له: إنى موصيك أن تستمر فى الأمور على ما تركتها عليه، ولا تغيرها، فإنك إن استمررت بها نسبت إليك من أول الأمر إلى آخره، وإن غيرتها وسلكت غيرها نسبت هي والخير المتقدم إليَّ لا إليك، وأنا أحب أن تكون نسبة الخير إليك وإن كنت أنا المشير بها عليك. فأعجبه منه ذلك واستمر على ما أوصاه به من الخير، وكانت وفاته فى عشية يوم الجمعة لست بقين من صفر منها.(1)

قال ابن خلكان: وهو أول من سمى من الوزراء بالصاحب، ثم استعمل بعده فيهم، وإنما سمى بذلك لكثرة صحبته الوزير أبا الفضل ابن العميد فكان يقال له: صاحب ابن العميد، ثم أطلق عليه أيام وزارته. وقال الصابئ فى كتابه «التاجي»: إنما سماه الصاحب مؤيد الدولة بن بويه لأنه كان صاحبه من الصغر، فكان يسميه الصاحب، فلما ملك واستوزره سماه الصاحب فاشتهر به، وتسمى به الوزراء بعده(2)، ثم ذكر ابن خلكان قطعة صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه، وعدد له مصنفات كثيرة، منها كتابه «المحيط فى اللغة» فى سبعة مجلدات، يحتوى على أكثر اللغة وأورد من شعره أشياء منها قوله وهو صنيع لطيف:

رقَّ الزُّجاجُ ورقَّتِ الخمرُ * وتشابها فتشاكلَ الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ * وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

قال ابن خلكان: توفى بالرى فى هذه السنة وله نحو ستين سنة، ونقل إلى أصبهان، رحمه الله.

الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد أبو محمد الأديب: كان شاعراً متمولاً كثير المكارم، روى عن على بن محمد بن سعيد الموصلى، وعنه الصورى، وكان صدوقاً. وهو الذى أنزل المتنبى في داره حين قدم بغداد وأحسن إليه وأجرى عليه النفقات حتى قال له المتنبى: لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك، وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً فمن جيد شعره قوله:

شَرَيْتُ المعالي غيرَ مُنْتَظِرٍ بها * كَساداً ولا سُوقاً يُقامُ لها أخرَى
وما أنا مِن أهلِ المَكاسِبِ كُلَّما * توفَّرتِ الأثمانُ كنتُ لها أشْرَى(3)

ابن شاهين الواعظ: عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ، أبو حفص ابن شاهين الواعظ المشهور، سمع الكثير وحدث عن الباغندى وأبى بكر ابن أبى داود والبغوى، وابن صاعد، وخلق. وكان ثقة أميناً، يسكن الجانب الشرقى من بغداد، وكانت له المصنفات العديدة المفيدة. ذكر عنه أنه صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفاً من ذلك «التفسير» فى ألف جزء، و«المسند» فى ألف وخمسمائة جزء، و«التاريخ» فى مائة وخمسين جزءاً، و«الزهد» فى مائة جزء. توفى وكانت وفاته فى ذى الحجة منها وقد قارب التسعين سنة رحمه الله تعالى.(4)

الحافظ الدارقطنى: على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدارقطني الحافظ الكبير، أستاذ هذه الصناعة في زمانه، وقبلها بمدة وبعدها إلى زماننا هذا، سمع الكثير، وجمع وصنف وألف وأجاد وأفاد، وأحسن النظر والتعليل والانتقاء والانتقاد والاعتقاد، وكان فريد عصره، ونسيج وحده، وإمام أهل دهره فى أسماء الرجال وصناعة التعليل، والجرح والتعديل،

(1) «المنتظم» (14/ 377). (2) «الوفيات» (1/ 229).
(3) «تاريخ بغداد» (7/ 303)، و«المنتظم» (14/ 377)، و«تاريخ ابن عساكر» (15/ 41).
(4) «تاريخ بغداد» (11/ 265)، و«المنتظم» (14/ 378)، و«السير» (16/ 431).

وحسن التصنيف والتأليف، واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية، له كتاب «السنن الكبير» المشهور من أحسن المصنفات في بابه، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله، وله كتاب «العلل» بيّن فيه الصواب من الزلل والمتصل من المرسل والمنقطع والمعضل، وكتاب «الأفراد» الذي لا يفهمه، فضلاً عن أن ينظمه، إلا من هو من الحفاظ الأفراد، والأئمة النقاد، والجهابذة الجياد، وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالعقود في الأجياد.[1] وقد كان الدارقطني من صغره موصوفاً بالحفظ الباهر، جلس مرة في مجلس إسماعيل الصفار وهو يملي على الناس الأحاديث، والدارقطني ينسخ في جزء حديث. فقال له بعض المحدثين في أثناء المجلس: إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ. فقال الدارقطني: فهمي خلاف فهمك، أتحفظ كم أملى حديثاً؟ فقال: لا. فقال: إنه أملى ثمانية عشر حديثاً إلى الآن، فالحديث الأول منها عن فلان عن فلان، ثم ساقها كلها بأسانيدها وألفاظها، فتعجب الناس منه.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: لم ير الدارقطني مثل نفسه. وقال ابن الجوزي: وقد اجتمع له مع معرفة الحديث العلم بالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الأمانة والعدالة، وصحة العقيدة. وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من ذي القعدة من هذه السنة، وله من العمر تسع وسبعون سنة ويومان، ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخي رحمه الله تعالى.[2] قال ابن خلكان: وقد رحل إلى الديار المصرية فأكرمه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن حنزابة وزير كافور الإخشيدي، وساعده هو والحافظ عبد الغني على إكمال مسنده، وحصل للدارقطني منه مال جزيل. قال: والدارقطني نسبة إلى دار القطن وهي محلة كبيرة ببغداد.[3] وقال عبد الغني بن سعيد المصري: لم يتكلم على الأحاديث مثل عليّ ابن المديني في زمانه، وموسى بن هارون في زمانه، والدارقطني في زمانه. وسئل الدارقطني: هل رأى مثل نفسه؟ قال: أما في فن واحد فربما رأيت من هو أفضل مني، وأما فيما اجتمع فيّ من الفنون فلا.[4] وقد روى الخطيب البغدادي عن الأمير أبي نصر عليّ بن هبة الله بن عليّ بن جعفر بن ماكولا قال: رأيت في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني وما آل إليه أمره في الآخرة، فقيل لي: ذاك يدعى في الجنة الإمام[5]، رحمه الله ورضي عنه.

عباد بن عباس بن عباد أبو الحسن الطالقاني، والد الوزير إسماعيل بن عباد، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب وغيره من البغداديين والأصفهانيين والرازيين وغيرهم، وحدث عنه ابنه الوزير أبو القاسم، وأبو بكر ابن مردويه، ولعباد هذا كتاب في أحكام القرآن، وقد اتفق موته وموت ابنه في هذه السنة، رحمهما الله.[6]

عقيل بن محمد بن عبد الواحد: أبو الحسن الأحنف العكبري الشاعر المشهور، له ديوان مفرد، ومن مستجاد شعره ما ذكره الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في «المنتظم»[7] قوله:

---

(1) «تاريخ بغداد» (12/ 34)، و«المنتظم» (14/ 378)، و«الوفيات» (3/ 297)، و«السير» (16/ 449)، و«التذكرة» (3/ 991).
(2) «تاريخ بغداد» (12/ 35-36)، و«المنتظم» (14/ 379).
(3) «الوفيات» (3/ 297-298).
(4) «تاريخ بغداد» (12/ 35)، و«المنتظم» (14/ 379-380).
(5) «تاريخ بغداد» (12/ 40).
(6) «المنتظم» (14/ 380).
(7) «المنتظم» (14/ 380)، و«تاريخ بغداد» (12/ 301).

أَقْضَى عليَّ مِنَ الأجَلْ * عَذْلُ العَذولِ إذا عَذَلْ
وأشَدُّ مِن عَذْلِ العَذو * لِ صُدودُ إلْفٍ قد وصَلْ
وأشَدُّ مِن هذا وذا * طَلَبْ النَّوالِ مِن السَّفَلْ

ومن شعره الجيد أيضًا قوله:

مَن أراد الملكَ والرا * حةَ مِن هَمٍّ طويلِ
فليَكُنْ فَرْدًا من النا * سِ ويَرْضَى بالقليلِ
ويرَى أنَّ قليلاً * نافعًا غيرُ قليلِ
ويَرَى بالحَزْمِ أن الْـ * ـحزم في تركِ الفُضولِ
ويُداوِي مَرَضَ الوَحْـ * ـدة بالصبرِ الجميلِ
لا يُماري أحدًا ما * عاش في قالٍ وقيلِ
يَلْزَمُ الصَّمْتَ فإن الصَّـ * ـمتَ تَهْذيبُ العقولِ
يَذَرُ الكِبْرَ لأهليـ * ـه ويَرْضَى بالخُمولِ
أيُّ عيشٍ لامرئٍ يُصْـ * ـبحُ في حالٍ ذَليلِ
بينَ قصدٍ مِن عدوٍّ * ومُداراةِ جَهولِ
واعْتِلالٍ مِن صديقٍ * وتجَنٍّ مِن مَلولِ
واحْتِراسٍ مِن ظُنونِ السَّـ * ـوءِ مَعْ عَذْلِ العَذولِ
ومُماشاةِ بَغيضٍ * ومُقاساةِ ثَقيلِ
أُفٍّ مِن معرفةِ النا * سِ على كلٍّ سبيلِ
وتَمامُ الأمْرِ لا يَعْـ * ـرِفُ سَمْحًا مِن بَخيلِ
فإذا أكْمَلَ هذا * كان في ملكٍ جليلِ

محمد بن عبد الله بن سكرة: أبو الحسن الهاشمى، من ولد عليّ بن المهدى بالله، كان شاعراً أديبًا خليعاً ظريفاً، وكان ينوب فى نقابة الهاشميين، فترافع إليه رجل اسمه عليّ وامرأة اسمها عائشة يتحاكمان فى جمل، فقال: هذه قضية لا أحكم فيها بشىء لئلا يعود الحال خدعة.(1) ومن مستجاد شعره ولطيفه قوله:

في وجهِ إنسانةٍ كلِفْتُ بها * أربعةٌ ما اجْتَمَعْنَ في أحدِ
الوجهُ بدرٌ والصُّدْغُ غاليةٌ * والرِّيقُ خَمْرٌ والثَّغْرُ مِن بَرَدِ

ومن مجون شعره قوله وقد دخل حماماً فسرق نعله فعاد إلى منزله حافيًا، فقال:

إليك أذُمُّ حَمَّامَ ابنِ موسى * وإن فاق المُنى طِيبًا وحَرًّا
تكاثَرَتِ اللُّصوصُ عليهِ حتى * ليَحْفَى مَن يُطيفُ به ويَعْرَى
ولم أَفْقِدْ به ثوبًا ولكن * دخَلْتُ محمداً وخرَجْتُ بِشْرَا

---

(1) «تاريخ بغداد» (5/ 465)، و«المنتظم» (14/ 382)، و«الوفيات» (4/ 410)، و«السير» (16/ 522).

يوسف بن عمر بن مسرور: أبو الفتح القواس، سمع البغوى وابن أبى داود وابن صاعد وغيرهم، وعنه الخلال والعشارى والتنوخى وغيرهم، وكان ثقة نبيلاً، يعد من الأبدال.(1) قال الدارقطنى: كنا نتبرك به وهو صغير. وكانت وفاته لثلاث بقين من ربيع الآخر عن خمس وثمانين سنة، ودفن بباب حرب، رحمه الله تعالى.(2)

يوسف بن أبى سعيد السيرافى: أبو محمد النحوى ابن النحوي، وهو الذى تمم شرح أبيه لكتاب سيبويه، وكان يرجع إلى علم ودين، وكانت وفاته فى ربيع الأول منها عن خمس وخمسين سنة، رحمه الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه.(3)

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة

فى المحرم من هذه السنة: كشف أهل البصرة عن قبر عتيق فإذا هم بميت طرى عليه ثيابه وسيفه، فظنوه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً، ووقفت عليه أوقاف كثيرة، وجعل عنده خدام وقوام وفرش وتنوير.(4)

وفيها: ملك الحاكم العبيدى بلاد مصر بعد أن هلك أبوه العزيز بن المعز الفاطمى، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وقام بتدبير المملكة معه أرجوان الخادم، وأمين الدولة الحسن بن عمار شيخ كتامة، فلما تمكن الحاكم قتلهما وأقام غيرهما، ثم قتل خلقاً حتى استقام له الأمر على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وحج بالناس في هذه السنة: الأمير الذى من جهة المصريين والخطبة لهم.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن إبراهيم: ابن محمد بن يحيى بن سختويه أبو حامد ابن أبي إسحاق المزكى النيسابورى، سمع الأصم وطبقته، وكان كثير العبادة من صغره إلى كبره، وصام من دهره سردًا تسعًا وعشرين سنة. قال الحاكم: وعندى أن الملائكة لم تكتب عليه خطيئة، توفى فى شعبان من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة.(5)

أبو طالب المكى صاحب قوت القلوب، محمد بن على بن عطية، أبو طالب المكى الواعظ المذكر، الزاهد المتعبد، الرجل الصالح، سمع الحديث وروى عنه غير واحد.(6) قال العتيقى: كان رجلاً صالحاً مجتهداً فى العبادة، وصنف كتاباً سماه قوت القلوب، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها، وكان يعظ الناس فى الجامع ببغداد، وحكى ابن الجوزى أن أصله من الجبل، وأنه نشأ بمكة، وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبى الحسن ابن سالم، فانتمى إلى مقالته، ودخل بغداد فاجتمع عليه الناس وعقد له مجلس الوعظ، فغلط فى كلامه وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. فبدعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام على الناس. وقد كان أبو طالب ممن يبيح السماع، فدخل عليه عبد الصمد بن على فعاتبه في ذلك، فأنشد أبو طالب:

---

(1) «تاريخ بغداد» (14/ 325)، و«المنتظم» (14/ 382)، و«السير» (16/ 474).
(2) «تاريخ بغداد» (14/ 326)، و«المنتظم» (14/ 382).
(3) «المنتظم» (14/ 382)، و«الوفيات» (7/ 72).
(4) «المنتظم» (14/ 383)، و«الكامل» (9/ 116-128).
(5) «تاريخ بغداد» (4/ 20)، و«المنتظم» (14/ 384)، و«السير» (16/ 496).
(6) «تاريخ بغداد» (3/ 89)، و«المنتظم» (14/ 385)، و«السير» (16/ 536).

فيا ليلُ كم فيك مِن مُتْعَةٍ * ويا صُبْحُ ليتك لم تَقْرَبِ

فخرج عبد الصمد مغضبًا.(1) وقال أبو القاسم ابن بشران: دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت فقلت: أوصني. فقال: إذا ختم لي بخير فانثر على جنازتي لوزاً وسكراً. فقلت: كيف أعلم ذلك؟ فقال: اجلس عندي ويدك في يدي، فإن قبضت على يدك فاعلم أنه قد ختم لي بخير. قال: فجلست عنده، ويدي في يده، فلما حان فراقه قبض على يدي قبضاً شديداً، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نعشه. قال ابن الجوزي: توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة، وقبره ظاهر بالقرب من جامع الرصافة، والله أعلم.(2)

العزيز صاحب مصر: نزار بن المعز معد أبي تميم، ويكنى نزار هذا بأبي منصور، ويلقب بالعزيز، توفي عن ثنتين وأربعين سنة، منها ولايته بعد أبيه إحدى وعشرون سنة، وخمسة أشهر وعشر أيام، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم. والحاكم هو الذي تنسب إليه الفرقة الضالة المضلة الزنادقة الحاكمية، وإليه ينسب أهل وادي التيم من الدرزية أتباع هستكين غلام الحاكم الذي بعثه إليهم يدعوهم إلى الكفر المحض فأجابوه، لعنه الله وإياهم. وأما العزيز هذا فإنه كان قد استوزر رجلاً نصرانياً يقال له: عيسى بن نسطورس، وآخر يهودياً اسمه: ميشا، فعزّ بسببهما أهل هاتين الملتين في ذلك الزمان على المسلمين، حتى كتبت إليه امرأة قصة في حاجة لها تقول فيها: بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، واليهود بميشا، وأذل المسلمين بك إلا ما كشفت ظلامتي. فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين وأخذ من النصراني ثلاثمائة ألف دينار.(3)

وفيها: توفيت بنت عضد الدولة التي كانت زوجة الطائع لله، فحملت تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة، وكان فيها جوهر كثير وتحف ولطائف وغير ذلك، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

فيها توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه، ورتب ولده رستم في الملك بعده، وكان عمره أربع سنين، وقام خواص أبيه بتدبير الممالك والرعايا.(4)

وممن توفي فيها من الأعيان: أبو أحمد العسكري اللغوي: وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكري اللغوي، العلامة في فنه، وتصانيفه المفيدة في اللغة وغيرها. يقال: إنه كان يميل إلى المعتزلة(5)، ولما قدم الصاحب بن عباد هو وفخر الدولة البلدة التي كان فيها أبو أحمد العسكري وقد كبر وأسن بعث إليه الصاحب بن عباد برقعة فيها هذه الأبيات:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا فما نقوى على الوخدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركم * فكم منزل بكر لنا وعوان

نناشدكم هل من قرى لنزيلكم * بطول جوار لا بملء جفان

(1، 2) «المنتظم» (14/ 385).
(3) «المنتظم» (14/ 386)، و«الكامل» (9/ 116)، و«الوفيات» (15/ 371)، و«السير» (15/ 167).
(4) «المنتظم» (14/ 387)، و«الكامل» (9/ 129-137).
(5) «المنتظم» (14/ 387)، و«الوفيات» (2/ 83)، و«السير» (16/ 413).

فكتب العسكري الجواب في ظهرها:

أرومُ نهوضًا ثم يَثْني عزيمتي * تعوُّدُ أعضائي من الرَّجَفانِ

فَضَمَّنْتُ بيتَ ابنِ الشَّريد كأنما * تَعمَّدَ تَشْبِيهي به وعَناني

أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُه * وقد حِيل بينَ العَيْرِ والنَّزوانِ

ثم تحامل وركب بغلته وصار إلى الصاحب فوجده مشغولاً في خيمته بأبهة الوزارة، فصعد أكمة ثم نادى بأعلى صوته متمثلاً بقول أبي تمام:

ما لي أَرَى القُبَّةَ الفَيْحاءَ مُقْفَلَةً * دوني وقد طال ما اسْتُفْتِحَتْ مُقْفَلَها

كأنها جنةُ الفِرْدوسِ مُعْرِضَةً * وليس لي عملٌ زاكٍ فأدْخُلَها

فلما سمع الصاحب صوته ناداه: ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى. فلما صار إليه وقدم عليه أكرمه وعظمه وأحسن إليه، توفي العسكري يوم التروية من هذه السنة. وقال ابن خلكان: ولد ثلاث وتسعين ومائتين، وتوفي سنة اثنتين وثمانين.

عبد الله بن محمد بن عبد الله: ابن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران، أبو القاسم الشاهد المعروف بابن الثلاج، لأن جده أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً، فوقع منه موقعاً، فعرف عند الخليفة بالثلاج، وقد سمع أبو القاسم هذا من البغوى وابن صاعد وابن أبى داود، وحدث عنه التنوخى والأزهرى والعتيقي وغيرهم من الحفاظ. قال ابن الجوزى: وقد اتهمه المحدثون منهم الدارقطنى ونسبوه إلى أنه كان يركب الإسناد ويضع الحديث على الرجال. فالله أعلم، وكانت وفاته فى ربيع الأول فجأة.(1)

ابن زولاق: الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن على بن خلف بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق، أبو محمد المصرى الحافظ، صنف كتاباً فى قضاة مصر ذيل به على كتاب أبى عمر محمد بن يوسف ابن يعقوب الكندى في ذلك، انتهى الكندي إلى سنة ست وأربعين ومائتين، وذيل ابن زولاق من القاضى بكار إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، مبلغًا به أيام محمد بن النعمان قاضى العبيديين، وأظنه مصنف كتاب «البلاغ» الذى انتصب للرد عليه القاضى الباقلانى، أو هو مصنفه عبد العزيز بن النعمان والله أعلم.(2) كانت وفاة ابن زولاق فى أواخر ذى القعدة من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ابن بطة: عبيد الله بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبرى، المعروف بابن بطة، أحد علماء الحنابلة، وله الكتب والتصانيف الكثيرة الحافلة فى فنون من العلم، سمع الحديث من البغوى وأبى بكر النيسابورى وابن صاعد وخلق فى أقاليم متعددة، وعنه جماعة من الحفاظ، منهم أبو الفتح ابن أبى الفوارس، والأزجى والبرمكي، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة. وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد رأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله قد اختلفت علينا المذاهب. فقال: عليك بأبى عبد الله ابن بطة. فلما أصبح ذهب إليه ليبشره بالمنام فحين رآه ابن بطة تبسم إليه وقال له قبل أن يخاطبه: صدق رسول الله ﷺ ، ثلاث مرات.(3) وقد تصدى الخطيب البغدادى للكلام فى ابن بطة والطعن فيه بسبب ادعائه سماع «السنن»

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 135)، و«المنتظم» (14/ 389)، و«السير» (16/ 461)، و«الميزان» (2/ 497).
(2) «الوفيات» (2/ 91)، و«السير» (16/ 462).
(3) «تاريخ بغداد» (10/ 371)، و«المنتظم» (14/ 390)، و«السير» (16/ 529).

لرجاء بن مرجًّى، و«معجم البغوي»، وأسند بعض الجرح فيه إلى شيخه عبد الواحد بن على الأسدى المعروف بابن برهان اللغوى، فانتدب ابن الجوزى للرد على الخطيب والطعن عليه أيضاً بسبب بعض مشايخه والانتصار لابن بطة[1]، فحكى عن أبى الوفا ابن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذهب مرجئة المعتزلة، فى أن الكفار لا يخلدون فى النار دائمًا، وقالوا: لأن دوام ذلك ممن لا يتشفى لا معنى له هنا مع أنه قد وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين. ثم شرع ابن عقيل يرد على ابن برهان. قال ابن الجوزى: فكيف يقبل الجرح والتعديل من مثل هذا؟! ثم روى ابن الجوزى بسنده عن ابن بطة أنه سمع «المعجم» من البغوى، قال: والمثبت مقدم على النافى. قال الخطيب[2]: وحدثنى عبد الواحد بن برهان قال: قال محمد بن أبى الفوارس: روى ابن بطة، عن البغوى، عن أبى مصعب، عن مالك، عن الزهرى، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[3]. قال الخطيب: وهذا باطل من حديث مالك، والحمل فيه على ابن بطة. قال ابن الجوزى: وجواب هذا من وجهين: أحدهما أنه وجد بخط ابن برهان: أن ما حكاه عنه الخطيب من القدح فى ابن بطة باطل، وهو شيخى أخذت عنه العلم فى البداية. الثانى: أن ابن برهان قد تقدم القدح فيه بما خالف فيه الإجماع، فكيف قبلت منه القول فى رجل قد حكيت عن مشايخ العلماء أنه رجل صالح مجاب الدعوة، نعوذ بالله من الهوى.

على بن عبد العزيز بن مردك أبو الحسن البرذعي، روى عن ابن أبى حاتم وغيره، وكان كثير المال فترك الدنيا وأقبل على الاعتكاف فى المسجد، وكثرة الصلاة والعبادة.[4]

فخر الدولة: على بن ركن الدولة بن بويه الديلمى، ملك بلاد الرى ونواحيها، وحين مات أخوه مؤيد الدولة كتب الصاحب ابن عباد بالإسراع إليه فولاه الملك بعد أخيه، واستوزر ابن عباد على ما كان عليه في أيام أخيه مؤيد الدولة، توفى عن ست وأربعين سنة، منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً، وترك من الأموال شيئاً كثيراً، من ذلك من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن الجواهر نحواً من خمسة عشر ألف قطعة، يقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار. وغير ذلك من أوانى الذهب زنته ألف ألف دينار، ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل، وخزانة السلاح ألفا حمل، ومن الفرش ألف وخمسمائة حمل، ومن الأمتعة ما يليق بالملوك، ومع هذا ليلة توفى لم يكن لهم وصول إلى شيء من المال، ولم يحصل له كفن إلا ثوب رجل من المجاورين فى المسجد، واشتغلوا عنه بالملك حتى تم لولده رستم من بعده، فأنتن الملك ولم يتمكن أحد من الوصول إليه فربطوه فى حبال وجروه على درج القلعة، فتقطع، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[5]

ابن سمعون الواعظ: محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين ابن سمعون الواعظ، أحد الصلحاء والعلماء، وكان يقال له: الناطق بالحكمة، روى عن أبى بكر ابن أبي داود وطبقته، وكان له يد طولى فى الوعظ والتدقيق فى المعاملات، وكانت له كرامات ومكاشفات، كان يوماً وهو يعظ الناس على المنبر وتحته

(1) «المنتظم» (14/ 391-393).
(2) «تاريخ بغداد» (10/ 375).
(3) **الحديث صحيح**: راجع «صحيح الجامع» (3914).
(4) «تاريخ بغداد» (12/ 30)، و«المنتظم» (14/ 393).
(5) «المنتظم» (14/ 394)، و«الكامل» (9/ 131).

أبو الفتح ابن القواس، وكان من الصالحين المشهورين، فنعس ابن القواس فأمسك ابن سمعون عن الوعظ حتى استيقظ، فحين استيقظ، قال ابن سمعون: رأيت رسول الله ﷺ في منامك؟ قال: نعم. قال: فلهذا أمسكتُ عن الوعظ حتى لا أزعجك عما كنت فيه. وكان لرجل ابنة مريضة مدنفة فرأى أبوها رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: اذهب إلى ابن سمعون ليأتي منزلك فيدعو لابنتك وهي تبرأ بإذن الله تعالى. فلما أصبح ذهب إلى ابن سمعون ليأتي فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج معه، فظن الرجل أنه يذهب إلى مجلس وعظه، فقال: أقول له في أثناء الطريق. فلما مر بدار الرجل دخل إليها الشيخ فأحضر إليه ابنته فدعا لها وانصرف. فبرأت من ساعتها، وبعث إليه الخليفة الطائع لله من أحضره وهو مغضب، فخيف على ابن سمعون منه، فلما جلس بين يدي الخليفة أخذ في الوعظ، فكان أكثر ما أورده من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فبكى الخليفة حتى سمع شهيقه، ثم خرج من بين يديه وهو مكرم، فقيل للخليفة: رأيناك طلبته وأنت غضبان. فقال: بلغني أنه ينتقص علياً فأردت أن أعاقبه، فلما حضر أكثر من ذكر عليّ فعلمت أنه موفَّق، قد كوشف بما كان في خاطري عليه. ورأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ وإلى جانبه عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يقول: أليس من أمتي الأحبار، أليس من أمتي الرهبان، أليس من أمتي أصحاب الصوامع. فبينما هما كذلك إذ دخل ابن سمعون فقال له رسول الله ﷺ : أفي أمتك مثل هذا؟ فسكت عيسى عليه السلام. كان مولد ابن سمعون في سنة ثلاثمائة، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة في هذه السنة، ودفن بداره. قال ابن الجوزي: ثم أخرج بعد سنين إلى مقبرة أحمد وأكفانه لم تبلُ رحمه الله تعالى.(1)

آخر ملوك السامانية نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، أبو القاسم الساماني، ملك خراسان وغزنة وما وراء النهر، ولي الملك وله ثلاث عشرة سنة، واستمر في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا أخاه عبد الملك مكانه، فقصدهم محمود بن سبكتكين فانتزع الملك من أيديهم، وقد كان لهم في الملك مائة سنة وسنتين وشهوراً، فباد ملكهم في هذا العام، ولله النقض والإبرام.(2)

أبو الطيب سهل بن محمد: ابن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي، إمام أهل نيسابور، وشيخ أهل تلك الناحية، كان يحضر في مجلسه نحو من خمسمائة محبرة، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور. وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد»: إنه مات في سنة ثنتين وأربعمائة(3)، فالله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ذي الحجة من هذه السنة سقط في بغداد برد شديد، بحيث جمد الماء في الحمامات، وبول الدواب في الطرقات.(4)

وفيها: جاءت رسل أبي طالب رستم بن فخر الدولة، فبايعه الخليفة وأقره على معاملته ببلاد الري ولقبه مجد الدولة وكهف الأمة، وبعث إليه بالخلع والولاية، وكذلك لبدر بن حسنويه ولقبه ناصر الدين والدولة، وكان كثير الصدقات.

---

(1) راجع «تاريخ بغداد» (1/ 274)، و«المنتظم» (15/ 3)، و«الوفيات» (4/ 304)، و«السير» (16/ 505).
(2) «المنتظم» (15/ 7)، و«الكامل» (9/ 129)، و«السير» (16/ 514).
(3) «الوفيات» (2/ 435)، و«السير» (17/ 207).
(4) «المنتظم» (15/ 8-9)، و«الكامل» (9/ 138-144).

وفيها: هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب، المنتسب إلى جده الطائع، من السجن بدار الخلافة إلى البطيحة، فآواه صاحبها مهذب الدولة، ثم أرسل القادر بالله فجيء به مضيقاً عليه فاعتقله، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان فادّعى أنه الطائع لله، فصدقوه وبايعوه وأدوا إليه العشر، وغير ذلك من الحقوق، ثم اتفق مجيء بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر فإذا به ليس له صحة ولا حقيقة، فرجعوا عنه واضمحل أمره وفسد حاله فانهزم عنهم. **وحج بالناس في** هذه السنة أمير المصريين، والخطبة بالحرمين للحاكم العبيدى قبحه الله.

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو سليمان حمد، ويقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابى البستى، أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المحدثين المكثرين، له من المصنفات «معالم السنن» و«شرح البخارى» وغير ذلك من التصانيف النافعة المفيدة. وله شعر حسن فمنه قوله:

مـا دُمْتَ حـيًّا فـدارِ النـاسَ كلَّهمُ * **فـإنمـا أنـت فـي دارِ المُـداراةِ**
مَن يدرِ دارَى ومَن لم يَدْرِ سوف يُرَى * **عـمـا قليـلٍ نديمًا للنَّدامـاتِ**

وكانت وفاته بمدينة بست فى ربيع الأول من هذه السنة، قاله ابن خلكان. (1)

الحسين بن أحمد بن عبد الله: ابن عبد الرحمن بن بكير أبو عبد الله الصيرفى الحافظ المطبق، سمع إسماعيل الصفار وابن السماك والنجاد والخلدى وأبا بكر الشافعي. وعنه ابن شاهين والأزهرى والتنوخى، وحكى الأزهرى: أنه دخل عليه وبين يديه أجزاء كبار فجعل إذا ساق إسنادا أورد متنه من حفظه، وإذا سرد متناً ساق إسناده. قال: وفعلت هذا معه مراراً، كل ذلك يورد الحديث إسناداً ومتناً كما فى كتابه. قال: وكان ثقة فحسدوه وتكلموا فيه. وحكى الخطيب: أن ابن أبى الفوارس اتهمه بأنه يزيد فى سماع الشيوخ، ويلحق رجالاً فى الأسانيد ويصل المقاطيع. وكانت وفاته فى ربيع الآخر منها عن إحدى وستين سنة.(2)

صمصام الدولة بن عضد الدولة: صاحب بلاد فارس، خرج عليه ابن عمه أبو نصر ابن بختيار فهرب منه ونجا إلى جماعة من الأكراد، فلما وغلوا به في بلادهم نهبوا خزائنه وحواصله، ولحقه أصحاب ابن بختيار فقتلوه وحملوا رأسه في طست، فلما وضع بين يدى ابن بختيار، قال: هذه سنة سنها أبوك. وكان ذلك فى ذى الحجة من هذه السنة، وكان عمره يوم قتل خمساً وثلاثين سنة، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر.(3)

عبد العزيز بن يوسف الجكار أبو القاسم، كاتب الإنشاء لعضد الدولة، ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر، وكان يقول الشعر، توفى فى شعبان من هذه السنة.(4)

محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج المعروف بغلام الشنبوذى، كان عالماً بالقراءات وتفسيرها، يقال: إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر، شواهد للقرآن، ومع هذا تكلموا فى روايته عن أبى الحسن ابن شنبوذ، وأساء الدارقطنى القول فيه. توفى فى صفر من هذه السنة، وكان مولده سنة ثلاثمائة.(5)

---

(1) «الوفيات» (2/ 215)، وانظر «التذكرة» (3/ 1018)، و«السير» (17/ 23).
(2) «تاريخ بغداد» (8/ 13)، و«المنتظم» (15/ 9)، و«السير» (17/ 8).
(3) «المنتظم» (15/ 10)، و«الكامل» (9/ 142).
(4) «المنتظم» (15/ 10)، و«الكامل» (9/ 144).
(5) «تاريخ بغداد» (1/ 271)، و«المنتظم» (15/ 11).

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

في هذه السنة: قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدى السامانية، وواقعهم مرات متعددة فى هذه السنة وما قبلها، حتى أزال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلية، وانقرضت دولتهم، ثم صمد لقتالهم إيلك ملك الترك بما وراء النهر، وذلك بعد موت الخان الكبير الذى يقال له: فائق، وجرت له معهم حروب وخطوب.(1)

وفيها: استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخوزستان.

وفيها: أرادت الشيعة أن تعمل ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين للسنة فادعوا أن فى مثل هذا اليوم حصر النبى ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه فى الغار فامتنعوا من ذلك، وهذا أيضاً جهل من هؤلاء، فإن هذا إنما كان فى أوائل شهر ربيع الأول من أول سنى الهجرة، فإنهما أقاما فيه ثلاثاً، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها، وكانَ دخولهما المدينة فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول، وهذا أمر معلوم مقرر. ولما كانت الشيعة يصنعون فى يوم عاشوراء مأتماً يظهرون فيه الحزن على الحسين بن عليّ، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة، فادعوا أن فى اليوم الثامن عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتماً كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره كما يزار قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة وبالله التوفيق.

وفيها: وقع برد شديد مع غيم مطبق، وريح قوية جدًا، بحيث أتلفت شيئاً كثيراً من النخيل ببغداد، فلم يتراجع حملها إلى عادتها إلا بعد سنين.

وحج بركب العراق: الشريفان الرضى والمرتضى فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجراح، فافتديا منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما فأطلقهما.

وممن توفى فيها من الأعيان: زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسى المقرئ: الفقيه المحدث، شيخ عصره بخراسان، قرأ على ابن مجاهد، وتفقه بأبى إسحاق المروزى إمام الشافعية، وأخذ علم اللغة والأدب والنحو عن أبى بكر ابن الأنبارى. وكانت وفاته فى ربيع الآخر عن ست وتسعين سنة.(2)

عبيد الله بن محمد بن إسحاق: ابن سليمان بن مخلد بن إبراهيم بن مروان أبو القاسم المعروف بابن حبابة، روى عن أبي القاسم البغوى وأبى بكر ابن أبى داود وطبقتهما، وكان ثقة مأموناً مسنداً، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين، وكانت وفاته فى جمادى الأولى من هذه السنة عن تسعين سنة، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفرايينى شيخ الشافعية، ودفن فى مقابر جامع المنصور، رحمه الله تعالى.(3)

---

(1) «المنتظم» (15/ 14-15)، و«الكامل» (9/ 140-155).
(2) «المنتظم» (15/ 15)، و«السير» (16/ 476).
(3) «تاريخ بغداد» (10/ 377)، و«المنتظم» (15/ 15)، و«السير» (16/ 548).

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة

في هذه السنة: ظهر بأرض سجستان معدن من ذهب كانوا يحفرون فيه مثل الآبار، ويخرجون منه ذهباً أحمر.(1)

وفيها: قتل الأمير أبو نصر ابن بختيار صاحب بلاد فارس، واستولى عليها بهاء الدولة.

وفيها: قلد القادر بالله القضاء بواسط وأعمالها لأبي خازم محمد بن الحسن الواسطى، وقرئ عهده بدار الخلافة، وكتب له القادر وصية حسنة طويلة أوردها بحروفها الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى «منتظمه»، وفيها مواعظ وأوامر ونواه حسنة جيدًا(2)، والله أعلم.

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن محمد بن أبى موسى أبو بكر الهاشمى الفقيه المالكى: القاضى بالمدائن وغيرها، وخطب بجامع المنصور، وسمع الكثير، وروى عنه الجم الغفير بانتخاب أبي الحسن الدارقطنى الحافظ الكبير، وكان عفيفًا نزهًا ثقة دينًا. توفى فى محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة.(3)

عبيد الله بن عثمان بن يحيى أبو القاسم الدقاق، ويعرف بابن جنيقا، قال العلامة القاضى أبو يعلى ابن الفراء -وهذا جده-: والصواب جليقا باللام لا بالنون، وقد سمع الحديث سماعاً صحيحاً، وروى عنه الأزهرى والعتيقي، قال ابن أبي الفوارس: وكان ثقة مأموناً حسن الخلق، ما رأينا مثله فى معناه.(4)

الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء: والد القاضى أبى يعلى، وكان صالحاً فقيهاً على مذهب أبى حنيفة، أسند الحديث وروى عنه ابنه أبو خازم محمد بن الحسين.(5)

عبد الله بن أحمد بن على بن أبى طالب البغدادى، نزيل مصر، حدث بها فسمع منه الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى.(6)

عمر بن إبراهيم بن أحمد أبو حفص المعروف بالكتانى المقرئ، ولد سنة ثلاثمائة، روى عن البغوى وابن مجاهد وابن صاعد، وعنه الأزهرى وغيره، وكان ثقة صالحًا.(7)

محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن هارون، أبو الحسين الدقاق، المعروف بابن أخى ميمى، سمع البغوى وغيره، وعنه جماعة، ولم يزل على كبر سنه يكتب الحديث إلى أن توفى وله تسعون سنة، وكان ثقة مأموناً ديناً فاضلاً حسن الأخلاق، وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمان وعشرين من شعبان هذه السنة.(8)

محمد بن عمر بن يحيى: ابن الحسين بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ، الشريف أبو الحسن العلوى، الكوفى، ولد سنة خمس عشرة، وسمع من أبى العباس ابن عقدة وغيره، وسكن بغداد، وكانت له أموال كثيرة وضياع، ودخل عظيم وحشمة وافرة، وهمة عالية، وكان مقدماً على الطالبيين فى وقته، وقد صادره عضد الدولة فى وقت واستحوذ على

---

(1) «المنتظم» (15/ 17-19)، و«الكامل» (9/ 156-162).
(2) «المنتظم» (15/ 18-19).
(3) «تاريخ بغداد» (5/ 64)، و«المنتظم» (15/ 19).
(4) «تاريخ بغداد» (10/ 377)، و«المنتظم» (15/ 20).
(5) «المنتظم» (15/ 20).
(6) «تاريخ بغداد» (9/ 395)، و«المنتظم» (15/ 20).
(7) «تاريخ بغداد» (11/ 269)، و«المنتظم» (15/ 21).
(8) «تاريخ بغداد» (5/ 469)، و«المنتظم» (15/ 21)، و«السير» (16/ 564).

جمهور أمواله وسجنه، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار وأكثر ثم سجنه، ثم أطلقه واستنابه على بغداد. ويقال: إن غلاله كانت تساوى فى كل سنة ألفي ألف دينار، وله وجاهة كبيرة جداً، ورياسة باذخة.(1)

الأستاذ أبو الفتوح برجوان: الناظر فى الأمور بالديار المصرية فى الدولة الحاكمية، وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة المعزية، كان أولاً من غلمان العزيز بن المعز، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر مطاعاً كبيراً فى الدولة، ثم أمر بقتله فى القصر فضربه الأمير ريدان الذى تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح بسكين فى بطنه فقتله. وقد ترك شيئاً كثيراً من الأثاث والثياب، من ذلك ألف سراويل دبيقي بألف تكة من حرير، قاله ابن خلكان في كتابه. وولى الحاكم بعده فى منصبه الأمير حسين ابن القائد جوهر.(2)

الجريري: المعروف بابن طرارا اسمه المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني القاضي -لأنه ناب فى الحكم- المعروف بابن طرارا الجريري، لاشتغاله على ابن جرير الطبرى، وسلوكه وراءه فى مذهبه، سمع الحديث من البغوى وابن صاعد وخلق، وروى عنه جماعة، وكان ثقة عالماً فاضلاً كثير الآداب والتفنن فى أصناف العلوم، وله المصنفات الكثيرة منها كتابه المسمى بالجليس والأنيس، فيه فوائد جمة كثيرة(3)، وكان الشيخ أبو محمد البافي أحد أئمة الشافعية يقول: إذا حضر المعافى فقد حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يصرف إليه. قال غيره: اجتمع جماعة من الفضلاء فى دار بعض الرؤساء وفيهم المعافى، فقالوا: هلم نتذاكر فى فن من العلوم؟ فقال المعافى لصاحب المنزل وكانت عنده كتب كثيرة فى خزانة عظيمة: مر غلامك هذا أن يأتى بكتاب من هذه الكتب، أى كتاب فنتذاكر فيه. فتعجب الحاضرون من هذا التمكن والتبحر(4)، وقال الخطيب البغدادى: أنشدنا الشيخ أبو الطيب الطبرى، قال: أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه:

ألا قُلْ لمَن كان لي حاسداً * أتدْري على مَن أسأتَ الأدَبْ
أسأتَ على الله في فِعْلِهِ * لأنَّك لم تَرْضَ لي ما وَهَبْ
فجازاك عني بأن زادَني * وسدَّ عليك وُجوهَ الطَّلَبْ

وكانت وفاته فى ذى الحجة من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله.

ابن فارس صاحب المجمل، وقيل: إنه توفى فى سنة خمس وتسعين كما سيأتى.

أمة السلام بنت القاضى أبى بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة: أم الفتح، سمعت من محمد ابن إسماعيل البصلانى وغيره، وعنها الأزهرى والتنوخى وأبو يعلى ابن الفراء وغيرهم، وأثنى عليها غير واحد فى دينها وفضلها وسيادتها، وكان مولدها فى رجب من سنة ثمان وتسعين، وتوفيت فى رجب أيضاً من هذه السنة عن اثنتين وتسعين سنة، رحمها الله تعالى.(5)

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 34)، و«المنتظم» (15/ 22).
(2) «الوفيات» (1/ 270)، و«تاريخ الإسلام» (حوادث 381-400) (ص 196).
(3) «تاريخ بغداد» (13/ 230)، و«المنتظم» (15/ 24)، و«الوفيات» (5/ 221)، و«السير» (16/ 544)، و«التذكرة» (3/ 1010).
(4) «تاريخ بغداد» (13/ 230)، و«المنتظم» (15/ 25).
(5) «تاريخ بغداد» (14/ 443)، و«المنتظم» (15/ 25).

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

فيها: بايع الخليفة القادر بالله لولده أبي الفضل بولاية العهد من بعده، وخطب له، ولقب الغالب بالله، وكان عمره حينئذ ثماني سنين وشهوراً، ولم يتم له ذلك. وكان سبب هذه العجلة أن رجلاً يقال له: عبد الله بن عثمان الواثقي، ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد الترك، وادعى أن القادر بالله جعله ولي عهده من بعده، فخطبوا له هنالك فلما بلغ القادر أمره بعث يتطلبه فهرب منه في الآفاق وتمزق شمله، ثم أخذه بعض الملوك فسجنه في قلعة إلى أن مات، فلهذا بادر القادر إلى هذه البيعة.(1)

وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة: ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، وهذا هو الذي صارت إليه الخلافة، وهو القائم بأمر الله.

وفيها: قُتل الأمير حسامُ الدولة المقلدُ بن المسيب العقيلي غيلةً ببلاد الأنبار، وكان قد عظم شأنه بتلك البلاد، ورام المملكة فجاءه القدر المحتوم فقتله بعض غلمانه الأتراك، وقام بالأمر من بعده ولده قرواش. **وحج بالناس** المصريون.

وممن توفي فيها من الأعيان: **جعفر بن الفضل بن جعفر:** ابن محمد بن الفرات أبو الفضل، المعروف بابن حنزابة الوزير، ولد سنة ثمان وثلاثمائة ببغداد، ونزل الديار المصرية ووزر بها لأميرها كافور الإخشيدي، وكان أبوه وزيراً للمقتدر، وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين، وكان قد سمع مجلساً من البغوي، ولم يكن عنده، فكان يقول: من جاءني به أغنيته. وكان له مجلس لإملاء الحديث بديار مصر، وبسببه رحل الدارقطني إلى هناك فنزل عنده وخرّج له مسنداً، وحصل له منه مال جزيل، وحدّث عنه الدارقطني وغيره من الأكابر.(2) ومن مستجاد شعره قوله:

من أخمَل النَّفسَ أحياها وروَّحَها ✻ ولم يَبِتْ طاويًا منها على ضَجَر
إن الرِّياحَ إذا اشْتَدَّت عَواصِفُها ✻ فليس تَرْمِي سوى العالي مِن الشَّجَر

قال ابن خلكان: كانت وفاته في صفر، وقيل: في ربيع الأول من هذه السنة، عن اثنتين وثمانين سنة ودفن بالقرافة، وقيل: بداره، قال: وقيل: إنه كان قد اشترى داراً بالمدينة النبوية فجعلها تربة له، فلما نقل إليها تلقته الأشراف لإحسانه إليهم، فحملوه وحجوا به وأوقفوه بعرفات، ثم أعادوه إلى المدينة فدفنوه بتربته.(3)

ابن الحجاج الشاعر: الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله الشاعر الماجن المقذع في نظمه بألفاظ يستنكف اللسان عن التلفظ بها والأذنان عن الاستماع إليها، وقد كان أبوه من كبار العمال، وولي هو حسبة بغداد في أيام عز الدولة بن معز الدولة بن بويه، فاستخلف عليها نواباً ستة، وتشاغل هو بالشعر السخيف والرأي الضعيف، إلا أن شعره جيد من حيث اللفظ، وفيه قوة جيدة تدل على تمكن واقتدار على سبك المعاني القبيحة التي هي في غاية الفضيحة في الألفاظ الفصيحة، وله غير ذلك من الأشعار المستجادة، وقد امتدح صاحب مصر فبعث إليه بألف دينار.(4) وقول القاضي ابن خلكان: ويقال إنه عزل

(1) «المنتظم» (15/ 26، 27)، و«الكامل» (9/ 164-168).
(2) «تاريخ بغداد» (7/ 234)، و«المنتظم» (15/ 27)، و«السير» (16/ 484).
(3) «الوفيات» (1/ 349).
(4) «تاريخ بغداد» (8/ 14)، و«المنتظم» (15/ 28)، و«الوفيات» (2/ 168).

عن حسبة بغداد بأبى سعيد الإصطخرى قول ضعيف لا يسامح بمثله القاضي، فإن أبا سعيد توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فكيف يعزل به ابن الحجاج وهو لا يمكن عادة أن يلى الحسبة بعد أبي سعيد الإصطخرى، ولكبر قدر ابن خلكان في هذه الصناعة ناقشناه، فإنه أرخ وفاة هذا الشاعر بهذه السنة، ووفاة الإصطخرى بما تقدم. وقد جمع الشريف الرضى أشعاره الجيدة على حدة فى ديوان مفرد، ورثاه حين توفى هو وغيره من الشعراء.(1)

عبد العزيز بن أحمد أبو الحسن الخوزي: القاضى بالمخرم وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات، وكان ظاهرياً على مذهب داود، وكان لطيفاً ظريفًا، تحاكم إليه وكيلان، فبكى أحدهما فى أثناء الخصومة، فقال له القاضى: أرنى وكالتك. فناوله فقرأها ثم قال له: لم يجعل إليك أن تبكى عنه. فاستضحك الناس ونهض الوكيل خجلاً.

عيسى ابن الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو القاسم البغدادى(2)، كان أبوه من كبار الوزراء، وكتب هو للطائع أيضاً، وسمع الحديث الكثير، وكان صحيح السماع كثير العلوم، وكان عارفًا بالمنطق وعلم الأوائل، فرموه بشيء من مذهب الفلاسفة، ومن جيد شعره قوله:

رُبَّ مَـيْتٍ قـد صـار بـالعلم حـيًـا * ومُـبَـقًى قـد مـات جـهـلاً وغـيًـا
فـاقْـتَنوا العلمَ كي تَنالوا خُلودًا * لا تَعُدُّوا الحـيـاةَ في الجـهـلِ شـيًـا

كان مولده فى سنة اثنتين وثلاثمائة، وتوفى فى هذه السنة عن تسع وثمانين سنة، ودفن فى داره ببغداد.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة

فى المحرم منها: غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند، فصمد له ملكها جيبال فى جيش عظيم فاقتتلوا قتالاً شديداً ففتح الله للمسلمين، وانهزمت الهنود، وأسر ملكهم جيبال، وأخذ من عنقه قلادة قيمتها ثمانون ألف دينار، وغنم المسلمون منهم أموالاً عظيمة، وفتحوا بلادًا كثيرة. ثم أطلق محمود ملك الهند احتقاراً له واستهانة به، ليراه أهل مملكته فى لباس المذلة، فحين وصل جيبال لعنه الله إلى بلاده ألقى نفسه فى النار التى يعبدونها من دون الله فاحترق، لعنه الله.(3)

وفى ربيع الآخر منها: ثارت العوام على النصارى ببغداد، فنهبوا كنيستهم التى بقطيعة الرقيق وأحرقوها، فسقطت على خلق فماتوا، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان.

وفى رمضان منها: قوى أمر العيارين، وكثرت العملات والنهب ببغداد وانتشرت الفتنة.

قال ابن الجوزى: وفى ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة: انقض كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمام، ومضى الضياء وبقى جرمه يتموج نحو ذراعين فى ذراع برأى العين، ثم توارى بعد ساعة.(4)

وفى هذا الشهر: قدم الحجاج من خراسان إلى بغداد ليسيروا إلى الحجاز، فبلغهم عيث الأعراب بالفساد، وأنه لا قاهر لهم ولا ناظر ينظر فى أمورهم، فرجعوا إلى بلادهم، ولم يحج من بلاد المشرق أحد فى هذه السنة.

---

(1) «الوفيات» (2/ 169-172).
(2) «تاريخ بغداد» (11/ 179)، و«المنتظم» (15/ 30)، و«السير» (16/ 549).
(3) «المنتظم» (15/ 32-33)، و«الكامل» (9/ 169-171).
(4) «تاريخ بغداد» (11/ 312)، و«المنتظم» (15/ 33)، و«الوفيات» (3/ 246).

وفى يوم عرفة: ولد لبهاء الدولة ابنان توأمان فمات أحدهما بعد سبع سنين، وبقى الآخر حتى قام بالأمر من بعد أبيه، ولقب مشرف الدولة. وحج المصريون فيها بالناس.

وممن توفى فيها من الأعيان: أبو الفتح عثمان بن جنى: الموصلى النحوى اللغوى، صاحب التصانيف الفائقة المتداولة فى النحو واللغة، وكان أبوه جنى عبدًا روميًا مملوكًا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدى الموصلى، ومن شعره فى ذلك قوله:

فإن أصبح بلا نسب * فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤول إلى * قروم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا * أرم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم * كفى شرفًا دعاء نبي

وقد أقام ببغداد ودرس بها العلم إلى أن توفى ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها.

قال القاضي ابن خلكان: ويقال: إنه كان أعور، وله فى ذلك:

صدودك عني ولا ذنب لي * يدل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت * خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة أن لا أراك * لما كان في تركها فائده

ويقال: إن هذه الأبيات لغيره، وله فى مملوك حسن الصورة أعور:

له عين أصابت كل عين * وعين قد أصابتها العيون

أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى: القاضى بالرى الشاعر الماهر، سمع الحديث وترقى فى العلوم حتى أقر له الناس بالتفرد، وله أشعار حسان من ذلك قوله:

يقولون لي فيك انقباض وإنما * رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم * ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما * بدا طمع صيرته لي سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي * لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلة * إذًا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا * محياه بالأطماع حتى تجهما

ومن مستجاد شعره أيضًا قوله:

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العلـ * ـم فما أبتغي سواه أنيسا
إنما الذل في مخالطة النا * س فدعهم وعش عزيزًا رئيسا

ومن شعره أيضاً:

إذا شئتَ أن تستقرضَ المالَ مُنْفِقًا * على شهواتِ النفسِ في زمَنِ العُسْرِ
فسَلْ نفسَك الإنفاقَ من كنزِ صبرِها * عليك وإنظاراً إلى زمَنِ اليُسْرِ
فإن فعلَتْ كنتَ الغنيَّ وإن أبَتْ * فكلُّ مَنُوعٍ بعدَها واسعُ العُذْرِ

توفى رحمه الله فى هذه السنة، وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

فيها: كانت وفاة الطائع لله على ما سنذكره.(1)

وفيها: منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين فى عاشوراء، ومنع جهلة السنة بباب البصرة وباب الشعير من النياحة على مصعب بن الزبير بعد ذلك بثمانية أيام، فامتنع الفريقان ولله الحمد والمنة.

وفى أواخر المحرم منها: خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة وصادره بمائة ألف دينار قاسانية.

وفى أوائل صفر منها: غلت الأسعار ببغداد جداً، وعدمت الحنطة حتى بيع الكر منها بمائة وعشرين ديناراً.

وفيها: برز عميد الجيوش إلى «سورا» واستدعى سيد الدولة أبا الحسن، على بن مزيد، وقرر عليه فى كل سنة أربعين ألف دينار، فالتزم ذلك وقرره على بلاده.

وفيها: هرب أبو العباس الضبى وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الرى إلى بدر بن حسنويه، فأكرمه، وولى بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو على الخطير.

وفيها: استتاب الحاكم على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود، ثم بلغه أنه عزر رجلاً مغربياً على حبه أبا بكر وعمر ﷺ، وطاف به فى البلد، فخاف من معرة ذلك فبعث إليه فعزله مكراً وخديعة. وانقطع الحج في هذه السنة من العراق بسبب الأعراب.

وممن توفى فيها من الأعيان: إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبرى الفقيه المالكى: مقدم المعدلين ببغداد، وشيخ القراءات، وقد سمع الكثير من الحديث، وخرج له الدارقطنى خمسمائة جزء حديث، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم، رحمه الله تعالى.(2)

الطائع لله عبد الكريم بن المطيع: تقدم كيف خلعه بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة وأنه أودع في غرفة بدار الخلافة وأُجرى عليه أرزاق كثيرة وألطاف غزيرة إلى أن توفى ليلة عيد الفطر من هذه السنة عن ست وسبعين سنة، وقد باشر الخلافة سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام، وصلى عليه القادر بالله فكبر عليه خمساً، وشهد جنازته الأكابر والأعيان، ودفن بالرصافة.(3)

محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا أبو طاهر المخلص، شيخ كبير، كثير

---

(1) «المنتظم» (15/ 37-38)، و«الكامل» (9/ 172-179).
(2) «تاريخ بغداد» (6/ 17)، و«المنتظم» (15/ 38).
(3) «تاريخ بغداد» (11/ 79)، و«المنتظم» (15/ 39)، و«السير» (15/ 118).

الرواية، سمع البغوى وابن صاعد وخلقاً، وعنه البرقانى والأزهرى والخلال والتنوخى، وكان ثقة من الصالحين. توفى فى رمضان في هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله.(1)

محمد بن عبد الله أبو الحسن السلامى: الشاعر المجيد، له شعر مشهور، ومدائح فى عضد الدولة وغيره.

ميمونة بنت شاقولة الواعظة: التى هى للقرآن حافظة، ذكرت يوماً فى وعظها أن ثوبها الذى عليها وأشارت إليه له فى صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغير، وأنه كان من غزل أمها. قالت: والثوب إذا لم يعص الله فيه لا يتخرق سريعاً. وقال ابنها عبد الصمد: كان فى دارنا حائط يريد أن ينقض فقلت لها: ألا ندعو البناء ليصلح هذا الجدار؟ فأخذت رقعة فكتبت فيها شيئاً ثم أمرتنى أن أضعها فى موضع من الجدار، فوضعتها فمكث على ذلك عشرين سنة، فلما توفيت أردت أن أستعلم ما كتبت فى الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا فى الرقعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ (فاطر:41) باسم الله، يا ممسك السموات والأرض أمسكه.(2)

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

فيها: ولى بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوى، قضاء القضاة والحج والمظالم، ونقابة الطالبيين، ولقب بالطاهر الأوحد، ذي المناقب، وكان التقليد له بشيراز، فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن له الخليفة القادر فى قضاء القضاة، فتوقف حاله بسبب ذلك.(3)

وفيها: ملك أبو العباس ابن واصل بلاد البطيحة، وأخرج منها مهذب الدولة فقصده زعيم الجيوش ليأخذها منه، فهزمه ابن واصل ونهب أمواله وحواصله، وكان فى جملة ما أصاب فى خيمة الخزانة ثلاثون ألف دينار، وخمسون ألف درهم.

وفيها: خرج الركب العراقى فى جحفل كبير وتجمل كثير، فاعترضهم الأصيفر أمير الأعراب لينهبهم، فبعثوا إليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهم، يقال لهما: أبو الحسين ابن الرفاء وأبو عبد الله ابن الدجاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة، ليكلماه فى شىء يأخذه من الحجيج، ويطلق سراحهم ليدركوا الحج. فلما جلسا بين يديه قرآ جميعاً عشراً بأصوات هائلة مطبوعة، فأدهشه ذلك وأعجبه جداً، وقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ فقالا: بخير لا يزال الناس يكرموننا ويبعثون إلينا بالذهب والدراهم والتحف. فقال: هل أطلق لكما أحد منهم ألف ألف دينار؟ فقالا: لا، ولا ألف دينار فى يوم واحد. قال: فإنى أطلق لكما ألف ألف دينار. فأطلق بسببهما الحجيج فلم يعرض لأحد منهم، وذهب الناس وهم سالمون شاكرون لذينك الرجلين المقرئين. ولما وقف الناس بعرفات قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة على جبل الرحمة، فضج الناس من سائر الركوب لقراءتهما، وقالوا لأهل العراق: ما كان ينبغى أن تخرجوا بهذين الرجلين فى سفرة واحدة، لاحتمال أن يصابا جميعاً، بل كان ينبغى أن تخرجوا بأحدهما، فإذا أصيب سلم الآخر. وكانت الحجة والخطبة في هذه السنة أيضًا للمصريين كما هى لهم من سنين متقدمة. وقد كان أمير العراقيين عزم على العود سريعاً إلى بغداد على طريقهم التى جاؤوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية

(1) «تاريخ بغداد» (2/ 322)، و«المنتظم» (15/ 41)، و«السير» (16/ 478).
(2) «المنتظم» (15/ 42).
(3) «المنتظم» (15/ 43-45)، و«الكامل» (9/ 180-182).

خوفاً من الأعراب، وكثرة الخفارات، فشق ذلك على الناس، فوقف هذان القارئان على جادة الطريق التى منها يعدل إلى المدينة النبوية، وقرآ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ الآيات (التوبة:120). فضج الناس بالبكاء، وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس والأمير بأجمعهم ميلة واحدة إلى المدينة النبوية فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم، ولله الحمد والمنة. ولما رجع هذان القارئان رتبهما ولى الأمر مع أبى بكر ابن البهلول وكان مقرئاً مجيداً أيضاً ليصلوا بالناس صلاة التراويح فى رمضان، فكثر الجمع وراءهم لحسن تلاوتهم وكانوا يتناوبون فى الإمامة، وقد قرأ ابن البهلول يوماً فى جامع المنصور قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد:16) فنهض إليه رجل صوفى وهو يتمايل. فقال: كيف قلت؟ فأعاد الآية، فقال الصوفى: بلى والله، وسقط ميتاً رحمه الله. قال ابن الجوزى: وكذلك وقع لأبى الحسن ابن الخشاب شيخ ابن الرفا، وكان تلميذاً لأبى بكر ابن الأدمى المتقدم ذكره، وكان جيد القراءة حسن الصوت أيضاً، قرأ ابن الخشاب ليلة فى جامع الرصافة فى الإحياء هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فتواجد رجل صوفى، وقال: بلى قد آن، وجلس وبكى بكاء طويلاً، ثم سكت سكتة فحركوه فإذا هو ميت رحمه الله تعالى.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن محمد بن إسماعيل أبو على الإسكافى ويلقب بالموفق، كان مقدماً عند بهاء الدولة، فولاه بغداد فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود ثم هرب إلى البطيحة، فأقام بها سنتين ثم قدم بغداد فولاه بهاء الدولة الوزارة، وكان شهماً منصوراً فى الحروب ثم عاقبه بعد ذلك وقتله فى هذه السنة، عن تسع وأربعين سنة.(1)

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

فيها: عاد مهذب الدولة إلى البطيحة ولم يمانعه ابن واصل، وتقرر عليه فى كل سنة لبهاء الدولة خمسون ألف دينار.

وفيها: كان غلاء عظيم وفناء ببلاد إفريقية، بحيث تعطلت المخابز والحمامات، وذهب خلق كثير من الفناء، وهلك آخرون من شدة الغلاء، فلله الأمر من قبل ومن بعد، وهو المسئول المأمول أن يحسن العاقبة.(2)

وفيها: أصاب الحجيج فى الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم. وكانت الخطبة للمصريين كما تقدم.

وممن توفى فيها من الأعيان: محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن جعفر أبو نصر البخارى، المعروف بالملاحمى، أحد الحفاظ قدم بغداد وحدث بها عن محمود بن إسحاق عن البخارى، وروى عن الهيثم بن كليب وغيره، وحدث عنه الدارقطنى، وكان من أعيان أصحاب الحديث. توفى ببخارى فى شعبان من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين.(3)

محمد بن أبى إسماعيل على بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبى الحسن العلوى، ولد بهمذان ونشأ ببغداد، وكتب الحديث عن جعفر الخلدى وغيره، وسمع بنيسابور من الأصم وغيره، ودرس فقه

(1) «المنتظم» (15/ 45).
(2) «المنتظم» (15/ 46)، و«الكامل» (9/ 183-184).
(3) «تاريخ بغداد» (1/ 350)، و«المنتظم» (15/ 47)، و«السير» (17/ 86).

الشافعي على أبي عليّ ابن أبي هريرة، ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم، وحج مرات على الوحدة، وكانت وفاته في محرم هذه السنة.(1)

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، صاحب «المجمل في اللغة»، وكان مقيماً بهمذان، وله رسائل حسان، أخذ عنه البديع صاحب «المقامات»، ومن رائق شعره قوله:

مرّت بنا هَيْفاءُ مَجْدولةٌ * تُرْكيّةٌ تَنْمِي لتركيّ
تَرْنُو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ * أضعفَ مِن حُجّةِ نَحْوِيّ

وله أيضًا:

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً * وأنت بها كَلِفٌ مُغْرَمُ
فأَرْسِلْ حَكيمًا ولا تُوصِهِ * وذاك الحكيمُ هو الدرهمُ

قال ابن خلكان: توفي سنة تسعين وثلاثمائة، وقيل: سنة خمس وتسعين، والأول أشهر.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وضوئه عن يسرة القبلة يتموج، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر، وثبت إلى النصف من ذي القعدة، ثم غاب.(2)

وفيها: ولي محمد بن الأكفاني قضاء جميع بغداد.

وفيها: جلس القادر للأمير قرواش بن أبي حسان وأفرده في إمارة الكوفة، ولقبه معتمد الدولة.

وفيها: قلد الشريف الرضى نقابة الطالبيين، ولقب بالرضى ذي الحسبين، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين.

وفيها: غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدناً كباراً منها، وأخذ أموالاً جزيلة، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كواشي حين هرب منه لما افتتحها، وكسر أصنامها، فألبسه منطقة وشدها على وسطه بعد تمنع شديد وقطع خنصره ثم أطلقه إهانة له، وإظهارًا لعظمة الإسلام وأهله.

وفيها: كانت الخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي، وتجدد في حال الخطبة أنه إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم، وكذلك بديار مصر مع زيادة السجود، فكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق أيضًا يسجدون لسجودهم، لعنهم الله سبحانه وتعالى.

وممن توفي فيها من الأعيان: أبو سعد إسماعيل بن أحمد: ابن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجرجاني، المعروف بالإسماعيلي، ورد بغداد والدارقطني حيّ وحدث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي والأصم وابن عدي، وحدث عنه الخلال والتنوخي، وكان ثقة فاضلاً فقيهًا، على مذهب الشافعي، عارفاً بالعربية، سخياً جواداً على أهل العلم، وله ورع ورياسة إلى اليوم في بلده في ولده. قال الخطيب البغدادي: سمعت الشيخ أبا الطيب الطبري يقول: ورد أبو سعد الإسماعيلي بغداد فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما أبو حامد الإسفراييني، وتولى الثاني أبو محمد البافي، فبعث البافي إلى القاضي المعافى بن زكريا الجريري يستدعيه إلى حضور المجلس ليتجمل بحضوره، وكانت الرسالة مع ولده أبي الفضل، وكتب على يده هذين البيتين:

---

(1) «تاريخ بغداد» (3/ 90)، و«المنتظم» (15/ 47)، و«السير» (17/ 77).
(2) «المنتظم» (15/ 49)، و«الكامل» (9/ 186-189).

إذا أكْرَمَ القاضي الجليلُ وليَّه * وصاحبَه ألفاه للشكر مَوْضِعَا
ولي حاجةٌ يأتي بُنَيَّ بذكرها * ويَسْأَلُه فيها التَّطَوُّلَ أجمعَا

فأجابه الجريري مع ولد الشيخ:

دعا الشيخُ مِطْواعًا سَميعًا لأمره * يُواتيه باعًا حيث يرسمُ أصْبُعَا
وها أنا غادٍ في غدٍ نحوَ داره * أُبادرُ ما قد حَدَّهُ ليَ مُسرِعَا

وكانت وفاة أبي سعد الإسماعيلي فجأة بجرجان في ربيع الآخر وهو قائم يصلي في المحراب، في صلاة المغرب، فلما قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:5) فاضت نفسه فمات رحمه الله تعالى.(1)

محمد بن أحمد: ابن محمد بن جعفر بن محمد بن بحير، أبو عمرو المزكي، الحافظ النيسابوري، ويعرف بالبحيري، رحل إلى الآفاق في طلب العلم، وكان حافظاً جيد المذاكرة، ثقة ثبتاً، حدث ببغداد وغيرها من البلاد، وتوفي في شعبان عن ثلاث وستين سنة.(2)

أبو عبد الله ابن منده: الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، أبو عبد الله الأصفهاني الحافظ، من بيت الحديث والحفظ، رحل إلى البلاد الشاسعة، وسمع الكثير وصنف التاريخ والشيوخ. قال أبو العباس جعفر بن محمد الحافظ: ما رأيت أحفظ من أبي عبد الله ابن منده، توفي بأصفهان في صفر من هذه السنة، رحمه الله تعالى وإيانا برحمته.(3)

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

فيها: كان خروج أبي ركوة على الحاكم العبيدي صاحب مصر(4)، وملخص أمر هذا الرجل أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، واسمه الوليد، وإنما لقب بأبي ركوة لركوة كان يستصحبها في أسفاره على طريقة الصوفية، وقد كان سمع الحديث بالديار المصرية، ثم أقام بمكة ثم باليمن ثم دخل الشام، وهو في غبون هذا كله يبايع من انقاد له، ممن يرى عنده همة ونهضة للقائم من ولد هشام ابن عبد الملك الأموي، ثم إنه أقام ببعض بلاد مصر في حلة من حلال العرب، يعلم الصبيان ويظهر النسك والتقشف والعبادة والورع، ويخبر بشيء من المغيبات، حتى خضعوا له وعظموه جداً. ثم دعا إلى نفسه وذكر لهم أنه الذي يدعو إليه من الأمويين، فاستجابوا له وخضعوا وخاطبوه بأمير المؤمنين، ولقب بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله، ودخل برقة في جحفل، فجمع له أهلها نحواً من مائتي ألف دينار، وأخذ رجلاً من اليهود اتهم بشيء من الودائع فأخذ منه مائتي ألف دينار أيضاً، ونقشوا الدراهم والدنانير بألقابه، وخطب بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم في الخطبة ونعما فعل، فالتف على أبي ركوة من الجنود نحو من ستة عشر ألفاً. فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمائة ألف دينار وخمسة آلاف ثوب من الحرير إلى مقدم جيوش أبي ركوة وهو الفضل بن عبد الله يستميله إليه ويثنيه عن أبي ركوة، فحين وصلته الأموال من الحاكم رجع عن أبي ركوة وقال: إنا لا طاقة لنا بالحاكم، وما دمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون

(1) «تاريخ بغداد» (6/ 309)، و«تاريخ جرجان» للسهمي (ص 106)، و«المنتظم» (15/ 50)، و«السير» (17/ 87).
(2) «المنتظم» (15/ 51).
(3) «تاريخ أصبهان» (2/ 306)، و«المنتظم» (15/ 52)، و«السير» (17/ 28).
(4) «المنتظم» (15/ 53)، و«الكامل» (9/ 191-205).

بسببك، فاختر لنفسك بلداً تكون فيها. فسأل أن يبعثوا معه فارسين يوصلانه إلى النوبة فإن بينه وبين ملكها مودة وصحبة، فأرسله، ثم بعث وراءه من رده إلى الحاكم بمصر، فلما وصل إليه أركبه جملاً وأشهره ثم قتله في اليوم الثاني، ثم أكرم الحاكم الفضل وأقطعه إقطاعات كثيرة. واتفق مرض الفضل فعاده الحاكم مرتين، فلما عوفي قتله وألحقه بصاحبه أيضًا، وكافأه مكافأة التمساح.

وفي رمضان: عزل قرواش عما كان بيده ووليه أبو الحسن على بن مزيد، ولقب بسند الدولة.

وفيها: هزم يمين الدولة محمود بن سبكتكين إيلك ملك الترك عن بلاد خراسان، وقتل من الأتراك خلقًا كثيرًا.

وفيها: قتل أبو العباس ابن واصل صاحب البصرة وحمل رأسه إلى بهاء الدولة فطيف به بخراسان وفارس.

وفيها: ثارت على الحجيج وهم بالطريق ريح سوداء مظلمة جداً، واعترضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهاب ففاتهم الحج في هذا العام، ورجعوا إلى بغداد فدخلوها في يوم التروية. وكانت الخطبة بالحرمين للمصريين.

وممن توفي فيها من الأعيان: عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق: أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد، قرأ القرآن ودرس مذهب الشافعي على أبي سعيد الإصطخري، وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن سلمان النجاد، وروى عنه الأزجي والصيمري، وكان ثقة صالحًا، يضرب به المثل في مجاهدة النفس، واستعمال الصدق المحض، والتعفف والتقشف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن وعظه ونفعه في القلوب[1]، جاءه يوماً رجل بمائة دينار، فقال: أنا غني عنها. قال: خذها ففرقها على أصحابك هؤلاء. فقال: ضعها على الأرض. فوضعها ثم قال للجماعة: ليأخذ كل واحد منكم حاجته منها، فجعلوا يأخذون بقدر حاجاتهم حتى أنفذوها، وجاء ولده بعد ذلك فشكى إليه حاجتهم، فقال: اذهب إلى البقال فخذ عليَّ ربع رطل تمر.[2] ورآه رجل وقد اشترى دجاجة وحلواء فتعجب من ذلك فاتبعه فانتهى إلى دار فيها أرامل وأيتام فدفعها إليهم، وقد كان يدق السعد للعطارين بالأجرة ويقتات من ذلك، ولما حضرته الوفاة جعل يقول: سيدى لهذه الساعة خبأتك. وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة من هذه السنة، وصلى عليه بجامع المنصور، ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

أبو العباس ابن واصل: صاحب سيراف والبصرة وغيرهما من البلاد، كان أولاً يخدم بالكرخ، وكان متصورًا له أنه سيملك، فكان أصحابه يهزؤون به، ويمجنون عليه فيقول أحدهم: إذا ملكت فاستخدمني ويقول الآخر: اخلع عليّ. ويقول الآخر: عاقبني، فقدر له أن تتقلب به الأحوال إلى أن ملك سيراف البصرة، وأخذ بلاد البطيحة من مهذب الدولة، وأخرجه منها طريدًا، بحيث إنه احتاج في أثناء الطريق إلى أن ركب بقرة. واستحوذ ابن واصل على ما هنالك من الأموال والحواصل، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة بها، ثم ظفر به بهاء الدولة فقتله في شعبان من هذه السنة، وطيف برأسه في البلاد.[3]

---

(1) «تاريخ بغداد» (11/ 43)، و«المنتظم» (15/ 55).
(2) «تاريخ بغداد» (11/ 44)، و«المنتظم» (15/ 56).
(3) «المنتظم» (15/ 57).

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

فيها: غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند، ففتح حصوناً كثيرة، وأخذ أموالاً جزيلة وجواهر نفيسة، وكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوءاً فضة، ولما رجع إلى غزنة بسط هذه الحواصل كلها في صحن داره وأذن لرسل الملوك فدخلوا عليه فرأوا ما بهرهم وهالهم.(1)

وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الآخر: وقع ببغداد ثلج عظيم، بحيث بقي على وجه الأرض ذراعاً ونصفاً، ومكث أسبوعاً لم يذب، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعبادان والنهروانات.

وفي هذا الشهر: كثرت العملات خفية وجهرة، حتى من المساجد والمشاهد، ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثير منهم فقطعوا أيديهم وكحلوهم وشهروهم، فخمدت الفتنة. ولله الحمد والمنة.

قصة مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتحريقه عن فتيا الشيخ أبي حامد الإسفراييني مما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم»

وفي عاشر رجب جرت فتنة بين الرافضة والسنة، سببها أن بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم وكان فقيه الشيعة في مسجده بدرب رياح، فعرض له بالسب فثار أصحابه له واستنفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد ابن الأكفاني والشيخ أبي حامد الإسفراييني، وجرت فتنة طويلة، وأحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو يخالف المصاحف كلها. فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء في يوم جمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الإسفراييني والفقهاء بتحريقه، ففعل ذلك بمحضر منهم، فغضبت الشيعة من ذلك غضباً شديداً، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه، وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه فانتقل منها إلى دار القطن، وصاحوا: يا حاكم يا منصور. وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة وجرت خطوب شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم، فأخرج منها ثم شفع فيه، ومنعت القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم أحد من الصحابة، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته.(2)

وفي شعبان: زلزلت الدينور زلزالاً شديداً، سقطت منها دور كثيرة، وهلك تحت الهدم ستة عشر ألفاً غير من ساخت به الأرض، وهلك للناس شيء كثير من الأثاث والأمتعة، وهبت ريح سوداء بدقوقاء وتكريت وشيراز، فقلعت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون، وقتلت خلقاً كثيراً، وسقط بعض شيراز، ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر. ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم.

ووقع ببغداد في رمضان وذلك في أيار: مطر عظيم سالت منه المزاريب.

ذكر تخريب قمامة في هذه السنة

وفيها: أمر الحاكم العبيدي بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس، وأباح للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك، وكان سبب ذلك ما أنهي من البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار

---

(1) «المنتظم» (15/ 58-62)، و«الكامل» (9/ 206-209).
(2) «المنتظم» (15/ 58-59).

التى يحتالون لها بحيث يتوهم الأغمار من جهلتهم أنها نزلت من السماء، وإنما هى مصنوعة بدهن البلسان فى خيوط الإبريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره، بالصنعة اللطيفة التى تروج على الطغام منهم والعوام، وهم إلى الآن يستعملونها فى ذلك المكان بعينه. وكذلك أمر بهدم عدة كنائس فى هذه السنة ببلاد مصر، ونودى فى النصارى بمصر: من أحب الدخول فى دين الإسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمناً، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التى زاد فيها على العمرية، من تعليق الصلبان على صدورهم من خشب الصليب منهم أربعة أرطال، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال. وفى الحمام يكون فى عنق الواحد منهم قربة زنة خمسة أرطال، وأجراس وأن لا يركبوا خيلاً. ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التى هدمها وأذن لمن أسلم منهم فى الارتداد إلى دينه. وقال: ننزه مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، قبحه الله تعالى.

وممن توفى فيها من الأعيان: عبد الله بن محمد أبو محمد الباقى: البخارى الخوارزمى، أحد أئمة الشافعية في وقته، تفقه على أبى القاسم الداركى ودرس مكانه، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشعر، جاء مرة ليزور بعض أصحابه فلم يجده فكتب إليه:

قد حضَرْنا وليس يَقْضِى التّلاقي * نَسْـألُ اللهَ خـيـرَ هذا الفـراقِ

إن تَغِبْ لم أَغِبْ وإن لم تَغِـبْ غِـبْـ * ـتُ كـأنّ افـتـراقَنـا باتّفـاقِ

وقد كانت وفاته فى محرم هذه السنة، وقد ذكرنا ترجمته فى «طبقات الشافعية».

عبد الله بن أحمد بن على بن الحسين، أبو القاسم المقرئ المعروف بالصيدلانى، وهو آخر من حدث عن ابن صاعد من الثقات، وروى عنه الأزهرى، وكان ثقة مأموناً صالحاً. توفى فى رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى.[1]

الببغاء: عبد الواحد بن نصر بن محمد، أبو الفرج المخزومى[2]، الشاعر الملقب بالببغاء، توفى فى شعبان من هذه السنة، وكان أديباً فاضلاً مترسلاً شاعراً مجيداً، فمن ذلك قوله:

يا مَن تشـابَه منه الخَلْقُ والخُلُقُ * فـمـا تُسـافِـرُ إلا نحـوَه الحَـدَقُ

تَوريدُ دَمْعيَ مِن خدَّيك مُختَلَسٌ * وسُقْمُ جسميَ من جَفْنَيْكَ مُسْتَرَقُ

لم يَبْقَ لي رَمَقٌ أشكُو هَواك به * وإنما يَتَـشَكّى مَن بـه رَمَـقُ

محمد بن يحيى أبو عبد الله الجرجانى: أحد العلماء الزهاد العباد، المناظرين لأبى بكر الرازى، وكان يدرس فى قطيعة الربيع، وقد فلج فى آخر عمره، وحين مات دفن مع أبى حنيفة.[3]

أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد: أبو الفضل الهمذانى، الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريرى، واقتفى أثره وشكر تقدمه، واعترف بفضله، وكان قد أخذ اللغة عن ابن فارس، ثم برز، وكان أحد الفضلاء الفصحاء، ويذكر: أنه سُمَّ وأخذته سكتة، فدفن سريعاً. ثم عاش فى قبره وسمعوا صراخه فنبشوا عنه فإذا هو قد مات وهو

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 378)، و«المنتظم» (15/ 63)، و«السير» (17/ 68).
(2) «تاريخ بغداد» (11/ 11)، و«المنتظم» (15/ 64)، و«السير» (17/ 91).
(3) «تاريخ بغداد» (3/ 433)، و«المنتظم» (15/ 66).

آخذ على لحيته من هول القبر، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، رحمه الله تعالى وعفا عنه وسامحه وإيانا بمنه.(1)

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

فيها: قتل أبو علي ابن ثمال نائب الرحبة من طرف الحاكم العبيدي، قتله عيسى بن خلاط العقيلي، وملكها، فأخرجه منها عباس بن مرداس صاحب حلب وملكها.(2)

وفيها: صرف عمرو بن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن ابن أبي الشوارب، فذهب الناس يهنون هذا ويعزون هذا، فقال في ذلك العصفري:

عندي حديثٌ طريفٌ * بمثله يُتَغَنَّى
من قاضيين يُعَزَّى * هذا وهذا يُهَنَّا
فذا يقولُ اكرهونا * وذا يقولُ استرحنا
ويكذبان ونهذى * فمن يُصَدِّقُ منا

وفي شعبان من هذه السنة: عصفت ريح شديدة فألقت رملاً أحمر في طرقات بغداد.

وفيها: هبت على الحجاج ريح سوداء مظلمة واعترضهم الأعراب فصدوهم عن السبيل، واعتاقوهم حتى فاتهم الحج في هذه السنة أيضًا فرجعوا، وأخذت بنو هلال طائفة من حجاج البصرة نحواً من ستمائة واحد، وأخذوا منهم نحواً من ألف ألف دينار، والخطبة بالحرمين للمصريين.

وممن توفي فيها من الأعيان: **عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين أبو أحمد الطبراني:** سمع ببغداد ومكة وغيرهما من البلاد، وكان مكثراً، سمع منه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد، ثم أقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس يعبد الله تعالى إلى أن مات في ربيع الأول من هذه السنة.(3)

محمد بن أحمد بن علي بن الحسين: أبو مسلم كاتب الوزير ابن حنزابة، روى عن البغوي وابن صاعد وابن دريد وابن أبي داود وابن عرفة وابن مجاهد وغيرهم، وكان آخر من بقي من أصحاب البغوي، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم، وقد تكلم بعضهم في روايته عن البغوي لأن أصوله كان غالبها مفسوداً. وذكر الصوري أنه خلط في آخر عمره، والله أعلم.(4)

أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري، صاحب كتاب «الزيج الحاكمي» في أربع مجلدات، كان أبوه من أكابر المحدثين من الحفاظ، وقد أرخ لمصر تاريخاً نافعاً يرجع إليه العلماء، وأما هذا فاشتغل بعلم النجوم فنال من شأنه منالاً جيداً، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلاً سيئ الحال، رث الثياب، طويلاً يتعمم على طرطور طويل، ويتطيلس فوقه، ويركب حماراً، فمن رآه ضحك منه، وكان يدخل على الحاكم فيكرمه ويذكر من تغفله ما يدل على عدم اعتنائه بأمر نفسه، وكان شاهداً معدلاً، وله شعر جيد، فمنه ما ذكره ابن خلكان:

(1) «الوفيات» (1/ 127)، و«السير» (17/ 67).
(2) «المنتظم» (15/ 67-68)، و«الكامل» (9/ 210-212).
(3) «تاريخ بغداد» (9/ 423)، و«المنتظم» (15/ 68).
(4) «تاريخ بغداد» (1/ 323)، و«المنتظم» (15/ 69).

أَحْمِلُ نَشْرَ الرِّيحِ عِنْدَ هُبُوبِهِ * رِسالةَ مُشْتَاقٍ لِوَجْهِ حَبِيبِهِ
بِنَفْسِيَ مَنْ تَحْيا النُّفُوسُ بِقُرْبِهِ * وَمَنْ طَابَتِ الدُّنيا بِهِ وَبِطِيبِهِ
وَجدَّدَ وَجْدِي طائفٌ منهُ في الكَرَى * سَرَى مَوْهِنًا في خُفْيَةٍ مِنْ رَقِيبِهِ
لَعَمْرِي لَقَدْ عَطَّلْتُ كَأْسِيَ بَعْدَهُ * وَغَيَّبْتُهَا عَنِّي لِطُولِ مَغِيبِهِ

تمنى أم أمير المؤمنين القادر بالله: مولاة عبد الواحد بن المقتدر، كانت من العابدات الصالحات، ومن أهل الفضل والدين، توفيت ليلة الخميس الثانى والعشرين من شعبان من هذه السنة، وصلى عليها ابنها القادر، وحملت بعد العشاء إلى الرصافة.

سنة أربعمائة من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

فى ربيع الآخر: نقصت دجلة نقصًا كثيرًا، حتى ظهرت جزائر لم تكن تعرف، وامتنع سير السفن فى أماكنها من أوانا والراشدية، فأمر بكرى تلك الأماكن ولم تكر قبل ذلك.(1)

وفيها: كمل السور على المشهد بالحائر، وكان الذى بناه أبو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان عن نذر نذره حين زاره.

وفى رمضان: أرجف الناس بالخليفة القادر بالله فجلس للناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة وبيده القضيب، وجاء الشيخ أبو حامد الإسفراييني فقبّل الأرض بين يديه وقرأ: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ (الأحزاب:60،61). فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا.

وفي هذه السنة: ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصادق بالمدينة فأخذ منها مصحفًا وآلات كانت بها، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذه المدة، وكان مع المصحف قعب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير، حمل ذلك كله جماعة من العلويين إليه إلى الديار المصرية، فأطلق لهم أنعاماً كثيرة ونفقات زائدة، وردّ السرير وأخذ الباقي، وقال: أنا أحق به. فردوا وهم ذامون له داعون عليه. وبنى الحاكم في هذه السنة دار العلم وأجلس فيها الفقهاء، ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقاً كثيراً ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة.

وعمر الجامع المنسوب إليه بالديار المصرية وهو جامع الحاكم، وتأنق فى بنائه في هذه السنة.

وفى ذى الحجة منها: أعيد المؤيد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموى إلى ملكه بعد خلعه وحبسه مدة طويلة، وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة للحاكم العبيدي صاحب مصر والشام.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر: أبو أحمد الموسوى النقيب، والد الرضى والمرتضى، ولى نقابة الطالبيين مرات نحواً من خمس مرات، يعزل ويعاد، ثم أضر فى آخر عمره، وتوفى عن سبع وتسعين سنة، وصلى عليه ابنه المرتضى، ودفن فى مشهد الحسين. وقد رثاه ابنه المرتضى هذا بقصيدة حسنة قوية المنزع والمطلع، منها قوله:

---
(1) «المنتظم» (15/ 70-71).

سـلامُ اللهِ تَنْقُلُه الليـالي * ويَهْـديه الغُـدُوُّ إلى الرَّواح
على جَـدَثٍ تَشَبَّث مِن لُؤَيٍّ * بِيَنْبُوعِ العِبادةِ والصَّلاح
فـتـى لم يَرْوَ إلا مِن حـلالٍ * ولم يَكُ زادُه غيرَ المباح
ولا دَنِسَت لـه إزْرٌ بـوزْرٍ * ولا عَلِقَت لـه راحٌ براح
خَفيفُ الظهرِ مِن ثِقْلِ الخطايا * وعُرْيانُ الجَوانحِ مِن جُناح
مَشوقٌ في الأمورِ إلى عُلاها * ومَدْلولٌ على بابِ النجاح
مِن القـومِ الذين لهم قلوبٌ * بذكرِ اللهِ عامرةُ النَّواح
بأجْسامٍ مِن التَّقْوى مِراضٍ * لمُبْصِرِها وأديانٍ صِحاح

رحمه الله تعالى ورضي عنه وتجاوز بمنه وكرمه.

الحجاج بن هرمز أبو جعفر: نائب بهاء الدولة على العراق، وكان ينتدبه لقتال الأعراب والأكراد، وكان من المقدمين على عهد عضد الدولة، وكانت له خبرة تامة بالحرب، وحرمة شديدة، وشجاعة وافرة، وهمة عالية وآراء سديدة. ولما خرج عن بغداد فى سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة كثرت بها الفتن والشرور وكانت وفاته بالأهواز في هذه السنة عن مائة سنة وخمس سنين، رحمه الله.

أبو عبد الله القمى المصرى التاجر: كان ذا مال جزيل جداً، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار، من سائر أنواع الأموال. وكانت وفاته بأرض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن على، رضى الله تعالى عنهم.

أبو الحسين ابن الرفاء المقرئ: المتقدم ذكره كان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن وأحلاهم أداء، رحمه الله تعالى، وقد تقدم ذكر في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بما أغنى عن إعادته هنا.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة

فى يوم الجمعة الرابع من المحرم منها: خطب بالموصل للحاكم العبيدى عن أمر صاحبها قرواش بن مقلد أبى منيع، وقهر رعيته على ذلك، وقد سرد ابن الجوزى صفة الخطبة يومئذ بحروفها. وفى آخر الخطبة صلوا على آبائه من الخلفاء المهدى ثم ابنه القائم ثم ابنه المنصور، ثم ابنه المعز، ثم ابنه العزيز، ثم على ابنه الحاكم صاحب الوقت، وبالغوا فى الدعاء لهم، ولاسيما للحاكم المذكور، وكذلك ببقية أعماله من الأنبار والمدائن وغيرهما. وكان سبب ذلك أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله وهداياه إلى قرواش يستميله إليه، وليقبل بوجهه عليه، حتى فعل ما فعل مما ذكرنا فلما بلغ الخبر القادر بالله العباسى كتب يعاتب قرواش بن مقلد على ما صنع، ونفذ بهاء الدولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لمحاربة قرواش. فلما بلغ ذلك قرواشاً رجع عن رأيه وندم على ما كان منه، وأمر بقطع الخطبة الحاكمية من بلاده، وأعادها إلى القادر العباسي على عادته.(1)

قال ابن الجوزى: ولخمس بقين من رجب زادت دجلة زيادة كثيرة، واستمرت الزيادة إلى رمضان، وبلغت أحدًا وعشرين ذراعاً وثلثًا، ودخل الماء إلى أكثر دور بغداد.(2)

---

(1) «المنتظم» (15/ 74-78)، و«الكامل» (9/ 221-226).
(2) «المنتظم» (15/ 77).

وفيها: رجع الوزير أبو غالب ابن خلف إلى بغداد ولقب فخر الملك بعد عميد الجيوش.

وفيها: عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوى ودعا إلى نفسه، وتلقب بالراشد بالله. ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل العراق أيضًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وممن توفى فيها من الأعيان والأشراف: أبو مسعود الدمشقي: إبراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي، الحافظ الكبير، مصنف كتاب «الأطراف على الصحيحين»، رحل إلى بلاد شتى كبغداد والبصرة والكوفة وواسط والأهواز وأصبهان وخراسان، وكان من الحفاظ الصادقين، الأمناء الضابطين، ولم يرو إلا اليسير، روى عنه أبو القاسم الطبري وأبو ذر الهروى، وحمزة السهمى وغيرهم. وكانت وفاته ببغداد فى رجب، وأوصى إلى الشيخ أبى حامد الإسفرايينى فصلى عليه، ودفن فى مقبرة جامع المنصور قريباً من السكك، رحمه الله. وقد ترجمه ابن عساكر وأثنى عليه(1)، والله أعلم.

عميد الجيوش الحسن بن أبى جعفر: أستاذ هرمز أبو عليّ الملقب بعميد الجيوش، وزير بهاء الدولة، ولد سنة خمسين وثلاثمائة، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة، وولاه بهاء الدولة النظر في وزارته سنة اثنتين وتسعين، والشرور عامة كثيرة، فمهد البلاد وأخاف العيارين واستقامت به الأمور، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها في أزقتها، فإن اعترضه أحد فليدفعها إليه وليعرف ذلك المكان. فذهب الغلام فلم يعترضه أحد، ولله الحمد والمنة. ومنع الروافض مما كانوا يتعاطونه من النياحة فى عاشوراء، وإقامة العيد المبتدع فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة الذى يقال له: غدير خم، وكان عادلاً منصفًا، رحمه الله.

خلف بن محمد بن على بن حمدون: أبو محمد الواسطى، رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد، ثم رحل إلى الشام ومصر، وكتب الناس بانتخابه، وصنف أطرافاً على «الصحيحين»، وكانت له معرفة تامة، وحفظ جيد، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر فى العلم حتى توفى فى هذه السنة، رحمه الله وسامحه. وممن روى عنه الأزهرى.(2)

أبو عبيد الهروى صاحب الغريبين: أحمد بن محمد بن محمد بن أبى عبيد العبدى اللغوى البارع، كان من علماء الناس فى الأدب واللغة، وكتابه «الغريبين فى معرفة القرآن والحديث»، يدل على اطلاعه وتبحره فى هذا الشأن، وكان من تلامذة أبى منصور الأزهرى.(3) قال ابن خلكان: وقيل: إنه كان يحب البذلة ويتناول فى الخلوة، ويعاشر أهل الأدب فى مجالس اللذة والطرب، والله أعلم، سامحه الله تعالى. قال: وكانت وفاته فى رجب سنة إحدى وأربعمائة.

وذكر ابن خلكان: فى هذه السنة أو التى قبلها وفاة: **أبي الفتح البستى الشاعر:** وهو على بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز الكاتب، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس، البديع

---

(1) «تاريخ بغداد» (6/ 172)، و«تاريخ ابن عساكر» (7/ 143)، و«المنتظم» (15/ 78)، و«الكامل» (9/ 226)، و«التذكرة» (3/ 1068)، و«السير» (17/ 227).

(2) «أخبار أصبهان» (1/ 310)، و«تاريخ بغداد» (8/ 334)، و«المنتظم» (15/ 80)، و«الكامل» (9/ 226)، و«السير» (17/ 260).

(3) «الوفيات» (1/ 95)، و«السير» (17/ 146).

التأسيس، والحذاقة والنظم والنثر، وقد أسلفنا ذكره، ومما أورد له ابن خلكان قوله: من أصلح فاسده أرغم حاسده، من أطاع غضبه أضاع أدبه. من سعادة جدك وقوفك عند حدك. المنية تضحك من الأمنية. الرشوة رشاء الحاجات، حد العفاف الرضى بالكفاف.(1) ومن شعره:

إنْ هزَّ أقلامَه يومًا ليُعْمِلَها * أنساكَ كلَّ كَميٍّ هزَّ عامِلَهُ
وإن أقَرَّ على رَقٍّ أناملَه * أقر بالرِّقِّ كُتّابُ الأنامِ لَهُ

وله:

إذا تحدَّثْتَ في قومٍ لتُؤْنِسَهم * بما تُحَدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تُعِدْ لحديثٍ إنَّ طبعَهمُ * مُوَكَّلٌ بمُعاداةِ المُعاداتِ

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة

فى المحرم: أذن فخر الملك للروافض أن يعملوا البدعة الشنعاء، والفضيحة الصلعاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح، وتغليق الأسواق من الصباح إلى المساء، ودوران النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطمن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، فلا جزاه الله عن السنة خيراً، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء، رب الأرض والسماء.(2)

وفى ربيع الآخر: أمر القادر بالله بعمارة مسجد الكف بقطيعة الدقيق، وأن يعاد إلى أحسن ما كان، ففعل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة جدًا.

ذكر الطعن في نسب الفاطميين من أئمة بغداد وغيرها من البلاد

وفى ربيع الآخر منها: كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح فى نسب الخلفاء المصريين، الذين يدعون أنهم فاطميون وليسوا كذلك، ونسبتهم إلى ديصان بن سعيد الخرمي، وكتب فى ذلك جماعة من العلماء والقضاة والفقهاء والأشراف، والأماثل والمعدلين، والصالحين، شهدوا جميعًا أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزى والدمار والنكال والاستئصال، ابن معد ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدى، وأن من تقدم من سلفه -من الأنجاس والأرجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين- أدعياء خوارج، لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب، ولا يتعلقون منه بسبب وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذى ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء. وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً فى الحرمين، وفى أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم، أو يذهب وَهْمٌ إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية. وكتب فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة، وقد كتب خطه فى

---

(1) «الوفيات» (3/ 376-377).
(2) «المنتظم» (15/ 82-85)، و«الكامل» (9/ 227-237).

المحضر خلق كثير، فمن العلويين: المرتضى والرضى، وابن الأزرق الموسوى، وأبو طاهر ابن أبى الطيب، ومحمد بن محمد بن عمر وابن أبى يعلى. ومن القضاة: أبو محمد ابن الأكفانى، وأبو القاسم الخزري، وأبو العباس ابن السوري. ومن الفقهاء: أبو حامد الإسفرايينى، وأبو محمد ابن الكشفلي، وأبو الحسين القدورى، وأبو عبد الله الصيمرى، وأبو عبد الله البيضاوى، وأبو على ابن حمكان. ومن الشهود: أبو القاسم التنوخى فى خلق كثير، وقرئ بالبصرة، وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة الشيخ أبى الفرج ابن الجوزى.

قلت: ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء، والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى عليّ، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول عبد الله بن عمر للحسين بن على حين أراد الدخول إلى العراق، وذلك عن كتب عوام أهل الكوفة إليه بالبيعة له فقال له ابن عمر: لا تذهب إليهم فإنى أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خُيّر بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من أهل بيتك. فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابى الجليل، يقتضى أنه لا يلى الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدى الذى يكون فى آخر الزمان وقت نزول عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض، كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في أحاديث الملاحم. ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة أنهم ليسوا من أهل بيت النبوة، كما نص عليه سادة القضاء والشهود والفقهاء والكبراء. وقد صنف القاضى الباقلانى كتاباً فى الرد على هؤلاء القوم المنتسبين إلى الفاطميين وسماه «كشف الأسرار وهتك الأستار» نثر فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل أحد يفهم شيئًا من مطاوى أفعالهم وأقوالهم، وقد كان يقول فى عبارته: هؤلاء قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض.

وفى رجب وشعبان ورمضان: أخرج الوزير فخر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمقابر، وزار بنفسه المساجد والمشاهد وغير ذلك، وأخرج خلقاً من المسجونين بالحبوس وأظهر نسكاً كثيراً، وعمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق هائلة.

وفى شوال: عصفت ريح شديدة سوداء فقصفت شيئًا كثيراً من النخل، أكثر من عشرة آلاف، وورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين صاحب غزنة أيده الله تعالى بأنه ركب بجيشه إلى دار العدو فاجتاز بهم في مفازة فأعوزهم فيها الماء حتى كادوا أن يهلكوا عطشاً، فبعث الله لهم سحابة فأمطرت عليهم حتى شربوا ورووا، ثم تواقفوا هم وعدوهم، ومع الأعداء نحو من ستمائة فيل، فهزموهم وغنموا منهم شيئاً كثيراً من الأموال، ولله الحمد.

وعملت الشيعة يوم غديرخم، وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة البدعة التي ابتدعوها، لا لابتغاء وجه الله، وزينت الحوانيت وتمكنوا بسبب الوزير وكثير من الأتراك تمكناً كثيراً.

وممن توفى فيها من الأعيان: الحسن بن الحسين بن على بن العباس: ابن إسماعيل بن أبي سهل ابن نوبخت أبو محمد النوبختى، الكاتب ولد سنة عشرين وثلاثمائة، وروى عن المحاملى وغيره، وعنه البرقانى، وقال: كان شيعياً معتزلياً، إلا أنه تبين لى أنه كان صدوقًا. والأزهرى وقال: كان رافضياً، ردىء المذهب. وقال العتيقي: كان ثقة فى الحديث، ويذهب إلى الاعتزال.(1)

(1) «تاريخ بغداد» (7/ 299)، و«المنتظم» (15/ 86).

عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلانى: أحد الزهاد الكبار المشهورين، كانت له نخلات يأكل منهن ويعمل بيده فى البوارى، ويأكل من ذلك، وكان فى غاية الزهادة والعبادة الكثيرة، وكان لا يخرج من مسجده إلا من الجمعة إلى الجمعة، يصلي في الجامع ثم يعود إلى مسجده، وكان مسجده لا يحصل له شيئاً يشعله فيه، فطلب منه بعض الأمراء أن يقبل منه شيئاً ولو زيتاً يشعله فى قناديله، فأبى الشيخ ذلك.(1) ولما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيران قبره فسأله عن جواره فقال: وأين هو، لما وضع فى قبره سمعنا قائلاً يقول: الفردوس الأعلى، أو كما قال، وكانت وفاته فى رجب من هذه السنة عن ست وثمانين سنة.

محمد بن جعفر بن محمد: ابن هارون بن فروة بن ناجية، أبو الحسن النحوى، المعروف بابن النجار التميمى الكوفى، قدم بغداد وروى عن ابن دريد والصولى ونفطويه وغيرهم، وكانت وفاته فى جمادى الأولى من هذه السنة عن تسع وتسعين سنة.(2)

أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكى النيسابورى، قال أبو يعلى الخليلى: توفى فيها، وقد تقدم فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

فى سادس عشر المحرم: قلد الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى نقابة الطالبيين فى سائر الممالك، وقرئ تقليده فى دار الوزير فخر الملك، بمحضر القضاة والأعيان، وخلع عليه السواد، وهو أول طالبى خلع عليه السواد.(3)

وفيها: جيء بأمير بنى خفاجة أبي فليتة قبحه الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى، وكانوا قد اعترضوا الحجيج فى السنة الماضية وهم راجعون، وغوروا المناهل التى يردها الحجاج، ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لمواشيهم فى أسوأ حال، وأخذوا جميع ما كان معهم من الأحمال والجمال فحين أحضرهم الوزير فخر الملك سجنهم ومنعهم الماء، ثم صلبهم تلقاء دجلة يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه، حتى ماتوا كذلك جزاء وفاقاً، ولقد أحسن فخر الملك فى هذا الصنيع واقتدى بحديث أنس في الرعاء الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ، والحديث فى «الصحيحين». ثم بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا فى بلاد بنى خفاجة من الحجاج فجيء بهم، وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم ولله الحمد والمنة.

قال ابن الجوزى: وفى رمضان انقض كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوؤه على ضوء القمر، وتقطع قطعاً وبقى ساعة طويلة.(4)

قال: وفى شوال: توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى، فخرجت النوائح والصلب معها جهرة، فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصرانى بدبوس فى رأسه فشجه، فثار المسلمون بهم فانهزموا ولجأوا إلى كنيسة لهم هناك، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها، وما قرب منها من دور

---

(1) «تاريخ بغداد» (11/ 313)، و«المنتظم» (15/ 86).
(2) «تاريخ بغداد» (2/ 158)، و«المنتظم» (15/ 88)، و«السير» (17/ 100).
(3) «المنتظم» (15/ 89-92)، و«الكامل» (9/ 238-243).
(4) «المنتظم» (15/ 91).

النصارى، وتبعوا النصارى فى البلد، وقصدوا دار المناصح وابن أبى إسرائيل فقاتلهم غلمانهم، وانتشرت الفتنة ببغداد، ورفع المسلمون المصاحف فى الأسواق، وعطلت الجمعة فى بعض الأيام، واستعانوا بالخليفة فأمر بإحضار ابن أبى إسرائيل فامتنع، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد، وقويت الفتنة جداً ونهبت دور كثير من النصارى، ثم أحضر ابن أبى إسرائيل فبذل أموالاً جزيلة، فعفى عنه وسكنت الفتنة.

وفى ذى القعدة: ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه ورد إليه رسول من الحاكم صاحب مصر يدعوه إلى طاعته، فبصق فيه وأمر بتحريقه، وأسمع رسوله غليظ ما يقال.

وفيها: قلد أبو نصر ابن مروان الكردى إمرة آمد وميافارقين وديار بكر، وخلع عليه بطوق وسوار، ولقب نصير الدولة، ولم يتمكن ركب العراق وخراسان في هذه السنة من الذهاب إلى الحج لفساد الطريق، وغيبة فخر الملك فى إصلاح الأراضى.

وفي هذه السنة: عادت مملكة الأمويين بالأندلس فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموى، ولقب بالمستعين بالله، وبايعه الناس بقرطبة.

وفيها: مات بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة بن بويه الديلمى صاحب بغداد والعراق، وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع.

وفيها: مات ملك الترك الأعظم إيلك خان، فولي أمرهم من بعده أخوه طغان خان.

وفيها: هلك شمس المعالى قابوس بن وشمكير، أدخل بيتاً بارداً فى الشتاء وليس عليه شيء من اللباس حتى مات كذلك، وولى الأمر من بعده ولده منوجهر، ولقب فلك المعالى، وخطب لمحمود بن سبكتكين، وقد كان شمس المعالى قابوس عالماً فاضلاً أديباً شاعراً، فمن شعره قوله:

قلْ للذي بصُروفِ الدهرِ عيَّرَنا * هل عاندَ الدهرُ إلا مَن له خطَرُ
أما تَرَى البحرَ يَطفُو فوقَه جِيَفٌ * ويَستقِرُّ بأقصَى قَعْرِه الدُّرَرُ
فإن تَكُنْ نَشِبَت أيدي الخُطوبِ بنا * ومسَّنا مِن تَوالي صَرفِها ضَرَرُ
ففي السماءِ نجومٌ غيرُ ذي عَدَدٍ * وليس يَكسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ

ومن شعره المستجاد قوله:

خَطَراتُ ذِكرِكَ تَستَثيرُ مَوَدَّتي * فأُحِسُّ منها في الفؤادِ دَبيبَا
لا عضوَ لي إلا وفيه صَبابةٌ * فكأنَّ أعضائي خُلِقْنَ قُلوبَا

وممن توفى فيها من الأعيان: أحمد بن على أبو الحسن البتي: كان يكتب للقادر وهو بالبطيحة، ثم كتب له على ديوان الخبر والبريد، وكان يحفظ القرآن حفظاً حسناً، مليح الصوت والتلاوة، حسن المجالسة، ظريف النادرة والمجانة. خرج فى بعض الأيام هو والشريفان الرضى والمرتضى وجماعة من رؤوس الأكابر لتلقى بعض الملوك، فخرج عليهم بعض اللصوص فجعلوا يرمونهم بالحذافات، ويقولون: يا أزواج القحاب. فقال البتي: ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين. فقالوا: ومن أين علمت هذا؟ فقال: وإلا من أين علموا أننا أزواج قحاب.[1]

(1) «تاريخ بغداد» (4/ 320)، و«الأنساب» (1/ 281)، و«المنتظم» (15/ 93).

الحسن بن حامد بن على بن مروان أبو عبد الله الورّاق الحنبلى، كان مدرس أصحاب أحمد وفقيههم فى زمانه، وله المصنفات المشهورة، منها كتاب «الجامع فى اختلاف العلماء» فى أربعمائة جزء، وله فى أصول الدين والفقه، وعليه اشتغل القاضي أبو يعلى ابن الفراء، وكان معظماً فى النفوس، مقدماً عند السلطان، ولا يأكل إلا من كسب يده من النسج، وروى الحديث عن أبى بكر الشافعى، وابن مالك القطيعى، وغيرهما. وخرج فى هذه السنة إلى الحج فلما عطش الناس فى الطريق استند هو إلى حجر هناك فى الحر الشديد، فجاءه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد: من أين لك هذا؟ فقال: ما هذا وقته اشرب. فقال: بلى هذا وقته عند لقاء الله تعالى، فلم يشرب ومات من فوره رحمه الله.(1)

الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، أبو عبد الله الحليمى، صاحب «المنهاج فى أصول الديانة»، كان أحد مشايخ الشافعية، ولد بجرجان وحمل إلى بخارى، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين فى عصره، وولى القضاء ببخارى. قال ابن خلكان: انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر، وله وجوه حسنة فى المذهب، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله، رحمه الله تعالى.(2)

فيروز أبو نصر: الملقب بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمى، صاحب بغداد والعراق، وهو الذى قبض على الطائع وولى القادر، وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بنى بويه، وكان بخيلاً جداً. توفى بأرجان فى جمادى الآخرة من هذه السنة عن اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وعشرين يومًا، وكانت مدة ملكه أربعًا وعشرين سنة، وثلاثة أيام، وكان مرضه بالصرع، ودفن بمشهد عليّ إلى جانب أبيه.(3)

قابوس بن وشمكير: كان أهل دولته قد تغيروا عليه فبايعوا ولده منوجهر وقتلوا أباه كما ذكرنا في الحوادث، وكان قد نظر فى النجوم فرأى أن ولده يقتله، وكان يتوهم أنه ولده دارا، لما يرى من مخالفته له، ولا يخطر بباله منوجهر لما يرى من طاعته له، فكان هلاكه على يديه، وقد قدمنا شيئًا من شعره الحسن الجيد فى الحوادث.(4)

القاضى أبو بكر الباقلانى: محمد بن الطيب، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري، ومن أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً فى الكلام، يقال: إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة، من جيدها كتاب «التبصرة»، و«دقائق الحقائق»، و«التمهيد فى أصول الفقه»، و«شرح الإبانة»، وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار، ومن أحسن تصانيفه كتابه فى الرد على الباطنية، الذى سماه: «كشف الأسرار وهتك الأستار». وقد اختلفوا فى مذهبه فى الفروع، فقيل: شافعى، وقيل: مالكى، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروى، وقد قيل: إنه كان يكتب على الفتاوى: كتبه محمد بن الطيب الحنبلى، وهذا غريب جداً. وقد كان فى غاية الذكاء والفطنة، ذكر الخطيب البغدادي وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه فى رسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو يدخل

(1) «تاريخ بغداد» (7/ 303)، و«المنتظم» (15/ 94)، و«السير» (17/ 253).
(2) «المنتظم» (15/ 94)، و«الوفيات» (2/ 237)، و«السير» (17/ 231).
(3) «المنتظم» (15/ 95)، و«الكامل» (9/ 241)، و«السير» (17/ 185).
(4) «المنتظم» (15/ 95)، و«الكامل» (9/ 238).

عليه من باب قصير، ففهم أن مراده بذلك أن ينحنى كهيئة الراكع للملك، فدخل الباب بظهره وجعل يمشى القهقرى إلى نحو الملك ثم انفتل فسلم عليه، فعرف الملك مكانه من العلم والفهم، فعظمه. ويذكر أن الملك أحضر إلى بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل، ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلانى خاف أن تظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك، فجعل لا يألو جهداً أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب، ولم يظهر عليه شىء من النقص والخفة، فعجب الملك من كمال عقله، ثم استكشف الملك عن أمره فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب، فتحقق وفور علمه وعلو فهمه، وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟وما كان من أمرها فيما رميت به من الإفك؟ فقال مجيباً له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء مريم وعائشة، فبرأهما الله عز وجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج. يعنى: أن عائشة أولى بالبراءة من مريم عليهما السلام، فإن تطرق فى الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله مبرأتان من السماء بوحى من الله عز وجل ﷺ. وقد سمع الباقلانى الحديث من أبى بكر ابن مالك القطيعى وأبى محمد ابن ماسى وغيرهما، وقد قبله الدارقطنى يومًا بين عينيه، وقال: هذا يرد على أهل الأهواء باطلهم، ودعا له. وكانت وفاة الباقلاني يوم السبت لسبع بقين من ذى القعدة، ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب.(1)

محمد بن موسى بن محمد أبو بكر الخوارزمى: شيخ الحنفية وفقيههم، وقد أخذ العلم عن أبي بكر أحمد بن عليّ الرازى، وانتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد، وكان معظماً عند الملوك، ومن تلامذته الرضى والصيمرى، وقد سمع الحديث من أبى بكر الشافعى وغيره، وكان ثقة دينًا على طريقة السلف. ويقول: ديننا دين العجائز، لسنا من الكلام فى شىء، وكان فصيحاً حسن التدريس، دُعى إلى ولاية القضاء غير مرة فلم يقبل، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة، ودفن بداره من درب عبدة.(2)

الحافظ أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافري القابسى: مصنف التلخيص، أصله قروي وإنما غلب عليه القابسى لأن عمه كان يتعمم قابسية، فقيل لهم ذلك. وقد كان حافظاً بارعاً فى علم الحديث، رجلاً صالحاً جليل القدر، ولما توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالى يقرؤون القرآن ويدعون له، وجاء الشعراء من كل أوب يرثون ويترحمون(3)، ولما أجلس للمناظرة أنشد لغيره:

لعَمْرُ أبيك ما نُسب المُعَلَّى * إلى كرمٍ وفي الدنيا كريمُ
ولكنَّ البلادَ إذا اقشَعَرَّت * وصوَّح نَبْتُها رُعِيَ الهشيمُ

ثم بكى وأبكى، وجعل يقول: أنا الهشيم أنا الهشيم. رحمه الله تعالى.

(1) انظر ترجمته فى «تاريخ بغداد» (5/ 379)، و«المنتظم» (15/ 96)، و«الكامل» (9/ 242)، و«الوفيات» (4/ 269)، و«السير» (17/ 190).
(2) «تاريخ بغداد» (3/ 247)، و«المنتظم» (15/ 96)، و«السير» (17/ 235).
(3) «الوفيات» (3/ 320)، و«السير» (17/ 158)، و«التذكرة» (ذ/ 1079).

الحافظ ابن الفرضى: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدى الفرضى، قاضى بلنسية، سمع الكثير وجمع وحصّل وصنف التاريخ، وفى المؤتلف والمختلف، ومشتبه النسبة وغير ذلك، وكان علامة زمانه، قتل شهيداً على يد البربر فسمع وهو جريح طريح يقرأ على نفسه الحديث الذى فى الصحيح: «**ما يُكْلَمُ أحد فى سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم فى سبيله، إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يَدْمَى، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**»(1). وقد كان سأل الله تعالى الشهادة عند أستار الكعبة فأعطاه الله ذلك، ومن شعره قوله:

أَسِيـرُ الخَطايا عندَ بابِك واقـفُ * علـى وَجَـلٍ ممـا بـه أنـت عـارِفُ
يَخـافُ ذُنوبًا لم يَغِبْ عنك غـيبُـها * ويَرْجُـوك فـيـهـا فـهْـو راجٍ وخـائـفُ
ومَن ذا الذي يُرْجَى سِـواك ويُتَّـقَى * وما لك في فَصْلِ القَضاءِ مُخالِفُ
فيا سيِّدي لا تُخْزِني في صَحِيفتي * إذا نُشِرَت يومَ الحِسابِ الصَّحائِفُ
وكُنْ مُؤْنِسي في ظُلْمةِ القَبْرِ عندَما * يَصُدُّ ذَوُوا القُرْبَى ويجْفُو المُؤالِفُ
لئن ضاق عني عَفْوُك الواسعُ الذي * أُرَجِّـى لإسْـرافـي فـإنِّـيَ تـالِـفُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة

فى يوم الخميس غرة ربيع الأول منها: جلس الخليفة القادر بالله فى أبهة الخلافة، وأحضر إلى بين يديه فخر الملك والحجبة بين يديه، فخلع عليه سبع خلع على العادة، وعمامة سوداء، وسيفاً وتاجاً مرصعاً وسوارين وطوقاً، ولواءين خلعهما الخليفة بيده، ثم أعطاه سيفاً وقال للخادم: قلده به، فهو شرف له ولعقبه، يفتح به شرق الأرض وغربها. وكان ذلك يوماً مشهوداً، بمحضر من القضاة والأمراء والوزراء والأماثل والأعيان والكبراء بدار الخلافة.(2)

وفيها: غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبى وغنم وسلم، وكتب إلى الخليفة القادر بالله أن يوليه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد، فأجابه إلى ذلك.

وفيها: عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة، فبرز إليهم نائبها أبو الحسن ابن مزيد فواقعهم فقتل منهم خلقاً وأسر محمد بن ثمال وجماعة من رؤوسهم، وانهزم الباقون، فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأهلكت منهم خمسمائة إنسان.

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحسن محمد بن الحسن الأقساسي.

وممن توفى فيها من الأعيان: **الحسين بن أحمد بن جعفر بن عبد الله المعروف بابن البغدادى،** سمع الحديث، وكان زاهداً عابداً كثير المجاهدة، لا ينام إلا عن غلبة، وكان لا يدخل الحمام ولا يغسل ثيابه إلا بالماء وحده، رحمه الله.(3)

---

(1) رواه البخارى (2803) (5533)، ومسلم (1876) (103).
(2) «المنتظم» (15/ 98)، و«الكامل» (9/ 244-246).
(3) «تاريخ بغداد» (8/ 15)، و«المنتظم» (15/ 99).

الحسين بن عثمان بن عليّ: أبو عبد الله المقرئ الضرير المجاهدى، قرأ على ابن مجاهد القرآن وهو صغير، وكان آخر من بقى من أصحابه، توفى فى جمادى الأولى من هذه السنة، وقد جاوز المائة سنة، ودفن فى مقابر الفراديس.(1)

على بن سعيد الإصطخرى: أحد شيوخ المعتزلة، صنف للقادر بالله «الرد على الباطنية» فأجرى عليه جراية سنية، وكان يسكن درب رباح، توفى فى شوال وقد جاوز الثمانين.(2)

ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة

فيها: منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من المنازل، أو أن يطلعن من الأسطحة أو الطاقات، ومنع الخفافين من عمل الأخفاف لهن، ومنعهن من الخروج إلى الحمامات، وقتل خلقاً من النساء على مُخالفته فى ذلك، وهدم بعض الحمامات عليهن، وجهز عجائز كثيرة يطفن في البيوت يستعلمن أحوال النساء من منهن تَعْشَق أو تُعْشَق، بأسمائهن وأسماء من يتعرض لهن، فمن وجد منهن كذلك أطفأها. وأكثر من الدوران في الليل فى البلد، فى طلب ذلك، وغرق خلقاً ممن يطلع على فسقهم من الرجال والنساء، فضاق النطاق على النساء، والفساق، ولم يتمكن أحد أن يصل إلى أحد إلا نادراً، حتى إن امرأة نادت قاضي القضاة بالديار المصرية وهو مالك بن سعيد الفارقى وحلفت بحق الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها، فوقف لها فبكت بكاء شديداً، وقالت: إن لى أخًا ليس لى غيره، وهو فى السياق وأنا أسألك لما وصلتني إليه، لأنظر إليه قبل الموت. فرقَّ لها القاضى رقة شديدة، وأمر رجلين معه أن يكونا معها حتى يبلغاها إلى المنزل الذى تريده، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح لجارتها، وذهبت حتى وصلت مع الرجلين إلى منزل فطرقت ودخلت وقالت لهما: اذهبا راشدين فإذا هو منزل رجل تهواه ويهواها فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضى، فأعجبه ذلك، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابه مغلقًا، فسأل عن أمرها فذكر له ما صنعت فاستغاث على القاضى وذهب إليه وقال له: ما أريد امرأتى إلا منك، فإنها ليس لها أخ بالكلية، وإنما ذهبت إلى عشيقها، فخاف القاضى من معرة هذا الأمر، فركب إلى الحاكم وبكى لديه، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر، فأرسل الحاكم مع الرجلين اللذين سارا بها من جهة القاضي من يحضر الرجل والمرأة جميعًا، على أى حال كانا عليه، فوجدهما متعانقين سكارى، فسألهما الحاكم عن أمرهما فأخذا يعتذران بما لا يجدى شيئاً، فأمر بتحريق المرأة فى بارية وضرب الرجل بالسياط ضرباً مبرحًا وازداد احتياط الحاكم على النساء حتى مات. ذكره ابن الجوزى(3).

وفى رجب منها: ولى أبو الحسن أحمد بن أبى الشوارب قضاء الحضرة بعد موت أبى محمد بن الأكفانى.

وفيها: عمّر فخر الملك مسجد الشرقية ونصب عليه الشبابيك من حديد.

وممن توفى فيها من الأعيان: بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم المقرئ الواعظ: سمع أبا بكر

---

(1) «تاريخ بغداد» (8/ 84)، و«المنتظم» (15/ 99).
(2) «تاريخ بغداد» (11/ 431)، و«المنتظم» (15/ 100).
(3) «المنتظم» (15/ 101-103).

الشافعي، وجعفرًا الخلدى، وعنه الأزهرى والخلال، وكان ثقة أميناً صالحاً عابداً زاهداً، له قيام ليل، وكريم أخلاق. مات في هذه السنة، وقد نيف على الثمانين، ودفن بباب حرب.(1)

بدر بن حسنويه بن الحسين أبو النجم الكردى: كان من خيار الملوك بناحية الدينور وهمذان، له سياسة وصدقة كثيرة، كناه القادر بالله أبا النجم، ولقبه ناصر الدولة، وعقد له لواء وأنفذه إليه، وكانت أعماله فى غاية الأمن، بحيث إذا أعيا جمل أحد من المسافرين فتركه بما عليه فى البرية رد إليه، ولو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء. ولما عاثت أمراؤه فى البلاد فساداً عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز، فجلسوا ينتظرون الخبز، فلما طال ذلك سألوا عنه فقال: إذا كنتم تهلكون الحرث، فمن أين تؤتون بخبز؟ ثم قال: لا أسمع بأحد أفسد فى الأرض إلا أرقت دمه.(2)

واجتاز مرة فى بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو يبكى فقال له: ما لك؟ فقال: إنى كان معى رغيفان أريد أن أتقوت بهما فأخذهما منى بعض الجند. فقال له: أتعرفه إذا رأيته؟ قال: نعم. فوقف به فى مضيق حتى مر عليه الجند، فلما اجتاز به ذلك الرجل الذى أخذ منه الرغيفين، قال: هذا هو، فأمر به أن ينزل عن فرسه وأن يحمل هذه الحزمة من الحطاب حتى يبلغ بها إلى المدينة، فأراد أن يفتدى من ذلك بمال جزيل فلم يقبل منه، حتى تأدب به الجيش كلهم.

وكان يصرف في كل جمعة عشرة ألف درهم على الفقراء والأرامل والأيتام، وفى كل شهر عشرين ألف درهم فى تكفين الموتى، ويصرف فى كل سنة ألف دينار إلى عشرين نفساً يحجون عن والديه، وعن عضد الدولة، لأنه كان السبب فى تمليكه، وثلاثة آلاف دينار فى كل سنة إلى الحدادين والحذاءين للمنقطعين بين همذان وبغداد، يصلحون لهم الأحذية ونعال دوابهم، ويصرف فى كل سنة مائة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين، وعمارة المصانع، وإصلاح المياه فى طريق الحجاز، وإطلاقًا لأهل المنازل، وحفر الآبار وإصلاحها وما اجتاز فى طريقه بماء جار إلا بنى عنده قرية، وعمر فى أيامه من المساجد والخانات ما ينيف على ألفى مسجد وخان، هذا كله خارجاً عما يصرف من ديوانه من الجرايات والنفقات والصدقات، والبر والصلات، على أصناف الناس من الفقهاء والقضاة والمؤذنين والأشراف، والشهود والفقراء، والمساكين والأيتام والضعفاء. وكان كثير الصلاة والذكر، وكان له من الدواب المرتبطة فى سبيل الله وفى الجشر ما ينيف عن عشرين ألفًا. وكانت وفاته فى هذه السنة، ومدة إمارته اثنتان وثلاثون سنة، ودفن بمشهد عليّ، وترك من الأموال أربعة عشر ألف بدرة، ونيفاً وأربعين بدرة، البدرة عشرة آلاف، رحمه الله تعالى.

الحسن بن الحسين بن حمكان: أبو على الهمذانى، أحد الفقهاء الشافعيين ببغداد، عنى أولاً بالحديث فسمع شيئًا كثيرًا، حتى قيل: إنه كتب بالبصرة عن نحو من خمسمائة شيخ، ثم اشتغل بالفقه على أبي حامد المروروذي، وروى عنه الأزهرى، وقال: كان ضعيفاً ليس بشيء فى الحديث.(3)

(1) «تاريخ بغداد» (7/ 96)، و«المنتظم» (15/ 103).
(2) «المنتظم» (15/ 104)، و«الكامل» (9/ 248).
(3) «تاريخ بغداد» (7/ 299)، و«المنتظم» (15/ 156).

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو محمد الأسدى: المعروف بابن الأكفانى، قاضى قضاة بغداد، ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة، وروى عن القاضى المحاملى، ومحمد بن مخلد، وابن عقدة وغيرهم، وعنه البرقانى والتنوخى، يقال: إنه أنفق على طلب العلم مائة ألف دينار، وكان عفيفاً نزهاً، صين العرض. وكانت وفاته فى هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، ولى الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالاً، رحمه الله تعالى.(1)

عبد الرحمن بن محمد: ابن محمد بن عبد الله بن إدريس أبو سعد، الحافظ الإستراباذى المعروف بالإدريسى، رحل فى طلب الحديث، وعنى به، وسمع الأصم وغيره، وسكن سمرقند، وصنف لها تاريخاً وعرضه على الدارقطنى فاستحسنه، وحدث ببغداد فسمع منه الأزهرى والتنوخى، وكان ثقة حافظاً رحمه الله تعالى.(2)

أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي: الشاعر المشهور، امتدح سيف الدولة وغيره من الأكابر والأمراء والوزراء، وشعره المشهور بالجودة والإحسان وهو القائل البيت المطروق المشهور:

ومَن لم يَمُتْ بالسيفِ مات بغيره * تَعَدَّدَتِ الأسْبابُ والداءُ واحدُ

ومن شعره أيضًا قوله:

وإذا عجَزْتَ عن العدوِّ فداره * وامْزَحْ له إن المزاحَ وِفاقُ

فالماءُ بالنارِ الذي هو ضدُّها * تُعْطِي النِّضاجَ وطبعُها الإحْراقُ

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة، رحمه الله.(3)

عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينورى الفقيه السفيانى، وهو آخر من كان يفتى على مذهب سفيان الثورى ببغداد، فى جامع المنصور، وكان إليه النظر فى الجامع والقيام بأمره، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة، ودفن خلف الجامع، رحمه الله.(4)

الحاكم النيسابورى: صاحب «المستدرك» محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحاكم الضبى الحافظ، ويعرف بابن البَيِّع، من أهل نيسابور، وكان من أهل العلم والحفظ للحديث، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وأول سماعه في سنة ثلاثين وثلاثمائة، سمع الكثير وطوف في الآفاق، وصنف الكتب الكبار والصغار، فمن ذلك «المستدرك على الصحيحين»، و«علوم الحديث» و«الإكليل»، و«تاريخ نيسابور»، وقد روى عنه من مشايخه: الدارقطنى وابن أبى الفوارس وغيرهما. وقد كان من أهل العلم والحفظ والأمانة والديانة والصيانة، والضبط، والثقة، والتحرز،

---

(1) «تاريخ بغداد» (10/ 141)، و«المنتظم» (15/ 107)، و«الأنساب» (1/ 203)، و«السير» (17/ 151).
(2) «تاريخ جرجان» (ص 219)، و«تاريخ بغداد» (10/ 302)، و«المنتظم» (15/ 107)، و«السير» (17/ 226).
(3) «تاريخ بغداد» (10/ 466)، و«الأنساب» (5/ 452)، و«المنتظم» (15/ 108)، و«الوفيات» (3/ 190)، و«السير» (17/ 234).
(4) «المنتظم» (15/ 108).

والورع، رحمه الله. لكن قال الخطيب البغدادى: كان ابن البيع يميل إلى التشيع، فحدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموى، قال: جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخارى ومسلم، يلزمهما إخراجها فى صحيحيهما، فمنها: حديث الطير، «**ومن كنت مولاه فعلىّ مولاه**»، فأنكر عليه أصحاب الحديث ولم يلتفتوا إلى قوله ولا صوبوه فى فعله.(1)

وقال محمد بن طاهر المقدسى: قال الحاكم: حديث الطير لم يخرج فى الصحيح وهو صحيح. قال ابن طاهر: بل موضوع لا يروى إلا عن سقاط أهل الكوفة من المجاهيل، عن أنس، فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل، وإلا فهو معاند كذاب.

وقال أبو عبد الرحمن السلمى: دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم. فقلت له: لو خرجت فأمليت حديثاً فى فضائل معاوية لاسترحْت مما أنت فيه. فقال: لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي. توفى في صفر من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة.

يوسف بن احمد بن كج: أبو القاسم القاضى، أحد أئمة الشافعية، وله وجوه غريبة يحكيها في المذهب وكانت له نعمة عظيمة جداً، وولى القضاء بالدينور لبدر بن حسنويه فلما تغيرت البلاد بعد موت بدر وثب عليه جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة، رحمه الله تعالى.(2)

تم بحمد الله الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية
ويليه بإذن الله الجزء الثانى عشر وأوله
سنة ست وأربعمائة وبالله التوفيق

---

(1) ترجمته فى «تاريخ بغداد» (5/ 473)، و«المنتظم» (15/ 109)، و«الوفيات» (4/ 280)، و«السير» (17/ 162)، و«التذكرة» (3/ 1039).
(2) «الأنساب» (5/ 36)، و«المنتظم» (15/ 110)، و«الوفيات» (7/ 65)، و«السير» (17/ 183).

فهرس الجزء الحادي عشر

الموضوع	الصفحة
خلافة المستعين بالله	3
وفيها توفى من الأعيان	3
ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين	3
وفيها توفى من الأعيان	4
ثم دخلت سنة خمسين ومائتين من الهجرة	5
وفيها توفى من الأعيان	7
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين	7
وفيها توفى من الأعيان	10
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائتين	10
ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين نفسه	10
ذكر مقتل المستعين	11
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين	11
وفيها توفى من الأعيان	12
ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين	14
وتوفى فيها من الأعيان	14
ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين	15
موت الخليفة المعتز بن المتوكل	15
خلافة المهتدى بالله	16
خارجى آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة	18
وفيها توفى من الأعيان	19
ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين	20
خلع المهتدى بالله وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل	21
خلافة المعتمد على الله	22
وفيها توفى من الأعيان	23
ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين	26
وفيها توفى من الأعيان	28
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين	28
وفيها توفى من الأعيان	29

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين 29
وفيها توفى من الأعيان 30
ثم دخلت سنة ستين ومائتين 30
وفيها توفى من الأعيان 30
ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين 31
وفيها توفى من الأعيان 31
ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين 34
وفيها توفى من الأعيان 34
ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين 34
وفيها توفى من الأعيان 35
ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين 35
وفيها توفى من الأعيان 35
ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين 36
وفيها توفى من الأعيان 37
ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين 37
وفيها توفى من الأعيان 38
ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين 38
مسير أبى أحمد الموفق إلى مدينة صاحب الزنج وحصار المختارة 39
وفيها توفى من الأعيان 40
ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين 40
وفيها توفى من الأعيان 41
ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين 41
ثم دخلت سنة سبعين ومائتين 42
وفيها توفى من الأعيان 43
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين 46
وفيها توفى من الأعيان 47
ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين 47
وفيها توفى من الأعيان 48
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين 49
ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين 50
ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين 51
ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين 53
ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين 55
وفيها توفى من الأعيان 55
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين 58
ترجمة أبي أحمد الموفق رحمه الله 60
ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين 61

ترجمة المعتمد على الله 61
خلافة المعتضد 62
وفيها توفى من الأعيان 62
ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة 64
بناء دار الخلافة من بغداد فى هذا الوقت 65
وفيها توفى من الأعيان 65
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين 66
وفيها توفى من الأعيان 66
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائتين 67
وفيها توفى من الأعيان 67
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين 68
وفيها توفى من الأعيان 69
ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين 71
وفيها توفى من الأعيان 72
ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين 73
وفيها توفى 73
ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين 75
ظهور أبى سعيد الجنابى رأس القرامطة 75
وممن توفى فيها من الأعيان المشاهير 76
ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين 77
وممن توفي فيها 78
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين 78
وفيها توفى من الأعيان 79
ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين 79
ترجمة الخليفة المعتضد 80
خلافة المكتفى بالله أبى محمد 87
وفيها توفى من الأعيان 88
ثم دخلت سنة تسعين ومائتين 88
وفيها توفى من الأعيان 89
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين 90
وفيها توفى من الأعيان 90
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين 91
وممن توفى فيها من الأعيان 91
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين 92
وفيها توفى من الأعيان 93
ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين 93
ذكر مقتل زكرويه لعنه الله 94

وفيها توفى من الأعيان 94
ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين 95
وفاة الخليفة المكتفى بالله أبو محمد بن المعتضد 96
وهذه ترجمته وذكر وفاته 96
خلافة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد 97
وفيها توفى من الأعيان 97
ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين 98
وفيها توفى من الأعيان 99
ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين 101
وفيها توفى من الأعيان 102
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين 103
وفيها توفى من الأعيان 104
ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين 107
وفيها توفى من الأعيان 107
ثم دخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة 108
وفيها توفى من الأعيان 109
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة 110
وفيها توفى من الأعيان 111
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة 112
وفيها توفى من الأعيان 112
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة 113
وممن توفى فيها من الأعيان 113
ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة 116
وفيها توفى من الأعيان 116
ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة 117
وفيها توفى من الأعيان 117
ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة 118
وفيها توفى من الأعيان 118
ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة 119
وفيها توفى من الأعيان 120
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة 120
وفيها توفى من الأعيان 121
ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة 121
ترجمة الحلاج 122
ذكر أشياء من حيل الحلاج 125
ذكر صفة مقتل الحلاج 128
وممن توفى فيها من الأعيان 131

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة 132
وممن توفى فيها من الأعيان 133
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة 135
ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة 136
وفيها توفى من الأعيان 138
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة 139
وفيها توفى من الأعيان 139
ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة 140
وفيها توفى من الأعيان 141
ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة 141
وفيها توفى من الأعيان 142
ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة 143
وفيها توفى من الأعيان 144
ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة 145
ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم 146
وفيها توفى من الأعيان 148
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة 149
وفيها توفى من الأعيان 150
ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة 151
وفيها توفى من الأعيان 152
ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة 152
ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين 154
خلافة القاهر 155
وفيها توفى من الأعيان 155
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة 156
ابتداء أمر بنى بويه وظهور دولتهم 157
وفيها توفى من الأعيان 158
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة 160
ذكر خلع القاهر وسمل عينيه وعذابه 161
خلافة الراضى بالله أبى العباس محمد بن المقتدر بالله 161
وفاة المهدى صاحب إفريقية 162
وفيها توفى من الأعيان 163
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة 163
وفيها توفى من الأعيان 165
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة 166
وفيها توفى من الأعيان 167
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة 169

وفيها توفى من الأعيان 169
ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة 170
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة 171
وفيها توفى من الأعيان 171
ثم دخلت سنة ثماں وعشرين وثلاثمائة 172
وفيها توفى من الأعيان 173
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة 177
ذكر خلافة المتقي أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله 178
وفيها توفى من الأعيان 180
ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة 181
وفيها توفى من الأعيان 183
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة 184
وفيها توفى من الأعيان 185
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة 186
وفيها توفى من الأعيان 188
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة 188
خلافة المستكفى بالله عبد الله بن المكتفى بن المعتضد 189
موت القائم الفاطمي وولاية ولده المنصور 189
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة 190
أول دولة بنى بويه وحكمهم ببغداد 191
القبض على الخليفة المستكفى بالله وخلعه 191
خلافة المطيع لله 191
وممن توفى من الأعيان 192
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة 199
وممن توفى فيها من الأعيان 199
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة 201
وممن توفى فيها من الأعيان 201
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة 202
وممن توفى فيها من الأعيان 202
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة 203
وفاة عماد الدولة بن بويه 203
وممن توفى فيها من الأعيان 203
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة 204
وفيها توفى من الأعيان 205
ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمائة 205
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة 206
وفاة المنصور الفاطمى 206

ومن توفى فيها من الأعيان 207
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة 207
ومن توفى فيها من الأعيان 208
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة 208
ومن توفى فيها من الأعيان 208
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة 209
ومن توفى فيها من الأعيان 209
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة 210
وفيها توفى من الأعيان 211
ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة 212
ومن توفى فيها من الأعيان 212
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة 212
ومن توفى فيها من الأعيان 213
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة 213
ومن توفى فيها من الأعيان 214
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة 215
ومن توفى فيها من الأعيان 215
ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة 216
ومن توفى فيها من الأعيان 217
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة 218
دخول الروم إلى حلب 218
ومن توفى فيها من الأعيان 219
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة 220
ومن توفى فيها من الأعيان 221
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة 221
ومن توفى فيها من الأعيان 223
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة 223
ومن توفى فيها من الأعيان 224
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة 228
ومن توفى فيها من الأعيان 229
ترجمة النقفور ملك الأرمن واسمه الدمستق 230
ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة 238
وفاة معز الدولة بن بويه 238
ومن توفى فيها من الأعيان 239
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة 240
وفيها توفى من الأعيان أيضًا 241
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة 242

دخول جوهر القائد إلى الديار المصرية 242
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة 243
وممن توفى فيها من الأعيان 244
ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة 245
وفيها توفى من الأعيان 246
ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة 247
وفيها توفى من الأعيان 248
ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة 248
وفيها توفى من الأعيان 249
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة 251
خلافة الطائع وخلع المطيع 251
الحرب بين المعز الفاطمى والحسين 252
المعز الفاطمى ينتزع دمشق من القرامطة 252
وفيها توفى من الأعيان 253
ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة 255
ذكر أخذ دمشق من أيدى الفاطميين 256
وفيها توفى من الأعيان 258
ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة 258
وممن توفى فيها من الأعيان 258
ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة 260
ابتداء ملك بنى سبكتكين 261
وممن توفى فيها من الأعيان 263
ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة 264
صفة مقتل بختيار بن معز الدولة 265
وممن توفى فيها من الأعيان 266
ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة 266
قسام التراب يملك دمشق 267
وممن توفى فيها من الأعيان 267
ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة 269
وفيها توفى من الأعيان 270
ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة 271
وممن توفى فيها من الأعيان 271
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة 272
وممن توفى من الأعيان 272
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة 273
شىء من أخبار عضد الدولة 273
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة 275

ومن توفى فيها من الأعيان 275
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة 276
وفيها كانت وفاة 276
ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة 277
وفيها توفى 277
ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة 278
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة 278
ومن توفى فيها من الأعيان 279
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة 280
ومن توفى فيها من الأعيان 280
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة 280
وفيها توفى من الأعيان 281
ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة 281
وفيها توفى من الأعيان 282
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة 282
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة 284
وفيها توفى من الأعيان 285
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة 285
وفيها توفى من الأعيان 285
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة 286
وفيها توفى من الأعيان 286
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة 287
ومن توفى فيها من الأعيان 287
ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة 292
وفيها توفى من الأعيان 292
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة 293
ومن توفى فيها من الأعيان 293
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة 296
ومن توفى فيها من الأعيان 297
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة 298
ومن توفى فيها من الأعيان 298
ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة من الهجرة النبوية 299
ومن توفى فيها من الأعيان 299
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة 301
وفيها توفى من الأعيان 301
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة 302
ومن توفى فيها من الأعيان 303

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة 304
وممن توفى فيها من الأعيان 304
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة 305
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة 306
وممن توفى فيها من الأعيان 306
ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة 307
وممن توفى فيها من الأعيان 307
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة 308
وفيها توفى من الأعيان 309
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة 310
قصة مصحف ابن مسعود وتحريقه 310
تخريب قمامة فى هذه السنة 310
وممن توفى فيها من الأعيان 311
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة 312
وممن توفى فيها من الأعيان 312
ثم دخلت سنة أربعمائة من الهجرة 313
وممن توفى فيها من الأعيان 313
ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة 314
وممن توفى فيها من الأعيان 315
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة 316
الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم فى نسب الفاطميين 316
وفيها توفى من الأعيان 317
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة 318
وفيها توفى من الأعيان 319
ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة 322
وفيها توفى من الأعيان 322
ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة 323
وممن توفى فيها من الأعيان 323
الفهرس 327